

شرح
سر

عين العلم وزير الحكام

للامام العلامة والخبير النابغة الفهامة الشيخ نور الدين
منلا على بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقارى
صاحب المؤلفات الكثيرة المتوفى سنة ١٠١٤ هـ



الجزء الثاني

صححه وقابل أصوله وعلق عليه للمرة الاولى سنة ١٣٥٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرة

لصاحبها ومالكها محمد بن عبد الله الدمشقي

طبع على نفقة مكتبة احياء العلوم العربية

حقوق الطبع محفوظة الى الادارة

بدرب الاتراك بمصر رقم ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الباب العاشر)

(في الأناة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الأناةُ معنی باعثُ علی الاحتیاط فی الأمور، والتأنیُّ
اتباعها بعد الدخول فيه والتوقف قبله، وضدها العجلة وهي باعثُ علی الاقدام
بأول خاطر، والاستعجالُ اتباعه، ووردت العجلة من الشيطان الآ في تزويج
البكر وقضاء الدين وتجهيز الميت وقرى الضيف *

الاناة بفتح الاء اسم لضد العجلة، والحلم التحمل، والعفو التجاوز، والنصيحة ارادة الخير
للمنصوح له، والحقد بالكسر العداوة بالقلب وينتج نحو الحسد والغضب ﴿ بسم الله
الرحمن الرحيم ﴾ الذي يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به من كل طبع ذميم
﴿ الاناة معنی ﴾ اي خافق باطنی ﴿ باعث على الاحتياط في الامور ﴾ اي المتعلقة بالحكم
الخارجي وهو ارادة اتمام الامور على وجهها بحيث لا يفوت شيء من حقها ﴿ والتأني ﴾
مصدر من باب التفعّل وتأوّه للطلب أو التكلف ﴿ اتباعها ﴾ اي تتبع تلك الامور ﴿ بعد
الدخول ﴾ اي دخول الانسان ﴿ فيه ﴾ اي في حال الدخول قبل الدخول، وضده
التعسف في الحصول ﴿ والتوقف قبله ﴾ اي ويقال له التوقف ﴿ وضدها ﴾ اي الاناة
﴿ العجلة وهي ﴾ اي العجلة معنی ﴿ باعث على الاقدام ﴾ اي اقدام الانسان على الامور
﴿ بأول خاطر ﴾ من غير تأمل وتفكر ﴿ والاستعجال اتباعه ﴾ اي تتبع ذلك الباعث
من غير تأخر ﴿ ووردت العجلة من الشيطان ﴾ أبو يعلى من حديث أنس بلفظ « التأني
من الله والعجلة من الشيطان » والترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ « الاناة
من الله » ﴿ الآ في تزويج البكر ﴾ اي خصوصا اذا بلغت ووجدت لها كفوا ﴿ وقضاء
الدين ﴾ ولو كان مؤجلا ﴿ وتجهيز الميت ﴾ اذا كان ميسرا ﴿ وقرى الضيف ﴾

والتوبة من الذنب وآفات الحرمان فمن استعجل نيل منزلة أو إجابة دعوة قبل الوقت
بترك ملالة أو مكافأة ظالم يبطل بالدعاء عليه واقتحام الشبهة فاصل الورع النظر
البالغ في كل شيء

اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى : (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) ففيه الدلالة على المبادرة
بالعبارة والاشارة (والتوبة من الذنب) إذ يجب ان تكون في الحال فان اكثر عذاب
أهل النار من تسويهم في القال ويستثنى أيضا الصلاة اذا دخل وقتها فان في التأخير
آفات (وآفات) اي العجلة اشياء منها (الحرمان) من المطلوب (فمن استعجل نيل
منزلة) من مال أو جاه اولذة أو مقام أو حال أو مرتبة (أو اجابة دعوة قبل الوقت)
أي المقدر لها فان الامور مرهونة بأوقاتها (بترك ملالة) أي بترك المستعجل طلب تلك
المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون سبب الحرمان عن وصول تلك الحالة لا محالة ، او يغلو
ويبالغ في الجهد واتعاب النفس فيقطع عن الطريق فهو بين افراط وتفریط و كلاهما
نتيجة الاستعجال ، وقد ورد برواية البزار والحاكم والبيهقي وغيرهم ان ديننا هذامتين
فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى « والمنبت الذي انقطع به في سفره
وعطبت راحلته ، و الفعل انبت مطاوع به من البت وهو القطع . وفي المثل السائر ان لم تستعجل
تصل : و لبعضهم يقول قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
فيفتر ويسأم ويترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى : (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان
مسه الشرفيؤوس قنوط) (أو مكافأة ظالم) اما منصوب عطف على نيل منزلة أو مجرور
عطفًا على منزلة (يبطل) اجره لعدم صبره (بالدعاء عليه) أي على الظالم وذلك بان
يظلمه انسان فيغيظه ويدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في المعصية والهلاك ،
قال تعالى : (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) (واقتحام الشبهة)
أي ومن آفات العجلة دخول الشبهات المورثة للسينات (فاصل الورع) أي أساسه
الذي عليه مدار الشرع (النظر البالغ في كل شيء) أي من الاصل والفرع الذي هو
بصدده من اكل وشرب ولام وغيره ، فاذا كان الرجل مستعجلا في أموره غير متأن
ولا مثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام فيقع في شبهة أو حرام . وكذا
في سائر المرام فيفوته الورع الذي عليه مدار أحكام الاسلام ، وقد ورد اخبار وآثار
في فضل الرفق الذي عليه مدار حسن الخلق في معاشره الخلق . ففي صحيح مسلم

وَالْأَفْرَاطُ فِي الْغَضَبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَوَزِدَ الْغَضَبُ يَفْسُدُ الْإِيمَانَ كَمَا يَفْسُدُ الصَّبْرُ
الْعَسَلُ وَهُوَ غَلِيَانٌ دَمَ الْقَلْبِ لَطَبَ الْإِتْقَامِ وَالْحَمُودُ الْإِعْتِدَالُ

من حديث عائشة « ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطى على العنف » وفي الصحيحين من حديثها « يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله » ولمسلم من حديث جرير « من يحرم الرفق يحرم الخير » أى كله كما في رواية أبي داود . وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقى فى الشعب كلاهما من حديث عائشة « الرفق يمن والخرق (١) شؤم » ولابن المبارك فى الزهد من حديث أبي جعفر مرسل « إذا زادت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانتبه » وعن الحسن « المؤمن وقاف (٢) متان وليس كحاطب ليل » ثم العنف وان كان محمودا فى بعض الاحوال ولكن الاحتياج الى الرفق أقوى فى اكثر الافعال والاقوال ، ومن هنا قال سفیان لاصحابه : أتدرون ما الرفق ؟ قالوا قل يا أبا محمد ، قال : أن تضع الامور فى مواضعها : الشدة فى موضعها ، واللين فى موضعه ، والسيوف فى موضعه ، والسمط فى موضعه . وفيه تذييه نبيه على انه ينبغي مزج الغلظة باللين والعنف بالرفق كما قيل :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * أى باهله * مضر كوضع السيف فى موضع الندى
أى العطاء : وعن أبي عون الانصارى ماتكم الناس بكلمة صعبة الاولى جانبها
كلمة الين منها تجرى مجراها « والافراط » أى ومن آفات العجلة الاكثار والمبالغة
« فى الغضب وهو » أى الغضب أو افراطه « مذموم » أى شرعا وعرفا « (فورد)
أى برواية الطبرانى والبيهقى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده « الغضب يفسد
الايمن » أى كاله أو يطفىء نوره أو يمتنع ظهوره « كما يفسد الصبر العسل » وهو
بفتح الصاد وكسر الباء عصاره شجرة مرة ، وعن أبي هريرة « أن رجلا قال : يا رسول
الله مرنى بعمل واقلل قال : لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب ، رواه البخارى .
ومن هنا قيل لابن المبارك : أجمل لنا الخلق الحسن فى كلمة ، قال : ترك الغضب . وعن
عكرمة فى قوله تعالى : (وسيدوا وحسورا) قال : السيد الذى لا يغلبه الغضب . وقد قيل
الغضب غول العقل « وهو » أى الغضب « غليان دم القلب لطاب الاتقام والمحمود »
من الغضب « الاعتدال » كسائر الاخلاق والاحوال . فلابيهقى فى الشعب مرسل « خير

(١) الخرق بضم الخاء الجهل والحق (٢) الوقوف الذى لا يستعجل فى الامور

وَهُوَ الضَّبْطُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ فَالتَّفْرِيطُ مَذْمُومٌ كَالْإِفْرَاطِ فَوَرَدَ (أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ - وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) وَقَلْعُهُ فِي زَوَالِ مَا اسْتَغْنَى عَنْهُ مُمْكِنٌ لِأَمَّا احْتِيجَ إِلَيْهِ كَطَعَامٍ يَسُدُّ جُوعَهُ وَثَوْبٍ يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَيَبْتَ يُوَارِيهِ وَكِتَابٍ يَطَالَعُهُ لَصُعُوبَةٍ تَفْرِغُ الْقَلْبَ عَنْ حُبِّهَا

الأمر أو وسطها» (وهو) أى الاعتدال (الضبط تحت الشرع والعقل) بان لا يكون فيه تفريط ولا إفراط ، فيغلب حيث وجبت الحمية الشرعية ، وينطفىء حيث يحسن الحلم في القضية الفرعية (فالتفريط) أى يفقد الغضب أو ضعفه (مذموم) وهو الذى يقال فيه : انه لاشمية له ، ولذا قال الشافعى : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان (كالأفراط) أى كما ان الإفراط بالتجاوز عن الحد مذموم قال تعالى : (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة من الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنعم الله عليهم من السكينة (فورد) فى مدح الاعتدال قوله تعالى (أشدء على الكفار) تمامه (رحماء بينهم) وكذا قوله (أذلة على المؤمنين أعزء على الكافرين) وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم) (ولا تأخذنهم بهما) أى بالزانى والزانية فى حدهما (رافة فى دين الله) أى شدة رحمة وهو دليل الذم التفريط ، وقال عليه السلام « خير أمتى أحداؤها » يعنى فى الدين ، رواه الطبرانى والبيهقى عن على (وقلعه) أى قطع الغضب ورفع (فى زوال ما استغنى عنه) كالجاء والمال الكثير والغلمان والدواب (ممكن) إذ ليست هذه الأشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن رفعها بالرياضة والمجاهدة العلمية والعملية (لا) أى لا يمكن قلعه فى زوال (ما احتيج إليه) أى ولا يستغنى عنه بحال (كطعام يسد جوعه) من قوت يومه وليلته (وثوب يستر عورته) ويصح صلواته (ويبت يواريه) أى يستر حالته ويدفع برودته وحرارته (وكتاب يطالعه) وفى معناه كل آلة بها يكتب صاحبها ، والاخير من ضروريات بعض افراد الناس (لصعوبة تفريغ القلب عن حبها) أى عن حب هذه الأشياء بحكم الطبيعة ، فانه لا يمكن قلعه بالرياضة ولا كلف احد بها فى أبواب الشريعة ، وقد اشار إليه

الْأَلَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ فَيَرَى الْخَلْقَ مُسَخَّرِينَ لِلْحَقِّ كَالْقَلَمِ لِلْكَاتِبِ، وَفِيهِ
يَتَصَوَّرُ الْكُسْرُ أَنَّ لَا يَظْهَرُ الْأَثْرُ

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يوم فكاكاً نما حيزت له الدنيا » أى جمعت له لذاتها . الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن محسن . وقال الترمذى . حسن غريب : ورواه الطبرانى فى تاريخه . والكل بدون زيادة بخذا فيرها (الامن غلب عليه التوحيد) فلا يغضب على تفويت هذه الاشياء لما عنده من المقام السديد وحال الفناء (فيرى الخلق مسخرين للحق) القاهر الغالب (كالقلم للكاتِب) لكن غلبة التوحيد الى هذا الحد فى مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع فى احوال نادرة مع الرب ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه ، ويقول : انما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر ، كما فى الصحيحين ، وفى رواية : « فإيما مسلم سبته أو لعنته أو ضربته فاجعلها منى صلاة وزكاة وقربة تقر به بها اليك يوم القيامة » (وفيه) أى فيما احتيج اليه (يتصور الكسر) أى كسر النفس (بان لا يظهر الاثر) أى اثر الغضب فى البشرة لا قلع الغضب بالمرة لانه غير مقدور للبشر . وعن على كرم الله وجهه « كان عليه السلام لا يغضب للدين افاذا اغضبه الحق لم يقربه احد ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له » رواه الترمذى فى الشمائل . وفى صحيح مسلم عن عروة « ان عائشة حدثت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة اغرت ؟ فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ، فقال ﷺ : لقد جاءك شيطانك ، قالت يا رسول الله او معى شيطان . قال نعم ، قلت ومع كل انسان . قال نعم ، قلت ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم . ولكن ربى اعانتى عليه حتى اسلم فلا يأمرنى الا بخير ، وفى الاحياء اراد شيطان الغضب . والمعنى انه لا يحلمنى على الشر ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت فى الغضب والرضا . قال اكتب فوالذى بعثت بالحق ما يخرج منه الا حق » و اشار الى لسانه « فلم يقل انى لا اغضب ، ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب . والحديث رواه أبو داود باسناد صحيح وهو متضمن لما فى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقوله سبحانه : (قل انما انا بشر

وَالسَّبَبُ الْكَبِيرُ وَالْعَجَبُ وَالْمَرَحُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَالِإِيذَاءُ وَالْحِرْصُ فِي الْفُضُولِ
وَعِلَاجُ كُلِّ فِي مَوْضِعِهِ

مثلكم يوحى الى) أى التمييز بينى وبينكم بوقوع الوحي الى دونكم *
هذا وقد يفقد أصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى اهم
منه ، فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره ، فان استغرق القلب ببعض
المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات ، ومن هنالما شتم سلمان قال :
ان خفت موازىنى فانا شر مما تقول ، وان ثقلت موازىنى فلا يضرنى ما تقول . فقد كان همه
مصر وفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتيم ولم يصر سببا لغضبه ، وكذلك شتم الربيع بن
خيثم فقال : يا هذا سمع الله كلامك ، وان دون الجنة حقة ان قطعها لم يضرنى ما تقول ، وان
لم اقطعها فانا شر مما تقول ، وقيل للبسطامى : لحيثك أفضل أم ذنب الكلب ؟ فقال : ان
مت مؤمنا فلحيتى والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة ، وشتم رجل أبا بكر الصديق
فقال : ما ستر الله عنك اكثر ، فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق
تقاته ويعرف الله حق معرفته ، فلم يغضب به نسبة غيره اياه الى نقصان فى امره ، اذ كان ينظر
الى نفسه بعين التقصان وذلك لكمال قدره . وقالت امرأة لما لك بن دينار : يا امرأتى ، فقال
ما عرفنى غيرك ، فكأنه كان مشغولا بان ينفى عن نفسه آفة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص
ومقام البقاء بعد الفناء ، وسب رجل الشعي فقال : ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت
كاذبا فغفر الله لك (والسبب) أى باعث الغضب ستة أشياء (الكبر والعجب والمزاح
والاستهزاء والايذاء) أى بالتعبير والمرء (والحرص) أى شدة الميل (فى الفضول)
اى زيادة المسال والجاه ، وهى باجمعها اخلاق رديئة واحوال دنية مذمومة فى امور
شرعية واحكام فرعية . ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب ، فلا بد من ازالتها
باضدادها المعروفة فى الباب (وعلاج كل) اى من الكبر ونحوه (فى موضعه) اى
يأتى مفصلا ، واما مجملا فهو بان يمت الكبر بالتواضع ، ويميت العجب بمعرفة النفس
اذا كان بالعلم والعمل ، واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بنى آدم جنس واحد ،
وان الشرف بالمضائل . والفخر والعجب من اكبر الرذائل ، ويميت المزاح بالاستهزاء
بالمهمات الدينية والامور الاخروية ، ويزيل الهزل بالجد ، ويميت الباطل بالحق لقوله
تعالى : (انه لقول فصل وما هو بالهزل) ويزيل التعبير بالاستهزاء بعيوب نفسه فورد

وَبِالْإِجْمَالِ التَّوَضُّؤُ وَالْتَعْبُدُ وَالْقَعُودُ وَالْإِتِّكَاءُ وَالْإِضْطِجَاعُ

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، ومن غير اخاه بذنب لم يمت حتى يبتلى به ، ويزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، مع مافي القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة . ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة سديدة ، فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وظهرت عن هذه الرذائل وانصفت بمحامد الفضائل ومكارم السمائل»

والحاصل ان الغضب انها هو لضعف النفس ، فالمرضى اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل ؛ والصبي اسرع غضبا من الكبير ، والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل ، وذو الخلق السيء والرذائل اسرع غضبا من صاحب الفضائل ، فالرذل يغضب لشهوته عند فوت لقمته ، ولينخله عند فوت حبه . وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدثه ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة « ليس الشديد بالصرعة انها الشديد من يملك نفسه عند الغضب » وهو الذي ذكرناه : علاجه بتفصيل الاحوال ((وبالإجمال)) علاجه اثنا عشر ((التوضؤ)) والاعتسال أتم . ففي الحديث « إذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار » أبو داود من حديث عطية السعدي : وفي رواية أخرى « ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار وانما تطفا انار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ ، وروى « أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال : ان الغضب من الشيطان » وهذا يذهب الغضب في الجملة ((والتعبد)) أى بالصلاة ونحوها ، وفي نسخة الت غسل وهو الظاهر فيكون في الأصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاعتسال فقد أخرج ابن عساکر من حديث معاوية « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفي النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل » ومن جملة العلاج السمكوت فعن ابن عباس مرفوعا « اذا غضبت فاسكت » رواه أحمد وابن ابى الدنيا والطبرانى والبيهقى في شعب الايمان ((والقعود)) أى الجلوس اذا كان قائما ((والائتكاء)) اذا كان جالسا ((والاضطجاع)) اذا كان متكبئا فللترمذى من حديث أبى سعيد « ان الغضب جمرة فى القلب المتروا الى اتفاخ أوداجه وجمرة عينه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليتم » (أى فليضطجع) فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل

وَإِصْأَقِ الخَدَّ بِالْأَرْضِ فَالْكَلْ مَرَوِي مَأْمُورٌ بِهِ مَعْلَلًا بِأَنَّهُ جَمْرَةٌ

فان النار لا يطفئها الا الماء ، ولا بن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة كان عليه السلام
 « اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه » ولا حمد
 باسناد جيد « وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع ، فقيل له : لم جلست ثم اضطجعت ؟
 فقال : ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا : اذا غضب أحدكم وهو قائم
 فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع » والمرفوع عند أبي داود بسند فيه
 انقطاع . والاضطجاع غاية السكون ، فان سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة
 الحركة ، والظاهر عنوان الباطن ، ويستعان بكل منهما على الآخر كما حقق في
 طهارة الظاهر والباطن ، وقد ورد « ان أبا ذر قال لرجل يابن الحمراء في خصومة
 بينهما - وفي رواية - يابن الخضراء فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : يا أبا ذر بلغني
 انك اليوم عيرت رجلا بأمة قال نعم ، فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل
 فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يا أبا ذر ارفع
 رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بافضل من أحمر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل ،
 ثم قال : اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد ، وان كنت قاعدا فاتكى . وان كنت متكئا
 فاضطجع » رواه ابن أبي الدنيا باسناد صحيح . وفي الصحيحين من حديثه قال « كان
 بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت امه أعممية فغيرته بأمة فشكاني الى النبي ﷺ
 فقال : يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية » ولا حمد أنه عليه السلام قال له : « انظر فانك
 لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى » ورجاله ثقات « وإصأق الخد
 بالأرض » فعن أبي سعيد الخدري مرفوعا « الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا تروى
 الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالأرض » الترمذي
 وحسنه . وكان هذا اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من أذل الأشياء لتستشعر به النفس
 المذلة وتزيل عنها الزهو والعزة ، وایما الى ان من أوله وآخره التراب لا يصلح له
 الغضب في باب من الابواب ، والى قول بعض اولى الالباب : ما للتراب ورب الارباب
 والله أعلم بالصواب ، وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أني : أوليت ؟ قلت
 نعم ، قال : فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالفهما
 « فالكل مروى » اى فعله كما قدمنا « مأمور به » كما بينا . والمعنى انه جمع فيه بين العمل
 والقول « معللا » وفي نسخة معلل « بانه » اى الغضب « جمرة » اى حجارة غريزية أو

فِي الْقَلْبِ بِدَلِيلِ حُمْرَةِ الْعَيْنِ وَاتْفَاخِ الْأَوْدَاجِ وَالِاسْتِعَادَةِ وَالِاسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَالْعِلْمِ بِثَوَابِ الْحِلْمِ وَالتَّحَلُّمِ فُورِدَ (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) أَيِ الْمُتَحَلِّمِينَ وَ«مَنْ
كَفَّ اللَّهُ غَيْظَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ» إِنْ الْمُسْلِمَ لِيَدْرِكَ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ

حادثه عرضية تتوقد ﴿في القلب بدليل حمرة العين﴾ أي حينئذ ﴿واتفاخ الأوداج﴾ أي
عروق الرقبة. وقد سبقت به الرواية وتحققت فيه الدراية ﴿والاستعادة﴾ أي ومن جملة
العلاج العودة إلى الحالة الأولى بعد التغير عنها إلى الحالة الثانية ﴿والاستعاذة﴾ أي التعوذ
بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ، وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد، قال:
كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فاحدهما أحمروا وجهه واتفخت أوداجه فقال
عليه السلام. لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد، الحديث. ولا بن عدي
من حديث أبي هريرة، إذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله سكن غضبه، ولا بن السني في
اليوم واللييلة. من حديث عائشة، كان عليه السلام إذا غضبت عائشة أخذ بانفها وقال
يا عويش قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
العين، ﴿والاستعانة بالله تعالى﴾ أي بحوله وقوته في دفع غضبه وشدة حدته ﴿والعلم
بثواب الحلم والتحمل﴾ عطف على العلم لا الحلم أي ومن العلاج التكلف في الحلم فانه
محمود أيضاً للطبراني «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتعلم» ﴿فوردي﴾ في التنزيل ﴿والكاظمين
الغيظ﴾ أي المتحملين وذلك في معرض مدح المتقين من المؤمنين، وتماهم ﴿والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين﴾ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من
حديث أنس ﴿من كف الله غيظه كف الله عنه عذابه﴾ ولا بن أبي الدنيا من حديث
ابن عمر «من ملك غضبه وقاه الله عذابه» ولا بن أبي الدنيا من حديث علي «أشدكم
من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند المقدرة» ﴿إن المسلم ليدرِك بالحلم
درجة الصائم﴾ أي بالنهار ﴿القائم﴾ أي بالليل رواه الطبراني في الأوسط. ولا بن
السني من حديث أبي هريرة «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم» وفي الصحيحين
«يا أشع ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والناة» وللطبراني من حديث فاطمة «ان الله يحب
الحيي الحليم» ولا بن ماجه باسناد جيد من حديث ابن عمر «ما جرع عبد جرعة أعظم
أجر من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله» زاد ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس
«وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً» وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شراً كثيراً.

وَشِدَّةُ غَضَبِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتُهُ وَفَضِيحَةُ الْآخِرَةِ وَتَشْبِيهِهِ الْحَلِيمِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ
وَالْغَضُوبِ بِالسَّبْعِ الضَّارِي وَقَبْحِ هَيْئَتِهِ

واجتمع سفيات الثورى وفضيل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع ، وقال رجل لعمر : والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله قال : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وهذا من الجاهلين ، فقال عمر صدقت ، وكأنما كانت ناراً فاطفئت (وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الآخرة) أى والعلم بها فانها تكون سبباً لاطفاء نار الغضب وتسكينها عن اللهب ، فيخوف نفسه بعقاب الله بان يقول : قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان ، فلوامضيت غضبى عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو والمرحمة ، وقد قال تعالى في بعض الكتب المتقدمة : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب فلما جاءه قال : لولا القصاص لأوجعتك ضرباً « أى خوف القصاص فى القيامة أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف . ولاحمد من حديث عبد الله بن عمر . » وسأل رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآ له وسلم ما يبعدنى من غضب الله قال لا تغضب » (وتشبيهه الحليم بالأنبياء) فورد « كذا الحليم ان يكون نبياً » وقدم ح الله سبحانه خلية بانه حليم ، وكذا بشره بغلام حليم (والاولياء) أى باتباع الانبياء من الاصفياء فقد ورد « العلماء ورثة الأنبياء » و ضد ذلك من حال الاكراد والانراك والجهلة والاعبياء (والغضوب) أى وتشبيه كثير الغضب (بالسبع الضارى) أى الصائل العادى من الاسد ونحوه ، فهو من اخلاق البهائم والكلب الهائم (وقبح هيئته) أى بتغيير صورته حال غضبه وشدة حدته بان يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه وشدة رعدته فى اطرافه واكتافه ، وخروج افعاله عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة فى اعضائه وكلامه ، حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتقلب المناخر ، وتستحيل الحلقة فى المظاهر . ولورأى الغضبان نفسه فى حال غضبه وقبح صورته لسكن غضبه من قبح هيئته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه اعظم من ظاهره . وهذا التغيير فى جسده . واما اثره باللسان فإطلاقه بالثتم والفحش وقبح الكلام الذى يستحي منه

وَالْعَجْزُ عَنِ الْغَلْبَةِ عَلَىٰ مُرَادِهِ تَعَالَىٰ وَانْتِقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، وَحُدُوثِ الذَّنُوبِ
لِأَخْذِ اللِّسَانِ فِي الْفُحْشِ وَالسَّبِّ، وَالْجَوَارِحِ فِي الضَّرْبِ وَالْجَرْحِ وَالْقَتْلِ
وَالْقَلْبِ فِي الْحَقْدِ وَهُوَ ذَمِيمَةٌ فَاحْشَةٌ فُورِدَ «الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ»

ذوو العقول ، ويستحي منه قائله ايضا عند فتور غضبه ، وذلك مع تخبط نظمه او اضطراب لفظه . وأما أثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والجرح والقتل عند التمكن من غير مبالاة ، فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب لديه وعجز عن التشفي اليه رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه ، وقد يضرب بيده على الأرض أو جدره ويعدو عدو الواله والسكران في مشيه ، وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو سريعا ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصة على الارض ويكسر المائدة ويتعاطى افعال المجانين ؛ فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها الى متى الى متى منك يا هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا ، حتى ربما رفته دابة فيرفس ه والدابة ويقابلها بذلك ، وربما قتل نفسه بيده اما باآلة أو بشنق او برمي في بحر ونحوه ﴿ والعجز ﴾ أي والعلم بالعجز ﴿ عن الغلبة على مراده تعالى ﴾ فالله غالب على أمره ، وهو القاهر فوق عباده . فان الغضبان يود جريان الشيء على وفق مراد نفسه دون مراد ربه ، ومن وقع في هذه الورطة وبابه بقاء بغضب من الله وعذابه ، ونعم ما قيل :
تود النفس ان تلقى مناها ۞ ويأبى الله الا ما يريد

فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فسكن مسلما لامره ان كسنت من المريد الطالب لمقام المزيد ﴿ وانتقام المغضوب عليه ﴾ أي فيحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب عليه على اظهار معائبه والشتمات بمصائبه ﴿ وحدوث الذنوب ﴾ أي انواع العصيان ﴿ لاخذ اللسان في الفحش والسب ﴾ للانسان ﴿ والجوارح في الضرب والجرح والقتل ﴾ بما سبق في معرض البيان ﴿ والقلب في الحقد ﴾ فان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في غيظه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار حقدًا ، فحينئذ يلزم قلبه استمقاله ويحسده في حسن حاله ، ويظهر الشتمات بمسائه . والحزن بمسرتة ، والعزم على افشاء سره وهتك ستره والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع أمره ﴿ وهو ﴾ أي الحقد ﴿ ذميمة ﴾ أي خصلة مذمومة ﴿ فاحشة ﴾ أي متجاوزة عن الحد لاشتماله على سيئات متعدية عن العد ﴿ فورد المؤمن ﴾ أي السكامل ﴿ ليس بحقود ﴾ فعول بمعنى فاعل ، أي ليس بنذى حقد ، أو ليس

وَالْعَلَّاجُ قَلْعُ الْغَضَبِ وَذَكَرَ مَاوَرِدَ فِي الْعَفْوِ مِثْلُ (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ - خُذِ الْعَفْوَ - وَإِنْ تَعَفَوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) وَهُوَ اسْقَاطُ حَقِّ وَجِبِّ أَمَا قَوْلُ أَبِي ضَمْمَمٍ
 اللَّهُمَّ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى عِبَادِكَ فَوَعْدُ وَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ

بِمَالِغٍ فِي الْحَقْدِ ، وَالْحَدِيثُ فِي الْأَحْيَاءِ ، وَقَالَ مَخْرَجُهُ لَمْ أَقْفَلْهُ عَلَى أَصْلِ (وَالْعَلَّاجُ)
 أَيْ عِلَاجِ الْحَقْدِ (قَلْعُ الْغَضَبِ) أَيْ الَّذِي سَبَبَ الْحَقْدَ الْبَاعِثُ عَلَى الْحَسَدِ وَنَحْوِهِ (وَذَكَرَ
 مَاوَرِدَ) أَيْ مِنَ الْفَضَائِلِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ (فِي الْعَفْوِ مِثْلُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)
 وَتَمَامِهِ (وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ « إِذَا وَقَفَ
 الْعِبَادُ نَادَى مُنَادٍ لِيَقِمَ مِنْ أَجْرِهِ عَلَى اللَّهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ قِيلَ مَنْ ذَا الَّذِي أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ
 الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ » وَهُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ : (فَمَنْ عَفَى وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وَلَا حَمْدَ
 وَالْحَاكِمِ وَصَحَّحَهُ « أَنَّ اللَّهَ عَفْوِي يَحِبُّ الْعَفْوَ » فَالْمُنْتَلِقُ بِالْأَخْلَاقِ لِلَّهِ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ مَوْلَاهُ
 (خُذِ الْعَفْوَ) تَمَامُهُ : (وَأَمْرٌ بِالْعَرَفِ وَاعْرُضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وَوَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الْعَفْوِ
 « أَنْ تَعْطَى مِنْ حَرَمِكَ وَتَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ وَتَعْفُوَ عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ » (وَإِنْ تَعَفَوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)
 تَمَامُهُ : (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (وَهُوَ) أَيْ الْعَفْوُ (اسْقَاطُ حَقِّ وَجِبِّ) أَيْ ثَبِتُ
 لِلْعَبِيدِ عَلَى غَيْرِهِ (أَمَا قَوْلُ أَبِي ضَمْمَمٍ) وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (اللَّهُمَّ تَصَدَّقْتُ
 بِعَرَضِي عَلَى عِبَادِكَ فَوَعْدُ) أَيْ لِأَعْفُو لَأَنَّهُ اثْبَاتٌ مَالَهُ لِلغَيْرِ لِأَثْبَاتِ حَقِّ وَاجِبٍ لَهُ عَلَى الْغَيْرِ
 (وَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ) أَيْ بِوَعْدِهِ وَعَهْدِهِ . وَتَوْضِيحُهُ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ الْعَفْوُ اسْقَاطُ حَقِّ وَجِبِّ
 وَرَدَ عَلَيْهِ أَنْ قَوْلَ أَبِي ضَمْمَمٍ تَصَدَّقْتُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَفْوَ قَدْ يَكُونُ بِاسْقَاطِ الْحَقِّ قَبْلَ
 الْوَجوبِ ، فَاجَابَ بِأَنَّهُ وَعَدَ بِأَنَّهُ لَا يَخَاصِمُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَعْفُو كَمَا قَدَّمَ نَاهُ ، وَفِي الْأَحْيَاءِ
 « قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : اللَّهُمَّ لَيْسَ عِنْدِي صَدَقَةٌ أَتَصَدَّقُ بِهَا ، فَيَا مَرْجُلَ أَصَابَ مِنْ
 عَرَضِي شَيْئًا فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ »
 قَالَ مَخْرَجُهُ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الصَّحَابَةِ ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الشَّعْبِ ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ
 مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْمَهُ ، وَقَالَ أَظُنُّهُ أَبُو ضَمْمَمٍ ، وَتَقَدَّمَ
 فِي آفَاتِ اللِّسَانِ حَدِيثُ « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْمَمٍ ، قَالُوا وَمَا أَبُو ضَمْمَمٍ ؟
 قَالَ : رَجُلٌ فَيَمُنُّ كَانَ قَبْلَكُمْ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ قَدْ تَصَدَّقْتَ الْيَوْمَ بِعَرَضِي عَلَى مَنْ
 ظَلَمْتَنِي ، وَالْمَعْنَى أَنْتُمْ أَوْلَى بِهَذِهِ الْخِصْلَةِ الْمَهْمَةِ فَانْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
 (رَبَّانِينَ) أَيْ عَلَمَاءَ جَاهِلِيَّةٍ . وَعَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ

وَمَا ارْتَكَبَ الْحَقُودَ مِنْ مَكْرُوهٍ كَتَرَكَ الْإِعَانَةَ فِي الْحَاجَةِ وَالِدُعَاءِ

قالوا (سلاما) قال علماء ان جهل عليهم لم يجهلوا يعني بل يجيبونهم بقول يسلمون فيه عنهم . وقال عطاء بن أبي رباح: ويمشون على الأرض هونا أي علماء . وقال ابن أبي حبيب في قوله : (وكهلا) قال الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد : (واذا مروا باللغو مروا كراما) أي اذا أودوا صفحوا ، وروى أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال عليه السلام : « أصبح ابن مسعود أسمى كريما » ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى : (واذا مروا باللغو مروا كراما) ابن المبارك في البر والصلة . ولأحمد من حديث سهل بن سعد « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الخليم ، قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب » وعن علي كرم الله وجهه « ليس الخير أن يكثر مالك وولدك وليك الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا تباهى الناس بعبادة ربك ، فاذا أحسنت حمدت الله واذا أسأت استغفرت الله ، وعن الحسن « اطلبوا العلم وزينوه بالحلم » وقال بعضهم : ما أحسن الايمان بزينة العلم ، وما أحسن العلم بزينة العمل ، وما أحسن العمل بزينة الرفق ، وما أضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم ، وعن أنس بن مالك في قوله تعالى : (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) الى قوله : (عظيم) هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت نادبا يغفر الله لك ، وان كنت صادقا فيغفر الله لي ، وعن بعضهم قال شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم عنى فاستعبدنى بها زمانا . وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتقضئها . فنكس الرجل رأسه واستحى . وعن علي بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وأمره بالف درهم . ومر المسيح ابن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا ، فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا ، فقال كل واحد يفتق بما عنده . ولأحمد من حديث جابر بن سمرة « ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ، ولا بني داود من حديث أبي هريرة « شتم رجل أبا بكر وهو ساكت فلما ابتداء ينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قلت قال لان الملك كان يجب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجس في مجلس فيه الشيطان » (وما ارتكب) أي و ذكر ما اكتسب (الحقود من مكروه كترك الاعانة في الحاجة) وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (والدعاء) أي و كترك الدعاء له في الغيبة فان الدعاء

وَالْوَعْظَ وَالرَّفْقَ قُورِدُ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ» وَمِنْ حَرَامِ كَالشَّمَاتَةِ وَالْأَعْرَاضِ
وَالْأَهَانَةِ وَالغِيْبَةِ وَتَرْكُ صَلَاةِ الرَّحْمِ وَقَضَاءِ الْحَقِّ، وَالنَّصِيحَةِ وَهِيَ أَرَادَةُ بَقَاءِ
النِّعْمَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِمَّا لَهُ فِيهِ صَلَاحٌ عُرِفَ بِغَلْبَةِ الظَّنِّ أَوْ قِيْدِ بَشْرَطِهِ، وَضَدُهَا
الْحَسَدُ وَهُوَ أَرَادَةُ زَوَالِهَا عَنْهُ مِمَّا لَهُ فِيهِ صَلَاحٌ فَإِنْ انْتَفَى الصَّلَاحُ فَغَيْرَةٌ وَإِنْ
أَرَادَ مِثْلَهَا لِنَفْسِهِ دُونَ الزَّوَالِ عَنْهُ فَغَبْطَةٌ وَمَنَافَسَةٌ، وَالْحَسَدُ حَرَامٌ

يستجاب في غيبة المؤمن ويكون للداعي مثله (والوعظ) أي النصيحة وترك الفضيحة ،
فقد ورد « الا ان الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله؟ قال الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة
المؤمنين وعامتهم » (والرفق) أي بالنية الصحيحة (فوردا ان الله يحب الرفق) أي
اللطف وهو ضد العنف وقد تقدم مخزجه (ومن حرام كالشتماتة) وهي الفرح ببلية
العدو (والاعراض) عند المواجهة بترك السلام والكلام (والاهانة) بترك
القيام والتوسيع في المقام (والغيبة) أي ذكر ما يكرهه في الغيبة (وترك صلة الرحم)
ان كان من ذوى القرابة (وقضاء الحق) أي وتركه من حقوق المسلمين من رد السلام
وتشमित العاطس وعبادة المريض وامثالها (والنصيحة) أي وتركها (وهي ارادة
بقاء النعمة على المسلم بما) أي من شيء (له) أي للمسلم (فيه) أي في ذلك الشيء
(صلاح) دينوى أو اخروى (عرف) كونه صلاحا (بغلبة الظن أو قيد بشرطه)
أي او قيد البقاء بشرط الصلاح بان يقول : ان كان له فيها صلاح فابقها (وضدها)
أي النصيحة (الحسد وهو ارادة زوالها) أي النعمة (عنه) أي عن المسلم (مما له فيه
صلاح ، فان انتفى الصلاح) وقد اراد زوالها عنه مطلقا من غير ان يباشر سببا لاجل
زوالها (فغيرة) وهي مذمومة (وان اراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة)
وهي خصلة محمودة ، ومنه قوله تعالى : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وحديث
الصحيحين عن ابن عمر « لاحسد الا في اثنين رجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه
الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، (والحسد) أي المذموم
(حرام) لقوله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وعن الفضيل
المؤمن يغبط والمنافق يحسد . ولقوله عليه السلام « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
البار الحطب » أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس . وفي الصحيحين

فَأَفَاتُهُ كِرَاهَةٌ نِعْمَتُهُ تَعَالَى وَقَضَائِهِ وَرَاحَةُ الْمُسْلِمِ وَفَعْلُ الْمَعَاصِي كَالْتِمَاقِ وَالْغِيْبَةِ
وَالشَّمَاتَةِ فُورِدَ (وَمَنْ شَرَّ حَاسِدًا إِذَا حَسَدَ)

« لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ، ولليهي في الشعب ، كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر ، (فافاته) ستة (كراهة نعمته تعالى) فللطبراني من حديث معاذ ، استعينوا على قضاء الحوائج بالسكران فان كل ذي نعمة محسود وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم (وقضائه) فعن زكريا عليه السلام قال تعالى : (الحاسد عدو لنعمتي ، ساخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي . وقد يؤخذ هذا المعنى من قوله تعالى : (ولا تهنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما كتسبوا وللنساء نصيب مما كتسبن واسئلو الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) وقال تعالى : (لكل اجل كتاب) وكل شيء عنده بمقدار) وقد شكى نبي من الانبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه : فر من قدامها حتى تنقضي أيامها . (وراحة المسلم) أي وكرامتها وهو من خصال المنافقين كما قال الله تعالى في حقهم (ان تمسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقال معاوية . كل الناس أقدر على رضاه الاحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل :

كل العداوة قد ترجى امامتها * إلا عداوة من عاداك من حسد

ومن هنا قال الله تعالى : (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) وقال اعرابي : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، انه يرى النعمة عليك نقمة عليه ، وقال الحسن : يا ابن آدم لم تحسد أخاك . فان كان الذي أعطاه الله اياه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله ، وان كان غير ذلك فلم تحسد من صيره الى النار . (وفعل المعاصي) بالرفع أي من آفاته (كالتماق) في الحضرة ، وانما يتماق الحسود على المحسود لثلاث يتطلع على ارادته الباطنة ، اذ الخائن يخاف من الفضيحة وهو من صفات المنافقين ، وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق الا في طلب العلم (والغيبة) أي غيبة المحسود في الغيبة (والشماتة) وهي الفرح ببليية المحسود فللترمذي من حديث وائلة بن الاسقع « لا تظهر الشماتة لآخيك فيعافيه الله ويبتليك » وفي رواية ابن أبي الدنيا « فيرحم الله » (فورد) في التنزيل (ومن شر حاسدا اذا حسد) أي اذا اظهر الحسد

والتعب في الدنيا والعقاب في الآخرة بلا نفع بل ينفع المحسود في الدنيا بمضرة العدو
وفي الآخرة بطلب المكافأة وعمى القلب والخذلان في الدنيا والآخرة ففيه الأثر
إلا في نعمة الكافر والفاسق المستعين به على الفسق والمبتدع وهو يكره من
حيث آلت له دون النعمة بخلاف الغيرة فورد أتعجبون من غيره سعد فوالله إن
سعد الغيور وأنا غير منه والله أغير منا والغبطة فورد وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
«هما في الأجر سواء فيمن قال لو أن لي مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله»

والا فلا يخلو الجسد من الحسد ، وعن الحسن انه سئل عن الحسد فقال : غمة فانه
لا يضرك ما لم تبده (والتعب في الدنيا) فان الحسود لا يسود ولعدم خلو الدنيا من ذي
نعمة (والعقاب في الآخرة بلا نفع) أي للحاسد (بل ينفع المحسود في الدنيا بمضرة
العدو) وهو الحاسد (وفي الآخرة بطلب المكافأة) أي المجازاة على عمله بالكاسد
(وعمى القلب) الناشئ من عدم الرضا بقضاء الرب (والخذلان) أي عدم النصرة
(في الدنيا والآخرة ففيه الأثر) أي المروى عن بعض السلف « ان الحاسد لا ينال من
المجالس الا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلق الا
جزعا وغما ، ولا ينال عند النزاع الا شدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف الا فضيحة
ونكالا » (الا في نعمة الكافر) مستثنى من قوله والحسد حرام (والفاسق المستعين
بها على الفسق) والظالم المتقوى بها على الظلم (والمبتدع) الذي يشتد بها على البدعة
(وهو يكره من حيث آلت له) أي آلت ما ذكر من الكفر والفسق والظلم والبدعة (دون
النعمة) أي اصلها (بخلاف الغيرة) فانها غير حرام (فورد أتعجبون من غيره
سعد) وهو ابن أبي وقاص (فوالله ان سعدا لغيور وانا غير منه والله اغير منا)
وغيره الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله عليه (والغبطة) أي وبخلاف الغبطة فانها ليست
بحرام (فورد) أي في التنزيل (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي ليرغب الراغبون
ويطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل الغالية ، وورد في الحديث (هما في الأجر
سواء فيمن قال لو ان لي مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله) أي من الخيرات والمبرات ،
فلا بن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح « مثل هذه الأمة مثل اربعة رجال ، رجل آتاه

فهي تتبع ما غبط فيه حرمه و اباحة و وجوباً و ندباً و السبب خبث النفس وهو داء مزمن
 لانه جبلي و الرغبة في نعمة الغير كالرياسة و خوف فوات المقاصد كما في الضرّة و العداوة
 و التعزز بكرامة ترفع الغير عليه و التكبر و التعجب برجحان من ساواه

الله مالا و علما فهو يعمل بعلمه في ماله ، و رجل آتاه الله علما و لم يؤته مالا فيقول رب
 العلم لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء ، و رجل آتاه الله
 مالا فهو يتفقه في معاصي الله ، و رجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان
 لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء (فهي) أي الغبطة (تتبع ما غبط فيه)
 بصيغة المحمول (حرمه) كالمعاصي (و اباحة) كالمباحات من الثياب الفاخرة و سائر
 النعم الظاهرة ، لكن الغبطة في المباحات تناقض علو الحالات و المقامات كالزهد و الرضا
 و التوكل و القناعة و التسليم ، و تحجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم في قواعد
 الشريعة (و وجوباً) كالإيمان و الصلاة و الزكاة و سائر الأعمال (و ندباً) كاتفاق
 الأموال في تحسين الأحوال

(و السبب) أي للحسد سبعة (خبث النفس وهو داء مزمن) أي لازم (لانه
 جبلي) لا علاج له : فقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم به عليه موله
 فيشوق ذلك عليه و يحب زوال نعمة الله تعالى عنه و ليس بينه و بينه عداوة خفية و لا جنسية
 جليلة و لا شيء مما ذكر من اسباب الحسد ، بل انما هو لخبث في نفسه و رذالة في طبعه
 لا يزول الا بموته كما تقدم في ذمه (و الرغبة في نعمة الغير كالرياسة) في مقام الجاه
 و السياسة فانه يحب ان يكون فريده و وحيد عصره (و خوف فوات المقاصد كما في
 الضرّة) على توهم المضرة . و من هذا القبيل الاخوان عند الأب ، و التلاميذ عند
 العلماء ، و الندماء عند الأمراء ، بل و من ذلك حسد العالم للعالم دون العابد ، و حسد
 العابد للعابد دون العالم و قس على هذا (و العداوة) الكامنة في القلب (و التعزز
 بكرامة ترفع الغير عليه) في المنازل و المحافل فيما بين أهل الفضائل ، و منه قوله تعالى
 (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) (و التكبر) و هو من اردم الرذائل (و التعجب
 برجحان من ساواه) أي نسبا و حسبا ، و منه قوله تعالى : (ولئن اطعمتم بشرا مثلكم انكم
 إذ الخاسرون) تعجبوا من ان يكون الرسول بشرا و جوزوا ان يكون الا له حجرا ،
 و منه ايضا قوله تعالى : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

فَمَنْ تَمَّ كَثْرَ الْحَسَدِ بَيْنَ الْأَقْرَابِ لَكَثْرَةِ تَحَقُّقِهَا دُونَ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ فَوْرِدُ
 (وَنَزَعْنَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) وَعِلَاجُ كُلِّ ضِدِّهِ وَذِكْرُهُ
 الْآفَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ ، وَوُجُوبُ مَوَالِئِ الْمُؤْمِنِ وَرِعَايَةُ حُقُوقِهِ
 وَعِظْمُ قُدْرِهِ وَالْفَوَائِدُ كَالْتِعَاوُنِ وَبِرَّةِ الْجَمَاعَةِ ۞

وقوله : (ما أنزل عليه الذكر من بيننا) وقوله : (أو عجبت ان جاءكم ذكر من ربكم
 على رجل منكم لينذرکم) ﴿ فمن تم كثر الحسد بين الاقارب ﴾ وقل بين الاجانب ﴿ لكثرة
 تحققها ﴾ أي المساواة في ذوى القربان ﴿ دون علماء الآخرة ﴾ فانه لا يكثر فيهم بل
 لا يوجد عندهم ، اذ مقصودهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه ، وغرضهم
 المنزلة عنده وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة ﴿ فورد ﴾
 في التنزيل ﴿ ونزعنا ﴾ أي في الدنيا والآخرة ﴿ ما في صدورهم من غل ﴾ أي حقد
 وحسد ﴿ اخوانا على سرر متقابلين . وعلاج كل ﴾ أي كل واحد من اسباب الحسد
 ﴿ ضده ﴾ فعلاج خبث النفس سلامته وطيبه ، وعلاج الرغبة التنفير ، وعلاج الخوف
 الا من لعدم خلاف المقدر ، وعلاج العداوة المحبة ، والتعزز التذلل ، والتدبير التواضع
 والتعجب الاطمئنان بالتفكير في قدرته وقضائه و ارادته في خليقته ﴿ و ذكره الآفات
 المذكورة ﴾ أي من جملة علاج الحسد ﴿ وما ورد فيه ﴾ أي ذكره ما ورد في ذم الحسد
 ﴿ ووجوب ﴾ أي وذكره وجوب ﴿ موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره ،
 والفوائد ﴾ أي وذكره الفوائد الواصلة من المؤمن اليه من ترك الحسد ﴿ كالتعاون ﴾ على
 البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والتقوى ﴿ وبركة الجماعة ﴾ لاسباب الجماعة
 ولجنازة المشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام والمشايخ الفخام ، وقد قال تعالى :
 (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفار احسد ان عند انفسهم) وقال
 (ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذون منهم اولياء) وقال : (بس
 ما شروا به انفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا) أي حسدا . والله در القائل من
 ذوى الفضائل :

لامات اعداؤك بل خلدوا ۞ حتى يروا فيك الذي يحمد

لازلت محسودا على نعمة ۞ فانما الكامل من يحسد

ولعم المقال من بعض أهل الحال : حسد حافده وحفد حاسده

﴿الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول﴾

وحب الذم وبغض المدح﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * فِي الْعُزْلَةِ فَوَائِدٌ وَهِيَ الْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ فَالْخَلْقُ شَاغِلُونَ

العزلة ضد الخلطة ، والخمول ضد الشهرة . فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثورى وابن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وبشر الحافى وطائفة . وقال أكثر التابعين باستحباب الخلطة تعاونا على البر والتقوى ، ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن عيينة وأبو حنيفة وابن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل وجماعة ، فمن الفضيل : كفى بالله مجابو القرآن ونساو بالموت واعظا ، اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا . وقال الثورى : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل : كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحدا واحدا حتى تركها كلها ، وكان يقول : لا يتبأ للبر أن يخبر بكل عذر له . وقال الفضيل : انى لأجد للرجل عندى يدا اذا لقينى أن لا يسلم علىّ واذا مرضت أن لا يعودنى ، وقال أبو سليمان الدارانى : بينا الربيع بن خيثم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه فى الجبهة فشججه فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظت ياربيع فقام ودخل داره فما جالس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزمانا يبيتها بالعقيق فلم يكونا يأتیان المدينة للجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق . ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له : ألك حاجة ؟ قال نعم ، قال ماهى ؟ قال : ان لاترانى ولا أراك . وقيل للفضيل : ان ابنك عليا يقول لوددت انى فى مكان أرى الناس ولا يرونى ، فبكى الفضيل فقال : ويح على أفلا أتمها فقال لأراهم ولا يرونى . وعن ابن عباس : أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لاترى ولا ترى *

(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يأنس به أرباب الخلوة ويستأنس به أصحاب الجلوة ﴿فى العزلة فوائد﴾ تسعة ﴿وهى الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون﴾ بل مانعون لاهل الإرادة وفق العادة ، فانهم كما قال تعالى : (اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) فعن حاتم الأصم : طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجد منها واحدة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْتَزِلُ فِي جَبَلِ حِرَاءَ وَالْجَمْعُ مَتَعَدِرٌ إِلَّا لِمَنْ اسْتَعْرَقَ بَاطِنَهُ
بِهِ تَعَالَى فَغَابَ عَنْهُمْ قَلْبًا وَشَهِدَهُمْ لِسَانًا، وَالْخَلَاصُ عَنِ الْمَعَاصِي كَالرِّيَاءِ وَالغَيْبَةِ

طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا، فقلت أعيونى عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت
ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا، فقلت لا تمنعوني عنها اذا تمنعوني فقلت لا تدعوني الى
ما لا يرضى الله ولا تعادوني عليها ان لم انا بكم فيها فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بمخاصمة
نفسى فانها اولى منهم بها ((وكان عليه السلام يعتزل في جبل حراء)) أى فى أول مرة
كما فى الصحيحين من حديث عائشة « كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه أى يتعبد الليالى المتتابعة
حتى قوى فيه أنوار النبوة وطهر منه أسرار الرسالة » ((والجمع)) أى بين الفراغ والخلطة
((متعذر)) فتعين الخلوة ((الا لمن استغرق باطنه به تعالى)) بحيث لا تمنعه الوحدة
عن الكثرة ولا تحببه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها
بالكامن البائن والقريب الغريب والعرشى الفرشى ((فغاب عنهم قلبا)) أى جنانا ((وشهدهم
لساننا)) أى حضرهم بيانا وبرهاننا، وهذا التما يتصور لمن أراد به سبحانه شأننا، فقد نقل عن
الجنيد انه قال: أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلهم. وقال بعضهم:
لا يتمكن أحدهم من الخلوة الا بالتسك بكتاب الله، والتمه سكون بكتابه استراحوا
من الدنيا، وبذكر الله عاشوا وبذكر الله ماتوا وبذكر الله لقوا الله. وقيل لبعضهم: ما أصبرك
على العزلة؟ فقال: ما انا وحدى، أنا جليس الله تعالى اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه،
واذا شئت أن أناجيه صليت. وقيل: الاستيناس بالناس من علامة الافلاس. وقيل: بينما
أويس القرنى جالس اذا تاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال جئت لأنس
بك، فقال أويس ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فى أنس بغيره. وقال بعض الحكماء:
أنا أستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة التى سبب انسه، وقال الفضيل:
اذا أقبل الليل فرحت به وقلت أخلو بربى، واذا أصبحت استرجعت كراهية لقاء
الناس وأن يحىء من يشغلنى عن ربى، وعن بعضهم انى أصبح وأمسى بين نعمة وخطيئة
فاشغل نفسى بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة ((والخلاص عن المعاصى))
التي يتعرض لها الانسان غالبا بالخلطة ويسلم منها فى الخلوة ((كالرياء)) والسمعة اذ كل
من خالطهم داراهم ومن داراهم رآهم. ولقد صدق يحيى بن معاذ فى قوله روية الناس بساط
الرياء ((والغيبة)) والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارعة الطبع من

وَالْبِدْعُ مِثْلُ كَيْفِ أَصْبَحْتُ وَعَافَاكَ اللَّهُ وَمَشَاهِدُهَا

الأخلاق الرديئة والأحوال الدنية (والبدع) في الأقوال المتعارفة (مثل كيف أصبحت) فإنه ان لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من أخلاق أهل الديانة؛ فقد كان السلف يتلاقون ويمتازون في قولهم كيف أصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه، وكان سؤالهم عن أحوال الدين لأحوال الدنيا. قال حاتم الأصم لحامد اللخاف: كيف أنت في نفسك؟ قال سالم معاني، فكره حاتم جوابه؛ فقال يا أبا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة - أي على بساط النشاط وحال الانبساط - وقد ورد «اللهم لا تعيش الاعيش الآخرة» وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت قال: أصبحت لأملك نفع ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أحتز، وأصبحت مرتبنا بعملنا والخير كله بيد غيري. فلاقير أفقر مني، وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا، وكان أبو الدرداء اذا قيل له كيف أصبحت قال: أصبحت بخير ان نجوت من النار. وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف أصبحت يقول: أصبحت اشكوذا الى ذا، واذمذا الى ذا، وافر من ذا الى ذا، وقيل لا ويس القرنى: كيف أصبحت. قال كيف يصبح رجل اذا أمسى لا يدري انه يصبح واذا أصبح لا يدري انه يمسي. وقيل للمالك بن دينار كيف أصبحت. قال: أصبحت في عمر ينقص وذهب يزيد. وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي. وقيل للحكيم كيف أصبحت. قال: أصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس. وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة. قلت وعن علي كل نفس خطوة الى اجلك. وقيل لحامد اللخاف كيف أصبحت؟ قال: أصبحت اشتهى عافية يوم الى الليل، فقيل له ألبست في عافية كل الأيام؟ فقال العافية يوم لا اعصى الله فيه. وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك؟ فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد، ويدخل قبرا موحشا بلا مونس؛ وينطلق الى ملك عدل بلا حجة. وقيل لبعضهم ما حالك؟ قال ما حال من يموت ثم يعث ثم يحاسب (عافاك الله) أي اذا كان قبل السلام ولم يكن في الحمام. وعن الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب، فاما الآن كيف أصبحت عافاك الله، كيف انت اصلحك الله، فان اخذنا بقولهم كانت بدعة ولا كرامة، فان شاموا غضبوا علينا وان شاموا الا. وفي الاحياء. وانما قال ذلك لان البداية بقوله كيف أصبحت بدعة (ومشاهدتها)

فهو يورث الاستحقاق بها

أى ورؤية المعاصي (فهو يورث الاستحقاق بها) بل رؤية أرباب الدنيا فانه يورث الاستعظام بها ومن هنا قال تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم) وذلك لان مسارقة الطبع لما يشاهده من أخلاق الناس واعمالهم وسائر احوالهم داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين ، فلا يجالس الانسان فاسقاً او مبتدعاً مدة مع كونه منكراً عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد ، اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه له في الشرع ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استصغر الصغائر من نفسه ، ولذا يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما قدر له من النعماء فكذا النظر الى المطيعين والعصاة فن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في عبادة المولى والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقاق ، ومادام يرى نفسه مقصراً فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتمام للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على أهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه ، وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا رأوا مسلماً أفطر في نهار رمضان استبعدوه استبعاداً يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره ، وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلاة واحدة يفضي تركها الى الكفر عند قوم ، وحز الرقة عند قوم ، وترك صوم رمضان ظه لا يقتضيه . وكذا لولبس الفقيه ثوباً من حرير أو خاتماً من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم فيه الا بما هو اغتياح للناس ولا يستبعد منه ، والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ، ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المتغيبين أسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها ، وقيل لبعضهم : ما حملك على العزلة ؟ قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به . فنظن لهذا القول الأسد وفر من الناس فرارك من الأسد ، لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد على حرصك في الدنيا وغفلتك عن العقبي ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة ، فان وجدت جليسا

وَالْجَلِيسُ السُّوءُ لِتَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فُورِدَ مِثْلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مِثْلُ الْقَيْنِ، وَالْفَتْنُ
 فُورِدَ. إِزْمَ بَيْتِكَ وَأَمْلَكَ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخَذَ مَا تَعْرِفُ وَدَعَّ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ
 الْخَاصَّةِ وَدَعَّ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ حِينَ قِيلَ مَاذَا تَأْمُرُنِي فِي زَمَانِ الْفِتَنِ

يذكر بالله صورته وانيسا يفكرك الله سيرته فالتزمه واغتممه فان الجليس الصالح
 خير من الوحدة ، وان الوحدة خير من الجليس السوء . لكن الجليس الصالح عزيز
 الشهود في صحن الوجود كما قال عليه السلام « اخبر تقله والناس كأبل مائة لا تجد فيها
 راحلة » وكما قيل :

أتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر

فان الحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه ديناه بل تستغرقه خدمة مولا وهذا
 معنى قوله « والجلس السوء » بفتح السين وضمها أى ومشاهدته أو والخلاص عنه
 « لتأثير الصحبة » أى خيرا أو شرا بحسب الرتبة « فورد مثل الجليس السوء مثل
 القين » أى الحداد تماما « ان لم يحرق ثوبك اصابك ريحه ، ومثل الجليس الصالح مثل
 العطار ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه » وفي البخارى من حديث أبى موسى « مثل
 الجليس الصالح والجلس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب
 المسك اما تشتره أو تجدريحه وكبير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة »
 « والفتن » أى والخلاص من محن أنواع الفتن وقل ما يخلو العباد في البلاد عن تعصبات
 وخصومات « فورد » أى عن عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر عليه السلام الفتن
 ووصفها وقال : « اذ رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك
 بين أصابعه قلت فما تأمرني فقال « الزم بيتك » أى لازم سكونه « واملك عليك
 لسانك » أى التزم سكوته « وخذ ما تعرف » واعمل به « ودع ما تنكر » أى اتركه
 « وعليك بأمر الخاصة » أى والزم خاصة نفسك « ودع عنك أمر العامة » أى من
 لم يتعلق بك « حين قيل » ظرف لورد « ماذا تأمرني في زمان الفتن » والحديث رواه
 أبو داود والنسائي في اليوم والليلة باسناد حسن . وفي البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى :
 « ويوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبعها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من
 الفتن » وللخطابي من حديث ابن مسعود . ولليهيقي من حديث أبى هريرة : « وسأني
 على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاق الى

وَإِيذَانَهُمْ بِنَحْوِ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ

شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ ، قيل له ومتى ذلك يارسول الله ؟ قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ، قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقدمرتنا بالتزويج ؟ قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبيه ، فان لم يكن له أبو ان فعلى يديز وجته وولده ، فان لم يكن فعلى يدي قرابته . قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » وفي الأحياء هذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها ، إذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة ، ثم لا ينال المعيشة الا بالمعصية ولا جلله قال سفيان الثوري : والله لقد حلت العزلة . اقول : وفي زماننا وجبت . وعن سفيان بن عيينة : لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له : يا ابراهيم تركت خراسان . قال : ما هنأت بالعيش الا هنا فر بدينى من شاهق الى شاهق ، فن رأيتى يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ، فقال له أين تريد ؟ فقال العراق ، فاذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعهم ، فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فاني ، فقال ابن عمر : انى محدثك حديثا « ان جبريل اتى النبي عليه السلام يخبره بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة على الدنيا ، وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها عنكم الا للذى هو خير لكم ، فاني أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل أو اسير » رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه واسنادهما حسن . وكان في الصحابة اكثر من عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة اكثر من أربعين رجلا ، ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقيل له لزم القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال : رأيت مساجد لم لاهية ، واسواقكم لا غيبة والفاحشة في فجأكم عالية ، وفيما هناك عما اتم فيه عافية ﴿ وإيذانهم ﴾ أى والخلاص عن ايذاء الجلساء فانهم يؤذونك تارة ﴿ بنحو الغيبة والنميمة ﴾ واخرى بسوء الظن والتهمة والنقول الذميمة ، ومرة بالاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها فيشتد الجفاء بسببها : وقد قيل : معاشره الاشرار تورث الظن بالاخيار . وقيل لعبد الله بن الزبير : الا تأتى المدينة ؟ قال ما بقى فيها الا حاسد نعمة أو فرح بنقمة وقيل : كان الناس دواء يتداوى به فصاروا داء لا دوا له ، وعن أبي الدرداء كان الناس وردا لاشوك فيه فصاروا شوكا لاورد فيه : وقال رجل ل ابراهيم بن ادهم :

وَطَمَعَهُمْ فِرَاعِيَةَ الْحُقُوقِ شَدِيدَةً وَفِيهَا ضِيَاعُ الْأَوْقَاتِ وَفَوَاتُ الْمِهْمَاتِ
وَالطَّمَعِ عَنْهُمْ فَالْنَظْرُ إِلَى زَهْرَاتِ الدُّنْيَا يَحْرُكُ الْحَرْصَ

أوصني ، فقال : اياك والناس ، وعليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس
وليس كل الناس بالناس ؛ ذهب الناس وبقي الخناس والسناس وما أراهم بالناس ، بل
غمسوا في ماء الناس . وقيل . الزم الدفاتر والمقابر . وقال الحسن : اردت الحج فسمع
ثابت البناني وكان أيضا من أولياء الله فقال للحسن بلغني انك تريد الحج فاحببت ان
نصطحب ، فقال الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا ، اني اخاف الله ان نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما تتماقت عليه . قال في الأحياء : وهذه اشارة الى فائدة أخرى في العزلة
وهي بقاء السر على الدين والمروءة [والاخلاق والفقرو سائر العورات] ، ولقد قال الشاعر :
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة هـ ولكن عاراً أن يزول التجميل

وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فلهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ،
ولا ظهر جواد الاعقروه ، ولا قلب مؤمن الا خربوه ﴿ وطمعهم ﴾ من اضافة المصدر
الى الفاعل أى والخلاص من طمع الناس عنك فان رضاء الناس غاية لا تدرك ﴿ فرعاية
الحقوق شديدة ﴾ ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعبادة المريض وحضور
الولائم والاملاكات ﴿ وفيها ﴾ أى فى رعاية الحقوق ﴿ ضياع الأوقات وفوات
المهمات ﴾ والتعرض للآفات ، ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستتقل فيها المعاذير ولا
يمكن اظهار تلك الأعذار فيقولون قام بحق فلان وقصر فى حقى ، و يصير ذلك سبب
عداوة . ومن عمم الناس ظلمهم بالحرمان رضوا عنه ظلمهم . وعن عمرو بن العاص كثرة
الاصدقاء كثرة الغرماء ﴿ والطمع عنهم ﴾ وفى نسخة فيهم أى والخلاص من أن يطمع
هو فيهم ﴿ فالنظر الى زهرات الدنيا ﴾ أى انواع زينتها واصناف بهجتها ﴿ يحرك الحرص ﴾
وانبعث بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى الا الخيبة فى كثرة الاطماع فيتأذى بذلك ، ومهما
اعتزل لم يشاهد : واذالم يشاهد لم يشته ولم يطمع هنالك ، ولذا قال تعالى : ﴿ ولا تمدن
عينك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ وقال
عليه السلام فيمأرواه مسلم من حديث أبي هريرة « انظروا الى من هو ذونكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم » وحكى ان المزنى خرج من باب

وَلِقَاءِ الثَّقِيلِ وَالْأَحْمَقِ فَهُوَ أَشَدُّ الْبَلَايَا، وَأَوَّاتٌ وَهِيَ فَوَاتُ التَّعْلِيمِ فَهُوَ مُقَدِّمٌ
لِاِفْتِقَارِ الْعِبَادَةِ وَالتَّقْوَى إِلَيْهِ وَالتَّعْلِيمِ فَهُوَ أَوْلَى أَيْضًا إِنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ وَرَاعَى
حَقَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْتِرَازِ عَنِ الذَّمَامِ كَالرِّيَاءِ وَحُبِّ الْجَاهِ

جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكيم في موكبه فبهره مارأى من حسن حاله
وهيئته فتلا قوله تعالى : (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون) ثم قال اصبر وارضى
يعنى كما قيل :

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللإعداد مال

فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

(ولقاء الثقليل والاحمق) أى والخلاص عن ملاقة الثقلاء والحمقى ومشاهدة
اخلاقهم ومقاساة احوالهم (فهو اشد البلايا) أى المعنوية ، فان رؤية الثقليل هو العمى
الاصغر . قيل للاعشى : مم عمشت عينك ؟ قال : من النظر الى الثقلاء ، ويحكى انه دخل
عليه أبو حنيفة فقال له : فى الخبر « ان من سلب الله برحمته عوضه عنهما ما هو خير منهما »
فما الذى عوضك . فقال فى معرض المطايبه : عوضنى الله عنهما انه كفانى رؤية الثقلاء
وأنت منهم . وقيل : النظرة الى الاحمق حمى باطن (وآفات) أى فى العزلة (وهى)
عشرة (فوات التعلم فهو مقدم) على العزلة (لافتقار العبادة) العلمية (والتقوى)
العملية (اليه) ولذا قال النخعي وغيره : نفقه ثم اعتزل . وفى لطائف العارف الجامى
قدس الله سره السامى : ان العزلة بغير عين العلم زلة ، كما انها بغير زى الزهد علة (والتعليم)
أى وفواته (فهو اولى) من العزلة (أيضا) أى كالتعلم (ان كان) التعليم (فى علم
الآخرة) أى علم ينفعه فى العقبى (وراعى حقه تعالى) بالاخلاص وابتغاء وجهه
الاعلى ، وكذا (بالاحتراز عن الذمائم كالرياء وحب الجاه) من الاستكثار بالاصحاب
والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة فى الاحوال ، فحكم العالم فى
هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه ، فانه لا يرى مستقيدا يطلب فائدة ليقينه ، بل
يستعمله فى معرض المنافسة والمباهاة بعلمه وتبسينه ، ولا يطلبه غالبا الا للتوصل الى التقدم
على الامثال ، وتولى الولايات ، واجتلاب الأموال ، واستشعار الاذلال على الجهال ،
فان صودف طالب الله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فلا اعتزال عنه وكسبان العلم منه

فَرَدَّ إِذَا ظَهَرَتِ الْفِتْنَةُ وَسَكَتَ الْعَالَمُ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَإِلَّا فَالْعَزْلَةُ كَمَا فِي
زَمَانِنَا لَذَهَابِ عِلْمِ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ وَتَعَذُّرِ رِعَايَةِ الْحُقُوقِ

من أكبر الكبائر ﴿ فرود اذا ظهرت الفتنة وسكت العالم فعليه لعنة الله ﴾ لم اجده اصله ،
وقد قال تعالى : (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقد قيل : ما فسدت الرعية الا بفساد
الأمراء ، وما فسدت الأمراء الا بفساد العلماء ، ومن هنا قيل : فساد العالم فساد العالم .
فتعود بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء ﴿ والا ﴾ أى وان لم يكن
تعليمه وتعلمه في علم الآخرة ﴿ فالعزلة ﴾ متعينة بل واجبة ﴿ كما في زماننا لذهاب علم
الآخرة ﴾ من التفسير والحديث والفقهاء المتعلق بالعبادة في أكثر البلدان ﴿ والعمل
عليه ﴾ أى ولذهاب العمل على طبق العلم في عامة أهل الزمان ، ولا ينبغي ان يغتر الانسان
بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله فاني أن يكون الا لله ، وان الفقهاء يتعلمون لغير الله
ثم يرجعون الى الله . وانظر الى أواخر أعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم ، انهم ماتوا
وهم هلكت على طلب الدنيا ومتكالبين عليها أوراغين عنها وزاهدين فيها ، وليس
الخبر كالمعينة . وأما العلم الذي أشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة
سير الأنبياء والصحابة ، فان فيها التخويف والتحذير ، فان لم يؤثر في الحال قديوث في
المال . فاما الكلام وجدل الخصام والفقهاء المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل
الخصومات فلا يريد الراغب فيه الا الدنيا لا الله ، بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر
عمره ونهاية أمره ، ومن هنا قال بشر الحافي : حديثنا باب من أبواب الدنيا ﴿ وتعذر
رعاية الحقوق ﴾ أى ولتعذرها أو تعسرها من حقوق الاساندة والتلامذة ، فعن
أبي سليمان الخطابي : دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال ،
اخوان العلانية اعداء السر ، اذ القوك تملقوك ، واذا غبت منهم سلقوك ، من اتاك منهم
كان عليك رقبيا ، واذا خرج كان عليك خطيبا ، اهل نفاق ونميمة ، وغل وخديعة ، فلا
تغتر باجتماعهم عليك ، فما غرضهم العلم وحسن الحال في المال ، بل الجاه وكثرة المال ،
وان يتخذوك سلما الى أوطارهم ، وحمار في حاجاتهم واوزارهم . ان قصرت في غرض
من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ، ثم يعدون ترددهم اليك دلالا عليك ويرونه حقا واجبا
لديك ، ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم ، فتعادي عدوهم ،

وَمَوْجِ الْفِتَنِ، وَالْإِتِّفَاعِ مِنَ الْغَيْرِ بِالْكَسْبِ لِلْكَفَايَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ فَهُوَ أَوْلَى
مِنْ عَمَلِ الظَّاهِرِ، وَالتَّادِبِ بِالْإِرْتِيَاظِ فِي الْبَدَايَةِ وَالتَّادِبِ بِالرِّيَاضَةِ وَهُوَ كَالْتَعْلِيمِ

وتنصر قريتهم وخادمهم ووليهم ، وتنتمض لهم سفيتها ، وقد كنت فقيها ، وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ﴿ وموج الفتن ﴾ أى ولغلبة الفتن وما يترتب عليه من
أنواع المحن مآظمر منها وما يطن ، فانك ترى المدرس في رقدائهم ، وتحت حق لازم ومنة
ثقيلة ممن يتردد لديه ، فكأنه يهدى تحفة اليه ؛ فيرى حقه واجبا عليه ، فلا يزال يتردد إلى
أبواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض
وجوه السحت من مال المسلمين من التيامى والمساكين . ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ،
ويتمهنه ويستبدله الى ان يسلم اليه ما بعده نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى في مقاساة
القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الجنون وقلة التمييز والمعرفة في
الفنون . وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حدادو ثاروا عليه ثوران الاسود والآساد
فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه في العقبى ﴿ والاتفاع ﴾ أى
وفواته ﴿ من الغير ﴾ وكذا نفع الغير ﴿ بالكسب للكفاية ﴾ أى لكفاية نفسه عن ابناء
جنسه ﴿ او الصدقة ﴾ على غيره بالزيادة على قدر الكفاية بطريق القناعة ﴿ فهو ﴾ أى
الكسب وفي نسخة فهي اى الصدقة ﴿ أولى من عمل الظاهر ﴾ كالصلاة والصوم وتلاوة
القرآن ، وتوضيحه : ان حالك لا يخلو من أن تكون محتاجا الى القوت أولا ، فان كنت
محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب أولى بل فرض لا يخفى ، وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو
اما ان تكون في خلوتك مشغولا بالأعمال الظاهرة فالكسب للصدقة افضل من العزلة
لتعدى المنفعة ، وأما ان تكون مشغولا بالأعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله
والتفكير في صفات الله والتذكر لآحوال الآخرة في عقباه والشوق الى لقاء ربه والذوق
الى مقام رضاه فالعزلة أولى من الكسب لبقاء المنفعة ودوامها وتامها في الدنيا
والآخرة ﴿ والتادب ﴾ أى فوات كسب الأدب وتحصيله ﴿ بالارتياض ﴾ أى المجاهدة
وقبول رياضة النفس والمعاودة ﴿ في البداية والتاديب ﴾ أى وفوات تعليم الأدب
﴿ بالرياضة ﴾ فى النهاية ﴿ وهو كالتعليم ﴾ فى مقام الهداية . وفى الاحياء . ويعنى بالتادب
الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات ،
وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة ، وهو أفضل من العزلة فى حق من لم تهذب

وَالْمُؤَانَسَةُ فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ لِقَطْعِ الْمَلَالَةِ الْمُنْفِرَةِ لِلْعِبَادَةِ وَثَوَابِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ
وَنَحْوِهَا ، وَحَقْوَقِهِمْ كَالْعِبَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ

بعد أخلاقه ولم تدعن لحدود الشرع شهواته، وأما التأديب فمعنى به أن يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم، فانه لا يقدر على تهذيب حالتهم الا بمخالطتهم . وللتزمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر «المؤمن الذي يخاط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخاط الناس ولا يصبر على أذاهم» (والموانسة) أى وفوات الاستيناس والايئاس بالناس فى المصاحبة والمجالسة، كالانس بملازمة أرباب التقوى من الأولياء وبمواظبة أصحاب الفتوى من العلماء، وانما سمي الانسان بالانس لما فيه نوع من الانس لاسيما والمؤمنون اخرة وبينهم زيادة ألفة لقوله تعالى : (وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) ولقوله عليه السلام : (المؤمن يالف ولاخير فيمن يالف ولايؤلف) رواه أحمد عن سهل بن سعد (فهى) أى الموانسة (مستحبة لقطع الملاله المنفردة للعبادة) أى كما هو فى العادة ، والرفق فى العبادة من حزم أهل الارادة. فورد «ان الله لا يمل حتى تملاوا» وقد تقدم : ومن يشاد هذا الدين يغلبه، فان الدين متين والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ، ولذا قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس . وقال مرة : لدخلت بلدا لا أنيس بها وهل يفسد الناس الا الناس . قلت : وكذا لا يصلح الناس الا الناس ، ومن هنا قيل : ما زينة الناس الا الناس ، فلا يستغنى المتزل اذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ويستلذ بمحادثته فى اليوم والليلة من ساعته ، فيجتهد فى طلب من لا يفسد فى ساعته تلك شيئا من طاعته ، فقد قال عليه السلام «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال» وقد تقدم، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى امور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين ، فهذا النوع من الجلوة فى بعض الاوقات قد يكون أفضل من الخلوة فى تحسين المقامات، فقد ورد «نوم العالم عبادة» ومنه «كلمة نبي ياحميرا» (و ثواب اقامة الجمعة والجماعة) أى وفوات اقامتهما وادامتهما (ونحوهما) من حضور الجنازة وصلاة العيدين ومجالس العلم ووقوف عرفة وأمثالها (و حقوقهم) أى وفواتها (كالعبادة) للمرضى (والتشييع) للجنازة ومنها اجابة الدعوة فى نحو الوليمة ، وقد حكى عن جماعة من

والتواضع فقد يحمل التكبر عليها محب زيارتهم تبركاً

الساف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة وعبادة المرضى وحضور الجنائز ، بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قتل الجبال ميلا الى القرار . تفرغا للعبادة وحذرا عن الشواغل في الارادة ﴿ والتواضع ﴾ أى وفواته من آداب المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة ﴿ فقد يحمل التكبر عليها ﴾ أى على العزلة ﴿ بحب زيارتهم تبركاً ﴾ أى على سبيل التبرك والمعنى انه قد يكون الكبر سببا للعزلة . وعلامته انه يحب ان يزار ولا يحب ان يزور ، ولو كان له الاشتغال بذكره والاستغراق في فكره لبغض زيارة الناس اليه ووقوفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه ، ثم اعلم ان التواضع في المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلمه أو دينه ، وقد كان علي يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله * ماجر من نفع الى عياله

وكان أبو هريرة . وحذيفة . وأبي . وابن مسعود يحملون حزمة الخطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم . وكان أبو هريرة يقول وهو وال على المدينة والخطب على رأسه : طرقتوا لاميركم ، وكان عليه السلام يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه ادعني احمله فيقول « صاحب المتاع أحق بحمله » رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في حمله سراويله التي اشتراها . ثم اعلم ان من حبس نفسه في بيته لتحسين اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . فلا تستحب العزلة الا للمستغرق الأوقات بربّه ذكرا وفعرا وعلما وعبادة واشتغالا بامرّه تجردا وازهاده بحيث لو خالط الناس لضاعت أوقاته أو كثرت آفاته أو تشوشت عليه عباداته ، فمن شغل نفسه لطلب رضى الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا ، وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه الحق واستخط عليه الخلق ، بل رضى الناس غاية لا تدرك ولذا قيل :

من راقب الناس مات غما * وفاز بالراحة الجسور

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ان قوميا يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعتك في السؤال فتبسم وقال للقاتل : هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان وجمهورية الرحمان فطمعت ، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحبيهم وميتهم لم يسلم منهم ، وقال موسى : يارب احبس عنى ألسنة الناس ،

والتَّجَارِبُ فَتَتَعَلَّقُ بِهِمَا صَالِحُ الدَّارَيْنِ لِأَسِيْمَا الرِّيَاضَةِ وَالْأَصْلُ الاسْتِفْتَاءُ مِنَ
الْقَلْبِ وَحَقَّقَهَا نِيَّةَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ شَرِّ النَّفْسِ وَالْغَيْرِ

فقال : يا موسى هذا شيء لم اصنعه لنفسى فكيف افعله لك . واوحى الله سبحانه الى عزير :
إن لم تطب نفسا بان اجعلك عليك فى افواه الماضغين لم اكتبك عندى من المتواضعين .
وفى الحديث النبوى « اذكروا الله حتى يقولوا مجنون » وقد قالوا فى حق عقل الخلق مجنون
وساحر ومسحور وكذاب وشاعر ومغرور ((والتجارب)) أى وفواته فانها تستفاد
من الخلطة ولا توجد فى العزلة ، فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب
وسائر الأخلاق الذميمة انما تنفجر وتظهر آثارها من القلوب السقيمة اذ حرك بآدنى
الحركة المستقيمة كما يشير اليه خبر « اخبر تقيه ، وقولهم : حرك ترى ما يجرى)) فتعلق
بها)) أى بالتجارب ((مصالح الدارين)) من المناقب والمراتب ((لاسيما الرياضة)) فى
ترك المناصب وعند حصول المصائب ، فمن هنا كانوا يجربون أنفسهم ، ففهم من كان يحمل
قربة ماء وانحزها بين الناس على ظهره أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق لتجربة
نفسه إذا استشعر كبرا فى باطنه ، فان غوائل النفس ومكائدها قل من يتفطن بها ، فقد
حكى عن واحدانه قال : اعدت صلاة ثلاثين سنة مع انى كنت أصليها فى الصف الأول ،
ولسكنى تخلفت يوما بعذر فوا وجدت موضعى فى الصف الأول ، فوقفت فى الصف الثانى
فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس الىّ وقد سبقت الى الصف الأول فعلمت ان
جميع صلاتى كانت مشوبة بالرياء ، فالخلطة لها فائدة ظاهرة فى استخراج القبائح واطهارها ،
ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق . واذا عرفت هذا
فان تحققت الفوائد وانتقت الآداب فاختر العزلة ، والا فالخلطة ، وان تقابلا فخذ
بالأرجح فى المسألة ((والأصل الاستفتاء من القلب)) اذا كان مشحونا بذكر الرب ،
والأفضل هو الجمع بين الخلوة والجلوة كما يشير اليه قول الشافعى : الانقباض عن الناس
مكسبة للعداوة . والانبساط اليهم مجلبة لقراء السوء فى المحادثة ، فسدن بين المنقبض
والمنبسط ولذا قيل كن وسطا وامش جانبا . ويومى اليه قوله تعالى : (هو الذى
جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) ((وحقها))
أى العزلة ((نية الاحتراز)) أى الاحتراز ((عن شر النفس)) وما فيها من الوسواس
((والغير)) أى وغيرها من الجنة والناس ، فيذبغى للمعتزل ان ينوى بعزله كفى شر نفسه

والتقصير في رعاية الحقوق والتجرد للعبادة وتهذيب الأخلاق والسلوك في طريقه تعالى والحضور في نحو الجمعة والجماعة والعيد والحج ومجلس العلم ويجوز الترك عند معارضة منكر أخش منه والاحب حينئذ أن يسكن موضعا يسقطها والسكون في رباط السالكين يفيد سلامة العزلة وبركة الجمعة والتعاون على البر والتأدب فلسان الحال أفصح وورد اتقوا الله كونوا مع الصادقين والطريق الاستغراق بالعبادة

عن الأبرار ثم طلب السلامة من شر الأشرار (والتقصير في رعاية الحقوق) أي ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام بحق الأنام (والتجرد للعبادة) أي ثم العزيمة بكنهه الهمة للعبادة والفراغ للطاعة (وتهذيب الأخلاق) بان يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الأمل وانتظار الأجل (والسلوك في) طريقه تعالى (بمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته ، وعدم السؤال عن أخبار الناس وأفعالهم وراجيفهم في أحوالهم ، والقناعة باليسير من المعيشة ، والصبر على ما يلقاه من أذى الجيران وغيرهم ، وعدم الإصغاء إلى ما يقال في حقه من مدح فيه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة . وينبغي أن يكون له أهل صالح أو مجلس معتمد عليه لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة في الطاعة . ثم لا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما للناس منهمكون فيه بما يوافقه أو ينافيه ، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل وتقريب الأجل (والحضور في نحو الجمعة) فانه فرض (والجماعة) فانه واجب أو فرض كفاية أو سنة مؤكدة (والعيد) فانه واجب أو سنة من سنن الهدى وشعار أهل التقى (والحج) فانه طريق أهل السلوك (ومجلس العلم) فانه لا يستغنى عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك (ويجوز الترك) أي ترك الحضور في تلك الأمور (عند معارضة منكر أخش منه) أي من ترك الحضور (والاحب حينئذ أن يسكن موضعا) بعيدا من العمارات (يسقطها) أي المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المأمورات (والسكون في رباط السالكين) أي خائفاه الصالحين (يفيد سلامة العزلة) عن آفات الخلطة (وبركة الجمعة) والجماعة (والتعاون على البر) والتقوى (والتأدب) بأداب أهل الشرع والفتوى (فلسان الحال أفصح) من بيان القول (وورد) في التنزيل : (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق) أي الموصل للعزلة (الاستغراق بالعبادة) ذكر أو فكر أو عملا وصبرا وشكرا ،

فَالْأَسْتِيْنَسُ بِالنَّاسِ مِنَ الْإِفْلَاسِ ، وَقَطْعُ الطَّمَعِ وَذِكْرُ الْآفَاتِ وَإِثَارُ الْجُنُودِ
 وَهِيَ فَضِيْلَةٌ عَظِيْمَةٌ فُورِدَ «رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرِيْنَ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ
 عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ»

صحوا ومحووا وسكروا وبقوا وقبضوا وبسطوا (فالاستيناس بالناس من الافلاس) أى
 من علامة الافلاس عن مقام الايناس ، فاذا رأيت نفسك تتطلع الى سلامهم وكلامهم
 وملاقاتهم فى مقامهم فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ . وفى الحديث « نعمتان مغبون
 فيهما اكثر الناس : الصحة والفراغ » وقيل :

إن الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للبرء أى مفسدة

ومتى عانت العباد ولازمتها حق الملازمة ووجدت حلاوة المناجاة مع الحضرة
 واستأنست بكتاب الله وآياته واخبار رسوله وآثار صفاته استوحشت عن الاغيار ، على
 انه ليس فى الدار غيره ديار فى نظر الابرار ، وفى بعض الاخبار : ان موسى عليه السلام
 كان إذا رجع من المناجات يستوحش من كلام الناس ويجعل اصبعيه فى اذنيه كيلا يسمع
 كلامهم ولا يفهم مرادهم . فعليك بما قال بعضهم : اتخذ الله صاحباه ودع الناس جانبا
 شاهدا كنت فيه ه أو غائبا . قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا . (وقطع الطمع) عن
 الخلق بل عن الحق أيضا بان يعطيك غير ما قسم لك فيهن عليك أمر الخلق والنظر اليهم
 والطمع فيهم ، فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء عليك ،
 وقبوله ورده مستو لديك ، وهذا نبذة من توحيد الافعال حيث قال تعالى خيرا عن ما لهم
 من الأحوال : (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
 لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) (وذكر الآفات)
 أى آفات الخلطة وفوائد العزلة (واشار الجنود) فانه الراحة وضده الشهرة ففيها
 الآفة (وهى) أى صفة الجنود (فضيلة عظيمة) ومنقبة جسيمة وقد قيل فى تعريفه هو
 اسقاط النفس عن نظر الخلق (فورد رب اشعث) أى متفرق الشعر (أغبر) مغبر الوجه
 (ذى طمرين) أى كسائين اسودين أو ازارين خلقين (لا يؤبه له) أى لا يعتبر له عند
 اكثر الخلق (لو اقسم على الله) فى شئ نفيًا أو اثباتًا (لآبره) أى لعله الحق بار فى قسمه
 ذلك بان يجعله مطابقا لما أراد ههناك . والحديث رواه مسلم من حديث أنس بن مالك
 « رب أشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لآبره ، وللحالم « رب اشعث أغبر ذى طمرين

وَلَوْ اتَّسَعَ الْجَاهُ بِلَا طَلَبٍ فَغَيْرُ مَذْمُومٍ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْأَئِمَّةِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ فِتْنَةٌ لِلضَّعْفَاءِ فُورِدَ «حَسْبُ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ» وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ حُبُّ الْجَاهِ فُورِدَ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا)

ينبوعه عين الناس لو اقسام على الله لا برة ، وقال صحيح الاسناد . و لابن أبي الدنيا ومن طريق الديلمي من حديث ابن مسعود « رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسام على الله لا برة » أو قال اللهم انى استملك الجنة لا عطاها الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا « وفي الاحياء عن أبى هريرة مرفوعا « ان أهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خاطبوا النساء لم ينسكحوا ، واذا قالوا لم ينصت لهم ، حوائج أحدهم تتجلى في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو سعهم » وسكت عليه مخرجه وفي رواية « ان من أمتي من لو اتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه اياه ولو سألته درهما لم يعطه اياه ولو سألته فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاها اياه » الطبرانى فى الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح ، وزاد فى الاحياء « ولو سألته الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه هو انه عليه بل لكرامته لديه » قال مخرجه وروى مرسل « ولو اتسع الجاه بلا طلب فغير مذموم كما للانبياء » والمرسلين « والخلفاء » الراشدين « والأئمة » المجتهدين من العلماء والصلحاء المعتمدين « (الآن فيه) « أى فى اتساع الجاه (فتنة للضعفاء) « أى ابتلاء ومحنة لغير الاقوياء حيث لم يتلذذوا بحال الفقراء فى خاطرهم ميل الى مقام الاغنياء وذهلوا عما ورد من أن سليمان يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام ، وكذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد الفقراء المهاجرين بخمسمائة عام ، بل فى الاحياء ان عذاب الكافر الفقير أخف من الغنى فى دار البقاء (فورد) من حديث أنس عند البيهقى « حسب امرى من الشر الامن عصمه الله أن يشير الناس اليه بالأصابع فى دينه » أى بالعلم والعمل أى مخافة عجزه وغروره (ودنياه) أى بالمال والجاه أى خشية كبره وبطره ، وفسر الحسن دينه بالبدعة ودنياه بالفسق (وانما المذموم حب الجاه) « أى لا وجوده وشهوده (فورد) فى التنزيل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) أى لا يحبون اعتلاء بالجاه والمال ، اذ لا يريدون استعلاء بغير الحق (ولا فسادا) بحال الخلق بل يريدون صلاحا لأهل الحق ، لكن كما قيل : آخر ما يخرج

وَأَصْلُهُ انْتِشَارُ الصِّيتِ وَحَقِيقَتُهُ تَمْلِكُ الْقُلُوبَ الْمُوَصَّلُ إِلَى الْمُقَاصِدِ وَهُوَ
 أَشْهَى مِنَ الْمَالِ فَتَحْصِيلُ الْغَرَضِ بِهِ أَيْسَرُ مَعَ أَنَّهُ مَأْمُونٌ عَنِ نَحْوِ السَّرِقَةِ
 وَالْغَضَبِ وَنَامٍ دُونَ التَّعَبِ وَمُطَاعٌ بِالطَّوْعِ حَرَامٌ إِنْ كَانَ بَارِتْكَابٍ ذَنْبٍ
 كَالْكَذِبِ

من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان من حيث المشيخة و باب السياسة، والحاصل
 ان الله سبحانه علق جعل الدار الآخرة بنفى ارادة العلو المستازم لحب الجاه دون نفس
 الجاه فعلم ان المذموم حب الجاه دون نفس الجاه من غير حبله (وأصله) أي الجاه
 (انتشار الصيت) واشتهار السميت، فالخول محمود الا من شهره الله لنشر دينه
 من غير تكلف طلب الشهرة منه اقوة يقينه (وحقيقته) أي الجاه (تملك القلوب)
 المطلوب منها تعظيمها وطاعتها (الموصل الى المقاصد) أي الدنيوية وقد تكون
 الدنيوية والآخروية، قال ابن أدهم: ما صدق الله من أحب الشهرة، وقال أيوب السختياني
 ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه. وعن خالد بن معدان أنه كان اذا كبرت
 حلقتة قام وخافة الشهرة. وعن أبي العالية أنه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام
 وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يجب أن يعرفه الناس، وعن معاذ بن جبل:
 « ان اليسير من الربا شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفاء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا
 حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة الطبراني والحاكم
 وصححه، وقال الفضيل: بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم أنعم
 عليك. الم استرك. الم اخمل ذكرك، وكان الخليل بن أحمد يقول: اللهم اجعلني عندك
 من ارفع خلقك، واجعلني في نفسي من اوضع خلقك، واجعلني عند الناس من اوسط
 خلقك. وقال الثوري وجدت قلبي بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب خوف وعبادة
 (وهو) أي الجاه (اشهى) أي الذم (من المال) ولذا يبذل المال لتحصيل الجاه ولانه
 يحصل به المال ولو في المال (فتحصيل الغرض) من حظ النفس واتباع الهوى (به)
 أي الجاه (أيسر) أي أهون من تحصيله بالمال (مع انه) أي الجاه (مأمون عن نحو
 السرقة والغضب) بخلاف المال (ونام) أي منتشر في العالم (دون التعب) يبذل المال
 وييان الحال (ومطاع بالطوع) أي بالرغبة في خدمته لأرباب الكمال واصحاب الجلال
 (حرام) أي الجاه (ان كان بار تكاب ذنب كالكذب) بكونه علويافي النسب أو من نسل

وَالْحَدَاغُ بَاطِهَارٌ أَنَّهُ عَالِمٌ أَوْ وَرِعٌ أَوْ شَرِيفٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ، وَيَبِيعُ الْعِبَادَةَ لِجَعْلِهَا
 وَسِيلَةً لِلدُّنْيَا جَنَائَةً وَإِلَّا فُبَاحٌ فُورِدَ. (قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
 إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) وَالْأَوَّلَى الْإِحْتِرَازُ عَنْهُ فَفِيهِ آفَاتٌ وَهِيَ النِّفَاقُ وَاضْطِرَابُ
 الْقَلْبِ لِشُغْلِهِ بِرِعَايَةِ الْقُلُوبِ وَحَفِظُ الْجَاهِ وَدَفْعُ الْحَسَادِ إِلَّا قَدْرًا يُعِينُ عَلَى الطَّاعَةِ
 كَأَسْتِمَالَةِ قَلْبِ خَادِمٍ يَتَعَهَّدُ أَوْ رَفِيقٍ يُعَاوَنُ أَوْ سُلْطَانَ يَدْفَعُ الشَّرَّ

الملوك والعلماء والمشايخ في الحسب ﴿والحداع باظهار انه عالم أو ورع أو شريف
 وهو بخلافه﴾ من جاهل أو فاسق أو وضعيع ، ومن هنا قيل : فمن ادعى المشيخة فان
 كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق ، وقد ورد « ما ذنبان
 ضاريان في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم »
 رواه النسائي . والترمذي وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك ﴿وبيع العبادة﴾
 اى وحرام ان كان يبيعها وهى من امور الدين بشىء من امور الدنيا مالا او جاها ،
 ﴿جعلها﴾ اى العبادة النافعة في العقبي ﴿وسيلة للدنيا﴾ الدنية الفانية ﴿جنائية﴾
 وعلى نفسه خيانة ﴿والا﴾ اى وان لم يكن حب الجاه بار تكذب ذنبا ولا يبيع عبادة
 ﴿فبإباح﴾ وبضم نية نفع مسلم او دفع ظالم بصير مندوبا وقد يكون مطلوباً ﴿فورد﴾
 في سورة يوسف ﴿قال اجعلنى على خزان الارض انى حفيظ عليكم﴾ اى مخاطبا لملك مصر ،
 فانه طلب . نزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما ، وكان محتاجا الى طلبه وكان صادقا في قوله
 ونافعا لغيره في امره ﴿والاولى﴾ لغير الاقوياء ﴿الاحتراز عنه﴾ اى عن طلب
 الجاه فانه لا يخلو عن خطر لحظ نفسه وما يهواه ﴿ففيه آفات﴾ اربعة ﴿وهى النفاق﴾
 لان صاحب الجاه لا يستغنى عن المداهنة في الاخلاق وهى مخالفة الظاهر الباطن قولا
 او فعلا ﴿واضطراب القلب﴾ اى تزلزله عند ظهور العيوب ﴿لشغله برعاية القلوب
 وحفظ الجاه﴾ اى تمامه بين العباد ودوامه في البلاد ﴿ودفع الحساد﴾ اى ضررهم
 وشرهم المعتاد ﴿الاقدرا﴾ استثناء من الاحتراز اى الاقدرا يسيرا من الجاه ﴿يعين
 على الطاعة﴾ ويكون سببا للراحة بقدر الاستطاعة ﴿كاستمالة قلب خادم يتعهد﴾
 امورا ضروريا للمخدوم ﴿اورفيق يعاون﴾ في السفر او الحضرة على البر والتقوى
 ومحافظة امور العقبي ﴿اوسلطان يدفع الشر﴾ والبلى *

وَالسَّبَبُ طُولُ الْأَمَلِ وَخَوْفُ الْآفَةِ وَاسْتِدْعَاءُ الطَّبَعِ السَّكِيمَالِ لِتَحْقِيقِ الطَّبَعِ
الرَّبُوبِيِّ فِي الْإِنْسَانِ كَالسَّبْعِيِّ وَالشَّيْطَانِيِّ وَالْبَهِيمِيِّ فَيُحِبُّ الِاسْتِعْلَاءَ بِالِاسْتِرْقَاقِ
إِنْ أُمَكَّنَ كَمَا فِي الْأَجْسَادِ الْأَرْضِيَّةِ

﴿ والسبب ﴾ اى سبب حب الجاه ثلاثة ﴿ طول الامل ﴾ اى بتباعد الاجل
﴿ وخوف الآفة ﴾ اى توهم المحنة التى تكون مذمناً للمهنة . وتوضيحه ان الشفيق بسوء
الظن مولع ، والانسان وان كان مكفياً فى الحال فانه طويل الآمال فيخطر بباله ان
المال الذى فيه كفاية ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه فلا يدفع المرء خوفه الا الامن الحاصل لوجود مال آخر يفرع اليه ان اصاب
هذا المال جائحة فهو ابداء لشفقته على نفسه وحب الجاه يقدر طول الحياة ، ويقدر هجوم
الحاجات ، ويقدر امكان تطرق الآفات ، وهذا خوف لاموقف له عند مقدار مخصوص
من المال او الجاه ، ومن هنا ورد « نهومان لا يشبعان : مفهوم العلم ومفهوم المال »
الطبرانى وغيره « ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي ثالثا ولا يملأ جوف ابن
آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب » ﴿ واستدعاء الطبع ﴾ اى استشعاره ﴿ الكمال ﴾
الحقيقى أو الوهمى ﴿ لتحقق الطبع ﴾ اى الخلق ﴿ الربوبى فى الانسان ﴾ من الاستعلاء
والاستيلاء والتكبر والتجبر واظهار العظمة والديرياء ، اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال
والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، وكل انسان بطبعه محب لان يكون منفردا
بالكمال فى الجمال والجلال ، ولذا قال بعض الصوفية : ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح
به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ، ولكنه ليس يجد مجالا ، وفى الاحياء وهو كما
قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ، ولكن لما عجزت النفس عن
درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فى جميع الاحوال ﴿ كالسبعى ﴾ من القتل
والجرح والضرب والايذاء ﴿ والشيطاني ﴾ كالمكر والخديعة والاغواء ﴿ والبهيمى ﴾
من الاكل والشرب والوقاع مع النساء ﴿ فيجب ﴾ اى الانسان بالطبع الربوبى
﴿ الاستعلاء بالاسترقاق ﴾ اى استرقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد اجساد
الاحرار ﴿ ان امكن ﴾ الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة متى يتصرف فيهم بالاستسخار
﴿ كما فى الاجسام الارضية ﴾ من نحو الكلاء والاغراس والاشجار بالقاع والابقاء
والابداء والافناء ، والدراهم والدنانير والامتعة ، فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل

ثُمَّ بِالِاسْتِمَالَةِ كَمَا فِي الْقُلُوبِ ثُمَّ بِالِاطْلَاعِ كَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ
وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ بَأَنَّهُ كَيْلٌ وَهَمِي لَزْوَالِهِ بِالْمَوْتِ وَلِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لَهُ تَعَالَى
وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِالسَّبَاعِ وَالشَّيَاطِينِ وَالْبَهَائِمِ أَمَّا الْحَقِيقِيُّ فَعَرَفْتَهُ تَعَالَى وَمَحَبَّتَهُ وَمَا
يَعِينُ عَلَيْهِ لِبَقَائِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

فيها ما يشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع ، فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال
من صفات الربوبية ، والربوبية محبوبة بالطبع والجليلة الخلقية ، ولذا احب الاموال
وان كان لا يحتاج اليها في ما كلفه ومشربه وملبسه وشهوات نفسه ﴿ ثم بالاستمالة ﴾
اي يطلب ميل الخلق اليه ظاهرا وغباء او باطنا ورغبة ﴿ كما في القلوب ﴾ طوعا وكرها
﴿ ثم بالاطلاع ﴾ اي الاشراف ﴿ كما في السموات ﴾ وفي نسخة السماويات اي اخبارها
وامورها واسرارها ﴿ وعالم الملكوت ﴾ من العرش والكرسي وحوطهما من الملائكة
وانوارها ، والمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات والعزائم في الحركات
والسكنات . والحاصل ان مطلوب القلب الكمال ، والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت
الدرجات فيه غير محصور ، فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال ، فهذا
هو السبب في كون العلم والمال والجاه من المحبوبات ، وهو امر وراء كونه محبوبا
لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات والبهوات ،
بل يجب الانسان من العلوم ما لا يصحح للتوصل به الى قضاء الاغراض ، بل ربما يفوت
عليه جملة من الاغراض والاعراض ، ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجائب
والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات
الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه في مقام العبودية .

﴿ والعلاج ﴾ اي علاج رفع حب الجاه خمسة اشياء ﴿ العلم بانه ﴾ اي الجاه
الديوي ﴿ كمال وهمي ﴾ ليس في الواقع كمال حقيقي ﴿ لزواله بالموت ﴾ انتهاء وخطوئه
ابتداء ﴿ ولان القدرة الحقيقية له تعالى ﴾ ازلا وابتداء ﴿ وفيه ﴾ اي في الجاه الوهمي
الصورى ﴿ التشبه بالسباع والشياطين والبهائم ﴾ كما تقدم ﴿ اما الحقيقي ﴾ اي كماله
﴿ فعرفته تعالى ومحبته وما يعين عليه ﴾ اي على ذماله من العلم والعمل كذا حكم به شريعته ،
وانما يكون هذا لما لا حقيقيا ﴿ لبقائه بعد الموت ﴾ فالكمال الحقيقي ما ينتقل مع صاحبه
ولا ينفك عن جانبه ﴿ وفيه ﴾ اي في هذا الكمال ﴿ التشبه بالانبياء والملائكة ﴾ الموصوفين

وَأَفَاتِ الدُّنْيَا وَخَسَّاسَتَهَا وَمَا وَرَدَ فِي ذَمِّ الْجَاهِ وَمَدْحِ الْخُجُولِ وَأَحْوَالِ السَّلَفِ
فِي إِثَارِ الْعَقْبِيِّ وَمُبَاشَرَةِ أَمْرِ يُسْقِطُهُ

بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية ، فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان وهم غافلون ، واقبلوا على طلب الكمال بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم من الزوال وان سلم في الحال فلا بقاء له في المآل ، واعرضوا عن كمال الحرية والمعرفة المسمى علما لدينا ، واذا حصل ابديا لا انقطاع له لكونه سرمديا فهو لاهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا ملا) فالعلم والقربة هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس ، واما المال والجاه فيبقى في الحال أو المآل كما مثله الله تعالى بقوله (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلف به نبات الارض) الآية ﴿ وأفات الدنيا ﴾ اي والعلم بها ﴿ وخساستها ﴾ اي دناءة نفسها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها ، فلهذا در القائل :

اشد الغم عندي في سرور تبين عنه صاحبه انتقالا

ولآخر من أهل الفضائل :

أضغاث أحلام وظل زائل ان الليب بمثله لا يخدع

﴿ وما ورد ﴾ أي والعلم بما جاء من السنة ﴿ في ذم الجاه ومدح الخمول ﴾ على ما تقدم ﴿ وأحوال السلف في ايثار العقبي ﴾ على مناصب الدنيا ومعاونة بعضهم لبعض في البر والتقوى ، فقد كتب الحسن البصري الى عمر بن عبدالعزيز : أما بعد فكأنك باآخر من كتب عليه الموت وقدمات ، فانظر كيف مدت نظره نحو المستقبل وقدره كاتنا . وكتب عمر بن عبدالعزيز في جوابه : أما بعد فكأنك بالدينام تكن وكأنك بالآخرة لم تنزل فهو لاه كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقر والجاه والمال في الدنيا . وبصائر أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهد العواقب الآجلة كما قال تعالى : (بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال تعالى : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) ﴿ ومباشرة أمر ﴾ بالرفع عطف على العلم أي والعلاج للأمل وهو مباشرة فعل ﴿ يسقطه ﴾ أي جاهه وقدره من قلوب الخلق وأعينهم ، وتفارقه لذة للقبول ويأنس بالخمول ويقنع بنظر

كشرب الماء في قدح يشبهه لونا إلا أن يكون متبوعا فيباشر ما يرى مباحا
 كإظهار الشر والأقوى القناعة والاعتراب، وأما الاعتزال في الوطن فلا
 يخلو عنه لمعرفة الناس به

الخاق، وقوله وهذا طريق الملامية الطالبين للحالة السلاطية (كشرب الماء)
 الحلال (في قدح يشبه الخبز لونا) أي يشبه لونه لون الخبز حتى يظن به أنه يشرب
 الخبز فيسقط من الآعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال
 قالوا يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأى إصلاح قلوبهم فيه، ثم يتداركون
 ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم، فانه عرف بالزهد واقتل الناس
 به، فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه واخذوه
 فمضوا به إلى السجن واستردوا منه الثياب وسموه لص الحمام (الأن يكون متبوعا) أي من المقتدين
 حيث لا يجوز من يفعل ما لا يكون بظاهره مشروعا فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين.
 وأما الذي لا يقتدى به فلا ينبغي له أيضا أن يقدم على محذور لاجل ذلك (فيباشر
 ما يرى مباحا) ما يسقط حرمه عند الناس (كإظهار الشره) بفتح الحاء أي الحرام
 في الطعام، كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقره منه استدعى
 طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف
 فقال الزاهد: ياخذ الله الذي صرمتك عني. وهذا بالنسبة إلى المتقدمين، وأما في زماننا
 فمن صرمتك بالمشاب والمسننة في امره لم يلق صديقا في دهره مدة عمره (والأقوى) أي في
 المعالجة (القناعة) بلزوم الطاعة وعدم الطمع من أهل الاستطاعة والاكتفاء بما
 لا بد منه للأحياء كقوله تسد جوعته وخرقة تستر عورته وبيت يدفع عنه حره وقره
 (والاعتراب) أي طلب الغربة والهجرة إلى موضع التجول وعدم الشهرة (وأما
 الاعتزال في الوطن فلا يخلو عنه) أي عن نوع من الجاه (لمعرفة الناس به) فان المعتزل
 يميل إلى التي هو فيها مشهور لا يخلو في بيته عن حجب المنزلة التي يترشح له في القلوب
 يشبه لونه، فبما يظن أنه ليس محبا لتلك الجاه وهو مغرور بها، وأما ما سكنت نفسه لانها
 قد ظهرت بمخسودها، ولم تغير الناس عليه عما اعتدوا عليه وذموا جزع نفسه وتألمت
 ثم لا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس بإدام يطعم فيهم، فاذا أحرز قوته من كسبه
 أو من جهة أخرى وقطع الطمع عنهم أصبح الناس ظم عنده كالأرازل، فلا يبالي

ثُمَّ الْأُولَى كَرَاهِيَةَ الْمَدْحِ وَحُبَّ الذَّمِّ فَوَرَدَ فِيهِ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ كَوَيْلِ
 لِصَاحِبِ الصُّوفِ إِلَّا مَنْ تَنَزَّهَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَابْغَضَ الْمَدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ
 الْمَذْمَةَ «ثُمَّ التَّسْوِيَةَ وَيَعْرِفُ بِتَّسْوِيَةِ الْمَادِحِ وَالذَّامِّ فِي اسْتِثْقَالِ جُلُوسِهِمَا وَالْفَرَحِ
 بِسُرُورِهِمَا وَالْغَمِّ بِمُصِيبَتَيْهِمَا ثُمَّ عَكْسُ الْأَوَّلِ دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ ثُمَّ
 بِإِظْهَارِهَا

أَنَّ لَهُ مَنْزِلَةً فِي قُلُوبِهِمْ كَمَا لَا يَبَالِي بِمَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُ فِي أَقْصَى الْمَشْرِقِ
 أَوْ الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُمْ وَلَا يَطْمَعُ فِيهِمْ، ثُمَّ لَا يَقْطَعُ الطَّمَعُ عَنْهُمْ إِلَّا بِالْقَنَاعَةِ فَمَنْ قَنَعُ
 شَيْعَ وَاسْتَعْنَى عَنْ غَيْرِهِ، وَمِنْ هُنَا وَرَدَ «لَا يَكْمَلُ إِيمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يَكُونَ الْخَلْقُ عِنْدَهُ
 كَالْأَبَاعِرِ» *

«ثُمَّ الْأُولَى» فِي بَابِ الْعِلَاجِ (كَرَاهِيَةَ الْمَدْحِ وَحُبَّ الذَّمِّ) فَإِنَّ مَعَالَجَةَ التَّفْسَادِ إِذَا تَمَّتْ تَكُونُ
 بِالْإِضْدَادِ «فَوَرَدَ: وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَيْلٌ لِصَاحِبِ الصُّوفِ إِلَّا مَنْ تَنَزَّهَتْ
 نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَابْغَضَ الْمَدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ الْمَذْمَةَ» كَذَا فِي النُّحَيْيَاءِ وَقَالَ مَخْرُجُهُ لَمْ أَجِدْهُ
 هَكَذَا، وَذَكَرَ صَاحِبُ الْفَرْدُوسِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «وَيَعْلَمُ مَنْ لَبَسَ الصُّوفَ فَخَالَفَ
 فِعْلَهُ قَوْلَهُ» وَلَمْ يَخْرُجْهُ وَلَدَهُ فِي مَسْنَدِهِ «ثُمَّ التَّسْوِيَةَ» أَي تَّسْوِيَةَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ بَعْنِ لَا تَغْمَهُ
 الْمَذْمَةَ وَلَا تَسْرَهُ الْمَدْحَةَ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا قِيلَ لَكَ نَعَمْ الرَّجُلُ أَنْتَ فَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ
 أَنْ يَقَالَ بِسْرِ الرَّجُلِ أَنْتَ فَأَنْتَ وَاللَّهِ بِسْرِ الرَّجُلِ وَهَذَا قَدْ يَنْظُرُهُ بَعْضُ الْعِبَادِ بِنَفْسِهِ
 وَيَكُونُ مَغْرُورًا بِهِ أَنْ لَمْ يَمْتَحِنْ نَفْسَهُ فِي حَالِ انْسِهٍ (وَيَعْرِفُ) اسْتِزْهَادِ الْمَدْحِ
 (بِتَّسْوِيَةِ الْمَادِحِ وَالذَّامِّ فِي اسْتِثْقَالِ جُلُوسِهِمَا) عِنْدَهُ (وَالْفَرَحِ بِسُرُورِهِمَا وَالْغَمِّ
 بِمُصِيبَتَيْهِمَا) وَحَزَنِهِمَا وَنَجْوَهُ مِنَ الْمَنْعِ وَالْعَطَاءِ فِي فِعْلِهِمَا وَالسَّعْيِ فِي قَضَائِهَا جَاهَتِهَا
 وَمَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنْ قُلُوبِ كَثِيرِ الْعِبَادِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالرَّجُلِ الْفَاقِ وَجْهَهُ فَبِهِ
 الْكِبْرِيَاءِ الْأَحْمَرِ يَتَحَدَّثُ بِهِ وَلَا يَرُوهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا سَمِعَ الْمَدْحَ يَسُوبُهُ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِهِ
 لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِ فَهَذَا عَلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ، وَلَوْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْإِحْلَاصِ الَّذِي سَبَبَ
 الْإِحْلَاصَ مِنَ الْمَدْحِ (ثُمَّ عَكْسُ الْأَوَّلِ) الَّذِي ذَكَرْنَا فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى وَهِيَ أَنْ يَحِبَّ الْمَدْحَ
 وَيُكْرَهُ الذَّمَّ فِي الضَّمِيرِ (دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ) فِي وَجْهِهِمَا بِضَرْبِ أَوْشَمٍ أَوْ بِإِمْهَاءِ
 وَعَطَاءِ (ثُمَّ بِإِظْهَارِهَا) أَي إِظْهَارِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فِي مَقَابِلَةِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فَيَعْبَأُ بِالذَّامِ

وَحِبُّ الْمَدْحِ كَحِبِّ الْجَاهِ حُرْمَةٌ وَإِبَاحَةٌ وَنَفْعًا وَضَرًا وَالسَّبَبُ الشُّعُورُ بِكُلِّ
النَّفْسِ وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى الْمَادِحِ وَاسْتِمَالَةُ قُلُوبِ السَّامِعِينَ، فَيَقْوَى مِنَ الْمُعْتَبِرِ
وَالْمُرْتَفِعِ وَفِي الْمَلَأِ أَقْوَى

بالشتم والضرب والمدح بالثناء والعطاء وهو حال أكثر الخلق ﴿وحب المدح كحب الجاه
حرمة﴾ ان كان بار تكاب ذنبا ﴿واباحة﴾ ان كان بأمر مباح ﴿ونفعا﴾ أى كان لدفع
شر ﴿وضرا﴾ ان كان بجلب نفع محرم كما سبق مفسلا *

﴿والتريب﴾ حب المدح ثلاثة : ﴿الشعور بكمال النفس﴾ أى استشعار الكمال
ببب قول المادح ، فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك : هذه
الصفة التي يمدحك بها أنت متصفة بها أم لا فان كنت متصفة بها فمى اما أن تكون صفة
تستحق بها المدح كالعلم والورع فينبغى أن لا تفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة ، واما صفة
لا تستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بنبات الارض مما تذروه الريح ولا ينبغى أن
يفرح الانسان بعروض الدنيا ، وان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بل بوجودها
فالمدح ليس هو سبب وجودها وشهودها فلا يجب أن تفرح به بل بسبب وجودها هو الله
سبحانه فهو المستحق للحمد والثناء تبارك وتعالى ، ومنه قوله عز وعلا : (قل بفضل الله
وبرحمته فذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وان كان الصفة التي مدحت بها وفرحت
بها سببها أنت فخل عنها ففرحك به غاية الجنون عند أهل الفنون ؛ اذ مثال ذلك مثال
من يهزق الانسان ويقول : سبحان الله ما أكثر العطر الذي في احشائك ، وما أطيب المسك
الذي في أعفائك ، تعرف نفسك بكثرة الاقدار والنتن في أثوابك وأجزائك
﴿والاستيلاء على المادح﴾ فان المادح يدل على تسخير قلب المادح ﴿واستمالة قلوب
السامعين﴾ فهذا يرجع الى حب الجاه ، وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله
﴿فيقوى﴾ أى يجب المدح اذا حصل ﴿من المعتبر﴾ علما وعملا أكثر وأظهر من
غيره ﴿المرتفع﴾ قدوم في الجاه والمال ، وفي نسخة المترفع أى من أهل التصدرفى
الجالس والمحافل وأن لا يكون من ذرى الفضائل ﴿وفي الملا أقوى﴾ من الخلاء وفيه
خطر للمدوح ، ولذا قال عليه السلام للمادح «ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما أفلح
الى يوم القيامة»

وَالْعَلَّاجُ عِلَّاجُ الْجَاهِ وَعَلِمَهُ أَنَّ الصِّفَةَ الْمَمْدُوحَةَ بِمَا إِنْ فَقَدَتْ فَاسْتَهْزَأَ وَإِنْ
وَجَدَتْ فَالِدُنْيَوِيَّةٌ كَمَالٌ وَهَمِيٌّ وَالدُّنْيَوِيَّةُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْخَاتِمَةِ، وَالْأَوْلَى إِظْهَارُ
الْبُغْضِ لِلْمَادِحِ قَطْعًا لِلْفِتْنَةِ، وَسَبَبُ كَرَاهَةِ الْعَمِّ النَّقَائِصِ الْمَذْكُورَةِ فِي حُبِّ الْجَاهِ

(والعلاج) أي علاج حب المدح شيان (علاج الجاه) أي حبه وقد تقدم
حكيمه (وعلمه) أي الممدوح (أن الصفة الممدوح فيها أن فقدت) بان يكون
كذبا (فاستهزاء) وهذا كثير في قصائد الشعراء للأغنياء والأمراء، وقد ورد
« إذا رأيت المداحين فاحشوا في وجوههم التراب » وهو كناية عن الخيبة، أو إيماء
إلى دفع شرهم بيباب من الأبواب وسبب من الأسباب من إعطاء الدراهم والتلذذ
والثياب، فقد ورد « ما وقي به العرض فهو صدقة » (وإن وجدت) أي تلك الصفة
بان يكون صادقا في قوله (فالدنيوية) من المال والجاه (كمال وهمي، والدنيوية)
من العلم والعمل (موقوفة على الخاتمة) أي حسنها وهي غير معلومة، فانما الإعمال
بالخواتيم كما ورد (والأولى) في علاج حب الجاه (إظهار البغض للمادح قطعًا
للفتنه) ومن هنا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وهنته، وما يدخل على القلب
من السرور بمدحته، وما يتفرع عليه من محنته، حتى إن بعض الخلفاء الراشدين يسأل
رجلا عن شيء فقال: يا أبا عبد المؤمن أنت خير مني وأعلم، فغضب وقال: إنني لم أمرك
أن تركيني. وقيل لبعض الصحابة: لن يزال الناس بخير مني وأعلم، فغضب وقال: إنني لم أمرك
وقال: إنني لأحسبك عراقيا. وقال بعضهم لما مدح: اللهم إن عبدك تنزيب إلى بمقتك.
فاشهدك على مقتك. وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم بمقتوتون
عند الخلق، فكان اشتغال قلوبهم بأحوالهم عند الله ببغض إليهم مدح الخلائق لأن
الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله تعالى، والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن
الله الملقى في النار مع الأشرار في دار البوار. فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل
النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح
إلا بفضل الله وبرحمته وليس أمره بيد الخلق، ومهما علم أن الأجل والأمر لاق بيده
الله قل التفاته إلى مدح الخلق بوزم من سواء، وسقط من لغة حب مدحه واشتغل
بما يهمه من أمر دينه وحب ربه (وسبب كراهة الذم النقائص المذكورة) أي الأسباب
المستورة (في حب الجاه) من الشعور بكمال النفس واستيلاء المدح واستمالة قلوب

وَالْعَلَّاجُ عَلِمَ أَنَّ الصِّفَةَ الْمَذْمُومَ بِهَا إِن وَجِدَتْ قَبْصِيرُ الْعُيُوبِ وَفِيهِ
 الْفَرْحُ وَالشَّغْلُ بِالْإِزَالَةِ وَإِنْ فُقِدَتْ فَكَفَّارَةُ الذُّنُوبِ وَفِيهِ الشُّكْرُ لَهُ تَعَالَى
 وَالتَّرْحِمُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ «وورد، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون» دعا
 لِقَوْمِ كَسروا سِنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ *

السامعين ((والعلاج)) لغزاة الذم ((علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت)) فيك
 سواء قصد القائل به النصيحة او التعتن والفضيحة ((قتبصير العيوب)) وهو مطلوب
 أهل القلوب ((وفيه الفرحة)) بالاطلاع على الصفة الذميمة ((والشغل بالازالة))
 اي بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها وليس للكرهية مجال لديها فعن
 عمر رضي الله عنه رجم الله من اهدى الى بعيوب نفسه ((وان فقدت)) تلك الصفة
 بان يكون القائل كاذبا في المذمة ((فكفارة الذنوب)) اي لبقية مساويك فكما به رماك
 بسبب انت بريء منه وطهرت عن عيب انت متلوث به ((وفيه الشكر له تعالى))
 لاذ لم يطلع على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء منه وماستر الله من عيوبك
 اكثر فتدبر ((الترحم عليه)) اي على الذايم ((حيث اهلك نفسه)) بذكرك فالمسكين
 جنى على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم يوم
 جزائه فلا ينبغي ان يغضب عليه مع غضب الله لديه ويقول اللهم اهدك ونحوه فيشمت
 الشيطان بل ينبغي لك ان تقول رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلح اللهم تب عليه
 اللهم ارحمه اللهم اهده ((وورد)) في دلائل النبوة لليهقي ((اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
 دعا)) اي النبي عليه السلام ((لقوم)) من كفار قريش ((كسر واسننه عليه السلام))
 اي رباعيته وشجوا رأسه وذلك باجد، ودع البراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة
 فقبل له في ذلك مقال اعلم اني ماجور بسببه فلا يرضى ان يكون هو معايبا بسببي،
 وتعلموه في عليك كرهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر
 ذلك في قلبك، واصل الدين القناعة بما اعطاه الله من المال وبها ينقطع الطمع من الجاه
 والمبال، واما مادام الطمع قائما فكان حب المدح والجاه يغلب في قلب من طمعت
 فيه دائما

﴿الباب الثاني عشر في التواضع وذكر المنة﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ورد «من تواضع لله رفعه الله» الشرف التواضع
 وضده التكبر وهو اتباع الكبير وهو أن يرمى نفسه فوق غيره في صفة الكمال
 فيحصل به نفخة

﴿الباب الثاني عشر في التواضع وذكر المنة﴾

أى في مدحهما وذم ضدتهما وهما الكبر والعجب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 الذى يتواضع له العرش الكريم ﴿ورد﴾ فى الحلية لابن نعيم عن ابى هريرة ﴿من تواضع لله رفعه الله﴾ ومفهوما من تكبر على الله وضعه، ولبيهقى فى الشعب عن ابن عباس إذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة، وللصفهاني فى الترتيب والترهيب من حديث انس «ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة» ولمسلم فى اثناء حديث لابى هريرة «وما تواضع احد لله الا رفعه الله» ولاحمد والبيهقى فى الشعب باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر «من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر اكبده الله فى النار على وجهه» وللترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصديه ما اصابهم» وللترمذى من حديث اسماء بنت عميس «بئس العبد عبد الجبار واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد تكبروا ختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى» ورواه الحارم فى مستدركه وصححه ﴿الشرف التواضع﴾ فلان ابى الدنيا الكرم التقيى والشرف التواضع واليقين الغنى، وعن عروة بن الورد التواضع احد مصاد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع، وقال الفضيل التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجمل الناس قبلته، وعن ابن المبارك التواضع ان تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلم انه ليس عليك يدنياك فضل وان ترفع نفسك على من هو فوقك فى الدنيا حتى تعلم انه ليس له دنياه عليك فضل، وقال قتادة من اعطى مالا او جمالا او ثناء او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه يوم القيمة وبالابى ﴿وضده التكبر وهو اتباع الكبير﴾ واطهارة كمال التواضع اتباع الصفة واطهار المسكنة بان يرى نفسه دون غيره فى صفة الكمال فن تكبر على امثاله فهو متكبر فى حاله ومن تأخر عنهم فهو متواضع فى مقام كاله
 ﴿وهو﴾ أى الكبير ﴿ان يرى نفسه فوق غيره فى صفة الكمال فيحصل به نفخة﴾ أى

وورد «اعوذ بك من نفخة الكبر، وآثاره الترفع في المجلس والتقدم في الطرق والنظر بالما في وعين الاستحغار»

انتفاخ الكبر في نفسه، وعن ابن عباس في قوله تعالى (ان في صدورهم الاكبر ما هم بها لغيه) فقال عظمة لم تبلغوها، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود لا «يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من مخرذل من كبر» وعن ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم تجبر فلان فقال أليس بعده أطول؟ البيهقي في الشعب هكذا مرسله، ويروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: التواضع أن تخرج من منزلك فلا ترى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند أهل التوحيد تكبر، وفي الاحياء لعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد يثبت نفسه ولا يراها حشيشا حتى يضعها أو يرفعها (وورد أعوذ بك من نفخة الكبر) مروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفخه وهمزه فنفخه الكبر ونفخه الشعر أو السحر وهمزه الوسوسة في السر (وآثاره) أي علامات الكبر ثلاثة عشر (الترفع في المجلس) على الاقران أي من غير استحقاق له به (وللتقدم في الطرق) على الاخوان مع استحقاقهم به، قال أبو الهرداء لا يزال العبد يزول من الله بعد ما مشى خلفه، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عييله اذ كان لا يميز عنهم في صورة ظاهرة، ومشى قوم خلف الحسن البصرى فمنعهم وقال بما يبقى هذا من قلب العبد، وكان عليه السلام في بعض الاوقات يمشى مع الامم فيأمرهم بالتقدم ويمشى في الغمار اما لتعليم غيره وأما لنفي وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد في الصلاة ولبس الخلق لاحد هذين المعنيين كذا في الاحياء، والمعروف نزع الشرك الجديد ورد الشرك الخلق ونزع الحميصة وأبس الانبجانية كما تقدم والله أعلم وللدليل في مسند الفردوس من حديث أني فهمامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشى الى البقيع فتبعه أصحابه فوقف وأمرهم أن يتقدموا وشمى خلفهم فسل عن ذلك فقال: اني سمعت خفق نعالكم فاشفقت أن يقع في يقسى شيء من الكبر (والنظر) الى الغير (بالمآتي) أي بطرف العين تكبر أو تجبر اقال تعالى: (يعلم خائفة الا عين وما يخفي الصدور) (وعين الاستحغار) بأن يستكف عن جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه، فعن ابن وهب: جلست الى عبد العزيز بن أبي رواد فس فجذى فخذته فنحيت نفسي عنه فأخذ بثوبي فجبرني الى

وتعويج العنق وإطراق الرأس والالتكاء، وقيام بين يديه فيجاء «إن من
 قعد والناس بين يديه قيام فهو من أهل النار»

نفسه وقاله: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجباية؟ فبني لأعرف منكم رجلا شرامني، وقال
 أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت. وقد تقدم مخرجه. ومن ذلك
 أن يتوقى في مجالسه المرضى والمعلولين وعنهم يتحاشى، فكان ابن عمر لا يحبس عن طعامه
 مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أفعدهم على ما تدهت، وقد ثبت أنه عليه السلام مع
 مجذوم وقال له «قل بسم الله ثقة بالله» رواه أبو داود. والترمذي. وابن ماجه من حديث
 جابر «وتعويج العنق» مع تحريك الأطراف «إطراق الرأس» فروى أن عمر بن عبد
 العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طارس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم
 قال: ليست هذه مشية من في بطنه خراء، فقال عمر كالمعتذر: يا عم لقد ضربت كل عضو مني
 على هذه المشية حتى تعلمتها، وعن الحسن. أن في كل عضو من الأعضاء لله نعمة
 والشيطان به لعنة، وراي محمد بن واسع ولده يمشي يختال فدعاها فقال: أتدرى من أنت؟
 أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم، وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله، ولا محمد.
 والطبراني. والحاكم. وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر «من تعظم في نفسه
 واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» ولعله مقتبس من قوله تعالى: (إن الله لا يحب
 من كان محتالا نخورا) ومن قوله: (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الإنص
 ولن تبلغ الجبال طولا) وفي الصحيحين من حديث ابن هريرة «لا ينظر الله إلى من
 جر أزاره بطرا» وفي لفظ مسلم «خيلاء» «والالتكاء» أي الميل إلى الخد وجوانبه بحضور
 أقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضة في بابه، فكذا حكم الترتع المشير إلى الترفع
 «وقيام الناس بين يديه، فجاء» أي في الخبر أو الإثر «أن من قعد والناس بين
 يديه قيام» واقفون بامرهم «فهو من أهل النار» والحديث معروفه بلفظ «من
 أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار» أحمد وأبو داود والترمذي
 عن معاوية، وفي الشماثل للترمذي عن أنس «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته
 لذلك» وقال الفضيل: من أحب الرياسة لم يفلح أبدا. وقال الشبل: من رأى لنفسه

والمشي راكباً مع المشاة وترك الخروج إلا بشخص عقيه، وكان عليه السلام
بمشي بين الجمع غير متقدم وعمل البيت وحمل السلعة فوراً من حملها فقد برى
من الكبر

قيمة فليس له من التواضع حصة . والتحقيق ان من رأى أنه خير من اخيه واحتقر
اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه
وبين الخلق ، ومن انف من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر
بينه وبين الحق (والمشي) اي الخروج (راكباً مع المشاة) بين يديه (وترك
الخروج) من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعة (الاشخص) او اشخاص
(عقيه) وكان عليه السلام يمشي بين الجمع غير متقدم (كما تقدم) (وعمل البيت)
اي وتره وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ، في مسند احمد « عن
عائشة انه عليه السلام كان يخطط ثوبه ويخفف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في يومهم ،
وليبهقي في الشعب من حديث ابى هريرة « من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد
برى من الكبر » وبالجملة فجامع حسن الاخلاق تؤخذ من سيرته عليه السلام واتباعه
من اصحابه الكرام ، ولما عوتب عمر في بذاعة هيبته عند دخول الشام قال اهاقوم اعزنا
الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره (وحمل السلعة) اي وتركه (فوراً من
حملها) اي سلمته ، وفي رواية بضاعته (فقد برى من الكبر) البيهقي عن ابى امامة .
ولابى يعلى الموصلى عن ابى هريرة انه عليه السلام حمل سروا الاشتهر لنفسه وابى ان
يحملة . وقال « صاحب المتاع احق بحمله » وعن علي لرم الله وجهه .

لا ينقص الكامل من كماله * ماجر من شيء الى عياله

وكان ابو عبيدة بن الجراح - وهو امير - يحمل سطلاله من خشب الى الحمام . وقال
ثابت بن مالك : رأيت ابا هريرة اقبل من السوق ويحمل حزمة من حطب وهو يومئذ
خليفة لمروان فقال : واسع المطريق للامير يا ابن مالك . وهن الاصبع بن ابى بنانة
قال : كأني انظر الى عمر معلقاً لحماً في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدريرة يدور في الاسواق
حتى دخل رجله . وقوله بعضهم : رأيت علياً يشتري لحماً بدرهم فحمله في ملحفته ، فقلت
له : احمل عنك يا امير المؤمنين ، فقال : لا ابو العيال احق ان يحمل . ويروى ان عبد
الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له : يا ابا يوسف قد كان في فلانك وبينك ما يدقونك

وَاحْتِمَالُ الْأَذَى فَهُوَ الْأَصْلُ الْمَأْتِيُّ مِنْ لِبَاسِ الدُّنْيَا فَورد «مَنْ تَرَكَ زِينَةَ اللَّهِ
وَوَضَعَ ثِيَابًا حَسَنَةً تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَابْتِغَاءَ وَجْهِهِ كَانَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ عِبْقُورِي
الْجَنَّةِ وَنَزَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَدِيدَ وَلَبَسَ الْعَتِيقَ لِلتَّعْلِيمِ أَوْ الْبُعْدِ عَنِ الْوَسْوسَةِ
إِلَّا لِلنَّظَافَةِ

فقال اجل ، ولكنى اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك منى ، فلم يقنع منها بما اعطيه
من العزيمة على ترك الانفة حتى يجربها اهي صادقة ام كاذبة؟ وروى ان عمر بن الخطاب
حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه : يا امير المؤمنين ما حملك على هذا؟ فقال: ان نفسى
اعجبتى فاردت ان اذله ، وروى ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة
بسبب ثيابهم فلبس عباءة صلى فيها بالناس (واحتمال الاذى) اى وتركه (فهو)
اى احتمال الاذى من السب وغيره (الاصل) الذى عليه . مدار حسن الخلق
والتواضع للحق (المأثور) المروى عن السلف والخلف خلافا لاطلة الحشيش والعلف ،
وقد قدمنا ما نقل عنهم فى ذم الغضب وما يتعلق به من الادب (ولباس الدون) اى
وترك اللباس الحسن او الخلق أو المرفوع (فورد من ترك زينة الله ووضعه ثيابا حسنة)
اى دفعها مع القدرة عليها (تواضعا لله وابتغاء وجهه) اى لالرياء والسمعة فى حقه
(كان على الله) اى واجبا بمقتضى وعده (ان يدخر له عبقرى الجنة) اى ذى اجله
من سندسها واستبرقها ، ابو سعد المالينى فى مسند الصوفية ، و ابو نعيم فى الحلية من
حديث ابن عباس « من ترك زينة الدنيا لله » الحديث . وقد وردت البلادة من الايمان
ابوداود . وابن ماجه من حديث ابى امامة بن ثعلبة . وقال هارون : سألت عن معنى
البدادة فقيل هو الدون من اللباس ، وقال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب
خرج الى السوق ويده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها مودم اى جلده
وعوتب على فى ازاره مرفوع فقال : يقندى فى المؤمن ويخشع له القلب . وقال
عيسى عليه السلام : جوده اللباس وخيلاء القلب . وقال طاوسى : انى لا غسل تونى
هذين فانكر قلبى ماداما نقيين ، وقيل لسلمان : الاتلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا
اعتقت يوما ليست ، اشار به الى العتق فى الآخرة رها عبد الله لعبيده من الثياب الفاخرة
(ونزع عليه السلام الجديد) اى من الشرك والخصومة (وليس العتيق) منهما
(للتعليم) اى لتعليم غيره (او البعد عن الوسوسة) فى نفسه على ما تقدم (الا للنظافة)

فورد نفي الكبر في حسن الثياب لمعرفة حال السائل، ويعرف بتسوية الخلاء
 والميلاد والغضب على من لا يبدأ بالسلام والاهتمام باصابة الخصم المناظر
 والانتكار عليه

اي بقصدها فانه حينئذ لا بأس بترك الدرن من اللباس ولبس الثوب الفاخر كسائر
 الناس ﴿ فورد نفي الكبر في حسن الثياب لمعرفة حال السائل ﴾ اي لمعرفة عليه السلام
 لحال العائل ومقامه من المرام ، في الطبراني من حديث ثابت بن قيس بن شماس
 انه سأل النبي عليه السلام وقال : اني امرؤ قد حبيب الي من الجمال ماترى فهل من
 الكبر ؟ فقال لا ، ولكن من سفة الحق اي جهله وانكره ، وغمص الناس اي حقرهم .
 رواه احمد من حديث عقبه بن عامر . وفي رواية مسلم عن ابن مسعود « الكبر من
 بطر الحق وغمص الناس ، وفي رواية الترمذي « من بطر الحق وغمص الناس » وقال
 حسن صحيح ، وفي رواية ابن بكار عن ابن مسعود قال « جاء رجل الى رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم فقال انه ليعجبني ان يكون ثوبي غسिला ورأسي ذهينا وشرائك نعلي
 جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقته سوطه أمن الكبر هذا ؟ فقال عليه السلام لا هذا
 من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفة الحق وظلم الناس » ﴿ ويعرف ﴾
 أي حبل من يلبس للنظافة ، أو كونه نظرا للغنى شكرا للنعمة ، أو كونه فقيرا يرى نفسه
 غنيا للعفة ﴿ بتسوية الخلاء والملا ﴾ عنده في لباسه للنظافة ونحوها بان يلبس في الخلاء
 للصلاة وغيرها لا يلبس في الملا عند حضور الجماعة ونحوها ، ثم المحبوب الوسط
 المطلوب ، فللسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « كلوا
 واشربوا والبسوا وصدقوا حتى غير اسراف ولا مخيلة » ﴿ والغضب ﴾ بالرفع عطف
 على الترفع ، اي ومن آثار الكبر الغضب ﴿ على من لا يبدأ بالسلام ﴾ اولي ابادر
 بالقيام ومخوّه من انواع الاكرام ﴿ والاهتمام ﴾ بالرفع أي والاهتمام ﴿ باصابة الخصم
 المناظر ﴾ اي المجادل في منقوله ﴿ ولا نكار عليه ﴾ اي وبانتكار الخصم عليه في معقوله ،
 وتوضيحه لي ينظر في مسئلة مع واحد من اقرانه ، فان ظهر شيء من الحق على لسان
 صاحبه فنقل عليه قيمه له والانتقاده الاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه
 الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا كبيرا فليبق الله وليستعمل بعلاجه ، امان حيث العلم
 فيان يذكر نفسه خيبة نفسه بخطر عاقبته وان الكبر لا يليق إلا بالله تعالى ، واما بالعمل

وَأَفَاتَهُ مُنَازَعَتَهُ تَعَالَى فُورِدَ «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ» وَبَغَضَهُ تَعَالَى فُورِدَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَعَمِيَ الْقَلْبُ فُورِدَ (سَاطِرٌ فِي عَنَ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ - وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جِبَارًا) وَمَوْلِدُ

فِيَأْنِ يَكْلَفُ نَفْسَهُ مَا نَقَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِالْحَقِّ فَيَطْلُقُ لِسَانَهُ بِالْحَمْدِ وَالشُّعْرِ، وَيَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعِزِّ فِي الْإِدَاءِ وَيَشْكُرُهُ عَلَى الْإِسْتِفَادَةِ وَيَقُولُ: مَا أَحْسَنَ مَا ظَنَنْتَ لِمَنْ الْإِفَادَةُ وَقَدْ كُنْتُ غَافِلًا عَنْهُ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا عَلَى مَا نَهَيْتَنِي لَهُ فَالْحِكْمَةُ ضَالَةٌ الْمُؤْمِنِ فَإِذَا وَجَدَهَا فَيُنْبِغِي أَنْ يَشْكُرَ مِنْ دَلِهِ عَلَيْهَا

(وَأَفَاتَهُ) أَي الْكِبْرِيَاءُ (مُنَازَعَتَهُ تَعَالَى) أَي فِي مَشَارِكَتِهِ فِي حَقِّهِ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِ (فُورِدَ) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَغَيْرِهِ (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي) أَي بِمِثْلَتِهِ فِي إِظْهَارِ مَلِكِيٍّ وَجَبْرُوتِيٍّ (وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي) أَي بِمِثْلَتِهِ فِي إِسْرَارِ مَلَكُوتِيٍّ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا صِفَتَانِ مَخْتَصِمَتَانِ بِي كَمَا أَنَّ رِدَاءَ الْإِنْسَانِ وَإِزَارَةَ مَخْتَصِمَانِ بِهِ وَلَا يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي لِبْسِهِ (فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا) أَي وَاحِدًا مِنْهُمَا كَمَا فِي رِوَايَةِ (قَصَمْتُهُ) أَي أَهْلَكْتُهُ، وَفِي رِوَايَةِ عَذِيبَتِهِ، وَفِي أُخْرَى أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ، وَفِي أُخْرَى قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ (وَبَغَضَهُ تَعَالَى) أَي لِهَلَاكِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) وَمَعْنَى هُومِهِ أَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ (وَعَمِيَ الْقَلْبُ) بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (سَاطِرٌ فِي عَنَ آيَاتِي) أَي لِلْمُنْصُوبَةِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ مِنْ مَصْنُوعَاتِي وَقِيلَ فِي التَّفْسِيرِ سَادِفِعْ فَهَمَّ الْقُرْآنُ عَنْ قُلُوبِهِمْ (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) تَمَامُهُ (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِزَارِي) كُلُّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) وَفِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ سَاطِرٌ فِي قُلُوبِهِمْ عَنْ مَشَاهِدَةِ مَلِكِيٍّ وَمَلَكُوتِيٍّ وَعِبَائِهِمْ قَدَرْتِي وَغَرَائِبِ جَبْرُوتِي . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: سَاطِرٌ فِيهِمْ عَنَ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا وَيَعْتَبِرُوا بِهَا، وَلِذَا قَالَ عَمِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ الزَّرْعَ يَنْبِتُ فِي السَّهْلِ لِأَنَّهُ الرِّوْعُ، وَكَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَنْمُو فِي قَلْبِ الْمُتَوَاضِعِ دُونَ الْمُتَكَبِّرِ لِأَنَّ مَنْ تَهَمَّخَ بِرَأْسِهِ إِلَى السَّقْفِ شَجَعَهُ وَمَنْ طَأَطَأَ أَظْلَهُ وَاسْتَكْبَرَ (وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بِالْإِضَافَةِ وَدُونِهَا (جِبَارًا) مَبَالِغٌ فِي الْفُسَادِ مِنْ قَهْرِ الْعِبَادِ وَكُسْرِهِ الْبِلَادِ (وَالذَّلِيلُ) أَي الْمَذَلَّةُ فِي الْعَاقِبَةِ وَالْمَهَانَةُ فِي الْآخِرَةِ . فَلِذَا تَمَذَى وَحَسَنَهُ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنَ أَبِيهِ عَنَ جَدِّهِ (الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ يَطْوِيهِمُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ) وَرِوَايَةُ

وَالْبَعْثُ عَلَى الذَّمَامِ كَتَغْيِيرِ الْخَلْقِ وَالْجُحْدِ عَنِ الْحَقِّ وَالْحِجْبِ عَنِ الْفَضَائِلِ كَالْتَوَاضِعِ
وَالْحِلْمِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَالْعَبْدُ الرَّقِيبُ يُضْرَبُ وَلَدُ
الْمَوْلَى عَضَّةً لِلسَّاءَةِ وَيَتَوَاضِعُ لَهُ، ثُمَّ التَّخَاسُسُ كَتَأْخِرِ الْعَالَمِ عَنِ الْخِصَافِ
مَذْمُومٌ أَيْضًا كَعَكْسِهِ

حاتم: ما اجتنب الموت على ثلاثة: على الكبر والحرص والخيلاء، فان المتكبر لا يخرج
الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارضه اهل وخدمه، والحريص لا يخرج الله
تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساعدا، والختال لا يخرج الله
تعالى من الدنيا حتى يمرغه بيوله وقدره ((والبعث)) اى التحريض والحث ((على
الذمائم)) من صفات البهائم ((كتغيير الخلق)) من اثر سوء الخلق كالإشاشة الى العبوسة
((والجحد عن الحق)) اى بانكاره وعدم اقراره، وقد سبق في الحديث تفسير الكبر
المذموم به، ومنه البعد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم: كيف نجاس اليك وعندك هؤلاء الفقراء؟ فنزل قوله تعالى: (ولا تطرد الذين
يدعونهم) رواه مسلم وابن ماجه ((والحجب)) اى ومنعه ((عن الفضائل))
وحجزه عن حسن السمائل ((كالتواضع)) للحق ((والحلم)) عن الخلق ((والنصيحة))
للعامه من غير الفضيحة ((والامر بالمعروف)) اى وكذا النهي عن المنكر ((ولا يستلزمه))
اى الامر بالمعروف التكبر ((فالعبد الرقيب)) بأمر الحبيب ((يضرب ولد المولى
مخد الاساءة ويتواضع له)) مع ذلك بعد تلك الحالة ((ثم التخاسس)) اى طلب
الحسنة المسمى بالضعفة وهو الافراط في التواضع ((كتأخر العالم عن الخصاف)) ونحوه
من التذاف والعلاف في المجلس او الطريق ((مذموم ايضا كعكسه)) وللغوى. وابن
قانع والطبرانى والبيهقي من حديث انس « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق
ماله في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة ومخالط اهل الفقه والحكمة »،
ومن ذلك حديث « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه » البيهقي في الشعب عن
ابن مسعود من قوله « من مضغ الغنى ووضع له نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب
ثلثا دينه » وذلك لان قوة العبادة قلب ولسان وارتان، وفي تعظيم الغنى لا بد من
اعتق مال اللسان والجوارح. وله عن انس بلفظ « من أصبح حزينا على الدنيا أصبح

فالتواضع معه يعدم الاستحقاق و اظهار البشر والرفق و اجابة الدعوة و السعي
 في الحاجة لكن التكبر أخش، والسبب العجيب فقط

ساخطا على ربه، ومن اصبح يشكو مصيبتة فانما يشكوره، ومن دخل على غنى فتضع
 له ذهب ثلثا دينته، واخرج الديلى من حديث ابى ذر « لعن الله فقيرا تواضع لغنى
 من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينته » وكذا ابو داود، ولم يصب
 ابن الجوزى في ذكره في الموضوعات كما قاله السيوطى . ومن التخاصس بل اخسه
 ان يمشى العالم خلف الظالم، ولذا قيل : بدس الفقير على باب الامير، ونعم الامير
 على باب الفقير . وعن يحيى بن معاذ : التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع .
 ويقال : التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء احسن، والتكبر فى الخلق
 كلهم قبيح وفى الفقراء اقبح، وكان بشر الحافى يقول : سلوا على ابناء الدنيا بترك السلام
 ﴿التواضع معه يعدم الاستحقاق﴾ فعن الصديق « لا يحقرن احدا من المسلمين
 فان صغير المسلمين عند الله كبير » ولمسلم من حديث ابى هريرة « بحسب امرى من
 الشر ان يحقر اخاه المسلم » ﴿واظهار البشر﴾ وفق مراده ﴿والرفق﴾ بحسب
 مقامه ﴿واجابة الدعوة﴾ فكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه ﴿والسعي
 فى الحاجة﴾ لقوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وحديث « من كان فى عون
 اخيه المؤمن كان الله فى عونه » فالعدل ان يعطى كل ذى حق حقه وقد ورد اذا اتاكم
 كريمة قوم فاستروهم، ﴿لكن التكبر اخش﴾ من التخاصس اذ ورد عن بعض
 المشايخ ما يقاربه و لانه كان فى مقام المعالجة .

﴿والسبب﴾ أى سبب التكبر الحقيقى ﴿العجب فقط﴾ أى العجب سبب التكبر
 والتكبر سبب التكبر، فسبب سبب الشئ وسبب لذلك الشئ وهو مذموم، قال تعالى : ﴿ويوم
 نحين اذا عجبتمكم كثيرا﴾ ذكر ذلك الاخبار فى معرض الانكار. ولا فى داود والقرمذى
 وحسنه. وابن ماجه « اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا و اعجاب بلى ذى رأى برأيه
 فعليك بنفسك » وللبزار والبيهقى فى الشعب من حديث أنس « لولم قد نبوا الخشيت عليك
 ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب » وعن مطرف « ان أبيت نائما، اصبحت نادما أحب
 الى من أبيت قائما وأصبح معجبا . وكان بشر بن منصور من بلدين اذا رأى ذكر الله
 فأطال الصلاة يوما ورجل جالس خلفه ينظر فطن له بشر، فلما انصرف من الصلاة

وَيُطْلَقُ مَجَازًا لُجُودَ آثَارِهِ عَلَى الْمُنْبَعَثِ مِنْ غَيْرِهِ كَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ
 وَيَخْتَصُّ هَذَا بِالْمَلَأِ، وَالْعِلَاجُ ذَكَرُ مَا وَرَدَ فِيهِ وَأَحْوَالُ السَّلَفِ وَمُواظِبَةُ
 أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ وَالتَّكَلُّفُ فِيهِ وَقَلْعُ الْعُجْبِ وَهُوَ اسْتِعْظَامُ النَّفْسِ وَخِصَالُهَا
 الَّتِي هِيَ النَّعْمُ

قال لا يعجبك ما رأيت منى فان ابليس قد عبد مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار
 اليه . وقيل لعائشة: متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: اذا ظن أنه محسن، وكانه مقتبس
 من قوته تعالى: (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفي الصحيحين « بينا رجل
 يتبختر في برديه قد أعجبهت نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة »
 (ويطلق) أى الكبر (مجازاً أى بطريق المجاز) لوجود آثاره أى آثار الكبر
 من أسرارهِ (على المنبعث من غيره) أى على الكبر المنبعث من غير العجب (كالحقد)
 فى الباطن (والحسد) أعم (والرياء) فى الظاهر (ويختص هذا) أى الأخير وهو الكبر
 المنبعث من غير العجب (بالملأ) دون الخلاء . والمعنى أن الرياء يختص بالملأ دون الحقد
 والحسد والعجب فان الذى يتكبر بها يهوى فى الخلاء والملأ *

والخالص أن آثار الكبر اذا ظهرت من الكبر تسمى تكبراً احقيقة . واذا ظهرت من غير
 الكبر كالحقد والحسد والرياء تسمى تكبراً مجازاً، ثم أعلم أن العجب انما هو بالاسباب التى
 بها يتكبر . وقده يعجب بالمال يتكبر به كعجبه بالرأى الخطأ الذى تزعم له جهله، وثمرته
 الاستبداد بالرأى وترتك المشورة واستجهال الناس المخالفين لرأيه *

(والعلاج) أى علاج الكبر خمسة أشياء (ذكر ما ورد فيه) أى فى ذم الكبر من الأخبار
 (وأحوال السلف الاخير وما) صدر عنهم من الآثار فى ترك الكبر واختيار التواضع
 (وهو اظابة أخلاق المتواضعين) من العلماء الأبرار والمشايخ الكبار (والتكلف فيه)
 أى فى رفع العجب بدفع العجب والتكلف فى تحصيل أخلاق المتواضعين بالتشبه فى
 أفعالهم والتقرب ما حوالهم والتصنع باعمالهم فان المجاز فنظرة الحقيقة والرياء فنظرة
 الاخلاص، ويشير اليه حديث « ان لم تتكوا فتبا كوا والعلم بالتعلم والحلم بلمتلم، (وقلع
 العجب) أى استغضاله من أصله وقطعه من مادة فرغ فصله من وصله ولا يحصل أصل
 قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه (وهو) أى العجب (استعظام النفس)
 أى عدها عظيمة برؤية قدرها فوق قدر غيرها (وخصالها التى هي النعم) فيها جسيمة ووسيمة

مع الركون اليها ونسيان الاضافة اليه تعالى والا من من الزوال فمن رأى
 النعمة منه تعالى وفرح بها من حيث انها منه وخاف على الزوال لا يكون مُعْجِبًا
 وهو غير الادلال فهو عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى، فورد في صلاة
 المدل لا ترفع فوق رأسه، ويعرف بالتعجب عن رد دعائه واستقامة حال
 مؤذيه وغير الكبير لكونه أثره واستدعائه المتكبر عليه وهو مذموم وآفاته
 الهلاك فهو عدم المهلكات

(مع الركون اليها) أى الى النفس وما صدر منها وظهر عليها (ونسيان الاضافة) أى نسبة
 النعم (اليه تعالى) وهو المنعم بجميع النعم على جميع الأمم (والامن من الزوال) لتوهم
 انه من أهل الكمال (فمن رأى النعمة منه تعالى) ابتداء (وفرح بها من حيث انها منه) أى من
 الله تعالى ويستوجب عليه حمدا وثناء (وخاف على الزوال) أى زوال تلك النعمة انتهاء
 (لا يكون معجبا) وان كان مستعظما لها (وهو) أى العجب (غير الادلال فهو) أى
 الادلال (عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى) على ملاحظة أن لها الكمال، فلا مدل
 الا وهو معجب ورب معجب لا يكون مدلا، اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة
 دون توقع جزاء، والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء (فورد ان صلاة المدل لا ترفع فوق
 رأسه) وهو كناية عن عدم قبولها، والحديث كذا فى الاحياء، وقيل نحو جهلم اجدله اصلا،
 وقال قتادة فى قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أى لا تدل بعملك قيل: ولان تضحك وانت
 معترف بذنبك خير من ان تبكى وانت مدل بعملك أو بعلمك (ويعرف) أى الادلال
 والمدل (بالتعجب) أى بعجبه (عن رد دعائه) حال استدعائه فى كشف بلائه أو استجاب
 عطائه بناء على ظن أنه من أهل ولائه (واستقامة حال مؤذيه) أى ويعرف أيضا بتعجبه
 عن استقامة أهل ابدائه (وغير الكبير) أى والعجب ليس عين العكبر بل غيره (لكونه)
 أى الكبير (أثره) أى العجب والأثر غير المؤثر (واستدعائه) أى ولا استدعائه الكبير
 (المتكبر عليه) بخلاف العجب فانه يتصور بغيره حيث لا يستدعى غير المعجب به
 (وهو) أى العجب (مذموم) لما تقدم (وآفاته) أى العجب ثمانية (الهلاك فهو)
 أى العجب (عد من المهلكات) فقد ورد (ثلاث مهلكات) شرح مطاع وهو يتبع

وَنَسِيَانُ الذُّنُوبِ وَأَسْتَحْقَارُهَا وَتَرْكُ التَّدَارُكِ وَتَفْقُدُ آفَاتِ الْعَمَلِ عَلَى زَعْمِ

أَنَّهُ مَغْفُورٌ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِهِ تَعَالَى وَالْإِسْتِنْكَافُ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالْإِتْعَازُ وَتَرْكُ

النَّفْسِ، وَوَرْدٌ (فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ) وَضِدُّهُ وَهُوَ ذِكْرُ تَوْفِيقِهِ تَعَالَى فَرَضَ أَنْ

جِدَتْ دَاعِيَةُ الْعُجْبِ فِي خَاطِرِهِ وَالْإِفْهَالُ، وَالسَّبَبُ خَبَثُ الطَّبَعِ وَهُوَ دَاءٌ

مَعْضَلٌ، وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَاعْتِقَادُ كَيْالِ النَّفْسِ

وَأَعْجَابُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ «البرار والبيهقي والطبراني في الأوسط عن ابن عمر» ونسيان

الذنوب» فإنه لو ذكرها لما أعجب مع وجود العيوب. وعن عيسى عليه السلام:

«كم من سراج قد أطفأه نسيان الذنوب، وكم من عمل قد أفسده العجب» (واستحقارها)

أي استئثار الذنوب وهو قد عد من كبارها» وترك التدارك» أي لما فاتته من الطاعات

والعبادات وحقوق الآدميين والحيوانات» وتفقد آفات العمل» أي وترك تفقدها

وتعهدا» على زعم أنه مغفور» أي بناء على توهم أنه غير مأخوذ بنقصها» ولما من

من مكره تعالى» ولو بالكرامات وخوارق العادات (فانه لا يأمن مكر الله الا القوم

الخاصون)» (والاستنكاف) أي العلو» (من التعلم) عن البرار وهذا من كمال جهله

(والإتعاظ) أي ومن الإتعاظ بغيره وقد ورد «كفي بالموت واعطاء السعيدين وعظ بغيره

والشقي من وعظ به غيره» (وتزكية النفس) أي ومن آفات العجب ثناؤها ومدحها

(وورد) في التنزيل (فلا تزكوا أنفسكم) تمامه (هو أعلم من اتقى) وقال تعالى: (ونفس

موتساوياً فلطمها نجورها وتقويها قد أفاح من زكيتها وقد خاب من دسها) وقال

عليه السلام اللهم أنت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكيتها أنت وليها ومولاهاء

قال ابن جرير: معنى قوله فلا تزكوا أنفسكم إذا عملت خيراً ولا تقل عملت. وقال زيد بن أسلم

لا تجروها طبع لا تعتقدوا أنها باردة وهو معنى العجب» وضده» مبتدأ أي ضد العجب

(وهو ذكر توفيقه تعالى) جملة معترضة مفسرة للمنة التي هي ضد العجب (فرض)

أي حتم لا يزم» (إن حدث داعية العجب في خاطره والافهال) في أمر باطنه وظاهره

(والسبب) أي سبب العجب» (خبث الطبع وهو) أي خبث الطبع (داء) معنوى

(معضل) أي مشكل لا يورث له» (والجهل بالحقائق واعتقاد كمال النفس) أي بمحائق

النفس ودقائقها وهو أنها من أي شيء خلقت ابتداءً وما تكون في عاقبة أمرها انتهاها، فانه

وَالْعَلَّاجُ قَلَعُ السَّبَبِ بِالنَّظَرِ فِي حَقَّارَةِ النَّفْسِ فَأَوْلَاهَا النُّظْفَةَ وَأَخْرَاهَا الْجَيْفَةَ وَأَنَّهُ

مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل فإنه لا يلبق به إلا التواضع والمسكنة ، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله وحده ، ثم معرفة ربه وعظمته ومجده ، فالقول فيه يطول وهو إلى علم المكاشفة يؤلفه ، وأما معرفة نفسه فيكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب ربه فقيه علم الأوائل والآخريين لمن فتح عين بصيرته ورفع حجاب قلبه فقد قال تعالى (قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) وفي الأحياء هنا كلام طويل فيه تنبيه جليل ﴿ والعلاج ﴾ للعجب ﴿ قلع العيب ﴾ له ﴿ بالنظر ﴾ أي بالتأمل ﴿ في حقارة النفس ﴾ وخساستها ﴿ فأولها النطفة ﴾ أي المذرة لما قال تعالى : (فلينظر الإنسان مخرج خاق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) ﴿ وأخرها الجيفة ﴾ أي القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة ، وعن الحسن : العجب لابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات ، وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريرته ، فجاءه يوماً ومصعب نادى رجله فلم يقبضهما وقد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه ، فقال عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقيل في قوله تعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) هو سبيل الغائط والبرل ، وفي قوله تعالى : (كأننا يأكلان الطعام) أيهما لا يعرفون أنهما لا يستحقان الرؤية مع ما ظهر فيهما من أثر العبودية ، ولابن ماجه والحاكم وصحاح أسناده من حديث بشر بن جاش « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق يوماً على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول الله : لمن آدم العجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وتيد - أي رزاة وثقالة - جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التواقي قلت اتصدق وانق . أو ان الصدقة منك » ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الأشخير رأى المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز فقال : يا أبا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفني . فقال بلى اعرفك أولك طفلة مذرة وأخرك حيفة قذرة وتحمل بين ذينك عذرة ، فمضى المهلب وترك مشيته . وقال مجاهد في قوله تعالى : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي يتبختر ثم قال عوف وعلاء : (يحسب الإنسان ان يترك سدى الميك نطفة من منى بمنى ثم كان علقة نخلق فسوى) ﴿ وأنه ﴾ أي وبال نظر

لَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَى امِيرِ الْبَلَدَةِ رُبَّمَا لَا يَأْذَنُ لَهُ وَأَحْوَالُهَا الْهَاجِمَةُ كَالْحَنِّ وَالشَّدَائِدِ

في انه (لو استأذن) للدخول (على امير البلدة ربما لا يأذن له) اي الحقايرته عنده ، فاي فائدة في عجزه بنفسه والامير من ارذل الخدام على باب الملك العلام ، وقد اذن الله سبحانه حتى يعبد له ويثنى عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعتيه مع معايبهما ووعد به من الثواب الجزيل على ادائهما في اقل مراتبهما (واحوالها) اي وبالنظر في احوال النفس (الهاجمة) اي الآتية بغتة بالور ودعليها والوجود لذيها (كالحن والشدايق) المتوجهة اليها من الفقر والمرض وسائر المصائب ، فربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ رزقه الله عقلا وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا واقدره ، فيقول مني من قوت يومي وانا الفاضل العاقل ، وافاض على غيري وهو الجاهل الغافل ، حتى يكاد يري هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام « ناد الفقر ان يكون كفرا » ولا يدري المغزور بعلمه المعذور في جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبا في ظاهر الحال ، اذ يقول الجاهل الفقير : يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهمالي او هلا رزقتني احدهما ، والى هذا اشار على كرم الله وجهه حيث قيل له : ما بال العقلاء فقراء . فقال : ان عقل الرجل محببوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما رأى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ، ولو قيل له : هل تؤثر جهله وغناه موضعك من عقلك وفقرك لا تمتنع من ذلك ، ومن هنا قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآيات . وقال عز و علا (كل حزب بما لديهم فرحون) وفي الحديث « اللهم قنعني بما رزقتني » والله در القائل .

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم والاعداء مال

فان المال يقنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

وقال عز وجل (كلا نجد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن احد من خلقه وقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيعلم من يصلح للفقر ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما . وقد رأى النبي ﷺ رجلا غنيا جلس جنبه فقير فانقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عليه السلام « أخشيت لن يعدو عليك فقره » رواه أحمد . وقال أبو ذر : « كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا اباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب حديد قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه خلقان

وَأَعْمَالُهَا فَاجْرَةٌ أَجِيرٌ يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ أَوْ يَجْرُسُ طُولَ اللَّيْلِ دَرَهْمَانٌ وَإِنَّمَا
يُعْطَى الْمَالَ الْخَسِيسَ بِالِاسْتِخْدَامِ عَلَى الدَّوَامِ وَالِإِلْقَاءِ فِي الْأَخْطَارِ، وَكَرَمَهُ تَعَالَى
بِالتَّوْفِيقِ وَوَعَدَهُ الثَّوَابَ الْمُخْلَدَ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِ مَعَ
جَلَالِهِ الَّذِي عَجَزَ الْعَالَمُونَ عَنْ ادْرَاكِهِ، وَبِمَعْرِفَةِ أَنَّ الْكَمَالَ الدُّنْيَوِيَّ وَهَمِيئِهِ
كَمَا سَبَقَ وَالِدِينِيَّ يَنَافِيهِ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا يَزِيدُ خَوْفًا مِنْهُ تَعَالَى

فقال يا اباذر هذا خير عند الله من قراب الارض مثل هذا رواه ابن حبان في صحيحه
﴿واعمالها﴾ اي وبالنظر في اعمال النفس اي من اعمالها واهمالها ﴿واجرة اجير
يعمل طول النهار او يجرس﴾ ذلك الاجير ﴿طول الليل درهمان﴾ اي بذلك الاجير او
لكل منهما، اذ يعلم به ان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله في موقع الرضا
والقبول والافاجره اجر الاجير المعمول، وبه يعرف نقصان كمالها فيضعف حينئذ
بعض دلالها ﴿وانما يعطى المال الخسيس بالاستخدام على الدوام﴾ في العمل النفيس
﴿والالقاء في الاخطار﴾ كالغوص في الماء وتعليق البناء من جانب الهواء في جو
السماء، وانت تصلى ركعتين في غهضة العين بقوة ما اعطاك الله من النعم الظاهرة
والباطنة، وتطمع ما وعدك من الدرجات الذخرة في الدار الآخرة فتعجب منهنما
وتستعظمهما وليس هذا شأن العاقل ﴿وكرمه تعالى﴾ اي وبالنظر الى كبرمه
ولطفه ﴿بالتوفيق﴾ اي بالاغانة على الطاعة والعبادة ﴿ووعده﴾ اي وبوعده سبحانه
﴿الثواب المخلد﴾ اي المؤبد مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
كما ورد في الخبر ﴿على ساعة من العمل المعيوب﴾ في حد ذاته المخلو بسلفه سيئاته
﴿والنظر﴾ اي وكرمه بنظره ﴿اليه﴾ واقباله عليه وهو حقير ذليل في مقداره ﴿مع
جلاله﴾ اي عظمة الله في جماله ﴿الذي عجز العالمون﴾ من الانبياء والاولياء ﴿عن
ادراكه﴾ اي ادراك كنهه كماله ﴿وبمعرفة﴾ عطف على بالنظر اي وبعلم ﴿لكن الكمال
الدنيوي﴾ من النسب والجمال والقوة والمسال وكثرة الانصار من الرجال
﴿وهي﴾ لزواله بالموت في ما له ﴿كما سبق﴾ في حجب الجاه ﴿والدني﴾ من
العلم النافع والعمل الصالح ﴿ينافيه﴾ اي العجب ﴿فالعلم النافع﴾ في الدنيا والاخرى
﴿ما يزيد خوفا منه تعالى﴾ كما قاله تعالى ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وورد

وَلَا عِبْرَةَ لغيرِهِ وَلَا عَمَلَ دُونَهُ فَهُوَ شَرْطُهُ هَذَا وَلَا يَصْلِحُ النَّسَبُ لِلتَّعْوِيلِ فَهُوَ تَعَزُّزٌ
بِالْغَيْرِ وَوَرَدَ (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ وَيَا صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
إِعْمَالًا لِأَنَّ نَفْسَكَ فَأَنْتِ لَا أَعْنِي عَنْكَ مَا شِئْنَا، حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ)

« انا اعلمكم بالله واخشاكم منه » ومن لم يزد من العلم زهدا لم يزد من الله الابدعا
(ولا عبرة لغيره) اي لغير العلم النافع فقد تعوز منه عليه السلام حيث قال « اسألك
علما نافعا » « واعوذ بك من دلم لا ينفع » واعلم ان العلم هو معرفة العبودية والربوبية،
واما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب والاعتق والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق
المجادلات، فإذ تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها أو تملأ بها كبر أو شقا قابل كفر أو نفاقا، وهذه
العلوم تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما (ولا عمل) موجود (دونه)
اي بدون العلم (فهو) اي العلم (شرطه) اي العمل صحة وكالا فلا يستقيم لغيره
في جميع عمره (هذا) الكلام مضى، او احفظ هذا (ولا يصحح النسب) اي المجرى
عن الحسب (للتعويل) اي الاعتماد عليه والاستناد اليه (فهو تعزز بالغير) اي
بغيره سبحانه، فروى « من تعزز بالعبيد اذله الله » ولانى داود والترمذى وحسنه
وابن حبان من حديث ابى هريرة « ليد عن قوم النخر باآبائهم وقد صاروا احمافى
جهنم أو ليكونن اهون على الله من الجعلان الذى تزوف بانافها القدر » وتفاخرت
قريش عند سلبان يوما فقال: لكنى خلقت من نطفة فذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم
ما آلى الى الميزان فان ثقل نانا كريم وأن خف فاننا لثيم، وروى ابن المبارك « عفى
ابى ذر قال قالوا لرجلا عند النبي ﷺ فقلت له: يا ابن السوداء فقال عليه السلام:
يا اباذر طف الصاع طف الصاع اعيرته بامه، ليس لابن بيضاء على ابن السوداء فضل »
قال ابو ذر: فاصطحبت وقلت للرجل: قم فطأ على خدى. والله در القائل:

مَنْ نَحَرْتُ بِأَبَاءِ ذُو شَرَفٍ * لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَسْ مَا وُلِدُوا

(وورد) فى التنزيل (فلا أنساب بينهم) تمامه (يومئذ ولا يتساءلون فمن
ثقلت موازينه) الآيات (يا فاطمة بنت محمد ويا صافية بنت عبدالمطلب اعملا لانفسكما
فانى لا اغنى) اي لا ادفع (عنكما شيئا) اي من العذاب (حين) اي خاطبهما
حين نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين (ففى الصحيحين من حديث ابى هريرة

وَلَا الْجَمَالَ فَلَا عَتَبَارٌ لِلْبَاطِنِ وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ بِالْأَقْدَارِ وَالرِّذَائِلِ، وَلَا الْمَالَ وَلَا الْقُوَّةَ
وَلَا الْإِتْبَاعَ فُورِدَ (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) الْآيَةَ (فَقَالَ
لصاحبه وهو يحاوره) الْآيَةَ

وفي مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتک الاقربین) ناداهم
بطعاً بعد بطن حتى قال يافاطمة الحديث وفيه «الان لكما رحماً سأبلها ببلها» وللطبراني
من حديث عمر ان بن حصين «يامعشر بنى هاشم يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة
موتاًون بالدنيا تحملونها على رقابكم» وقال «اترجو سليم شفاعة ولا يرجوها بنو عبد
المطلب» الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر ﴿ولا الجمال﴾ اي
ولا يصلح للتعبيل الجمال الظاهر المتغير في المال ﴿فلا اعتبار للباطن﴾ والقلب من
الكمال ﴿وهما مملوءان بالاقدار﴾ الحسية ﴿والرذائل﴾ المعنوية وخاليان عن الفضائل
العلمية والقواضل العملية، ولديلي والقضاعي عن علي مرفوعاً «آفة العلم النسيان وآفة
الجمال الخيلاء» ﴿ولا المال﴾ لانه سريع الزوال ﴿ولا القوة﴾ لانه لا حول ولا قوة
الا بالله، ثم لوسلبه الذباب شيئاً لم يستغذ منه، وان بقه لودخلت انفه او نملة دخلت
اذنه لقتلته، وان شوكة لودخلت رجله لا يجزته، وان حمى يوم تأخذ من قوة عديدة
مالاتنجبر في مدة مديدة. ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حيوان، فاي لبخار
بين ارباب العظام بما سبق به البهائم، وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا
قوة (اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة) وكما اتكل عوج على قوته
واعجب بها فاقطلع جبلاً ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تلك القطعة
من الجبل حتى صارت في عنقه كالخرزة، وقد ورد «ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
من يملك نفسه عند الغضب». والحاصل ان القوة المحودة هي التي تصرف في العبد
التي هي وسيلة للسعادة ﴿ولا الاتباع﴾ اي الاشباع المغمزين للاتباع ﴿فورِدَ﴾
في التنزيل ﴿حتى اذا فرحوا﴾ اي فرح بطر ﴿بما اوتوا﴾ اي من كثرة اطاق
وقوة الحال وغلبة الرجال ﴿اخذناهم بغتة﴾ فجأة ﴿الآية﴾ فاذا هم مبهورون اي
آيسون متحيرون (وقالوا نحو اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين) ﴿فقال لصاحبه
وهو يحاوره﴾ اي يخاطبه وينظره ﴿الآية﴾ اي (انا اكثر منك مالاً واعز فقراً)
حتى اجابه صاحبه بقوله (ان ترن اقل منك بالاً وولداً فسي زبي ان يؤتين

(يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه) الآية، ولا العمل فوراً (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (ولا العلم فالإطلاع على الذنوب الباطنة صعب، والخاتمة مع هذا مستورة)

خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) ومن ذلك تكبير قارون وتجبره كما أخبر سبحانه عنه بقوله: (نخرج على قومك في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما لوتى قارون) الآيات (يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه الآية) أي (وصاحبته وبنيه أكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) (ولا العمل) أي المجرد عن القبول (فوراً) في التنزيل (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) (وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدالهم سيئات ما عملوا) وبالجملة من جوزان يكون شقيا عند الله فإله سبيل أن يتكبر على من سواه، ويشير إليه قوله تعالى: (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجملة أنهم إلى ربهم راجعون) أي يؤتون الطاعات ويتخافون من عدم قبولها، فالكبر دليل الأمن والأمان مبعده، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد (ولا العلم) أي المجرد من العمل الظاهر والباطن (فالإطلاع على الذنوب الباطنة صعب) والخلاص عنها بعد الإطلاع عليها لا يمكن إلا إذا كان هناك كسب ووهب، ومن هنا ورد: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» وقد تقدم. وفي الصحيحين: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدر بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية» وقد مثل الله من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وقال في بلعام بن باعورا (واتل عليهم نبأ الذي أتيناها آياتنا) إلى قوله (فمثل كمثل الكلب) قال ابن عباس أوتي بلعام كتابا فاخذ إلى شبهات الأرض أي سكن حبه فيها فمثلها الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، أي سواه آتية الحكمة أولم أوتة فلا يدع شهوته، ومن هنا كان بعض الصحابة يقول يا ليتني لم تلدني أمي، وياخذ الآخر تبنه من الأرض ويقول: يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر: يا ليتني كنت طيرا كل ذلك تخوفا من خطر العاقبة كما أشار إليه المصنف بقوله (والخاتمة مع هذه مستورة) والروايات بأن المبدأ على الخاتمة مشهورة فينبغي للعالم أن يعلم أن التكبر لا يليق إلا بالله

والمعصية المستعقبة ندما خيرا من الطاعة المستعقبة عجباً لا ضمحلها مع حصول
التدامة وورد «ما منكم من أحد ينجيهِ عمله ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»

وحده وانه ذاتكبر صار ممقوتا عند الله بغضاً، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له ان
لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدراً، واذا نظر الى العاقبة تيسر له ان يتواضع للفسقة
والمبتدعة بل للكفرة، فكم من مسلم نظر الى عمر بن الخطاب قبل اسلامه فاستحقره للكفر وقد
رزقه الايمان وفاق أكثر أهل الايقان، فاذا حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى جاهل
قال انه قد عصى الله بجهل وأنا عصيت الله بعلم فهو أعذر مني، وان نظر الى عالم قال
قد علم ما لم أعلم، وان نظر الى كبير قال قد أطاع الله قبلي، وان نظر الى صغير قال:
قد عصيت الله قبله وان نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري لعله ينجم له بالاسلام
ويختم لي بما هو عليه الآن من سوء المقام فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداءها
الى وكل ذلك بان يعلم أن السكالم في سعادة الآخرة والقرب من الله في المرتبة الفاخرة
الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الامور الفانية (والمعصية المستعقبة ندما)
أى ندامة وحسرة (خير من الطاعة المستعقبة عجباً) أى غرور او غفلة (لا ضمحلها مع)
أى لذهاب المعصية (مع حصول التدامة) وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة وهو
أكبر من كل سيئة وفي الحكم معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خيراً من طاعة أورثت عزا
واستكباراً (وورد ما منكم من أحد ينجيهِ عمله) أى من غير قبوله بفضل (ولا أنا) أى
ولا ينجيني عملي أيضاً (الآن يتغمدني الله برحمته) متفق عليه من حديث أنى هريرة
هذا، وفي الاحياء: قد صلى حذيفة يقوم فلما سلم قال: لثمة من امانا غيرى أولتصان
وحدانا انى رأيت في نفسى انه ليس في القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم
من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما أعرف على بساط الأرض هالما
يستحق أن يسمى عالماً ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه
فلا ينبغي أن يفارق، بل يكون النظر اليه من العبادة فضلا عن الاستفادة من مقامه
واحواله، ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا اليه رجاء لان تشملنا برحمته ونسرى
الينا سيرته وسجيته، وهيئات فاني نسمع آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقيال واصحاب
الدول، وقد انقضوا في القرن الأول ومن يليهم من أهل العلم والعمل، بل يعز في
زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة ففلك

(الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الاخلاص مجريد النية عن الشوب فالأعلى
إرادة وجهه تعالى، ويعرف بالتفكر

أيضا إما معدوم أو عزيز ، ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله: «سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا» كما رواه الترمذى من حديث ابى هريرة. واحمد عن ابى ذر لكان جديرا بنا أن نقتحم والعباذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء اعمالنا، ومن لنا بالتمسك بعشر ما أطاوا عليه ، وليتنا تمسك بعشر عشره. ونسال الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ، وأن يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله *

(الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق)

اي الصدق في الاخلاص الذى هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة
(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى به يحصل المناس في الدنيا والخالص في طهقبي
(الاخلاص مجريد النية) وهى الارادة المتوسطة بين العلم والعمل ، ويطلق عليها
القصد (عن الشوب) اي خلطة الرياء والسمعة ، اي عن شائبة مخالطة النفس بها
ومن شوائبها ومعايبها ان تدعى ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها انها قد بلغت
رتبتهم ، او تعجب بكاملها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها . وله مراتب عند اهل
المناقب (فالأعلى) اي اعلى مراتب الاخلاص للمولى (ارادة وجهه تعالى) اي
يقعد رضاه في الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى :
(يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقال عز وعلا: (وما الا حد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) وقال (انما نطمعكم لوجه الله لانريد منكم
جزية ولا يشكورا) وقال (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا) نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه ، الحام من حديث طاوس
مرسلا « قال رجل انى اقف الموقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطنى فلم يرد
عليه حتى نزلت هذه الآية » وللزار من حديث معاذ « من صام رياء فقد اشرك »
وفيه انه عليه السلام تلاه هذه الآية . وعن رابعة : وحقق ما عبدتك خوفا من نارك
ولا ظمعا في جنتك الا ابتغاء وجهك (ويعرف) اي الاخلاص الاعلى (بالتفكر

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالْمُنَاجَاةِ ثُمَّ ارَادَةَ نَفْعِ الْآخِرَةِ فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ، وَوَرَدَ فِي حَقِيقَتِهِ «أَنْ تَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتُ» خَالِصِ الْأَعْمَالِ هُوَ الَّذِي تَعْمَلُهُ لِلَّهِ لَا تُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ) أَي فِي مَصْنُوعَاتِهِ (وَالْمُنَاجَاةِ) مَعَ رَبِّهِ فِي جَمِيعِ أَوَاقَاتِهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : فِي إِخْلَاصِ سَاعَةِ نِجَاةِ الْآبِدِ . وَلَكِنَّ الْإِخْلَاصَ عَزِيزٌ . قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (الْإِلَهُ الَّذِي خَالِصٌ) وَلِلدَّبَلِيِّ مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ «إِخْلَاصِ الْعَمَلِ يَجْزُكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ» وَابْنُ عَدِيٍّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى «مَا مِنْ عَبْدٍ يُخَالِصُ اللَّهَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ» وَكَانَ مَعْرُوفُ الْكِرْخِي يُضْرِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ إِخْلِصِي تَخَالِصِي . وَقَالَ يَعْقُوبُ الْمَكْنُفِيُّ : الْمَخْلِصُ مَنْ يَلْتَمِسُ حَسَنَاتِهِ كَمَا يَكْتَسِبُ سَيِّئَاتِهِ . وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : طَوْبُ مَنْ صَحَّتْ لَهُ خَطْوَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يَرِيدُ بِهَا إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (ثُمَّ ارَادَةَ نَفْعِ الْآخِرَةِ) سِوَاهُ ارَادَةِ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَدَرَجَاتِ الْإِبْرَارِ (فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ) أَي فِي الْجُمْلَةِ فَهُوَ حَظٌّ عَنْ مَرْتَبَةِ الْأَحْرَارِ (وَوَرَدَ فِي حَقِيقَتِهِ) أَي حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ أَوْ فِي تَحْقِيقِهِ فِي الْأَشْخَاصِ (أَنْ تَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتُ) أَي لَا تَعْبُدُ هَوَاكَ وَنَفْسَكَ وَلَا تَعْبُدُ إِلَّا رَبَّكَ وَتَسْتَقِيمُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَمَرْتُ بِاسْتِقَامَتِهِ ، فِي الْأَحْيَاءِ سَبَّلَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ عَنِ الْإِخْلَاصِ فَقَالَ : «أَنْ تَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتُ» قَالَ مَخْرُجُهُ : لَمْ أَرَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ . وَلِلرَّمْذِيِّ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدَّثَنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ ، قَالَ : قُلْ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِيمْ» وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِالْفِظِ «قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ : قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِيمْ» وَالْكَلُّ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (أَنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) الْآيَتِينَ وَمِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتُ) (خَالِصِ الْأَعْمَالِ) أَي وَوَزْدِ خَالِصِ الْأَعْمَالِ أَي الْعَمَلِ الْخَالِصِ (هُوَ الَّذِي تَعْمَلُهُ لِلَّهِ لَا تُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُ أَصْلًا فِي الْمَرْفُوعِ ، نَعَمْ وَرَدَ عَنْ عَيْمِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : مَا الْخَالِصُ مِنَ الْأَعْمَالِ ؟ قَالَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ لَا يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . وَهَذَا الْمَعْنَى فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ قَدْ تَقَدَّمَ ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ

وَفِي فَضْلِهِ (وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ) الْإِخْلَاصُ سَرَى اسْتَوْدَعْتَهُ قَلْبَ مَنْ
أَحْبَبْتَ مِنْ عِبَادِي وَأَصْلُهُ النِّيَّةُ وَهِيَ الْإِرَادَةُ الْبَاعِثَةُ لِلْأَعْمَالِ الْمُنْبَعِثَةِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ
كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِتَحْقِيقِهِ وَدَفْعِهِ الْجُوعَ الْبَاعِثَةَ لِامْتِدَادِ الْيَدِ إِلَيْهِ

في تعريف الاخلاص ، وتكون معترضة . وقد قال بعضهم : كنت تصدقت بصدقة
بين الناس فاعجبني نظروهم الى فوجدته لا على ولا لى ، قال سفيان لما سمع هذا ما احسن
حاله لديه . ان لم يكن عليه نقد احسن اليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص تمييز العمل
من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم . وقال سهل : الاخلاص ان يكون سكون
للعبد وخر كتبت لله خاعة . قال السوسى : الاخلاص فقد رؤية الاخلاص ، لان من
يشاهد في هخلاصه الخلاص فقد احتاج في اخلاصه الى خلاص . والى المقامين يشير
قوله تعالى : (الاعبادك منهم المخلصين) بكسر اللام وفتحها . وقال رويم : الاخلاص
فى العمل هو أن لا يزيد صاحبه عليه عرضا فى الدارين . وقيل لسهل : اى شىء اشد
على النفس ؟ فقال : الاخلاص ، اذ ليس لها فيه نصيب . وقال ابو عثمان : الاخلاص
نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق . وقيل : الاخلاص ما استتر عن الخلائق
وصنى عن العلائق . وقال الجنيد : الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال :
وقال الفضيل : ترك العمل لاجل الناس رياء ، والعمل لاجل الناس شرك ، و الاخلاص
ان يعافيك الله عفو ما . وهذا افضل ما قيل فى هذا الباب ﴿ وفى فضله ﴾ اى وورد
فى فضل الاخلاص فى التنزيل ﴿ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين ﴾ اى له الدين ،
فتقييد العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص ﴿ الاخلاص ﴾ اى وورد فى الحديث
القدسى والكلام الانسى : الاخلاص ﴿ سرى استودعته قلب من احببت من عبادى ﴾ .
رواه القشيري فى رسالته من حديث على كرم الله وجهه ﴿ واصله ﴾ اى اصل الاخلاص
﴿ النية ﴾ اى تصحيحها وتحسينها ﴿ وهى ﴾ اى النية ﴿ الارادة الباعثة ﴾ اى الداعية
﴿ للاعمال المنبثثة ﴾ اى تلك النية ﴿ عن المعرفة ﴾ بالاحوال فعنى الارادة انبعثت
القلب الى معياره موافقا لغرضه المعروف بعوضه امانى الحال و امانى المال ﴿ كشهوة
الطعام الحاصلة من المعرفة بتحقيقه ﴾ اى الطعام ﴿ ودفعه ﴾ اى وعن المعرفة بدفع
الطعام ﴿ الجوع الباعثة ﴾ بالجر صفة بعد صفة للشهوة اى الداعية ﴿ لا امتداد اليد اليه ﴾

فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْاِخْتِيَارِ فَمَنْ وَطِئَ لَغْلِبَةَ الشَّهْوَةِ اَنِي يَنْفَعُهُ قَوْلُهُ الْحَسِي
 اَوْ النَّفْسِي نُوِيَتْ بِهِ اِقَامَةُ السَّنَةِ وَتَكْثِيرُ الْاِمَةِ، وَهِيَ اِحْدُ جُزْئِي الْعِبَادَةِ

فان امتداد اليد الى الطعام انما يكون بعد المعرفة بتحقق الطعام وبلوغه دافع للجوع
 عن الانام لان الارادة اثر والاثر لا يدخل تحت الاختيار (فلا تدخل) اى النية
 (تحت الاختيار) بل الداخل تحت الاختيار انما هو المؤثر . وتوضيحه ان كل
 عمل اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور : علم، و ارادة، و قدرة . لانه لا يريد الانسان
 ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ، ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من الارادة بعد خلق الانسان بحيث
 يوافق بعض الامور ويلاتم غرضه ، ويخالفه بعض الاورور وينا فيه فاحتاج الى جانب
 الملائم الموافق لقلبه الهائم (فن وطئ) المرأة (لغلبة الشهوة) عليه في تلك
 الحالة (انى ينفعه قوله الحسى) اى اللسانى (او النفسى) اى الجنانى (نويت
 به) اى بالوطئ (اقامة السنة وتكثير الامة) ومن هنا ورد « الشرك اخفى في
 قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء ، فى الظلمة الظلماء ، على الصخرة الصماء » رواه
 احمد وغيره . ولهذا امتنع جماعة من الساف من جملة الطاعات اذ لم يحضروهم تصحيح
 النيات لعلمهم بان النية روح العمل ، وان للعمل بغير نية صادقة رياء ومكلف ، وهو
 سبب مقت لا باعث قرب ، حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى ،
 وقال : ليس تحضرنى نية . ومات حماد بن ابى سايمان وكان من كبار علماء الكوفة وشيخ
 ابى حنيفة ، فقيل للثورى : الا تشهد جنازته ؟ فقال : لو كان لى نية لفعمت ، وكانوا اذا
 سئلوا عملا من اعمال البر قالوا : ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك . ورحمى ان داود
 ابن المحبر لما صنف كتاب المعتقد جاره احمد بن حنبل فطله منه فنظر فيه احمد صفحا
 فرده ، فقال له : مالك ؟ قال فيه اسانيد ضعاف ، فقال داود : انالم اخرجه على الاسانيد
 فانظر فيه بعين الخبر ، انما نظرت فيه بعين العمل فانتمعت . قال احمد فردم على حتى
 انظر فيه بالعين التى نظرت بها اليه ؛ فاخذه ومكث هنده طويلا ثم قال : جزاك الله خيرا
 قد انتفعت به . وقال بعضهم : انافى طالب نية ليعده رجل منذ شهر فما صحت لى بعد . وقال
 عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت ، فقال له ابنه
 الاتعرض عليه العشاء ؟ فقال : ليمر من نيتى (وهى) اى النية (احمد جزئى العبادة) اى

فَهِى تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تَوَقُّفَهَا عَلَى الْعَمَلِ، وَوَرَدَ «أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ
أَمْرٍ مَانَوَى» وَخَيْرُهُمَا لَوْ زُودَ «نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ»

ركنيتها وهما النية والعمل (فهى) أى العبادة (تتوقف عليها) أى على النية (توقفها) أى مثل توقف النية (على العمل) لأن العبادة بدون النية لا تسمى عبادة فالنية خيرها ، ويتوقف العمل عليها دون العكس (وورد) أى فى الصحيحين من الروايات (إنما الأعمال بالنيات) أى معتبر بها فى جميع الحالات (ولكل امرئ مانوى) أى من الخير والشر فى المباحات وتماه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصديها أو امرأة يترز وجهها فحجرته الى ما هاجر اليه (وخيرهما) أى والنية أفضل جزئى العبادة (لورود نية المؤمن خير من عمله) رواه البيهقى فى الشعب عن أنس به مرفوعا. وذلك لان النية عمل السر ولا رياء فيها ، والعمل يخالطه الرياء ولأنها تمتد الى ما لا نهاية له والعمل محصور فى محسوله ، ولأنها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب ، بخلاف أعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبت النية (حديث من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، متفق عليه ولأنها تبقى، بخلاف العمل ولذا قيل : الخلود فى الجنان والثمار جزاء النية ، ولأن مكانها مكان المعرفة أعني قاع المؤمن ، قال سهل بن عبد الله التستري قدس الله سره العلى : ما خلق الله تعالى مكانا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما أعطى كرامة للخلاق أعز عنده من معرفته ، فجعل الأعرز فى الأعرز فما نشأ من أعرز الامانة يكون أعرز ما نشأ من غيره ، قال سهل : فتعس عبد اشغل المكان الذى هو أعرز الامانة عنده تعالى بغير معرفته سبحانه ، وفى خبر « انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم وما وسعنى اوضى ولا سماءى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن » اشعار بذلك . وقيل : نية المؤمن خير من عمله ، وهمل المنافق خير من نيته . وقيل : نية المؤمن خير من عمله بغير نية ، ثم قيل للقلب عملا فى : النية والندامة ، فالنية تجعل المعبود موجودا ، والندم يجعل العصىان الموجود معدوما . وما ورد فى نفع النية بدون فى النية بدون العمل حديث انس « ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولاوطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابنا مخرصة الاشركونا فى ذلك وهم بالمدينة ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله

وَتَوَقَّفَ نَفْعَ الْعَمَلِ عَلَيْهَا دُونَ الْعَكْسِ فَوَرَدَ فِي الْمَقَاتِلَيْنِ أَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ فِي النَّارِ
 وَبَيَّنَّ عِلَّةَ الْمَقْتُولِ أَنَّهُ قَصِدَ الرِّيَاءِ وَفِيْمَنْ تَمَنَّى أَنْ لَوْ أَصَابَ مَا لَا يَنْفِقُ فِي الْمَعْصِيَةِ
 أَنَّهُ شَرِيكُ الْمُنْفِقِ فِيهَا فِي الْوِزْرِ وَكَوْنِ الشَّرَابِ لِعِلَاجِ الْمَعْدَةِ أَنْفِجَ مِنْ
 الطَّلَاءِ عَلَى الصَّدْرِ

وليسوا معنا . قال : حسبهم العذر فشركونا بحسن النية « البخاري مختصرا و ابو داود
 ﴿ وتوقف ﴾ اي ويتوقف ﴿ نفع العمل ﴾ اي تأثيره طاعة او معصية ﴿ عليها ﴾ اي النية ﴿ دون العكس ﴾ اذ لا يتوقف نفع النية على وجود كل عمل ﴿ فورد في
 المقاتلين ﴾ اي في حقهما ﴿ ان القاتل والمقتول في النار ، وبين ﴾ اي النبي عليه السلام
 ﴿ علة المقتول ﴾ اي في دخوله النار ﴿ انه قصد الرياء ﴾ كذا في النسخ ، والظاهر
 انه قصد قتل اخيه لادفعه عن نفسه ، او اراد بالقاتل الكافر والمقتول المسلم المرأى ،
 ويؤيد ما اخترناه حديث الاحنف عن ابي بكرة « اذا التقى المسلمان يسيفهما فالقاتل
 والمقتول في النار ، قلوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل
 صاحبه ، متفق عليه ، ولابن ابي الدنيا من حديث عمر « انما يبعث المقتولون على النيات ،
 ولمسلم من حديث جابر « يبعث الله كل عبد على ما مات عليه » ويؤيده ما في الاصل حديث
 « اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتييل بين الصفيين الله اعلم بذيته » احمد من
 حديث ابن مسعود ﴿ وفيمن ﴾ اي وورد فيمن ﴿ تمنى ان لو اصاب ما لا ينفق في
 المعصية ﴾ اي مقدرة ﴿ انه شريك المنفق فيها ﴾ اي في المعصية حقيقة ﴿ وفي الوزر ﴾
 اي ففهما في الوزر سواء ، ومفهومة ان لو اصاب ما لا ينفق في الطاعة انه شريك المنفق
 فيها ، ففهما في الاجر سواء ، فقد ورد « الناس اربعة : رجل آتاه الله علما وما لا افرو
 يعمل بعلمه فيقول لو آتاني الله ما آتاه لعملت كما يعمل ففهما في الاجر سوله ،
 ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بحمله في ماله فيقول رجل لو آتاني
 الله مثل ما آتاه لعملت كما يفعل ففهما في الوزر سواء » ابن ماجه . والترمذي ﴿ ويكون
 الشراب ﴾ اي ولكون شرب المعجون ﴿ لعلاج المعدة انفج من الطلاء على الصدر ﴾
 لسرعة تأثير الاول وبطء الثاني في العمل . ووجه كونه علة لمساواة الشراب الداخل
 في المعدة بالنية الداخلة في القلب من حيث انها من الامور الباطنة ، ومساواة الطلاء
 الظاهر على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انها من الامور الظاهرة .

بَلْ هِيَ الْأَصْلُ لِكَوْنِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْعَمَلِ تَأْتِرُ الْقَلْبَ بِالْمِيلِ إِلَيْهِ تَعَالَى عَنْ
 الْغَيْرِ فُورِدَ . (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمَؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) وَوَقَعَ
 الْإِجْمَاعُ عَلَى إِثْمِ الْجَمَاعِ أَمْرَاتُهُ عَلَى قَصْدِ أَنَّهَا غَيْرُهَا بِخِلَافِ الْجَمَاعِ غَيْرُهَا عَلَى
 قَصْدِ أَنَّهَا هِيَ وَإِثْمُ الْمَصْلِيِّ الْمُتَوَضَّئِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ مَحْدُوثٌ بِخِلَافِ الْمُحْدَثِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ
 مُتَوَضَّئٌ وَهِيَ أَمَّا وَاحِدٌ وَهُوَ الْخَالِصُ كَالْقِيَامِ لِلْأَكْرَامِ وَأَمَّا مُتَعَدِّدٌ كَالْتَصَدَّقِ
 لِلْفَقِيرِ وَالْقَرَابَةِ فَمَا لَا يَسْتَقِلُّ كُلُّ شَيْءٍ وَيَعْرِفُ بِالْإِمْتِنَاعِ عِنْدَ انْفِرَادِ أَحَدٍ مِنَ
 الْمَقَاصِدِ أَوْ يَسْتَقِلُّ مَتَسَاوِيًا

(بل) هو اضراب عن قوله وخيرهما (هي) اي النية (الاصل) وما سواها الفرع
 (لكون المقصود من العمل تاتر القلب بالميل اليه تعالى عن الغير) اي عما سوى
 الرب وذلك التاتر بالميل الى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهي الاصل
 (فورد) في التنزيل (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمَؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)
 وهي لعمري تكون في القلب كما قال عليه السلام « والتقوى ههنا و اشار الى صدره » وفي
 الخبر ايضا « ان الله لا ينظر الى صوركم و اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم و نيابكم » (ووقع
 الاجماع على اثم الجماع امراته على قصد انها غيرها) اي غير امراته (بخلاف الجماع
 غيرها) اي غير امراته (على قصد انها هي) اي امراته ، ولا حدم من حديث صهيب
 « من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداؤه فهو زان » (واثم المصلي) اي
 والاجماع على اثم المصلي (المتوضئ على ظن انه محدث بخلاف المحدث) اي المصلي
 (على ظن انه متوضئ . وهي) اي النية التي معناها القصد (اما واحد وهو الخالص)
 عن المشاركة (كالقيام للاكرام) اي اكرام المسلم حال السلام من غير نظر الى سائر
 اوصافه (واما متعدد كالتصدق للفقير والقربة) ونحوهما من استحقات
 الصدقة (فاما) اي ثم المتعدد اما (لا يستقل كل شيء) اي من المقصود بنفسه
 عند انفراده في باعث العطاء (ويعرف) عدم الاستقلال المذكور (بالامتناع) اي
 بامتناع العمية والقصد (عند انفراد احد من المقاصد) اي عن الآخر فلا يعطى
 الغنى القريب بمجرد قرابته ولا للفقير الاجنبي بمجرد فقره ، وعند الاجتماع لا يمتنع
 عن العمل فيعطى الفقير القريب (او يستقل) كل من المقصود (متساويا) بان

أَوْ مُتَّفَاوَتًا كَقُوَّةِ فَرَحَةِ الْمُصَلِّي عِنْدَ حُضُورِ النَّاسِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْجُ الثَّوَابَ
لَمَا صَلَّى، وَيَتَعَدَّدُ الْجِزَاءُ بِتَعَدُّدِهَا خَيْرًا كَانَ كَالدُّخُولِ فِي الْمَسْجِدِ لِلزِّيَارَةِ
وَأَنْتَظَارِ الصَّلَاةِ وَالْإِعْتِكَافِ وَالْإِنْزِوَاءِ وَالتَّجَرُّدِ لِلذِّكْرِ وَتَرْكِ الذُّنُوبِ، أَوْ شَرَاءَ
كَالْقُعُودِ لِلتَّحَدُّثِ بِالْبَاطِلِ وَمُلَاحَظَةِ النِّسَاءِ وَالْمُنَاطَرَةِ لِلْمَبَاهَاةِ وَالْمُرَاةِ

يكون كل واحد داعيا الى القصد (او متفاوتا) في مراتب القصد او مناقب الاستقلال
فيكون بعضها مستقلا وبعضها لا يكون مستقلا (كقوة فرحة المصلي عند حضور للناس)
اي بمجرد باعث الرياء وهو الفرحة في قول المصنف (مع انه لو لم يرج الثواب لما
صلى) وتوضيحه ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات، فاتفق ان
حضر في وقتها جماعة من الناس، فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من
نفسه انه لو كان منفردا لم يفتر عن الصلاة، وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد
الرياء بعمله فهو شوب تطرق الى النية وتشوش في تحسين الطوية (ويتعدد الجزاء)
اي الثواب (بتعددتها) اي بمقدار تعدد النية (خيرا كان) المتعدد في النية (كالدخول
في المسجد) اي مسجد كان (للزيارة) اي لزيارة بيت الله او اخ الله فيه، فعنه
عليه السلام «من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام اثره»
ابن حبان من حديث سلمان، وفي الصحيحين من حديث ابى هريرة «مف غدا الى
المسجد اوراح اعد الله له الجنة نزلا كلما اوراح» (وانتظار الصلاة) اي
لادائها بالجماعة في وقتها وقد عد من الرباط في قوله تعالى (ورابطوا) وفي الخبر
«انتظار الصلاة صلاة» (والاعتكاف) وهو من جملة العبادات الفاضلة فتارة
مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كاملة، وان كان بمكة فزيادة الطواف، وان كان
بالمدينة فزيادة الزيارة المندوبة بلا خلاف (والانزواء) لى الاعتزال عن الاهتغال
بالسوى (والتجرد للذكر) من التهليل والتمجيد والتحميد والتناء (وترك الذنوب)
ولو كان من باب الحياء فان من العصمة ان لا تقدر على الجفاء (اوشرا) اي او كان المتعدد
شرا (كالقعود فيه) اي في المسجد (للتحدث بالباطل) فان كلام الدين في المسجد
يبطل الحسنات في العقبى (وملاحظة النساء) اي ومخالطة المردان يعنى ولا اشتهاه
(والمناظرة للمباهاة) اي المفاخرة (والمراة) اي المجادلة للسمعة والزيار وكذا
قصد التنزه في الليلة القمراء، وسماع ما فيه من الذكر والشعر المما به مجلس السمر له

ويجعل خيرها المباح عبادة كالتطيب يوم الجمعة لإقامة السنة وتعظيم المسجد
 واليوم ودفع الأذى بالنتن والأسرار بالعرف وسد باب الغيبة وربما تفضله من
 محضها فالترفة بنومة أو دعابة مباحة لرد نشاط الصلاة أفضل منها في الملل
 وشرها معصية كالتطيب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للرياء

﴿ ويجعل خيرها ﴾ أى خير النية ﴿ المباح عبادة كالتطيب ﴾ الذى فى أصله مباح بوقوعه
 ﴿ يوم الجمعة لإقامة السنة وتعظيم المسجد ﴾ فقد قال تعالى : (وطهر بيتى) قيل فى معناه
 بخره ﴿ واليوم ﴾ أى وتعظيمه فإنه أفضل أيام الأسبوع بخلاف ، وقيل أفضل الأيام
 مطلقا ، وهو عيد المؤمنين وحب المساكين ﴿ ودفع الأذى بالنتن ﴾ أى الريح الخبيثة عن
 نفسه وغيره لاسيما الملائكة الحاضرون فى وقته ﴿ والأسرار بالعرف ﴾ بفتح العين ،
 أى وبتفريح من يجنبه بالريح الطيبة ﴿ وسد باب الغيبة ﴾ بالريح الكريمة ﴿ وربما
 تفضله ﴾ أى النية المباح ﴿ من محضها ﴾ أى فيصير المباح بالنية أفضل من العبادة
 المحضبة ﴿ فالترفة ﴾ أى التمتع والإسراء ﴿ بنومة ﴾ قايلة نحو قياولة ﴿ أو دعابة ﴾ أى
 من الخ موطابة ﴿ مباحة لرد نشاط العبادة أفضل منها ﴾ أى من الصلاة ﴿ فى الملل ﴾
 أى فى حال الكسالة ، فعن أبى الدرداء « انى لا تستجم نفسى باللغو لىكون ذلك عوننا على
 الحق » ويؤيده قول أبى مدين ، لا تنكر الباطل فى طوره ، فإنه بعض ظهوراته ، وقد قال
 على رضى الله عنه « روحوا القلوب ساعة فساعة فإنها اذا اكرهت عميت . ومن هنا
 حرم الصوم فى بعض الأوقات ، وكذا الصلوات فى الأزمنة المكروهات ﴾ ﴿ وشرها ﴾
 أى تجعل شر النية المباح ﴿ معصية كالتطيب ﴾ المباح فى أصله ﴿ للتفاخر باظهار الثروة ﴾
 أى الغنى والمنعمة على وجه الكثرة فإنه يصير به معصية ، وفى الخبر « من تطيب لله جاء
 يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن
 من الخيفة » أبو الوليد الصغار مرسلات ﴿ والتزين ﴾ أى وكالتزين المباح فى أصله
 ﴿ للرياء ﴾ فإنه معصية لما انه للعبادة طمعة لقوله تعالى : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل
 مسجد) وللطبرانى بإسناد جيد من حديث ابن مسعود « من هاجر بينغى شيئا فهو له هاجر
 رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجرام قيس » وللسائى من حديث عبادة بن
 الصامت « من غزا وهو لا ينوى الاعتقاله فله مانوى » ولابى داود بإسناد جيد من

وَلَا تُؤْتِرُ فِي الْحَرَامِ فَلَا يَبَاحُ شُرْبُ الْخَمْرِ لِمَوَافَقَةِ الْإِخْوَانِ

حديث يعلى ابن أمية انه استأجر أجير اللغو وسمى له ثلاثة دنانير فقال عليه السلام: « وما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة الا دنانيرة التي سمي » وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية . ورب عمل كبير تصغره النية ، وقال داود الطائي : من كان اكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوم الی نية صالحة ، وكذا الجاهل بعكس ذلك . وقال أبو هريرة « مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل » وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ (ولبلو نكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وبلواخباركم) يبكي ويرددها ، ويقول : انك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا (ولا تؤثر) بأی النية (في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان) ولا لموافقة حكام الزمان ، فقد ورد « لاطاعة مخلوق في معصية الخالق » وكالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره ، أو يطعم فقيرا من مال ظلم به ، أو يبني سجدا أو مدرسة أو باطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ، ومن هنا قال سهل : ما عصى الله بمعصية اعظم من الجهل ، قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل ؟ قال نعم ، الجهل بالجهل ، ويسمى هذا الجهل المركب . وكذا أفضل ما طبع الله به العلم ، ورأس العلم العلم بالعلم ، فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب عليه الناس من العلوم المزخرفة التي هي من وسائلهم الى الدنيا ، وذلك هو مادة الجهل وينبع فساد العلم ، والمقصود ان من قصد الخير بمعصيته عن جهل فهو غير معذور قال تعالى : (فاستلو اهل الذر ان كنتم لاتعلمون) وقال عليه السلام « لا يعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه » كإرواه الطبراني في الاوسط من حديث جابر . ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهوته والحصول في مقام رياسته ، فلم يزل علماء السلف يتفقون أحوال من يتوعد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه ، واذا رأوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لهم ان من يعلم مسألة ولم يعمل بها فليس يطاب الا لآلة الشر ، وقد تعدو جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة ، وما تعدوا من الفاجر الجاهل . وقد هجر أحمد بعض أصحابه الملائم لهم حسين بن طين حائط داره لما أخذه من الطريق قد رسمك الطين *
والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه أحدا الا من ذق في نظره وسعد بمعصمة الله وقدره

وَكَلِّهِ الصَّدَقُ فُورِدَ (وَأَذَكَرَ فِي السِّكِّتَابِ اِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا). «ان الرجل

ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا» وَأَذَنِي رُتِبَهُ فِي الْقَوْلِ فِي

كُلِّ حَالٍ

وحفظ من خطره ، و الا فالعبود لازم للمشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في سكون أو حركة حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما ما هو صورة العبادة ، ولذا قال تعالى : (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) وقال عزو علا حكاية عنه انه قال (فيما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا آئنيهم من بين أيديهم ومن خلفهم) أي من أمور الدنيا والآخرة (وعن أيماهم وعن شمائلهم) أي من طريق الحسنات والسيئات (ولا تجدوا كثيرهم شاكرين) ولذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة الف سنة من جاهل ، وفي الخبر « لهقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد » ﴿ و كَلِّهِ ﴾ أي حال الاخلاص وجماله ﴿ الصدق ﴾ في نيته وقوله وعمله ، فمن جمع له هذا يكون صديقا مبالغة الصادق ، و الا فهو صادق اضافي عند ذوي الحقائق والدقائق ، ويدل عليه حديث « ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا » متفق عليه ﴿ فُورِدَ ﴾ في التنزيل ﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا ﴾ أي قبل النبوة ﴿ نَبِيًّا ﴾ أي مخبرا عن الله حال الرسالة . ثم الصدق لا ينافي المعارض الصادرة عند المعبر عنها بثلاث كذبات لصورتها لان العبرة بمعانيها لا بمبانيها ، وكان رسول الله ﷺ إذا توجه في سفر ورى بغيره كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك ، وذلك كيلا ينتهي الخبر إلى عدوه . وقد ورد في الصحيحين أيضا من حديث أم كلثوم « ليس بكاذب من اصاح بين اثنين وقال خيرا او تمنى خيرا » وخصص في اللطاق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع : من اصالح بين اثنين ، ومن كان له زوجتان ، ومن كان في مصالح الحرب . فالصدق ههنا يتحول من القول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق الطوية . فهما صدقت نيته وتجردت للخبر ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه توفيقا ﴿ لمن الرجل ﴾ أي وورد في الحديث ﴿ ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واذن رتبته ﴾ أي أقل مراتب الصدق ﴿ في القول ﴾ مع الخبر ﴿ في كل حال ﴾ من الامن والخوف والنفع والضرر والغضب والرضاء

وَالْكَامِلُ بِتَرْكِ الْمَعَارِضِ حَذْرًا عَنْ تَفْهِيمِ غَيْرِ الْحَقِّ وَنَسْبِ الْقَلْبِ صُورَةَ كَاذِبَةٍ
 وَرِعَايَتِهِ مَعَهُ تَعَالَى فَمَنْ قَالَ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ سِوَاهُ فَمَا يَأْكُ نَعْبُدُ
 وَهُوَ يَعْبُدُ الدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ

﴿وَالْكَامِلُ﴾ أى وبالصدق فى القول ﴿بترك المعارض حذرا عن تفهيم غير الحق
 وكسب القلب صورة كاذبة﴾ الا ان الضرورات تبيح المحظورات ، وقد ورد « ان فى
 المعارض لمنذوحة عن الكذب » وقد حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو
 فى داره ، فقال لزوجته خطى باصبعك دائرة وضعى الاصبع فى الدائرة وقولى ليس
 هو هنا ﴿ورعايته﴾ أى ومراعاة العبد الصدق ﴿معه﴾ أى مع املق ﴿تعالى فن قال
 وجهت وجهى لله﴾ أى للذى فطر السموات والارض حنيفا ﴿وكان فى قلبه سواه وإياك
 نعبد﴾ أى نخصك بالعبادة ﴿وهو يعبد الدنيا فهو كاذب﴾ فى دعواه اختصاص عبادة
 مولاه ، فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب فى
 دعواه . وعن مالك بن دينار لولا ان هذه الآية أى (إياك نعبد وإياك نستعين)
 امر من الله لما قرأتها لدم صدقى فيها . وروى : ان العبد اذا قرأ هذه الآية يقول الله
 تعالى له كذبت لو كنت اياى تعبد لم تطع غيرى ولم تلتفت الى سواى ، ولو كنت فى
 تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل من ملك . ولم تركز الى مالك وكسبك . وكقوله : انا
 عبد الله ان لم يتعصف بحقيقة العبودية وكان له مطالب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ، ولو
 طوالب يوم القيامة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه ، لانه لمن كان عبدا لنفسه
 أو عبدا للدنيا أو عبدا لشهوته لم يكن صادقا فى قوله ، وكل ما تقيد العبد به فهو عبده كما
 قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا . وقال نبينا ﷺ « تعس عبد الدينار تعس
 عبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخارى وإنما العبد الحق لله من اعتق أو لا نفسه عن
 عن غير الله نصار حراما ملقا . فاذا تقدمت هذه الحرية صار القاب فارغاً خلقت فيه العبودية
 لله فيشغله بالله وبمحبتة وتقيد ظاهره وباطنه لطاعته وعبادته فلا يكون له مواد الا لله تعالى ثم
 يجاوز هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق أيضا عن ارادة الله من
 حيث هو هو ، بل يقنع بما يريد الله من تقرب أو تباعد كما قيل :
 أريدو صالحه ويريد هجرى * فإترك . أريد لما يريد
 وهذا عبد عتق عن غير الله نصار حراما ثم عاه وعتق عن نفسه وصار حراما عن نفسه

ثم في النية بتمحيضها لله تعالى فالشوب يفوته يقال هذا صادق الخلاوة أي
 محضها، ثم في العزم وهو جزم قوي على الخير كالتصدق والعدل ان نال مالا
 أو ولاية ثم في الوفاء فالنفس قد تسمح بالعزم وتتوانى بالوفاء، وورد (رجال
 صدقوا ما عاهدوا الله عليه)

وصار مفقودا عن نفسه موجودا لسيده ، ومولاه ان حر كتحرك وان سكنه سكن ، وان
 ابتلاه رضى ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس واغراض واعراض ، بل هو بين يدي الله
 كالميت بين يدي الغاسلي ، وهذا منتهى الصدق في العبودية وفق ما تقتضيه الربوبية ، وهذا
 عزيز الوجود في متن دائرة الشهود فقد قيل :

اتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاى طلعة حر

(ثم في النية) أي ثم اعلى من الصدق في القول الصدق في النية (بتمحيضها) أي
 تخليصها (لله تعالى فالشوب) أي الخلط بغيره في النية (يفوته) أي هذا المقام من
 الاخلاص أو الصدق (يقال هذا صادق الخلاوة أي محضا) يعني خالصها (ثم في
 العزم) أي ثم الصدق في العزم اعلى مما ذكر (وهو جزم قوي على الخير) أي فعله
 وجزم على ترك الشر (كالتصدق والعدل ان نال مالا أو ولاية) وتوضيحه ان
 الانسان قد يعزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله ما لا تصدقت بجميعة أو
 بشرطه ، وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم ادع الله بظلم وميل عن الحق الى
 الخلق ، وهو قد يكون صادقا في عزمه وقد يكون كاذبا في عزمه ، ومن الأول قول عمر
 رضى الله عنه : لان اقدم فيضرب عنقي في غير حد أحب الى ان تأمر على قوم فيهم أبو بكر
 اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الآن لاني لا آمن ان يثقل علي ذلك
 فتغير عن عزمها ، اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم . ومن الثاني قول مجاهد : رجلان
 خرجا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله ما لا لنصدقن فرزقهما الله فبخلابه
 فنزلت (ومنهم من عاهدوا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنسكنن من الصالحين) الآية
 (ثم في الوفاء فالنفس قد تسمح) أي تسخى (بالعزم) عند البيان أي ثم الصدق في الوفاء
 اقوى مما ذكر (وتتوانى) أي تتأخر وتتأعد (بالوفاء) عند الامتحان (وورد) في
 التنزيل (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وقد وقف رسول الله ﷺ على مصعب
 ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم احمه شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ ،

ثم في العمل وهو تسوية السر والعلائية فالماشى على هدوء وان خلا الباطن
عن الوقار غير صادق، وورد فيه أن تكون سريره خيرا من العلائية

فقال عليه السلام (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) رواه أبو نعيم في الحلية. وفي البخاري مجملا ان هذه الآية نزلت في انس بن النضر. وفي الترمذي وقال حسن صحيح
عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع فشهد احداً من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو الى أين فقال واه لريح الجنة انى لأجدها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته: ما عرفته الا ببنايه ونزلت هذه الآية (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) أى نذرته ((ثم في العمل)) أى الصدق في العمل اعلى (وهو) أى الصدق في العمل ((تسوية السر والعلائية)) ان يكون باطنه مثل ظاهره وظاهره مثل باطنه ولذا قال عيسى عليه السلام: اللهم اجعل سريرتى خيراً من علائيتى واجعل علائيتى صالحة. وقال زيد بن الحارث: اذا استوت سريرة العبد وعلائيته فذلك انصف. أى العدل. وان كانت سريرته أفضل من علائيته فذلك الفضل، وان كانت علائيته أفضل من سريرته فذلك الجور والخطل، وانشدوا:

اذ السر والاعلان فى المؤمن استوى * فقد عز فى الدارين ولم يستوجب الشما

فان خالف الاعلان سرا فما له * على سعيه فضل سوى السكد والعنا

كل خالص الدينار فى السوق نافع * ومغشوشه المردود لا يقضى المنا

وقال معاوية بن قرة: من يدنى على بكاء بالليل بسام بالنهار. وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول: الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ((فالماشى على هدوء)) بضم تين وقد يدغم وفى نسخة على ههـ. بفتح فسكون ومعناها على سكون فى الظاهر ((وان خلا الباطن)) أى باطن الماشى ((عن الوقار)) أى السكون والثبوت ((غير صادق)) فيما بينه من الاظهار ((وورد فيه)) أى فى حق الصادق فى العمل ((ان تكون سريره خيراً من العلائية)) أى علائيته يعنى على نيته، وواضحى الله تعالى الى داود عليه السلام: من صدقتى فى سريره صدقته عبد مخلوقين فى علائيته

ثُمَّ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ فِي الخَوْفِ بِصُفْرَةِ الوَجْهِ وَفَلَقَ البَاطِنِ وَتَرَكَ المَعَاصِيَ
وَاللَّبَائِمَ وَإِقَامَةَ الطَّاعَاتِ وَعَلَى هَذَا فِي غَيْرِهِ وَالصِّدِّيقُ المَطْلُوقُ هُوَ المَتَّصِفُ بِالجَمِيعِ
وَضَدَهُ الرِّيَاءُ

﴿ثم﴾ أى ثم الصدق ﴿فى مقامات الدين﴾ من أحوال أهل اليقين اعلى ﴿فقى الخوف﴾
أى صدقه فيه يتحقق ﴿بصفرة الوجه وقلق الباطن﴾ أى اضطرابه فى الحالات ﴿وترك
المعاصى واللذات﴾ أى المناهى والشهوات التى فيها الشبهات ﴿واقامة الطاعات﴾ فى
أنواع العبادات ﴿وعلى هذا﴾ القياس ﴿فى غيره﴾ أى غير الخوف من سائر المقامات
كالرضا فهو بعدم الخوف بفرقت شىء من الجاه والمال والنفس ومن الأولاد والاتباع من
الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق فى جميع الأحوال ﴿والصديق المطلق هو المتصف
بالجميع﴾ أى بجميع أنواع الصدق عند أهل الحق . وقال بشر بن الحارث : من عامل
الله الصدق استوحش من الخلق . وقال ابو سليمان : اجعل الصدق مطيةك والحق
سيفك والله غاية طلبك ، وقال رجل الحكيم : مارأيت صادقا ، فقال : لو كنت صادقا
لعرفت الصالحين . ويؤيده قوله تعالى : ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وقال الثورى
فى قوله تعالى : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجورهم مسودة ﴾ قال هم الذين
ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين . وقال محمد بن سعيد المروزى : إذا طلبت الله تعالى
بالصدق أفادك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شىء من عجائب الدنيا والآخرة .
وقال أبو بكر الوراق : احفظ الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك وبين
الخلق . وقيل لذى النون : هل للعبد الى اصلاح أموره سبيل ؟ فقال :

قد بقينل مذنين حيارى * نطلب الصدق مالیه سبيل

فدعاوى الهوى تحف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقیل

وعن الجنيد فى قوله تعالى : ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ قال يسأل الصادقين عند
انفسهم عن صدقهم عندهم ، وهذا امر على خطر عظيم وحذر جسيم ﴿ومضده﴾
أى الاخلاص ﴿الرياء﴾ أى رؤية الخلق ، وفى معناه السمعة وان كان فى اصل المادة
فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع . وفى الصحيحين من
حديث جندب بن عبد الله « من رأى رأى الله به ومن سماع سمع الله به » وللطبرانى
من حديث ابن عمر بلفظ « من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره »

وَهُوَ طَلَبُ الْمَنْزَلَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ مُحْرَمٌ فَيُخْتَصُّ بِعَمَلِ الظَّاهِرِ
 أَمَّا نَحْوُ قَصْدِ الْحَمِيَّةِ فِي الصَّوْمِ وَالتَّبَرُّدِ فِي الوَضُوءِ وَالتَّبَرُّجِ وَالتَّوَحُّشِ عَنْ
 الْأَهْلِ وَالتَّجَارَةِ فِي الْحِجِّ وَالتَّخْلَاصِ عَنِ الْمُؤْنَةِ وَسُوءِ الْخَلْقِ فِي الْعِتْقِ فَغَيْرُهُ
 وَيَقُوتُ بِهِ الْإِخْلَاصُ وَيَكُونُ بِالْبَدَنِ

وكذا لا حمدوا ابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمرو (وهو) في الرياء (طلب
 المنزلة) أي الوجاهة والمرتبة بالرؤية أو السمعة (عند غيره تعالى بالعبادة) أي لا
 بالأمور المباحة وفق العادة (وهو حرام) لقوله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم
 عن صلاتهم ساهون الذين هم يراعون) وقوله (والذين يمسكرون السيئات لهم عذاب
 شديد) قال مجاهد : هم أهل الرياء . ولا حمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد
 عن رافع بن خديج « ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك
 الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العبيد بأعمالهم
 اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » (فتختص)
 الرياء (بعمل الظاهر) أي بما تتعاق به الرؤية أو السماع وذلك لا مكان نظر الخلق
 اليه واطلاعتهم عليه ، دون عمل الباطن فانه لا رياء لديه . قال عكرمة : ان الله يعطي
 العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيه (اما نحو قصد الحمية) أي
 الاحتماء بترك ما يضره عن الأكل (في الصوم) مع قصد التقرب (والتبرد) أي
 وقصد تبرد الأعضاء (في الوضوء) وكذا قصد النظافة فيه وفي الغسل مع التقرب
 (والتفرج) أي وقصد طلب الفرج والتخلص من الهم والغم بالتمتره (والتوحش)
 أي الملافة (عن الأهل) أي القرابة أو أهل القرية صداقة أو مداوة ، وكذا قصد
 صحة المزاج في السفر (والتجارة) أي وقصدها (في الحج) أي ادائه مع التقرب
 (والتخلص) أي قصده (عن المؤنة) أي مؤنة نفقة المملوك (وسوء الخلق)
 من المالك أو المملوك من جهة الترتيب (في العتق) أي عتق عبد أو جارية (فغيره)
 أي فغير الرياء لعدم تعلق نظر الخلق اليه (ويقوت به) أي بقصد المذكورات
 (الاخلاص) في تلك العبادات لان فيه شوب نفع نفسه وحفظ نفسه والإخلاص
 تجريد النية عن شوب الارادة النفسية (ويكون) الرياء (بالبدن) أي من جهة

وَالْهَيْئَةَ وَالزِّيَّ وَالْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَغَيْرَهَا كَظَهَارِ النُّحُولِ وَابْقَاءِ أَثَرِ السُّجُودِ وَلِبَسِ
 الصُّوفِ وَالْوَعْظِ وَتَطْوِيلِ الصَّلَاةِ وَكَثْرَةِ التَّلَامِيذِ وَمَا طُلِبَ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ كَكَثْرَةِ
 الْمَالِ وَحِفْظِ الْأَشْعَارِ فَخَارِجٌ لَا يَحْرُمُ إِذْ لَمْ يُؤَدَّ إِلَى رَذِيلَةٍ كَالْتَكْبِيرِ كَمَا سَبَقَ فِي الْجَاهِ

البدن باظهار الخشوع واكثر الحزن (والهيئة) أى السمات الصالح (والزى) أى لبس الصلحاء (والقول) أى نقل كلام الأولياء (والعمل) أى وأعمال الأصفياء (وغيرها) كالمال والاتباع والبيوت وأنواع الاستمتاع (كاظهار النحول) هذا وما بعده نشر للفت المتقدم مرتبا ، والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة وكثرة الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليلد بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل ، وكذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه في الأمر ، ولذا قال عيسى عليه السلام : اذا صام أحدكم فليدهن رأسه وحيته ويمسح شفته ويرجل شعره ويكحل عينه ، وكذا روى عن أنى هريرة وكذا قال ابن مسعود : اصبحوا صياما مدهنين (وابقاء أثر السجود) على الجهة ، واطراق الرأس في المشية والهدوء في الحركة (ولبس الصوف) وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق ، وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترقيع . ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها ، وقد يلبس الأصواف الرقيقة من الاصناف المنبوعة اذا كان يدخل عند الأغنياء أو على الأمراء ، فقيمة ثوبه قيمة الأغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء ، فيلتمس القبول عند الفريقتين في مقام الرياء ، ولو ظف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبيح (والوعظ) أى التذكير والنصيحة والنطق بانواع الحكمة وحفظ الأخبار وآثار الأخبار وتحريك الشفتين بمحضر الناس وامثالها (وتطويل الصلاة) بطول القيام والركوع والسجود واطراق الرأس وترك الالتفات وتسوية القدمين واليدين ، وكذا في الصوم والزكاة والحج وسائر العبادات وبقية المعاملات (و كثرة التلاميذ) للعلماء وكثرة المريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من الأجانب والاقرباء (وما) مبتدأ أى والرياء الذى (طلب بغير العبادة ككثرة المال) والانصار من الرجال (وحفظ الاشعار فخارج) عن حد الرياء كما سبق في تعريفه فحينئذ (لا يحرم) طلب تلك المنزلة (اذالم يؤد الى رذيلة) أى خصلة مذمومة (كالتكبير) على الناس (كما سبق في الجاه) أى في ذمه وهو قوله

وَكَذَّا التَّزِينِ لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْاِخْوَانِ وَالتَّحَامِي عَنْ مَلَائِهِمْ وَالْمَرْوِي
 مِنْ تَزِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَادَةً لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالدَّعْوَةِ فَلَوْ اسْقَطَ نَفْسَهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ لَمَا
 حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَأَفَاتُهُ التَّلْبِيسُ بِإِرَادَةِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ بِالْأَمْرِ الدَّنِيوِيِّ حَرَامٌ
 فَبِالذِّنِيِّ أَوْلَى، وَالِاسْتِهْزَاءُ عَلَيْهِ تَعَالَى بِإِثَارِ رِضَاءٍ غَيْرِهِ

هناك فحرام ، أى فالجاه حرام ان كان بار تيكاب ذنب كالسكذب وههنا أيضا كذلك
 ﴿وكذا التزين لاستمالة قلوب الاخوان﴾ حال مخالطتهم ﴿والتحامي﴾ أى السلامة
 ﴿عن ملائمتهم﴾ والمعنى ان تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس
 مرادة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا ، وعلى هذا فقس كل تجمل للناس
 وتزين لهم ﴿والمروى﴾ لابن عدى فى الكامل عن عائشة ﴿من تزينه عليه السلام﴾
 أى حين اراد ان يخرج الى اصحابه الكرام ، فكان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته
 وشعره ، فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال نعم « ان الله يحب من العبد ان يتزين
 لآخوانه اذا خرج اليهم » فهذا كان منه عليه السلام ﴿عبادة لانه﴾ حيثند ﴿مأمور
 بالدعوة﴾ أى بدعوة الخلق وترغيبهم فى اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق ﴿فلو
 اسقط نفسه عن قلوبهم﴾ بسقوطها عن أعينهم بترك تزينه لهم ﴿لما حصل المقصود﴾
 ولم يرغبوا فى اتباع المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق فكان يجب عليه ان
 يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدرية اعينهم فى اقباله ، فان أعين الخلق تمتد الى
 الظواهر دون السرائر ﴿وأفاته﴾ أى الرياء ﴿التلبيس﴾ أى المكر والتدسيس
 الحاصل من وسوسة ابليس ﴿بارادة ما ليس فيه﴾ متحقق فى الخارج موجود فى الواقع
 لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك ﴿فهو﴾ أى
 التلبيس ﴿بالأمر الدنيوى حرام﴾ أيضا ، حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه
 متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته لآثم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر
 والحدیعة بخلاف ما اذا اتفق الرجل على جماعة من الأغنياء لافى معرض العبادة والصدقة
 ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذه مرادة وليس بحرام وكذا امثاله ﴿فبالذنيى أولى﴾ أى
 فالتلبيس بالأمر الدنيوى أولى ان يكون حراما لانه محض العبادة ﴿والاستهزاء عليه تعالى﴾
 أى ومن آفاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو ﴿بايثار رضاء غيره﴾ أى اختياره

عَلَى رِضَاهُ وَتَعْظِيمِ نَفْسِهِ فِي الْقُلُوبِ عَلَى تَعْظِيمِهِ تَعَالَى وَالْإِحْتِرَازِ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ

﴿على رضاه﴾ أى على إظهار رضاه سبحانه وتعالى . والمعنى انه مهما قصد بعبادة الله رضاه ما سواه فهو مستهزىء بالله ، ولذا قال قتادة اذا رأى العبد قال الله ملائكة انظروا اليه كيف يستهزىء به . ومثاله ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفه ويكون وقوفه ملاحظا جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه ، فان هذا استهزاء بالملك ، إذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته ، بل قصد عبدا من عبيده ، فأى استخفاف يز يدعى أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا ، وهل ذلك الا أنه ظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله رانه أولى بالقرب اليه من الله اذا أثره على ملك الملوك فإنه مقصود بعبادته ، وأى استهزاء يز يدعى رفع العبد فوق المولى ﴿وتعظيم نفسه﴾ أى وبإظهار تعظيمها ﴿في القلوب على تعظيمه تعالى﴾ أى تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لم يكن فيه الا أنه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية ، فانه إذ لم يقصد التقرب إلى الله تعالى فقد قصد غير الله ، ولعمري لو عظم غير الله بالسجود والكفر كفر اجليا ، الا ان الرياء هو الكفر الخفي ، لان المرأى عظم في قلبه الناس ، فافتضت تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجهه ، فهم ازال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق في الشهود كان ذلك قريبا من الشرك المعهود ، الا أنه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده ، باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ، فمن هذا كان شركا خفيا لاشركا جليا . وذلك غاية الجهل والنقصان ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع آماله اكثر مما يملكه الله تعالى ، فذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه ، ولو وطه الله سبحانه اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافأة له على صنعه ، فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف لغيرهم ، وهذا في الدنيا فكيف في العقبى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا ولد لولد هو جاز عن والده شيئا ، بل تقول الانبياء فيه : نفسى نفسى ، فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة كل ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس ، فلا ينبغي ان يشك في ان المرأى بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والعقل ، وهذا معنى قوله ﴿والاحتراز﴾ اي وبإظهار المرأى الاحتراز ﴿عن مقت غيره﴾ سبحانه ﴿عليه﴾ اي على الاحتراز

من مقته ورد العمل فورد «انى لا اقبل الا ما كان خالصا، واللوم بين
 الملائكة فورد يقال عند صعودهم بالعمل رده الى سجين فانه لم يردني، وفي
 القيامة فورد في ندائه فيها يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر، والحرماني عن الاجر فورد
 يقال التمس الاجر ممن كنت تعمل له الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا

﴿ من مقته ﴾ تعالى ، فقد سأل رجل سعيد بن المسيب فقال : احدنا يصطنع المعروف
 ويجب ان يحمد ويؤجر ، قال له : اتحب ان يمقتك الله ؟ قال لا ، قال : اذا عملت
 لله عملا فاخلصه ﴿ ورد العمل ﴾ اى ومن آفاته عدم القبول ﴿ فورد ﴾ اى في الحديث
 القدسي ﴿ انى لا اقبل الا ما كان خالصا ﴾ لم اجده بهذا اللفظ ، ولكن ورد معناه
 وهو مارواه مالك من حديث ابى هريرة « يقول الله من عمل عملا اشرك فيه غيرى
 فهو له كله وانا اغنى الاغنياء عن الشرك » ويؤيده قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين)
 ﴿ واللوم ﴾ اى ومن آفاته الملامة ﴿ بين الملائكة فورد ﴾ في الحديث الانسى
 ﴿ يقال عند صعودهم بالعمل ﴾ المخلوط بالرياء ﴿ رده الى سجين ﴾ لقوله تعالى
 (ان كتاب الفجار لنى سجين) وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين ، وقيل
 هو كتاب اعمال المشركين ﴿ فانه لم يردني ﴾ اى بعمله خالصا له الدين . ولابن المبارك
 في الزهد ، ومن طريقة ابن ابى الدنيا و ابى الشيخ في حديث طويل « ان الله تعالى يقول
 للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين » ﴿ وفي القيامة ﴾ اى ومن آفاته
 الملامة والندامة يوم القيامة ﴿ فورد في ندائه ﴾ اى المرأى ﴿ فيها ﴾ اى في القيامة
 ﴿ يا كافر ﴾ حقيقة او حكما بكفران النعمة ﴿ يا فاجر ﴾ اى يافاسق بترك الاخلاص
 في الطاعة ﴿ يا غادر ﴾ اى يماكر للخلق او للحق ايضا على زعمه الباطل ﴿ يا خاسر ﴾
 اى الذى خسر الدنيا والآخرة ، والحديث رواه ابن ابى الدنيا : من رواية جبلة
 اليحصبي عن صحابي لم يسم « ان المرأى ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر
 يا غادر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرک اذهب فخذ اجرک ممن عملت له فلا اجر لك
 عندنا » ﴿ والحرماني عن الاجر ﴾ اى ومن آفاته حرمان ثواب العمل ﴿ فورد
 يقال ﴾ اى للمرأى يوم القيامة ﴿ التمس الاجر ﴾ اى اطلب الثواب ﴿ ممن كنت

أَلَمْ يَرْخَصْ بِبَيْعِكَ الْم تَكْرُمٌ، وَالْعَذَابُ فُورِدَ أَهْلُ الرِّيَاءِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ
وَالْأَفْشُ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ أَنْ لَا يُرِيدَ الثَّوَابَ أَصْلًا وَهُوَ فِي غَايَةِ الْمَقْتِ ثُمَّ مَا فِيهِ
إِرَادَتَانِ وَالرِّيَاءُ غَالِبٌ

تعمل له) من الخلق كما تقدم) الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا
ألم يرخص ببيعك الم تكرم) أي بالقيام والسلام وانواع من الاكرام، وقد روى عن
علي ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا
تبدؤن بالاسلام الم تقض لكم الحوائج ، وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجرهم
والمعنى وكان هذه الاشياء قصدك من اظهار الطاعة فقد جزيت بها في الدنيا فلم يبق
لك اجر في العقبى كما قال تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون) (والعذاب) أي ومن آفاته عذاب الآخرة) (فورد
اهل الرياء يعذبون في النار) لم اره بهذا اللفظ ، وللمزمذى وابن ماجه من حديث
ابن هريرة استعينوا بالله من جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد في جهنم اعد للقراء
المرائين) (والافش) مبتدأ أي الاغاظ والاشد في الرياء) (باعتبار نفسه) أي
نفس الرياء واصله، ولهذا الرياء اربع درجات) (ان لا يريد الثواب اصلا) أي لا يكون
مراده الثواب قطعا كالذي يصلى بين الناس ولو انفرد كان لا يصلى بل ربما يصلى من
غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء) (وهو) أي المرائي) (في غاية المقت)
من الله وغضبه، وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب
ولو خلى بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور الامن المناق فالنفاق يبطل العمل من
اصله والرياء يوجب رده ، والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا ، وعند بعض المشايخ
يبطلان اضعافا . واما الندامة فتحبط العمل في قولهم جميعا ، والعجب يذهب اضعافه،
والتهاون يخفف العمل فيذهب رزاقته) (ثم ما فيه ارادتان) ارادة الاجر والرياء
(والرياء غالب) (وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان في الخلوته كان لا يفعله ؛ ر لا يحمله
ذلك القصد على العمل ، ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الرياء يحمله على العمل ،
كن يريد الصلاة لوجه الله تعالى ارادة ضعيفة لا تنهضه عليها ، فانفق مجي جماعة عنده
فظهر داعية الرياء في قلبه مع بناء ارادة وجه الله فانهضه عليها ، ولو لم يكن الرياء ما كان

وهو يقرب به ثم ما استويا فيه فالمرجو أن لا يكون له ولا عليه لكن اطلاق الاخذ في
 الأدلة يشمله ثم ما ترجح فيه قصد الثواب فالملظنون فيه النقصان لا البطلان أو
 الثواب والعقاب بحسب القصدين ، والأصل أن القرب منه تعالى بالميل

ينهضه مجرد ارادة وجه الله ، ولولم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الرياء تنهضه
 ﴿ وهو يقرب به ﴾ اى هذا النوع من الرياء يقرب الاخش وهو الاول الذى ليس فيه
 ارادة الثواب اصلا ، فهذا يقرب ما قبله في المقت ، لكن لما فيه من شائبة قصد الثواب
 لا يستقل بحمله على العمل ولا يبنى عنه المقت والاثم ﴿ ثم ما استويا ﴾ اى ثم الاخش
 باعتبار نفس الرياء ما استوى الارادتان او القصدان ﴿ فيه ﴾ اى فى ذلك العمل بحيث
 لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة ،
 او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل ، فهذا قد افسد مثل ما صاح
 ﴿ فالمرجو ﴾ اى المأمول من فضل الله وكرمه ﴿ ان لا يكون له ﴾ اى لصاحب الارادتين
 المستويتين نفع وثواب ﴿ ولا عليه ﴾ ضر وعقاب ، بل يسلم رأسا برأس او يكون
 له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ، ويؤيده ماروى عن معاذ قال : لما تلامس رسول
 الله ﷺ (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) شق على القوم واشتد عليهم
 فقال افلا فرجها عنكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال هى مثل الآية التى فى الروم (وما
 آتيتم من ربوا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله) فقال عليه السلام « من عمل
 رياء لا يكتب له ولا عليه » كذا فى الجامع الكبير للسيوطى ﴿ لكن اطلاق الاخذ فى
 الأدلة يشمله ﴾ اى ظواهر الاخبار من ادلة ذم الرياء يشمل هذا النوع فيحصل له
 الاثم ويدل على انه لا يسلم ﴿ ثم ﴾ اى ثم الاخش باعتبار نفس قصد الرياء ﴿ ما ترجح
 فيه قصد الثواب ﴾ بان يكون طالب الاجر غالبا ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا
 لنشاطه ، ولولم يكن لما كان يترك العبادة ولو قصد الرياء وحده لما أقدم ﴿ فالملظنون ﴾
 اى الذى نظنه والعلم عند الله سبحانه ﴿ فيه ﴾ اى فى هذا النوع ﴿ النقصان ﴾ اى
 نقصان الثواب ﴿ لا البطلان ﴾ اى لانحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالغلبة
 فى الاحكام الجزئية ﴿ او الثواب ﴾ اى على قدر ما اخلص فى نيته ﴿ والعقاب ﴾ على
 قدر الرياء ﴿ بحسب القصدين ﴾ اى المتقدمين ﴿ والاصل ان القرب منه تعالى بالميل

إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْبَعْدُ عَنْهُ تَعَالَى بِالذُّهُولِ وَمَا وَرَدَنَا أَنَا غَنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنِ الشَّرْكِ وَنَحْوَهُ
فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَوَّلِ وَباعتبار ما به رياءً باصِلِ الْإِيمَانِ وَهُوَ اغْتِظُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ
وَفِيهِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ ثُمَّ باصِلِ فَرَائِضِ سِوَاهُ

إِلَيْهِ تَعَالَى أي بسبب الاقبال عليه والحضور لديه ﴿ والبعْدُ عَنْهُ تَعَالَى بِالذُّهُولِ ﴾
أي الغفلة عنه لقوله تعالى ﴿ ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطاً ﴾ ﴿ وما ورد ﴾ أي في حديث ﴿ انا اغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ وفي نسخة
من الشركاء ﴿ ونحوه ﴾ أي مما يدل على البطلان ﴿ فمحمول على الاول ﴾ أي مما لا يريد
الثواب اصلاً او على ما تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح فان لفضلة الشركة
مطابقة للتسوية ﴿ و باعتبار ما به رياء ﴾ أي والاشخس من الرياء باعتبار ما يقع به الرياء
من العبادات هو الرياء ﴿ باصل الايمان ﴾ وقيل هو بدل من قوله به باعادة
الجار . وما قدرنا او لى بالاعتبار ، وذلك بان يظهر كتمى الشهادة باللسان من غير
تصديق بالجنان ، لكنه يرأى احياناً لظاهر الامر في بعض الاركان وهو اغاظ ابواب
الرياء ﴿ كما يشير اليه قوله تعالى ﴿ يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلاً مذ بين بين
ذلك ﴾ أي متحيرين هنالك ﴿ لا لى هؤلاء ﴾ المسلمين ﴿ ولا لى هؤلاء ﴾ المشركين ﴿ ومن
يضل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ أي مخلصاً ودليلاً ، فلم يكن مخلصاً بل يكون دائماً حقيراً
ذليلاً ﴿ وفيه الخلود فى النار ﴾ فى دار البوار بل فاقال تعالى ﴿ ان المنافقين فى الدرك
الاسفل من النار ﴾ وذلك لانهم جمعوا بين كفر الباطل ونفاق الظاهر فحال هؤلاء
اشد من حال الكفار المجاهرين ولان ضررهم للمسلمين اكثر من ضرر المشركين .
وكان النفاق فى بدء الاسلام يكثر ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ويعمل ببعض الاحكام
لغرض فاسد او عوض كاسد ، وذلك مما يقل فى زماننا حيث لا باعث عليه هنالك ،
ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطناً فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلاً
الى قول الملاحدة ، او يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلاً الى اهل الاباحه ، او
يعتقد كفراً او بدعة وهو بظهر خلافه ، فهؤلاء من المنافقين المرأين المخلدن فى النار
وليس وراء هذا الرياء رياء ﴿ ثم ﴾ أي ثم الاخش بعده الرياء ﴿ باصل فرائض
سواه ﴾ أي غيرة الايمان وذلك بان يكون مال لرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكا
خرفاً من المذمة ، والله يعلم من باطنه انه لو كان فى يده لما اخرجها ، او يدخل وقت

وَفِيهِ الْمَقْتُ ثُمَّ بِأَصْلِ السَّنَنِ وَالنَّوْافِلِ وَفِيهِ نَصْفُهُ لَا يَثَارُ رِضَاءٌ غَيْرُهُ تَعَالَى
عَلَى رِضَاهُ سُبْحَانَهُ دُونَ أَيِّ ثَارٍ الْأَحْتِرَازِ عَنِ مَقْتِ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَقْتِهِ
تَعَالَى، ثُمَّ بِالْأَوْصَافِ

الصلاة وهو في جمع فيصلي وعادته ترك الصلاة في الخلوة ، و كذا يحضر الجمعة ولو لا
خوف المذمة لما كان يحضرها ، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخالق
ليفطر ، ، او يصل رحمه او يبر والديه لاعتن رغبة ولكن خوفا من المذمة ، او يغزو
او يجهج كذلك ﴿ وفيه المقت ﴾ اي اشد الغضب من جانب الرب الا انه ليس
بكافر عند اهل السنة والجماعة ، وذلك لانه مرآة في الاركان ومعها اصل الايمان فيعتقد
ان الله لا معبود سواه ، ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لما عداه لم يفعل ، ولكنه
يترك العبادات للكسل الطارى في الاوقات وينشط عند اطلاع الناس وفق العادات ،
فتكون منزلته عند الخالق احب اليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس
اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته في محمد تهم اشد من رغبته في مشيئة الله . وهذا
غاية الجهل بالرب وما اجر صاحب هذا بالمقت الذي هو اشد الغضب ﴿ ثم ﴾ اي
ثم الافحش بعده الرياء ﴿ باصل السنن ﴾ المؤكدة ﴿ والنوافل ﴾ المستحبة التي لو تركها
لا يعصى ، ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ، ولا يثار لذة الكسل على
ما يرجى من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها ، وذلك كحضور الجماعة في الصلاة
وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت ، وكالتجهد بالليل وصيام يوم عاشوراء
ونحوه ، فقد يفعل المرآة هذه الجملة خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ، ويعلم الله تعالى من
ضميره انه لو خلى بنفسه لما زاد على اداء فرائضه ، فهذا ايضا عظيم في نفسه لكن كما قال
﴿ وفيه ﴾ اي في هذا النوع من الرياء ﴿ نصفه ﴾ اي نصف المقت او بعضه باختلاف تفاوت
أحوال في الرغبة باعماله وذلك ﴿ لا يثار رضاء غيره تعالى على رضاء سبحانه دون ايتار
الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه ﴾ اي على المرآة ﴿ من مقته تعالى ﴾ فان الذي
قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون
ذم الخالق ، فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الخالق ، واما هذا فلم يفعل ما فعل ذلك
لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تركها ولكنه عوقب على الشطر الاول فلذا عقابه
نصف عقابه فتأمل ﴿ ثم بالاوصاف ﴾ اي ثم الافحش بعده الرياء باوصاف العبادات

فَبِالْوَاجِبِ كَتَعْدِيلِ الْأَرْكَانِ ثُمَّ الْمُكْمَلِ كَتَطْوِيلِهَا وَتَحْسِينِ الْهَيْئَةِ ثُمَّ الزَّائِدِ
كَالْبُكُورِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَصْدِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَالِهِ

لابا صولها من الفرائض المهمات ﴿ فبالواجب كتعديل الاركان ﴾ من الركوع
والسجود والقومة بتسكين الجوارح والأعضاء فيها حتى يطمئن ، فانه يرأى بفعل
ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود والقومة فان رآه
الناس احسن أفعالها ومد القعود بين السجدين وأمثالها ، فقد قال ابن مسعود : من
فعل ذلك فهي استهانة يستهين بهاربه ، يعني انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة كما
في الجلوة فاذا اطلع آدمي عليه احسن الصلاة ، ومن جلس بين يدي انسان مقربا أو
متكئا فدخل غلامه فاستوى في الجلسة وأحسن كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة
بالسيد لا محالة ، وهذا حال المرأى بتحسين الصلاة في الملا دون الخلاء وكذا الذي
يعتاد لإخراج الزكاة من الدنانير الرديئة فاذا اطلع عليه غيره أخرجهما من الجيد خوفا
من الملامة ، وكذا الصائم يصوم صومه عن الغيبة لئلا لعبادة الصوم خوفا من المذمة
فهذا أيضا من الرياء المحذور لان فيه تقديم الخلق على الخالق لكنه دون الرياء باصول
التطوعات كذا في الأحياء . والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من القروض ،
لان أصول التطوعات دون أصول الواجبات ، وكذا يجوز ترك التطوعات رأسا ولا
يجوز ترك الواجبات أصلا . نعم بترك الفرائض تبطل العبادات ، بخلاف ترك الواجبات
فانه يوجب الاثم والنقصان في وصف العبادات ﴿ ثم المكمل ﴾ أي ثم الأفضحش بعده
الرياء بفعل ما لا نقصان في تركه لكن فعله في حكم التكملة والتممة لعبادته فهو ما كان
وجوده خيرا من عدمه ﴿ كتطويلها ﴾ أي الصلاة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام
ولطالة القراءة ﴿ وتحسين الهيئة ﴾ في رفع اليدين ووضعهما مع اظهار تزيين النية المشعر
بتحسين الطرية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الرأس في الحالات ليستدل بذلك
على غاية خشوعه ونهاية خضوعه ، وكل ذلك مما لو خلى ونفسه لكان لا يقدم عليه بمقتضى
طبعه ومراعاة شرعه ﴿ ثم الزائد ﴾ أي بعده الرياء بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا
﴿ كالبكور في المسجد ﴾ أي كمحضور الجماعة قبل القوم ﴿ وقصد الصف الاول ﴾
وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه من الأحكام . وكل ذلك مما يرأى به الانام ،
ويعلم الملك العلام انه لو خلى بنفسه لكان لا يبالي ابن وقف ومتى حضر ﴿ وبعبار ماله ﴾

قَصْدُ الْمَعْصِيَةِ كَتَقْلُدِ الْوَقْفِ لِلْمَدَاهِنَةِ ثُمَّ الْمُبَاحِ كَنَطَاحِ الشَّرِيفَةِ ثُمَّ التَّمَيُّزِ عَنِ

الْعَامَّةِ وَقَدْ يَخْفَى كَالْفَرَحِ بِاطَّلَاعِ الْغَيْرِ

أى والافتش باعتبار مايقع الرياء لاجله ماله فيه (قصد المعصية) وقيل انه بدل من ضمير ماله ، والاولى ماقدراء لحسن ماله ، وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصيته (كتقليد الوقف للمداينة) أى كالذى يرانى بالعبادات ويظهر التقوى والورع بدثرة النوافل من الطاعات والامتناع عن أكل الشهوات ، وغرضه أن يعرف بتأدية الامانات فيوثق تولية القضايا أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها ، أو يسلم اليه تفرقة الزكاة والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها فى الحاجات ، أو يودع الودائع فيأخذها ويجردها فى بعض الحالات، وهؤلاء أبعض المرأين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم (ثم المباح) أى قصده بالرياء (كنكاح الشريفة) او المرأة الجميلة فيكون غرضه بالرياء نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال أو جمال ، فيظهر الحزن بالبكاء ويشغل بالو حظ فى الصباح والمساء لتبذل له الاموال وترغب فى نكاحه النساء فهذه رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه (ثم التمييز عن العامة) بالمشى والزى وترك اكل اللحم ونحوه كى يعد من الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين العباد من أهل البلاد ، فيظهر عبادته لالقصد نيل حظ دنيوى من مال أو نكاح بل خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ويعتقد انه من جملة العامة ، كالذى يمشى مستعجلا فى طريق فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهولة من أهل الوقار والسكون ، وكذلك الذى يسبق اليه الضحك أو يبدر منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لابعين الوقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ويقول : ما أعظم غفلة الآدمى عن نفسه ، والله يعلم منه انه لو كان فى خلوة هنالك لما كان يشغل عليه ذلك (وقد يخفى) أى الرياء فانه كما تقدم اخفى من ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء (كالفرح باطلاع الغير) على طاعته فرب عبد مخاص فى عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده عن نفسه ويتمم العمل كذلك ، ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة ، وهذا السرور يدل على رياء خفى فيه يترشح

والتعريض للآظهار وتحسين الأداء في الخلاء لئلا يخالف في الملاء وللتزين بظهور
 الخشوع في الأعضاء وتأثيره أنه إذا هجم بعد التمام بالفرح على الظهور أو
 الآظهار لا يبطل لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارىء وفيه الثواب والعقاب
 وحمل ما ورد ماصمت ولا أفطرت فيمن قال صمت دائما على كراهة صوم الدهر

السرور منه (والتعريض للآظهار) يعنى ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع
 ولم يقابل ذلك بكرهيته فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء فيتقاضى
 تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام غرضا بالآظهار .
 وقد حكى ان رجلا اضاف الثورى واصحابه ، فقال لاهله هاتوا الطبق الذى جئت به
 فى الحججة الاولى ، فنظر سفيان وقال : مسكين قد افسد عليه بهذا حجة . (وتحسين الاداء
 فى الخلاء) وجعله عادة له (لئلا يخالف فى الملاء) ظنا منه انه يتخلص بهذا عن الرياء
 ولم يعرف انه يتكرر منه الرياء فى الخلاء والملاء (وللتزين) كذا فى النسخ ، والظاهر
 ان يقول والتزين فى الاعين اى اعين اهل الملاء (بظهور الخشوع فى الاعضاء)
 كآظهار النحول والصفار وخفض الصوت وبيس الشفتين وآثار الدمع وغلبة النعاس
 الدال على طول التهجد . والحاصل انه مهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على
 عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء ، وقد روى « لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون
 الخاق عنده كالأباعر » (وتأثيره) اى الرياء فى العمل بالاحباط والاثبات (انه
 اذا هجم) اى غلب الرياء . (بعد التمام) اى تمام العمل الخالص (بالفرح) متعلق
 بهجم اى بفرحه (على الظهور) من غير قصده (او الاظهار) بقوله (لا يبطل)
 ثواب العمل المؤدى بالاخلاص (لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارىء)
 اى الحادث بعده (وفيه الثواب) على عمله الذى مضى (والعقاب) على مرآاته
 بطاعة الله بعد الفراغ منها (وحمل ماورد) اى فى الحديث من نهى العمل تغليظا
 (ماصمت ولا افطرت فيمن قال صمت) اى فى حق من قال صمت (دائما)
 والمحفوظ صمت الدهر يارسول الله ، ثم المعروف فى مسلم من حديث ابى قتادة « قال
 عمر : يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر ؟ قال لا صام ولا افطر ، فهذا حمل (على
 كراهة صوم الدهر) اى لا على ابطاله بالرياء لآظهار اعماله ولانه يكون فى قوله نوع

لِدُخُولِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ فِيهِ، وَمَا جَاءَ ذَلِكَ حَظُّكَ مِنْهَا فَيَمَنْ قَالَ قَرَأْتُ
 الْبَارِحَةَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ عَلَى عَدَمِ خُلُوعِ الْقَلْبِ عَنْهُ حَالَةَ الْقِرَاءَةِ بِدَلَالَةِ الْإِظْهَارِ
 وَإِذَا هَجَمَ فِي الْإِثْنَاءِ مُتَجَرِّدًا وَبَعَثَ عَلَى الْعَمَلِ وَخُتِمَ بِهِ كَمَا لَوْ تَذَكَّرَ ضَالَّةً
 أَوْ حَدَّثَ نَضَارَةً فَاتَمَّ الْعَمَلُ لِحُضُورِ الْغَيْرِ عِنْدَهُ لَوْلَاهُ لَقَطَعَ يَبْطُلُ فِي عَمَلٍ ذِي
 أَرْكَانٍ يَتَعَلَّقُ صَلَاحُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ

كذب ﴿ لدخول العيدين ﴾ أى عيد الفطر والاضحى ﴿ والتشريق فيه ﴾ أى فى قوله
 صمت الدهر ، وصوم هذه الايام الخمسة حرام باتفاق الائمة الاربعة . واخرج ابن
 جرير كما فى الجامع الكبير « عن ام كلثوم قالت قيل لعائشة تصومين الدهر وقد نهى
 عليه السلام عن صيام الدهر ؟ قالت نعم سمعت رسول الله ﷺ نهى عن صيام الدهر
 ولكن من أفطر يوم الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر » وقال بعضهم : انما قال عليه
 السلام زجراله عن اظهاره ﴿ وما جاء ﴾ أى وحمل ماورد عن ابن مسعود ﴿ ذلك ﴾
 أى اظهارك ﴿ حظك ﴾ ولفظ الاحياء حظها ﴿ منها ﴾ أى من القراءة ﴿ فممن قال ﴾
 قرأت البارحة ﴿ أى الليلة المتقدمة ﴾ سورة البقرة تلى ﴿ أى حمل على ﴾ عدم خلو
 القلب عنه ﴿ أى عن الرياء ﴾ حالة القراءة ﴿ لانه هجم بعد تمامها ﴾ بدلالة الاظهار ﴿
 كيف ما كان ، فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله ﷺ أو من ابن مسعود استدلالا
 على ان قلبه عند العبادة لم يحل عن فقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به ، اذ
 يبعد ان يكون ما يطرؤ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بالكلية . نعم يبطل كمال ثوابه
 فى القضية ﴿ واذا هجم ﴾ أى غلبه الرياء ﴿ فى الاثناء ﴾ أى اثناء العبادة ﴿ متجردا ﴾
 عن الاخلاص فى قصد الثواب ﴿ وبعث على العمل ﴾ أى على اتمامه ﴿ وختم ﴾ العمل
 ﴿ به ﴾ أى بالرياء المتجرد عن قصد الثواب ﴿ لما لوتذكر ضالة ﴾ فى اثناء الصلاة
 ﴿ او حدث نضارة ﴾ أى فرجة ونزهة فى اثنائها ﴿ فاتم العمل لحضور الغير عنده
 لولاه ﴾ وفى نسخة لولاهو أى ذلك الغير ﴿ لقطع ﴾ ذلك العمل وطاب الضالة
 او تفرج على النضارة ﴿ يبطل ﴾ جواب اذا هجم ، أى يبطل هذا الرياء ثواب العمل
 لكن ﴿ فى عمل ذى اركان ﴾ أى اجزاء ﴿ يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصلاة والصوم
 والحج ﴾ والظاهر ان الغز وكذلك لكن قال الطبري : اذا كان الباعث اولاعلاء

فورد العمل كالوعاء اذا طاب اوله طاب آخره - من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله «دون غيره كالصدقة والتلاوة اذ كل جزء منفرد والطارىء لا يبطل الماضى واذا لم يتجرد بل غلب كغلبة الفرح باطلاع الغير فالغالب فيه الفساد ان انقضى ركن

لهة الله لا يضره ما عرض له بعد ذلك على ما نقله عنه السيوطى فى حاشية البخارى «فورد العمل كالوعاء اذا طاب اوله طاب آخره» هكذا فى الاحياء ، ورواه ابن ماجه من حديث معاوية بلفظ «اذا طاب اسفله طاب اعلاه» وعلى كل تقدير فظاهره لا يوافق المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث كما لا يخفى «من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله» كذا فى الاحياء قال مخرجه : لم اجده بهذا اللفظ ، وللشيخين من حديث جنذب «من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به» «دون غيره» اى بخلاف عمل ليس بذى ارکان يتعاق صلاح بعضها ببعض «كالصدقة والتلاوة» وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء «اذ كل جزء» من كل منهما «منفرد» اى من جزء آخر حيث انه مستقل بنفسه لا تعاق له بغيره . نعن بعض الصالحين قال : كنت ليلة وقت السحر فى غرفة لى اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذ تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محووا ولم ارتحتها شيئا ، فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ارها ثوابا ولم ارها اثبتت ، فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا اناسمعا منا ديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها ، قال فبكيت فى منامى بكاء شديدا وقلت : لم فعلتم ذلك ؟ قالوا : مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها . وهذا يدل على ان الرياء فى الاوصاف . بطل ثواب العمل رأسا «والطارىء» اى الحادث من الرياء «لا يبطل الماضى» من العمل بل يبطل الباقي ، وفيه مخالفة لما روى من ان الشخص اذا ذكر العمل السرى مرة ينقل الى العلانية ، واذا ذكره ثانيا ينقل الى الرياء «واذا لم يتجرد» الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب «بل غلب» الرياء عليه «كغلبة الفرح باطلاع الغير» اى بشاهدة غيره اليه «فالغالب فيه» اى الظن الغالب فى هذا النوع من العمل «الفساد ان انقضى» على حالة الرياء . «ركن» من ارکان ذلك العمل

وَلَمْ يَعَاوِدْهُ الْبَاعِثُ الْأَصْلِيُّ لِلصَّلَاةِ لِأَنَّا نَسْتَصْحِبُ نِيَّةَ الْبِدْءِ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَطْرَأَ مَا لَوْ قَارَنَ ابْتِدَاءَ الْمَنْعِ وَإِنْ أَحْتَمَلَ الْجَوَازَ لِبَقَاءِ قَصْدِ الثَّوَابِ الْمَوْجُودِ حَالَ الْعَقْدِ

مع غلبه قصد الرياء (ولم يعاوده) أى العامل الرين أو المصلى (الباعث الأصلي للصلاة) وهو الاخلاص (لانا نستصحب نية البداءة) أى نعطي النية السابقة التى كانت خالصة لقصد المثوبة حكم استصحاب الحال، والمعنى نحكم عليها بالاخلاص الى تمام العمل فى المآل (بشرط ان لا يطرأ) أى لا يحدث بعد النية السابقة فى اثناء العمل من الرياء اللاحقة (ما) أى الرياء (لو قارن ابتداء المنع) الباعث الاصلى الذى هو الاخلاص (وان احتمل) أى ولو احتمل (الجواز) أى صحة العمل (لبقاء قصد الثواب الموجود حال العقد) من التحريم المقرونة بالنية : وتوضيحه ما فى الأحياء . اذا كان واراد الرياء بحيث لا يمنع من قصد الاستتمام لاجل الثواب . كما لو حضر جماعة فى اثناء صلاته فتمرح بحضورهم فاعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم ، وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا ، فهذارياء قد اثر فى العمل و انتفض باعثا على الحركات ، فان غلب عليه حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغى ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ، ويحتمل ان يقال : لا يحبط العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله أعلم بالصواب * وذهب الحارث المحاسبى الى الاحباط فى أمر هو من منه ، قال : اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو لحب المنزلة والجاه . قال : وقد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الأول وركن الى حمد المخلوقين ، لم يحتم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ، ثم قال : ولا اقطع عليه بالحبط ان لم يزد فى العمل ولا آمن عليه ، وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغاب على قلبى انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ، ثم قال : فان قيل فقد قال الحسن البصرى انما هما صورتان فان كانت الاولى لله لا تضره الثانية وقد روى « أن رجلا قال يا رسول الله أسر عملى لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال : لك أجران اجر السر واجر العلانية » رواه البيهقى . والترمذى . وابن حبان من حديث أبى هريرة . ثم تكلم المحاسبى على الاثر والخبر فقال : اما الحسن فانه أراد بقوله اى لا تضره : أى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة

وَأَنْ اتَّصَلَ بِالْعَقْدِ مُتَجَرِّدًا وَأَتَمَّ عَلَيْهِ يُعِيدُ اتِّفَاقًا وَأَنْ رَجَعَ قَبْلَ التَّمَامِ
فَكَذَلِكَ لَفَقْدِ الْإِنْعِقَادِ وَضَعْفِ الْقَوْلِ بِوُجُوبِ إِعَادَةِ الْأَفْعَالِ لِفَسَادِهَا دُونَ
التَّحْرِيمِ فَهِيَ عَقْدٌ، وَالرِّيَاءُ خَطْرَةٌ لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الْإِنْعِقَادِ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ
الْفَاسِدَةَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ زَائِدَةٌ فِيهَا فَتَبْطُلُهَا، وَبِوُجُوبِ الْإِسْتِغْفَارِ

وهو يريد الله ، ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره : واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه : احدها انه يحتمل انه اراد بظهور عمله بعد الفراغ ، وليس في الحديث انه قبل الفراغ ، وثانيها انه اراد انه يسر به لاقتداء الناس به ونحوه من سرور محمود لاسرور بحسب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ، ولا ذهاب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته انه يعنى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران ، وثالثها انه قال : اكثر من يروى هذا الحديث يرويه غير متصل الى أبي هريرة ، بل اكثرهم يوقفه على أبي صالح السمان وفيهم من يرفعه ، فالحكم بالعمومات الواردة اولى ﴿ وان اتصل ﴾ الرياء ﴿ بالعقد ﴾ أى بالتحريمه وابتداء النية ﴿ متجردا ﴾ من قصد الثواب ﴿ واتم ﴾ العمل حتى سلم ﴿ عليه ﴾ أى على الرياء المتجرد عن قصد الثواب ﴿ يعيد ﴾ ذلك العمل ﴿ اتفقا ﴾ أى وهو آتم اجماعا ﴿ وان رجع ﴾ المصلى عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصده ﴿ قبل التمام ﴾ أى تمام العمل ﴿ فكذلك ﴾ يعيد ذلك العمل اتفقا ﴿ لفقْد الانعقاد ﴾ على الاخلاص ﴿ وضعف القول ﴾ أى وضعف قول القائل ﴿ بوجوب اعادة الافعال ﴾ الصادرة عن الرياء ﴿ لفسادها ﴾ أى لبطلان تلك الافعال ﴿ دون التحريم ﴾ أى من غير وجوب اعاتها ﴿ فهى ﴾ أى التحريمه ﴿ عقد ﴾ ، له ثبوت واستقرار ﴿ والرياء خطرة لانخرجها ﴾ أى التحريمه ﴿ عن الانعقاد ﴾ والمعنى أن قول المصلى اصلى لله تعالى عقديته على الاخلاص لله كالقرار باللسان عقد ثابت ، والرياء خطرة لانبطل العقد بما ان إقرار المنافق باللسان لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه فى الدنيا فكذا هنا ، فقوله فهى عقد الخ دليل وجوب الاعادة : واما دليل القول الاول المضعف للثانى فقوله ﴿ لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود ﴾ اذا لم تصح فهى ﴿ زائدة فيها ﴾ أى فى الصلاة ﴿ فتبطلها ﴾ أى تلك الافعال الصلاة ﴿ و بوجوب الاستغفار ﴾

قَلْبًا وَالْإِتْمَامِ مُخْلِصًا لِاعْتِبَارِ الْحَتْمِ كَمَا لَوْ خَتَمَ بِالرِّيَاءِ وَابْتَدَأَ بِالْإِخْلَاصِ
وَكُونَ الْعَمَلُ لَهُ تَعَالَى وَالْإِلْكَافِرُ، وَزَوَالَ عَارِضِ الرِّيَاءِ بِالتَّوْبَةِ لِأَنَّهُ قَادِحٌ
فِي النِّيَّةِ وَحَالَةِ الْبِدْءِ أَوْلَى بِالرَّعَايَةِ

أى ولضعف القول بوجوب الاستغفار (قلبا والاتمام) أى وبوجوب اتمام العمل
(مخلصا) أى متجردا عن الرياء (لاعتبار الحتم) لتعليل لوجوب الاستغفار والاتمام
مخلصا أى لا اعتبار خاتمة العمل (كما لو ختم بالرياء وابتدأ بالإخلاص) لكان
يفسد عمله (وكون العمل) أى ويكون العمل أو لا اعتبار كون العمل (له تعالى)
لا لغيره (والا) أى فلولا لم يكن العمل خالصا له بان صلى لغيره (لكفر) كما كفر
من يسجد للصنم ونحوه (وزوال عارض الرياء) أى وبزواله أو ولا اعتبار زواله
(بالتوبة لانه) دليل لضعف وجوب الاستغفار، والمعنى لان الرياء (قادح في
النية وحالة البداءة) أى الأولى (أولى بالرعاية) في الاخلاص من الحالة الثانية
لان المدار عليها في الأفعال الباقية فقد فات ذلك فيبطل العمل وتجب الاعادة، وتوضيحه
ما في الأحياء من أن الرياء الذي يقارن حال العقد بان يتبدى الصلاة على قصد الرياء فان
تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يعصى ولا يعتمد بصلاته، وان ندم عليه في أثناء صلاته
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه: قالت فرقة: لم تتعقد صلاته مع
قصد الرياء فليستأنفه، وقالت فرقة يلزمه اعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد
أفعاله دون تحريم الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن
كونه تقدا، وقالت فرقة: لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على
الإخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالإخلاص وختمها بالرياء لكان
يفسد عمله، وقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله فان سجد لغير الله كان
كافرا، ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بمحمد
الناس وذمهم فتصح صلاته، قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا
خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح، لان الركوع والسجود
اذا لم يصحبا صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة، وكذا قول من يقول لو ختم
بالإخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدر في النية. وأولى
الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح، فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال

وَأِنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ فَفِيْمَا لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ الصَّدَقَةُ يُثَابُ وَيُعَاقَبُ فُورِدَ (فَمَنْ يَعْمَلُ
مَثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) الْآيَةُ، وَفِي غَيْرِهِ كَالصَّلَاةِ لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ
الْاِقْتِدَاءُ وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ قَصْدُ الثَّوَابِ وَإِنْ اسْتَقَلَّ

إِنْ كَانَ بَاعَثَهُ مَجْرَدَ الرِّيَاءِ فِي ابْتِدَاءِ الْعَقْدِ دُونَ طَلْبِ الثَّوَابِ وَامْتِنَالِ الْأَمْرِ لَمْ يَنْعَقِدِ
الْاِفْتِتَاحُ وَلَمْ يَصِحَّ مَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ فِيمَنْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ لَمْ يَصِلْ فَهَذِهِ الصَّلَاةُ لِأَنِّي فِيهَا
إِذْ لَنِيَّةٍ عِبَارَةٌ عَنِ اجَابَةِ بَاعِثِ الدِّينِ وَهُنَا لِابَاعِثِ وَلَا اجَابَةَ . وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَوْلَا
النَّاسُ أَيْضًا لَكَانَ يَصِلُ لِأَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ الرِّغْبَةُ فِي الْمَحْمَدَةِ أَيْضًا فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَهَذَا مَعْنَى
قَوْلِهِ (وَأَنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ) الرِّيَاءُ مِنْ قَصْدِ الثَّوَابِ (فَفِيْمَا لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ) وَهُوَ الْعَمَلُ
الَّذِي لَيْسَ بِذِي أَرْكَانٍ (كَالصَّدَقَةِ) وَالْقِرَاءَةِ وَالصُّومِ وَالْحَجِّ (يُثَابُ) عَلَى قَصْدِ
الْاِخْلَاصِ حَيْثُ اطَّاعَ بِاجَابَةِ بَاعِثِ الثَّوَابِ (وَيُعَاقَبُ) عَلَى قَصْدِ الرِّيَاءِ حَيْثُ عَصَى
بِاجَابَةِ بَاعِثِ الرِّيَاءِ وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (فَمَنْ يَعْمَلُ مَثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) أَيُّرْ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ الْآخِرَى (الْآيَةُ) أَيُّ (وَمَنْ يَعْمَلُ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ) فَلَهُ ثَوَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الصَّحِيحِ وَعَلَيْهِ عِقَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الْفَاسِدِ وَلَا يَحْبُطُ
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ (وَفِي غَيْرِهِ) أَيُّ فِي غَيْرِهِ لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ وَهُوَ فِيْمَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ وَهُوَ
عَمَلُ ذَوِ الْأَرْكَانِ (كَالصَّلَاةِ) فَانْهَذَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ بِتَطَرُّقِ خِلَالِ النِّيَّةِ فَيُفَرَّقُ بَيْنَ الْفَرَضِ
وَالنَّفْلِ حَيْثُ قَالَ (لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ الْاِقْتِدَاءُ) وَالْمَعْنَى أَنْ حَكَمَهُ أَيْضًا حَكْمُ
الصَّدَقَةِ فَقَدْ عَصَى مِنْ وَجْهِهِ وَاطَّاعَ مِنْ وَجْهِهِ ، إِذَا اجْتَمَعَ فِي قَلْبِهِ الْبَاعِثَانِ ، وَلَا يُمْكِنُ
أَنْ يُقَالَ صَلَاتُهُ فَاسِدَةٌ وَالْاِقْتِدَاءُ بِهِ بَاطِلٌ ، حَتَّى أَنْ مِنْ صِلَى التَّرَاوِيحِ وَتَبَيَّنَ مِنْ قِرَائِنِ
حَالِهِ أَنْ قَصْدَهُ الرِّيَاءُ بِظَهَارِ حَسَنِ الْقِرَاءَةِ وَلَوْلَا اجْتِمَاعُ النَّاسِ خَلْفَهُ وَخِلَا فِي الْبَيْتِ
وَحْدَهُ لَمَا صَلَّى لِأَيُّصَحَّ الْاِقْتِدَاءُ بِهِ فَانَّ الْمَصِيرَ إِلَى هَذَا بَعِيدٌ جِدًّا بَلْ يَظُنُّ بِالْمُسْلِمِ أَنَّهُ
يَقْصِدُ الثَّوَابَ أَيْضًا بِتَطَوُّعِهِ فَتُصَحِّحُ بِاعْتِبَارِ ذَلِكَ الْقَصْدِ صَلَاتَهُ وَيَصِحُّ الْاِقْتِدَاءُ بِهِ
(وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ قَصْدُ الثَّوَابِ) بَانَ اقْتِرَانُهُ بِقَصْدِ آخَرَ هُوَ عَاصٍ
بِهِ فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ لَا يَسْتَقِلُّ وَأَمَّا يَحْصُلُ الْاِبْتِغَاءُ بِمَجْمُوعِهِمَا ، فَهَذَا
لَا يَسْقُطُ الْوَاجِبُ عَنْهُ ، لِأَنَّ الْاِجْتِمَاعَ لَمْ يَنْتَهِضْ بَاعِثًا فِي حَقِّهِ بِمَجْرَدِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ
(وَإِنْ اسْتَقَلَّ) أَيُّ قَصْدِ الثَّوَابِ بِمَقْتَضَى ظَاهِرِ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ ، وَالْاِظْهَارُ أَنْ اسْتَقَلَّ
كُلُّ مِنَ الْفَصْدَيْنِ الْبَاعِثَيْنِ حَتَّى لَوْلَمْ يَكُنْ بَاعِثُ الرِّيَاءِ لِأَدَى الْفَرَضِ وَلَوْلَمْ يَكُنْ بَاعِثُ

فَوَجَّهَانَ السُّقُوطُ بِالنِّيَّةِ الْمُسْتَقَلَّةِ وَعَدَمُهُ لِأَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْخَالِصُ وَإِنْ كَانَ فِي
 الْمُبَادَرَةِ فِيهِ فُوتُ الْفَضِيلَةِ لِقَصْدِ الرِّيَاءِ أَمَّا الْمَغْلُوبُ الْغَيْرُ الْمُؤَثِّرُ مَثَلًا كَمُجَرَّدِ
 الْفَرَحَةِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الْجَوَازُ لِعَدَمِ اعْتِبَارِ غَيْرِ الْمُؤَثِّرِ وَاحْتِمَالِ أَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ
 الْخَالِصُ وَالْمُخْلَطُ غَيْرُ مُؤَدٍّ وَمَنْ تَوَقَّفَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ مَثَلًا إِلَى الْفَسَادِ
 وَقِيلَ بِالْفَسَادِ بِأَقْلٍ خَطَرَةٌ مُطْلَقًا

الفرض لانشاء صلاة التطوع لاجل الرياء ﴿ فوجهان ﴾ اى فقيه احتمالان احدهما
 ﴿ السقوط ﴾ اى سقوط الفرض واعتباره للامثال ﴿ بالنية المستقلة ﴾ واقتران
 غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه ، كما لو صلى في دار معصوبة فانه وان كان عاصيا
 بايقاع الصلاة في الدار المعصوبة فانه مطيع بامثال الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه
 ﴿ وعدمه ﴾ اى وثانتهما نفى سقوط الفرض ﴿ لان الواجب ﴾ في تأدية الفرض
 ﴿ هو الخالص ﴾ من الرياء لقوله تعالى: ﴿ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾
 وقد فات ذلك باتصال الرياء ﴿ وان كان ﴾ باعث الاخلاص مستقلا ثم تعارض
 الاحتمال في تعارض البواعث انما هو في اصل الصلاة وان كان اتصال الرياء ﴿ في
 المبادرة ﴾ مثلا دون اصل الصلاة مثل من يبادر بالصلاة في اول الوقت لحضور الجماعة
 ليقولوا انه مبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ، ولو خلا لآخر الى
 وسط الوقت او آخره ، ولولا الفرض لكان لا يتبدى صلاة لاجل الرياء ، فهذا بما
 يقطع بصحة صلانه وسقوط الفرض عن ذمته ﴿ فنيه فوت الفضيلة ﴾ وهى تصحيح
 النية في المبادرة ﴿ والمعصية لقصد الرياء ﴾ في المبادرة ﴿ اما المغلوب ﴾ من الرياء
 ﴿ الغير المؤثر ﴾ اى اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل كالذى لم يحمله على تطويل
 الصلاة ﴿ مثلا كمجرد الفرحة ﴾ باطلاع الغير ﴿ فالغالب ﴾ من جهة الظن ﴿ فيه ﴾
 اى في ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر ﴿ الجواز ﴾ اى صحة العمل ﴿ لعدم اعتبار
 غير المؤثر ﴾ دفعا للخرج ﴿ واحتمل ان الواجب ﴾ على العبد ﴿ هو الخالص ﴾
 من العمل عن الرياء ﴿ والمخلط ﴾ بالرياء ﴿ غير مؤدى ﴾ حق الاداء ﴿ ومن ثم
 توقف الحارث المحاسبي مائلا الى الفساد ﴾ اى فساد العمل بالرياء غير المغلوب كما
 قدمناه ﴿ وقيل بالفساد باقل خطرة ﴾ فيما كان من ارکان العمل ﴿ مطلقا ﴾ اى

حَرَصًا فِي تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَالْمَسْأَلَةِ غَامِضَةً وَالْعِلْمِ عِنْدَهُ تَعَالَى، وَالْعِلَاجِ قَلْعٌ حَبِّ الْجَاهِ
وَالْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ وَالطَّمَعِ بِمَا سَبَقَ وَاخْتِفَاءِ الْعَمَلِ مُتَكَلِّفًا وَذِكْرُ فَوَائِدِ

سواء بلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل ام لا . وقيل مطلقا اي رياء كان او غيره
(حرصا) لطالبه الرب (في تصفية القلب) عما عداه سبحانه لاسيما حال العبادة
هو مذهب الثوري والجنيد (والمسألة) أي مسألة الرياء (غامضة) أي مشكلة
من حيث ان الفقهاء لم يعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا من
ارباب التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلاة وفسادها ، بل حملهم الحرص
على تصفية القلوب ومرادها ، وطاب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر
والارادات (والعلم عنده تعالى) في جميع الحالات والمقامات . وما يؤيد القول
بابطل الرياء في جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس) الآية ، ورواية ابى داود من حديث ابى
هريرة « ان رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغى الجهاد في سبيل الله وهو يبتغى عرضا
من عرض الدنيا ، فقال عليه السلام : لا اجر له » وللنسائي من حديث ابى امامة باسناد
حسن « ارأيت رجلا غرا يلتمس الاجر والذكر ماله ؟ فقال لاشيء له ، فاعادها ثلاث
مرات يقول له لاشيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى
به وجهه » نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم (والعلاج) اي دواء داء
الرياء اربعة (قلع حب الجاه والمدح) للذين هما سببه (وكرهه الذم والطمع)
فيما في ايدى الناس ، اي وقلع كراهتهما والطمع (بما سبق) ذكره من الاشياء .
وما يشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائى ما روى ابو موسى « ان اعرابيا
سأل النبي عليه السلام فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل حمية « ومعناه انه يأفان
يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال : والرجل يقاتل لذى مكانة « وهذا هو طلب
لذة الجاه « والرجل يقاتل للذكر ، وهذا هو طلب الحمد باللسان « فقال عليه السلام :
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا « متفق عليه . وعنه عليه السلام : « من غزا لا يبغي
الاعقالا فله مانوى » رواه النسائي وهذا اشارة الى الطمع (واخفاء العمل متكلما)
اي مجتهدا مهالغا فيه بان يعود نفسه اخفاء العبادات كما يخفى السيئات (وذكر فوائد

الْإِخْلَاصِ وَآفَاتِ الرِّيَاءِ فَمَا أَقْبَحَ مِنْ لَا يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ تَعَالَى عَلَى
سَاعَةِ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَهُوَ تَعَالَى مَعَ جَلَالِهِ يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ فُورِدَ . (لَتَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الْآيَةُ ، وَمَنْ بَاعَ عَمَلَهُ بِخَسِيسٍ فَإِنَّ وَعَارَضَ عَنْ يَبِيعَهُ
بِثَوَابِ الدَّارِ الْآخِرَةِ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)
وَذَكَرَ مَا وَرَدَ فِيهِ ، وَيُحْمَدُ الْفَرَحَةَ بِالظُّهُورِ عَلَى حُسْنِ لُطْفِهِ تَعَالَى

الاخلاص وآفات الرياء ﴿ على ما تقدم ﴾

والحاصل ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان ، وضعف المعرفة
بسبب حب الدنيا ، وحسب الغفلة ونسيان العقبي ، وقلة التفكير فيما عند المولى من
الدرجات ، وعدم التأمل في آفات الدنيا وعظم نعيم الاخرى ، واصل ذلك كله حب
الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع السيئات ، فان حلاوة حب الجاه
والمنزلة ونعيم الدنيا الفانية هي التي تغمر القلب وتميله عن الرب ، وتحول بينه وبين
التفكر في العاقبة الباقية ، والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة ، وانوار العلوم
النافعة واسرار الاعمال الرافعة ﴿ فما اقبح من لا يكتفى بنظره تعالى على ساعة من العمل
المعيوب ﴾ عنده ﴿ وهو تعالى مع جلاله ﴾ اى جلالة قدره وعظمة شأنه ﴿ يكتفى
بنظره ﴾ اى بنظر عبده وتأمله في خالق سمائه وارضه ونزول امره ﴿ فورد ﴾ في التنزيل
(الله الذى خالق سبع سموات ومن الارض مثامن يتنزل الامر بينهن) لتعلموا ان
الله على كل شىء قدير (الآية) اى (وان الله قد احاط بكل شىء علما) ﴿ ومن ﴾ اى
وما اقبح من ﴿ باع عمله بخسيس فان واعرض عن بيعه بثواب الدارين ﴾ من نفيس
باق ليس له ثاب ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة ﴾ فليطاهما من عنده فانه لا يوجد واحد منهما عند غيره ﴿ وذكر
ما ورد فيه ﴾ اى فى الاخلاص من الفضيلة وفى ذم الرياء من الرذيلة ، ويكفى فى ذلك
قوله سبحانه : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا) والاعبار فى هذا الباب كثيرة والآثار شهيرة ﴿ ويحمد الفرحة بالظهور ﴾
اى بسبب ظهور الطاعة من غير قصد فى اظهارها ﴿ (على حسن لطفه تعالى) اى شكرا

بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ وَاطْهَارِ الطَّاعَاتِ، فَوَرَدَ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) أَوْ دَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ فَوَرَدَ «مَا سَتَرَ اللَّهُ
عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَسَّتَهُ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ» وَأَنَّهُ يَقْتَدِي بِهِ فِي ضَاعِفِ الأَجْرِ
أَوْ أَنَّ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِهِ يَثَابُونَ بِمَحَبَّتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ الأَخِيرَ بِتَسْوِيَةِ مَدْحِهِ
وَمَدْحِ صَالِحٍ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ «لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السَّرِّ وَأَجْرُ العَلَانِيَةِ» فَيَمُنُّ
قَالَ أَخِي العَمَلُ فَإِذَا ظَهَرَ أَفْرَحَ

(بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ) أَي سَتَرَ السَّيِّئَاتِ (وَاطْهَارِ الطَّاعَاتِ فَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (قَالَ
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) مِنَ الأِيمَانِ وَالقرآنِ (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أَي لَا بَغِيرَ مَا ذَكَرَ
(هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ . وَفِي الدَّعَاءِ يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ وَسَتَرَ
القَبِيحَ (أَوْ دَلَالَتِهِ) أَي أَوْ يَحْمَدُ الفَرْحَةَ بِالظُّهُورِ عَلَى دَلَالَتِهِ (عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ)
مِنْ أَظْهَارِ الحَسَنَاتِ وَسَتَرَ السَّيِّئَاتِ (فِي الآخِرَةِ) أَي آخِرَ الحَالَاتِ (فَوَرَدَ) فِي
صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ هُرَيْرَةَ «مَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا الاوسْتَرَهُ عَلَيْهِ
فِي الآخِرَةِ» وَفِي مَعْنَاهُ انشَدُوا *

لقد احسن الله فيما مضى . كذلك يحسن فيما بقى
فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة للاستقبال، والثاني التفات
الى حال المآل وحسن المنال (اوانه) اي يحمد بالفرحة او بالظهور على ان من ظهر
عمله (يقتدى به فيضاعف الاجر) بسبب ظهوره (او) اي او يحمد بالفرحة
على (ان المطلعين على عمله يثابون بمحبته) اي بمحبة صاحب العمل (والثناء عليه) في مقام
رضاه ففي الخبر «أفضل الأعمال الحب في الله» (ويعرف الاخير) وهو صدق دعوى
فرحه باثابة الناس أو فرحه باقتدائهم في عمله (بتسوية مدحه ومدح صالح غيره)
فانه حينئذ دل على أن فرحه محمود لا مذموم مردود (ومنه) أي ومن الفرح المحمود
(ماورد لك اجران اجر السر وأجر العلانية فيمن قال) على طريق السؤال (اخفي
العمل) خوفا من الرياء (فاذا ظهر افرح) بظهور الثناء، فليبهق في شرب الايمان
«عن ابن مسعود ان رجلا قال اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني»
فقال عليه السلام : لك اجران اجر السر وأجر العلانية، ورواه الترمذي وابن حبان

وَالْأَظْهَارَ لِلتَّرْغِيبِ فُورِدَ «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وَبِهِ أَمْرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِشُرْطِ أَنْ يَكُونَ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيَبَالِغُ
فِي الْإِحْتِرَازِ عَنِ الرِّيَاءِ وَيَعْرِفُ بِأَنَّهُ لَوْ قَدَرَ اقْتِدَاءُ النَّاسِ بغيرِهِ وَعَرَفَانَهُ بِلِسْتَوَاءِ
أَجْرِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِمَا رَغِبَ

من رواية أنى هريرة، وله ظه «قال قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي دخل علي رجل
فأعجبني الحال التي رأيتني عليها، فقال عليه السلام: رحمك الله يا أبا هريرة لك أجران
أجر السر وأجر العلانية» والحديث في المشكاة «والأظهار» أي ويحمد أظهار العمل
«للتترغيب» أي لتترغيب غيره فيه «فورد» في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله
الجلبي «من سن سنة حسنة» أي فعمل بها كما في رواية «فله أجرها وأجر من عمل بها إلى
يوم القيامة» * وسبب وروده أن أنصارا ياجاه بصرة فتتابع الناس بالعطية لمارواه البيهقي
من حديث ابن عمر «عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء»
وله من حديث أنى الدرداء «ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا»
وله من حديث عائشة «يفضل أويضاعف الذي الحفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي
تسمعه بسبعين ضعفا» * (وبه) أي وبالظهار «أمر الأنبياء عليهم السلام» ويفهم
منه انه يحسن الأظهار «بشرط أن يكون» المظهر «من يقتدى به» من العلماء والصلحاء
لتم فائدة الأظهار الذي دون الأسرار. قال الحسن: قد علم المسلمون ان السر احرز
العملين، ولكن في الأظهار أيضا قد تكون فائدة فلذا اثنى الله على السر والعلانية فقال
تعالى: (ان تبدوا الصدقات فتنها هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قلت
وقد قال أيضا (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند
ربهم) الآية قال علي رضي الله عنه: تصدقت ب درهم في ليل وآخر في نهار وآخر سرا
وآخر علانية عملا بالآية وما فيها علانية «ويبالغ» أي وبشرط أن يبالغ «في الاحتراز عن
الرياء» * ليصل إلى مقام أهل الاختصاص من الاخلاص، فربما يكون فيه رياء في
غاية الخفاء فيدعوه إلى الأظهار بعذر الاقتداء فيهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك *
«ويعرف» احترازه أو يعرف المظهر للتترغيب دون الرياء «بانه لو قدر» أي فرض
«اقتداء الناس بغيره» من العلماء في عمله حال ظهوره «وعرفانه» أي وقد مر معرفة هذا
المظهر «بأستواء أجر السر والعلانية» فضلا عن كون عمل السر أفضل «لما رغب»

فِيهِ ، وَالذِّكْرُ بَعْدَهُ وَهُوَ لِمَنْ قَوِيَ بَاطِنُهُ وَتَمَّ اخْلَاصُهُ وَخَطَرُهُ اصْعَبُ لِحَقْفَةِ الْمُؤْتَةِ
 وَزِيَادَةِ الْمُبَالِغَةِ وَلَذَّةِ النَّفْسِ وَأَخْفُ لِأَنَّ اللَّاحِقَ لَا يُبْطِلُ السَّابِقَ وَكِتْمَانَ
 الْمَعَاصِي لِأَنَّ يَعْتَقِدُ فِيهِ الْعَمَلُ رِيَاءً بَلِّغًا لِلتَّحَامِي عَنِ الْهَتَكِ فَفِيهِ خَوْفُهُ فِي الْآخِرَةِ

المظهر ﴿ فيه ﴾ اى فى اظهار عمله ، لان غرضه حصل من عمل غيره ، فهما وجد
 النقل فى نفسه اورغب فى اظهار العمل مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب فى دعواه
 طالب لمقتضى هواه ﴿ والذكر ﴾ اى ويحمد ذكر العمل ﴿ بعده ﴾ اى بعد فراغ
 العمل ليقتمدى به كقول عثمان : ماتغيت ولا تمنيت ولا مستت ذكرى يمينى منذ بايعت
 بها رسول الله ﷺ ، كذا فى الاحياء . ولا يى يعلى الموصلى فى معجمه من رواية
 انس عنه فى اثناء حديث « وان عثمان قال يا رسول الله » فذكره بلفظ منذ بايعتك
 قال هو ذاك يا عثمان ، واتحدنا بنعمة ربه ﴿ وهو ﴾ اى الذكر انما جاز ﴿ لمن قوى باطنه ﴾
 فى المعرفة بعدم الالتفات الى سوى الله ﴿ وتم اخلاصه ﴾ عن الرياء ﴿ وخطره ﴾
 اى خطر الذكر بعد العمل ﴿ اصعب ﴾ من خطر الظهور ﴿ لحقفة المؤتة ﴾ اى الكلفة
 فى ذكره ببعض الكلمة ﴿ وزيادة المبالغة ﴾ اى ولزيادتها فى ذكر العمل بان يقول
 ماتمت البارحة مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس ﴿ ولذة النفس ﴾ فى
 اظهار الدعوى ﴿ واخف ﴾ اى اهون على المظهر فى التأثر وان يطرق فى الذكر
 بعد العمل ﴿ لان اللاحق ﴾ من ذكر العمل ﴿ لا يبطل السابق ﴾ من نفس العمل
 مع الاخلاص ﴿ وكتمان المعاصى ﴾ اى ويحمد كتمان الذنوب وكرهه اطلاق الناس
 على العيوب ﴿ لا ﴾ اى لا يحمد ﴿ لان يعتقد فيه ﴾ اى فى الكاتم ﴿ العمل رياء
 بل ﴾ يحمد لثمانية اشياء ﴿ للتحامى عن الهتك ﴾ اى للمحافظة على هتك ستره
 وظهور امره من ذنبه خوفا من سقوط وقع المعاصى من النفس وجرهتها عليها ، فان
 النفس متى ألقت ظهور الذنوب زادانها كما واسترسلت فى شهواتها بارتكابها وما بال
 بعدم اجتنابها ﴿ ففيه ﴾ اى فى الهتك فى الدنيا ﴿ خوفه ﴾ اى خوف العبد او خوف
 الهتك ﴿ فى الآخرة ﴾ اى فى القيامة بالكرة الآخرة عكس ماتقدم فى قوله

كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

أَوْ لَانَ السِّتْرِ مَا مَوْرَبَهُ فُورِدَ «مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذِرَاتِ فَلَيْسَتْ بِسِتْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِهَا مِنَ الْغَيْرِ أَوْ لِثَلَاثِ تَأْلَمَ بِالذَّمِّ فَهُوَ مَبَاحٌ لِكَوْنِهِ جَبَلِيًّا وَالتَّرْكَ كَالِ أَوْلَانِ النَّاسِ شَهَادَةٌ فُورِدَ «مَنْ اثْتَمِمَ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ اثْتَمِمَ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثًا أَوْ لَانَ الذَّمِّ يَصِيرُ عَاصِيًّا وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ

﴿ اولان الستر ﴾ اي كتمان المعاصي ﴿ وأموربه ﴾ اي في باب استحبابه ﴿ فورد ﴾ في حديث « من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة » باعتبار مفهومه وكذا ﴿ من ارتكب شيئا من هذه القاذورات ﴾ اي السيئات ﴿ فليستتر بستر الله تعالى عليه ﴾ رواه الحالم ﴿ ويعرف ﴾ صحة هذا المقام ﴿ بكراهة ظهورها ﴾ اي المعاصي ﴿ من الغير ﴾ ففي الخبر « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ﴿ او ثلما يتألم بالذم ﴾ اي بزم الناس فان الذم مؤلم للقلب وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان بعاصي ﴿ فهو ﴾ اي التالم ﴿ مباح لكونه جبليًا ان الضرب يؤلم الجوارح بالطبع فاذا تألم القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخشوع والخضوع في العبادة لفوات عقله بسبب الغضب الناشئ عن تألمه ﴿ والترك ﴾ اي ترك التالم ﴿ كمال ﴾ فان كمال الصدق في ان تزول عنه رؤية الخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله ان الضار والنافع هو الله وان العباد لهم عاجزون مقهورون تحت قدره وقضائه ، فللمزمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ « قام رجل فقال ان حمدي زين وازدعي شين فقال كذبت ذلك الله » ولاحمد من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات ﴿ اولان الناس شهداؤه ﴾ اي شهداء الله تعالى كما قيل : السنة الخلق أقلام الحق ﴿ فورد ﴾ في مسند أحمد والصحاحين والنسائي عن أنس ﴿ من اثتميم ﴾ ايها الصحابة أو ايها الأمة ﴿ عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن اثتميم عليه شرا وجبت له النار انتم شهداء الله في الأرض ثلاثا ﴾ اي قاله ثلاث مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أممًا وسطيًا) أي عدولا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ﴿ اولان الذام يصير عاصيا ﴾ أي بسبب ذمه ولو بالمعاصي أو بتجاوزه عن الحد في الذم فيذم بما ليس فيه ﴿ ويعرف ﴾ تصحيح هذا المقام أو يعرف هذا الكتمان ﴿ بتسوية

ذمه وذم غيره أو الخوف أن يقصد بسوء أو للحياء فهو من كرم الطبع وورد
 «الحياء خير كله الحياء شعبة من الإيمان» أولان لا يقتدى به الغير وحب
 محبته الناس لان يعلم منه محبته تعالى فمن أحبه تعالى جعله محبوباً في قلوبهم
 ثم الطاعة التي يلتذ بها العامة كالصلاة والصوم يترك بمحض الغير ان هجم الرياء
 في الشروع

ذمه وذم غيره) يعنى لما يتألم بذمه كذلك بذم غيره والفرق بين هذا التألم والذي قبله
 ان هذا يوجد في الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره أيضا كما يوجد اذا ظهرت منه ،
 والذي قبله انما يوجد في الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره (او الخوف ان يقصد
 بسوء) من محتسب وغيره وهذا وراء المذم ، فان الذم مذموم من حيث يشعر القلب بنقصانه
 وان كان بمن يؤمن شره ، وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه (أو
 للحياء فهو من كرم الطبع) ولا يلزم منه الرياء (وورد الحياء خير كله) مسلم من
 حديث عمران بن الحصين (الحياء شعبة من الايمان) متفق عليه من حديث أبي هريرة
 وفي الخبر « الحياء لا يأتي الا بخير » متفق عليه من حديث عمران بن الحصين . ويعرف
 الكتمان للحياء بعدم الكتمان فيمن لا يستحي منه كالأجانب بخلاف باقى الاسباب فان
 صاحبها يحب الكتمان في الاجانب والاقارب (أولان لا يقتدى به الغير) في معصيته
 فينبغى ان يخفى العاصى معصيته من ولده وعبدته أيضا (وحب) أى ويحمد حب
 (محبته الناس) كان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون اضافة المصدر الى فاعله والمفعول
 محذوف أى اياه ، لكنه قلب الكلام وقال محبته الناس بالاضافة الى المفعول والناس فاعلها
 (لان يعلم منه) أى من حب الناس له (محبته تعالى) رياء (فمن أحبه تعالى جعله محبوباً
 في قلوبهم) أى قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 سيجعل لهم الرحمن ودا) ولقوله عليه السلام « اذا أحب الله عبدا دعا جبريل فقال
 اى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى في السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فاحبه
 فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض » الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة
 (ثم الطاعة التي يلتذ بها العامة كالصلاة والصوم) والصدقة (يترك بمحض الغير ان
 هجم الرياء) متجردا عن باعث آخر او عن الاخلاص (في الشروع) أى في ابتداء

حَتَّىٰ اَنْدَفَعَ الرِّيَاءَ وَيَشْرَعَ مُجَاهِدًا اِنْ هَجَمَ بَاعِثَانِ وَيَتِمُّ كَذَلِكَ اِنْ هَجَمَ بَعْدَهُ
 وَلَا يَتْرُكُ لِاَنَّهُ مُوَافِقُهُ الشَّيْطَانَ وَلَا اِنْ اِشْتَهَرَ بِاخْفَائِهَا لِيَعْلَمَ اِخْلَاصَهُ رِيَاءً
 وَالْاِحْتِرَازَ عَنِ النَّسْبَةِ اِلَى الرِّيَاءِ رِيَاءً وَتَرَكَ النَّخْعِيَّ التَّلَاوَةَ لِدُخُولِ شَخْصٍ لِمَا عُلِمَ اَنَّهُ
 يَحْتَاجُ اِلَيْهِ بِالِاشْتِغَالِ بِهِ لِكَوْنِهِ اَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ وَاِنْ زَادَ عَلَى الْمُعْتَادِ بِحُدُوثِ
 النِّشَاطِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ مُتَعَبِدًا فَاِنْ كَانَ غَبْطَةً لِرُؤَالِ الْغَفْلَةِ وَالسَّكْسَلِ

شروعہ فی العمل ﴿ حتی اندفع الریاء ﴾ اى الى ان یندفع الریاء و یطرأ باعث الاخلاص
 ﴿ و یشرع ﴾ فی العمل ﴿ مجاہدا ﴾ نفسه فی دفع الریاء و تحصیل الاخلاص بالمعالجۃ
 و الدواء ﴿ ان هجم باعثان ﴾ فی وقت الشروع ﴿ و یتیم ﴾ اى مجاہدا ﴿ كذلك ﴾ اى
 کما اتم فی هجوم باعثین ﴿ ان هجم ﴾ باعث الریاء ﴿ بعده ﴾ اى بعد الشروع ﴿ ولا یترک ﴾
 اى ریاء الشروع فی العمل مع هجوم الریاء لوجهین ﴿ لانه موافقۃ الشیطان ﴾ فانه یحب
 ترک العمل من اصله ، فانه یدعوک أولا الى ترک العمل ، فاذا لم تجبه و اشتغلت بالعمل
 فیدعوک الى الریاء ، فاذا لم تجبه و دفعته بقى یقول لك هذا العمل لیس بخالص و أنت مرء
 و تعبك ضایع فای فائدة لك فی العمل الذى لا اخلاص فیہ حتى یدلك على ترک العمل
 بخوفك ، فاذا ترکته حصلت غرضه ، بل یجب عليك حیثئذ أن تعمل العمل و تطلب
 الاخلاص من الله تعالى فان الریاء قنطرة الاخلاص ﴿ ولان الاشتهار باخفائها ﴾ اى
 الطاعة ﴿ لیعلم اخلاصه ریا و الاحتراز عن النسبة الى الریاء ریا ﴾ كما قال الفضیل : العمل لغير
 الله شرك ، و ترک العمل لاجل الخاق ریا ، و الاخلاص ان یخلصك الله منها ﴿ و ترک النخعی
 التلاوة لدخول شخص ﴾ لم یکن لمجر داخفاء الطاعة بل ﴿ لما علم انه یحتاج الیه بالاشتغال به ﴾
 فبادر الى ترک التلاوة قبل دخوله ﴿ لیکونه ﴾ اى التبادر ﴿ ابعده من الریاء ﴾ فرأى ان عدم
 اشتغاله بالقراءة ابعده من الریاء ، و هو عازم على التریك للاشتغال به حتى یعود الیه بعد ذلك
 و الحاصل ان تر کلم یکن لهجوم الباعثین عند الشروع أو هجوم باعث الریاء بعد الشروع
 ﴿ وان زاد ﴾ اى المصلی مثلا ﴿ على المعتاد ﴾ فی ورده کمية أو کیفیة ﴿ بحدوث النشاط ﴾ فی
 العبادة ﴿ عند رؤیته متعبدا ﴾ اى عند رؤیته لمتعبد آخر فان للصحة تأثیرا بلیغا و لذا شرع الجمعة
 و الجماعة ﴿ فان كان ﴾ ما زاد على المعتاد ﴿ غبطة ﴾ فی العبادة ﴿ لزوال الغفلة و السكسل

بمشاهدته فيفعل الزيادة دافعاً وسوسة أنه رياء بخلاف ما إذا كان نشاطاً لاستمالة قلبه ويعرف بأنه لورأى بحيث لم يره رغب فيه أماماً تلتذ به العامة فالأعلى الخلافة
 فورد «ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة» وخطرهما
 أعظم لتحريكها الباطن في محبة الجاه والافضاء الى ارتكاب الذنب لنموه

بمشاهدته أي المتعبد (فيفعل الزيادة) على العادة وان ظن انه رياء دافعاً وسوسة انه رياء
 (بخلاف ما اذا كان نشاطاً لاستمالة قلبه) أي قلب المتعبد الآخر فلا يفعل الزيادة لانه رياء
 محض لا ثواب فيه بل عقاب عليه (ويعرف) هذا المقام وهو النشاط لاجل الغبطة (بانه)
 أي بان العابد الذي يزيد على المعتاد غبطة (لورأى) أي المشط المتعبد (بحيث لم يره)
 المتعبد المنشط (رغب) العابد (فيه) أي في العمل الزائد فانه حينئذ يصدق انه مخلص
 وباعت الزيادة حصول الغبطة (اماماً تلتذ به العامة) من الطاعة (فالأعلى الخلافة)
 أي الامامة الكبرى (فورد) في الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس (ليوم
 من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة) وفي رواية عاماً، وللصفهاني
 في الترغيب والترهيب من حديث ابي سعيد الخدري «اقرب الناس مني مجلساً يوم
 القيمة امام عادل» (وخطرهما) أي آفة الخلافة (اعظم لتحريكها) أي الخلافة
 (الباطن في محبة الجاه) وهو اعظم بلاء الدنيا فلاحمد، والبزار واني يعلى والطبراني
 من حديث ابي هريرة «ما من والى عشرة الا جاء يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه
 لا يفكها الا اذا غفر له» وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار «ما من عبد يستترعيه
 الله رعية لم يحطها بنصيحة الالم يرح رائحة الجنة» وعن الحسن ان رجلاً ولاه النبي
 عليه السلام فقال خري يارسول الله قال اجلس رواه الطبراني ورواه ايضاً من حديث
 ابن عمر بلفظ «الزم بيتك» وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة «لا تسأل
 الامارة» وللبخاري من حديث ابي هريرة «انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة
 يوم القيمة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» ورواه ابن حبان «فبئست
 المرضعة وبئست الفاطمة» وفيهما من حديث ابي موسى «انا لانولى امرنا من
 سألنا» (والافضاء) أي واتصال الخلافة وانجرارها (الى ارتكاب الذنب لنموه)
 أي لزيادة الجاه، فان كل ما نجا جهه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبة

وَمَنْ تَمَّ احْتِرَازَ عَنِهَا الْاِتِّقَاءُ فَيَحْتَرِزُ عَنْهَا الضَّعِيفُ دُونَ القَوِي لِعَدَمِ
تَأْثِيرِهَا فِيهِ الْاِذَا عِلْمُ القَوِي الْاِنْقِلَابَ عِنْدَ التَّقْلِيدِ فَالصَّحِيحُ فِيهِ الْاِحْتِرَازُ
إِذِ النَّفْسُ خَدَاعَةٌ يُخَافُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْجَزْمِ بِالثَّبَاتِ فَعِنْدَ الخَوْفِ اُولَى وَالْاِمْتِنَاعُ
اَهْوَنُ مِنَ الْعَزْمِ ثُمَّ الْقَضَاءُ ثُمَّ الْوَعظُ وَالدَّرْسُ وَالْفَتْوَى فِي الْفَضْلِ وَالْخَطَرِ
وَاشْتِرَاطِ القُوَّةِ وَمُدَافَعَةِ السَّلَفِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ ،

عنده فيحتاج الى حفظها و يوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وان
كان حقا (ومن ثم احتراز عنها) اى عن الخلافة (الاتقياء) من الابرار الامه لكن
لا بد لاحد ان يقوم بامرها (فيحترز عنها الضعيف) اى العاجز عن السياسة (دون
القوى) القادر على الرياسة (لعدم تأثيرها) اى تأثير الخلافة أو محبة الجاه (فيه)
اى فى القوى (الا اذا علم القوى) اى خاف (الانقلاب) ، عن حالة القوة الى
حالة الضعف (عند التقليد) اى عند قبول الخلافة لما قدمنا من الخطر والآفة (فالصحيح)
الاحوط (فيه) اى فى هذا الحال من خوف الانقلاب (الاحتراز ، اذ النفس
خداعة يخاف عليها عند الجزم) اى عند عزمها وجزمها (بالثبات فعند الخوف)
من عدم الثبات (اولى) ان يخاف عليها (والامتناع) عن المنصب (اهنون
من العزل) كما هو المشاهد فى اهل العدل ويشير اليه ما فى حديث البخارى « نعمت
المرضعة وبسنت الفاطمة » (ثم القضاء) وخطره ايضا اذنى من خطر الخلافة ، ولمسلم
من حديث ابى ذر « لا تؤمرن على اثنين ولا تدين مال يتيم ، ولا صحاب السنن من
حديث بريدة « القضاء ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل علم الحق ففضى به
فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل عرف الحق فجار فى
الحكم فهو فى النار » ولهم من حديث ابى هريرة « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين »
وفى رواية « من ولى القضاء » واسناده صحيح (ثم الرعظ) ، للناس (والدرس)
للطلبة (والفتوى) لارباب الحاجة (فى الفضل) لانها عبادات متعدية (والخطر)
لاتساع الجاه فيها وعظم القدر بها فخطرها عظيم بقدرها (واشترط القوة) بان
يحول التعليم خالصا لوجه الله الكريم (ومدافعة السلف) مبتدأ (فيها) اى فى
المدكورات (مشهورة) قال بعضهم : كان السلف يتدافعون اربعة اشياء : الامانة

وتعرف القوة بعدم كراهة ظهور آخر يتقلده فإن عدم القوى الكامل يتعين
أقوى الناس مجتهدا في الاحتراز عن آفاته

(الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الأمل وذكر الموت والانتباه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْخَطَرُ خَطَرَانِ خَطَرُ الْفَسَادِ وَيَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّفْوِيضِ

والودعية ، والوصية ، والفتوى (وتعرف القوة) في كل منهم (بعدم كراهة ظهور
آخر) أحسن منه علما وعملا (يتقلده) أي بالقيام في أمره (فإن عدم القوى) في مقام
التقوى (الكامل) في العلم بالفتوى (يتعين أقوى الناس مجتهدا) أي حال كونه مبالغا
(في الاحتراز عن آفاته) أي آفات ما ذكر من الخلافة وغيرها في جميع حالاته ومقاماته
وبالجملة ما يتعاق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات ومنع البليات ،
فلا أحب للقوى أن يعمل ويدفع الآفة بالعلم ، فإن عجز فليُنظر وليجتهد وليستغفرت قلبه
وليستخر ربه ولين من مافيه من الخير بما فيه من الشر ، وليفعل ما يدل عليه نور العلم بالشرع
دون الميل إليه بالطبع إذ ما يجده أخف على قلبه واهون إليه يكون في الاعتراض عليه ،
لان النفس لا تشير إلا بالشر قلما تشير بمحض الخير ، وهذه أمور لا يمكن الحكم على
تفاصيلها بنفي واثبات نظرا إلى تعاليها ، بل هي موكولة إلى اجتهاد القلب المشحون
بذكر الرب لينظر فيه لدينه وتحقيق يقينه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه . ومن جرب آفات
مناصب العلم وما يترتب عليهما من الحرام والشبه علم أنها بالولايات والحكومات أشبه
وإن الحذر منها في حق الضعيف أسلم . والله سبحانه أعلم .

(الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الأمل وذكر الموت والانتباه)
أي اليقظة من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة (بسم الله الرحمن الرحيم) وافوض أمري
إلى من أكره (الخطر) وهو الاشراف على الهلاك إن لم يكن مقرونا بالحذر وفق
القدر (خطران) أي نوعان أحدهما (خطر الفساد) بأن لا يستيقن فيه الإصلاح
(ويحتاج فيه إلى التفويض) أي التسليم إلى امر الله وما قدره وقضاه فيما أراد من
الإصلاح والفساد ، فإن المراد للعباد ثلاثة ، مراد يعلم يقينا أنه شر وفساد كالنار والعذاب
والحجاب ، وفي الأفعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك إلى ارادة ذلك .
و مراد يعلم قطعا أنه خير وصلاح كالجنة والإيمان والطاعة والسنة فلك ارادتها بالحكم

وَهُوَ ارَادَةُ حَفْظِهِ تَعَالَى لِلتَّفْوِضِ فِيمَا لَا أَمْنَ فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ قِيلَ هُوَ مَا يَكُونُ
 دُونَهُ نَجَاةً وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَامِعَهُ ذَنْبٌ فَيَخْتَصُّ بِالنَّوَافِلِ وَالْمُبَاهَاةِ وَقِيلَ مَا يُمْكِنُ
 أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ الْأَشْتِغَالُ بِهِ أَوْلَى، فَيَعْمُ الْفَرَضَ

لاموضع للتفويض فيه اذا خطر فيه ، ومراد لا يعلم يقينا ان لك فيه صلاحا أم فسادا
 فهذا موضع التفويض ، فليس لك ان تريدها قطعاً الا بالاستثناء أو شرط الخير والصلاح ،
 فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان أردت دون الاستثناء فهو مذموم
 ومنهى عنه ، فوضع التفويض إذا كل مراد فيه الخطر وهو أن لا يستيقن صلاحك
 فيه (وهو) أى التفويض (ارادة حفظه تعالى للتوفض فيها) أى فى عمل (لا امن
 فيه من الفساد) وقال بعض المشايخ : هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر
 العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد ، وعبارة الشيخ السنجرى : هو ترك اختيارك
 المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك ، ويؤيده كلام الامام الشاذلى :
 لا تخترفان تخترفا تخترفان لا تختار فربك يخاف ما يشاء ويختار ، ومن هنا ما قيل لابي يزيد:
 ما تريد ، قال أريد ان لا أريد ، وقال الشيخ أبو عمر : هو ترك الطمع أى من الحق ، والطمع
 ارادة الشيء المخاطر بالحكم . وعن الشاذلى : اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم
 لك . فهذه عبارات القوم . وما ذكره المصنف هو اختيار الامام الغزالي بعينه وهو
 ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لاجلك
 (قيل هو) أى العمل الذى لا أمن فيه من الفساد (ما يكون دونه نجاة) فالإيمان ليس
 لغيره نجاة وكذا الواجبات والمحرمات (ويمكن أن يجامعه ذنب) فالاستقامة التى
 هى حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والشبهة
 لا يجامعها ذنب اذ السنة لا يجامعها بدعة ، لان البدعة الذميمة هى التى تزاحم السنة
 الكريمة (فيختص) التفويض (بالنوافل والمباحات) دون الواجبات والمحرمات
 والمكروهات (وقيل) المراد بالعمل الذى لا أمن فيه من الفساد (ما) أى عمل (يمكن ان
 يعترض عليه) أى يطرأ ويحدث على شروعه (ما يكون الاشتغال به أولى فيعم
 الفرض) أى ونحوه . واكثر المشايخ واختيار الامام فى منهاج العابدين : ان الفرض
 ليس موضع التفويض وبه قال القشيري حيث قال فى هذه المسألة : ان الذى افترض الله
 عز وجل على عبده من الصلاة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لاجل حاله

اذ من قصد أداء صلاة ضاق وقتها وعنده غريق أو حريق يمكن إنقاذه فهو أولى
 ولا بد منه لأطمئنان القلب في الحال وحصول الصلاح في الاستقبال فلا
 يفعل في المفوض الفساد فوراً (وأفوض أمرى الى الله - الى - فوقاه الله) الآية
 وأما الأصلح فربما لا يفعل حتى نام عليه السلام مع أصحابه

وصحت ارادتها بالحكم البتة انتهى، وقال بعضهم . ان الله عز وجل لا يأمر العبد بشيء
 الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ، ولا يضيق عليه فعلا فربما يث لا يعدل عن
 ذلك الا وفيه صلاح له ، وانه ربما يسبب عذرا لاجله يكون العدول عن احد الفرائض
 اولى من الاشتغال بالآخر ، فيكون العبد في ذلك معذورا بل مأجورا لكن لا يترك هذا
 الفرض بل يفعل الفرض الذى هو اولى اولا ﴿ اذ من قصد أداء صلاة ضاق وقتها
 وعنده غريق أو حريق ﴾ او اعنى او صغير يريد ان يرتقى في بئر ﴿ يمكن انقاذه ﴾ اى
 تخليصه بترك أداء الصلاة أو بقطعها وتأخيرها ﴿ فهو اولى ﴾ من ادائها واتمامها
 لان ذلك هو فرض الوقت الذى يوجب تركه المقت ﴿ ولا بد منه ﴾ اى من التفويض
 لامرئ ﴿ لأطمئنان القلب في الحال ﴾ فان الامور اذا كانت خطيرة مهمة لا يدري
 صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب متردد النفس في مرادها لا يدري يقع
 في صلاح او فساد ، فاذا فوضت الامر الى الله وما قدره وقضاه علمت انك لا تقع الا في خير
 وصلاح ونفع وفلاح فتكون آمنا من الخطر والآفة والخافة مطمئن البال في الحال ،
 وهذه الطمانينة والامن والراحة في القلب غنيمة عظيمة في المنال ، فكان يقول بعض
 المشايخ في مجالسه كثيرا : دع التدبير الى من خلقك تسترح ﴿ وحصول الصلاح ﴾
 اى الخير والنفع ﴿ في الاستقبال ﴾ وذلك لان الامور بالعواقب مهمة ، فكم من
 شر في صورة خير ، ولم من نفع في حامية ضر ، ولم من سم في طينة شهد ، وانت
 جاهل بالعواقب واسرار المراتب . واما اذا فوضت الامر اليه وتولت عليه وسلمت
 نفسك لديه وسألته ان يختارك ما هو صلاحك ﴿ فلا يفعل ﴾ رب العباد ﴿ في المفوض ﴾
 اى في امر المفوض للمراد ﴿ الفساد ﴾ بل لم يلق الا الخير والرشاد ولا يقع الا الصلاح
 والسداد ﴿ فوراً ﴾ فى التنزيل حكاية عن مؤمن آل فرعون ﴿ وأفوض امرى الى
 الله الى فوقاه الله الآية ﴾ اى (ان ابصير بالعباد فوقاه الله سيئات مامكروا وحق
 بال آل فرعون سوء العذاب) فالمرجو المتيقن هو الصلاح ﴿ واما الاصلح ﴾ للعبد
 ﴿ فربما لا يفعل ﴾ الله فى المفوض ﴿ حتى نام عليه السلام مع أصحابه ﴾ الكرام

عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَلَهُ اخْتِيَارُ الْاَفْضَلِ كَقَوْلِ الْمَرِيضِ لِلطَّيِّبِ اجْعَلْ دَوَائِي مَاءَ
السُّكَّرِ لَا مَاءَ الشَّعِيرِ اِذَا كَانَ الصَّلَاحُ فِيهِمَا مَعَ الرَّضَاءِ بِالْمَفْضُولِ اِنْ اخْتِيرَ لَهُ بِخِلَافِ
الاصْلَحِ فَهُوَ مَجْهُولٌ وَضَدَهُ الطَّمَعُ وَهُوَ مَحْمُودٌ

﴿ عن صلاة الفجر ﴾ حين عرس عليه السلام وقت سحر في حال سفر ، والحديث في
الصحيحين بطوله ﴿ وله ﴾ اى وللمفوض ﴿ اختيار الافضل ﴾ اى فى طلبه من الله
بغير استثناء منه وهو لا يقدح فى تفويضه الذى هو كمال تسليمه ﴿ كقول المريض ﴾
المفوض ﴿ للطيب ﴾ الذى بمنزلة الحبيب ﴿ اجعل دوائى ماء السكر لا ماء الشعير اذا كان
الصلاح فيهما ﴾ بحسب التدبير ﴿ مع الرضاء بالمفضول ﴾ وهو ماء الشعير ﴿ ان
اختير له ﴾ اى اختار الطيب المفضول ﴿ له ﴾ للمريض بحسب التقدير ، وانما قيد
بكونه مع الرضاء لانه لو لم يرض به لكان المفضول مكروها وكان الافضل حينئذ هو
الفاضل ﴿ بخلاف الاصلح فهو مجهول ﴾ اى لا يعرف احد من العباد جهة الصلاح
وجهة الفساد حتى يختار الاصلح فيما ازاد . وتوضيحه ما فى الاحياء فان قيل بهل
يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل فى حق الله تعالى ،
ولا يجب لعباده عليه شىء ، وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة فى فعله ،
الآتى انه قدر للنبي عليه السلام واصحابه ان تاموا طول الليل فى بعض الاسفار حتى
فاتتهم صلاة الفجر ، والصلاة افضل من النوم ، وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة فى
الدنيا وان كان الفقير افضل باعتبار العقبي ، ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج
وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير ، فالمقصود للعبد النجاة
من الهلاك لان الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك . فان قيل فلما ذا كان للعبد ان
يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح ؟ فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف
الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريد بالحكم ، ثم معنى اختياره
الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره
هناك ، لان للعبد تحكما فى شىء لقوله تعالى (ليس لك من الامر شىء) فانه جملة
من دقائق هذا العلم واسراره وحقائقه وانواره ، ولولان الحاجة مست اليه لما تعرضنا
بالايراد عليه ، لانه يلاطم بحار علوم المكشفة ونحن فى ساحل علوم المعاملة ﴿ وضده ﴾
اى ضد التفويض ﴿ الطمع ﴾ من الحق بمعنى الرجاء ﴿ وهو ﴾ اى الطمع ﴿ محمود ﴾

إِنْ قِيدَ بِشَرْطِ الصَّلَاحِ أَوْ بَابِنِ الْخَطَرِ فُورِدَ . (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي - إِذَا نَطَمَحُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا) وَالْأَفْزَمُومُ فَهُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ
إِلَى مَنَفَعَةٍ مَشْكُوكَةٍ وَخَطَرُ عَدَمِ الْكُونِ وَيَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قَصْرِ الْأَمَلِ وَهُوَ أَنْ
لَا يُرَادُ أَمْرٌ يَشْكُ فِي كَوْنِهِ إِلَّا بِالْإِسْتِثْنَاءِ بِذِكْرِ الْمَشِيئَةِ أَوْ الْعِلْمِ قَلْبًا فُورِدَ «إِذَا

ان قيد بشرط الصلاح) فيما لا امن فيه عن الفساد (او باين) اي ان فارق المطموع
(الخطر) اي خطر الفساد (فورد) في التنزيل حكاية عن ابراهيم (و الذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي) يوم الدين ، وعن السحرة (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا) ان كنا اول المؤمنين * وكذا قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: (ومالنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) فالطمع
الوارد في هذه الآيات مثال ما بين الخطر (والافزموم) اي وان لم يقيد بشرط
الصلاح اولم يبين الخطر فالطمع مذموم، ففي الخبر «ايالم والطمع فانه فقر حاضر»
وقيل . صلاح الدين الورع وفساده الطمع (فهو) اي الطمع المذموم (سكون
القلب الى منفعة مشكوكه) وقيل هو ارادة الشيء المخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل
التفويض لاغير فاعلم ذلك . واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان
الهلاك والفساد منها ، وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب النخطر
والامتناع من الوقوع فيها لجهلك وغفلتك وضعفك، فالمرادية على هذين الذكرين
تحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن
ارادتها الا بشرط صلاحها ، وهذا غاية التحقيق والله ولي التوفيق (وخطر عدم
الكون) بالرفع عطف على قوله في اول الباب خطر الفساد ، اي الخطر خطر ان:
خطر الفساد وخطر عدم الكون اي عدم وجود الامر (ويحتاج فيه) اي في خطر
عدم الكون (الى قصر الامل) اي وتقريب الاجل وتكثير العمل (وهو) اي
قصر الامل (ان لا يراد امر يشك في كونه) اي وجوده (الا بالاستثناء بذكر
المشيئة) اي بقيد ان شاء الله كما قال تعالى: (ولا تقولن لشيء عاني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله) (او العلم) اي او بذكر علم الله فيقول: ان علم الله اني افعل ذلك الفعل
فأفعل (قلبا) اي يكفي في الذكر والعلم خطور القلب وحضور الجنان ، ولا يلزم
فيها النطق باللسان في عالم البيان (فورد) في قصر الامل خطابا لابن عمر (اذا

أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ «
وَالْأَمَلُ هُوَ الْإِرَادَةُ بِالْحُكْمِ وَفِيهِ التَّفَاوُتُ مِنْ أَمَلِ الْبَقَاءِ أَبَدًا وَإِلَى الْهَرَمِ وَالسَّنَةِ
وَالْفَضْلِ وَالشَّهْرِ

أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ﴿أي بادراكه﴾ وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح ﴿وتماهه﴾ «وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحبتك لسقمك ، فانك يا عبد الله
لا تدري ما اسمك غدا» وصدر الحديث «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
وعد نفسك من أصحاب القبور» رواه ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر ،
ولابن أبي الدنيا من حديث علي مرفوعا قال «ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع
الهوى وطول الأمل ، فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق ، واما طول الأمل فانه يورث
الحب للدنيا ، ثم قال الا ان الله يهطى الدنيا من يحب ويبغض ، واذا أحب عبدا أعطاه
الايان ، الا ان للدنيا أبناء وللدين أبناء فكونوا أبناء الدين ولا تكونوا أبناء الدنيا الا ان الدنيا
قد ارتحلت مولية ، الا ان الآخرة قد اظلت مقبلة ، الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب ،
الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل» ﴿والأمل﴾ أى وضد
التفويض الأمل أيضا ﴿هو الإرادة﴾ أى إرادة أمر يشك في كونه ﴿بالحكم﴾ أى
بالقطع لا بالاستثناء وقيد المشيئة ﴿وفيه﴾ أى في الأمل ﴿التفاوت من أمل البقاء أبدا﴾
كما للكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى (ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو
يعمر ألف سنة) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « قلب الشيخ شاب على حب اثنين
طول الحياة وحب المال » ﴿والى الهرم﴾ أى الكبر وهو حال الأكثر ﴿والسنة﴾ وهو
قريب الى السنة فانه عليه السلام كان يدخر لعياله قوت سنة لسكفاية حالهم من ماله
﴿والفصل﴾ من الفصول الأربعة ﴿والشهر﴾ فلابن أبي الدنيا والطبراني وأبي نعيم
والبيهقي عن ابي سعيد « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر
فسمعت رسول الله ﷺ يقول : «الاتعجبون من أسامة اشترى الى شهر ، ان اسامة
لطويل الأمل ، والذي نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان جفنى لا يلتقيان حتى
يقبض الله روحى ، ولا رفعت طرفى و ظننت أنى واضعه حتى اقبض ، ولا لقمتم لقمة الا
ظننت أنى لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال : يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا
أنفسكم من الموتى ، والذي نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ، ولا بن

المبارك وابن أبي الدنيا والبخاري من حديث ابن عباس « كان يخرج عليه السلام يريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول الماء منك قريب ، فيقول ما يدريني لعل لا أبلغه » وكان عليه السلام يقول في دعائه « اللهم انى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » ابن أبي الدنيا من رواية حوشب ، وقال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لحشيت على ذهاب عقلي ، ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنأوا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق . وقال بعضهم : لولا الحمقى لحربت الدنيا ، وقال الثوري : الزهد فى الدنيا بقصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ والبس العباء . وقيل للحسن : ألا تغسل قميصك . قال الأمر أعجل من ذلك ، ورأى وهب بن منبه فى حجر منقور : ابن آدم انك لو رأيت ما بقى من أجلك لزهدت فى طول امالك ، ولرغبت فى زيادة عملك ، ولقصرت عن حرصك وجهلك انما يلقاك غدا ندمك ، لو قد زلت قدمك ، واسلمك أهلك وحشمك ، وفارقك الوالد والقريب ، ورفضك الولد والنسيب ، فلانك الى دنياك تائد ؛ ولانى حسناك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ، وعن داود الطائى : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أهله ضعف عمله ، وكل ما هو آت قريب وكل ما يشغلك عن ربك فهو مشؤم ، وان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور ، انما يندون على ما يخلفون ، ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور فاله الدنيا عليه يقتتلون ، وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم يختصمون ، وروى ان معروف السرخى أقام الصلاة فقال لا حمد بن أبى توبة تقدم فقال : ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غير ها فقال معروف : وانت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فانه يمنع خير العمل . وكان الحسن يقول فى موعظته : المبادرة فانما هى الانفاس لو حسبت انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها الى الله تعالى عز وجل ، رحم الله عبدا انظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية (انما نعد لهم عدا) يعنى الانفاس آخر العذ خروج نفسك عن نفسك ، واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهد اشديدا ، فقيل له : لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق ، فقال الخليل اذا أرسلت فقاربت رأس مجارها أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقى من عمرى أقل من ذلك ، فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لامرأته : شدى رحلك فليس على جهنم معبر ، وقال ابن عمر « خرج عليه السلام والشمس على اطراف السعف ، وقال ما بقى من الدنيا الا مثل ما بقى من يومنا هذا الى ما مضى منه » ابن أبى الدنيا والترمذى وحسنه . وعن أنس قال عليه السلام « مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقى معلقا بخيط

وَالْيَوْمِ وَالسَّاعَةِ وَيُظْهَرُ بِالْإِدْخَارِ وَالتَّاهِبِ، وَأَفَاتُهُ تَرْكُ الطَّاعَةِ وَالْكَسَلِ

في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع « رواه ابن أبي الدنيا . ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما بادر خروج روحى . وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : (ولاكنكم فنتنم أنفسكم) قال بالشهوات واللذات (وتربصتم) قال بالتوبة (وارنبتم) قال شكركتم (حتى جاء امر الله) قال الموت (وغرکم بالله الغرور) (واليوم) فعن عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأق فيهِ ارزاقكم ، وان لم يكن من آجالكم لا تهتموا لآجال غيركم . وهو يؤخذ من قوله تعالى (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) (والساعة) النجوية والغوية الشاملة للحظة والغمضة . ويؤخذ هذا من قوله تعالى (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) ومن قوله (ولن يؤخر الله نفسا) اى ولو نفسا (اذا جاء أجلها) وفى الاحياء : ومنهم من يكون الموت نصب عينه كأنه واقع به فهو ينتظره . وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع . وفيه ورد ما نقل عن معاذ لمأله عليه السلام عن حقيقة ايمانه فقال « ماخطوت خطوة الاظننت انى لا تبعها اخرى » رواه ابو نعيم فى الحلية . وبما نقل عن الاسود وهو الحبشى انه كان يصلى ليلا ويتفت يمينا وشمالا ، فقال قائل ما هذا ؟ قال انتظر ملك الموت من أى جهة يأتينى ، يعنى وفى اى صفة يحضرنى ، وهل اكون من اصحاب اليمين او اصحاب الشمال ، وخوف الرجال من هذا الحال لامن انتهاء الآجال . وفى منهاج العابدين قال : اكثر علمائنا ان الامل ارادة الحياة للوقت المتراخى بالحكم ، وتصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشيئة الله وعلمه فى الذكر ، او بشرط الصلاح فى الارادة ، فاذا ان ذكرت حياتك بانى اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل ، وذلك معصية اذ هو حكم على الغيب ، وان قيده بالمشيئة والعلم من الله فقالت اعيش ان شاء الله وان علم الله انى اعيش بعد خرجت عن حكم الامل ؛ وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثانى قطعاً فانت آمل ، وان قدرت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بتقصير الامل حيث تركت الحكم فى ذكر البقاء و ارادته ، والمراد بالذكر ذكر القلب . ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب على ما هنالك (ويظهر) هذا التفاوت (بالادخار) اى بوضع ذخيرة الارزاق (والتأهب) اى التهيؤ لاسباب المعاش فى الارفاق (وآفاته) اى آفات الامل وهو مضرا به ستة (ترك الطاعة) رأسا (والكسل) فى العبادة . والامل

والتسوية والحرص ونسيان الآخرة والقسوة فورد (فطال عليهم الأمد فقسست
 قلوبهم - ويملهم الأمل فسوف يعلمون) والسبب حب الدنيا والجهل بالحقائق
 وعلاج كل ما عرف في موضعه وذكر فجاءة الموت فذكره يوجب التاهب له
 والتجاني عن دار الغرور فورد «نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة

(والتسوية) أي تأخير العمل بان يقول سوف اعمل (والحرص) على الدنيا
 (ونسيان الآخرة) وما فيها من لقاء المولى (والقسوة) أي قساوة القلب ومنه
 قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله سبحانه
 (فويل للفاسية لقلوبهم من ذكر الله) ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء
 على الغفلة (فورد) في التنزيل (الم بأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما
 نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل (فطال عليهم الأمد) أي
 زان الأجل (فقسست قلوبهم) بسبب طول الأمل، وفي آية أخرى (ذرهم ياطلوا
 ويتمتعوا) (ويملهم الأمل) أي يشغلهم الأمل عما خلقوا له من العمل (فسوف
 يعلمون) غاية جهلهم في طول أملهم وقصر عملهم وتوهم تأخير أجلهم (والسبب)
 أي سبب الأمل شيئان (حب الدنيا) فانه يوجب كراهة مجيء الأجل (والجهل
 بالحقائق) أي حقائق ما يراد على الإنسان من موت الفجاءة وقتل البعثة، ومن مقدمات
 الموت كالحنى والصداع ونحوهما فانه لا يكون الاغفلة، قال تعالى (ولم نقرية اهلكناها
 فجاءها باسنا بيانا او هم قائلون) أي او هم قائلون أي مستريحون بالقبول (وعلاج
 كل) من سبب (ما عرف في موضعه وذكر فجاءة الموت) أي ومن علاجه تصورها
 في الجنان وتقريرها باللسان (فذكره) أي الموت مطلقا (يوجب التاهب له)
 أي يقتضى التهوؤ والاستعداد للموت قبل مجيئه (والتجاني) أي التباعد (عن دار
 الغرور) وهي الدنيا فانها غدارة مكاراة كما قال تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا
 ولا يغرنكم بالله الغرور) أي الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبى (فورد) في
 الحديث (نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة) والظاهر ان يقول في
 كل ساعة: اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت. ويحتمل ان يذكره في اليوم عشرين
 مرة وفي الليلة عشرين مرة او في اليوم عشرة وفي الليل عشرة. والوجه الثالث والمتفرقة، المقصود

حين قيل هل يحشر مع الشهداء أحد؟

منها الأكثر (حين قيل هل يحشر مع الشهداء احد) والحديث تقدم . وقال النخرج لم اقف له على اسناد ، قلت روى الطبراني في الاوسط « عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ليس الشهداء الامن قتل في سبيل الله : قال يا عائشة ان شهداء امي اذن لقليل ، من قال في يوم خمسا وعشرين مرة : اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد » وفي السنن الاربعة عن ابى هريرة « اكثروا ذكرها ذم اللذات الموت » وفي رواية « اكثروا ذكر الموت يسليك عماسواه » وفي رواية « اكثروا ذكرها ذم اللذات فانه لا يكون في كثير الاقللة ولا في قليل الا جزاء » وفي رواية « فانه لم يذكره احد في ضيق من العيش الا وسعه عليه ، ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه » وفي رواية « اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا فان ذكر تموه عند الغنى هدمه ، وان ذكر تموه عند الفقر ارضاهم بعيشكم » وللبهقي في الشعب من حديث ام حبيبة الجهنية « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما اظلم منها سمينا » ولا بن ابى الدنيا عن عطاء الخراساني مرسل انه عليه السلام مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال : « شربوا مجلسكم بذكر مكر اللذات قالوا وما مكر اللذات؟ قال الموت » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « أ أكثروا من ذكرها ذم اللذات فوالذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » رواه ابن ابى الدنيا من حديث ابن عمر ، وفيه ايما الى قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكيوا كثيرا) وللطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر « كفى بالموت واعظا » وفي رواية مفرقا ، قال ابن عمر أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة ؛ فقال رجل من الانصار : من ا كئيس الناس وا كرم الناس يا رسول الله ؟ قال « اكثرهم ذكرا للموت ، واشدهم استعدادا له اولئك هم الا كياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » ابن ابى الدنيا بسند جيد . وقيل في تفسير قوله تعالى : (ايهم أحسن عملا) ايهم أكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل الفوت . وقال بعضهم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير الى دار تمنى فيها الموت ولا تجده . وقال كعب . من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهو موها . وقالت صفية : إن امرأة شكت الى عائنة قساوة قلبها فقالت ا كثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ، وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك

وَحَقُّهُ أَنْ يُذَكَرَ رَغْبَةً إِلَى لِقَائِهِ تَعَالَى وَبَعَثًا لِلْخَوْفِ الْمَوْجِبِ سُرْعَةَ التَّدَارُكِ
 دُونَ التَّاسُفِ عَلَى فَوَاتِ الدُّنْيَا فَهُوَ مَبْعَدَعْنَهُ تَعَالَى فُورِدَ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ
 أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»

ولعلنا كفاك قد خرجت من عند المقصّر ﴿وَحَقُّهُ﴾ أي وحق ذكر الموت ﴿ان يذ كر رغبة﴾
 أي ميلا ومحبة ﴿الى لقاءه تعالى﴾ في الجنة ﴿وبعثا﴾ أي تحريضا وحثا ﴿للخوف
 الموجب سرعة التدارك﴾ أي تلافي ما فات منه من الطاعات ﴿دون التأسف﴾ أي
 الحسرة ﴿على فوات الدنيا﴾ أي من لذاتها وشهواتها ﴿فهو﴾ أي التأسف المذكور
 ﴿مبعد عنه تعالى﴾ لبقوله عليه السلام «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة
 الف سنة» أخرجه الرازي في مشيخته عن ابن عمرو ﴿فوردا﴾ في الحديث ﴿من أحب
 لقاء الله حب لقاءه﴾ ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴿رواه الشيخان وغيرهما﴾ . وفي
 رواية زيادة والموت دون لقاء الله . والمراد بلقاء الله المصير الى دار الآخرة وطلب ما عند الله
 من المراتب الفاخرة ، وليس الغرض به الموت لانه لا يكرهه ، فمن ترك الدنيا وأبغضها
 أحب لقاء الله ، ومن اختارها وآثرها وركن اليها كد لقاء الله لانه انما يصل اليه بالموت .
 وقوله والموت دون لقاء الله يبين لك ان الموت غير اللقاء ولكنه معترض دون الغرض
 المطلوب وهو الوصول الى قرب المحبوب ، فيجب ان يصبر عليه ويحتمل مشاقه لديه حتى يصل
 الى الفوز باللقاء كذا في النهاية . وفي شرح مسلم للنووي : ليس معنى الحديث ان حبهم
 لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم ، ولان كراهتهم سبب لسكراهته ، بل الغرض بيان
 وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم . انتهى ، وتوضيحه ان المحبة
 صفة الله ، ومحبة العبد ربه تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس الماء
 على الجدار . ويؤيده ما روى انه عليه السلام قال « اذا أحب الله عبدا عشقه عليه »
 وفي تقديم يحبهم على يحبونه في القرآن اشارة اليه ودلالة عليه ، فعنى الحديث : من
 أحب لقاء الله فهو سبب للاخبار بان الله يحب لقاءه ، اذاقنا الله حلاوة محبته وافاقتنا
 بمزيد عنايته . كذا في شرح المشارق فالاول صفة المحبين ، والآخر صفة من يخاف
 عقاب الله على ذنوبه من المؤمنين او صفة الكافرين ، والمفهوم من ظاهر ما ذكر في
 المصايح ان الآخر صفة الكفرة فقط حيث قال عليه السلام هذا الحديث ، فقالت
 عائشة : انا لنكره الموت قال عليه السلام « ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت

وَالْمُرَادُ بِالْحُبِّ الْعَارِفُ الْمُشْتَقُّ إِلَيْهِ فَلَمَوْتُ مَوْعِدُهُ وَبِالْكَارِهِ الرَّابِعُ إِلَى الدُّنْيَا
بِخِلَافِ الْخَائِفِ هُجُومُهُ قَبْلَ تَمَامِ التَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الزَّادِ فَهُوَ إِنَّمَا يَكْرَهُ فَوْتَ اللَّقَاءِ

بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله
لقاءه ، وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء اكره اليه
مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ، وفي القرآن يشير الى المقامين حيث قال تعالى :
(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا
بالجنة التي كنتم توعدون) الآيات . وقال عز و علا (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
ومن تحت أرجلهم ويقول ذر قوا ما كنتم تعملون) (والمراد بالحب) اى لقاء الله
فى الحديث انما هو (العارف) بذات الله وصفاته وبدائع مصنوعاته (المشتاق
اليه) لزيادة مالهديه (فالموت موعده) اذ لا يتصور لقاءه دونه ، كما فى حديث مسلم
« انكم ان تروه حتى تموتوا » وهذا مجمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام (ان ترانى)
اى فى الدنيا بالعين الفانية وانما ترانى فى العقبى بالعين الباقية ، وهذا مجمل قوله عليه
السلام « تحفة المؤمن الموت » ابن ابى الدنيا والطبرانى والحالم من حديث عبد الله
ابن عمر بسند حسن . وعلامة المحب العارف ان لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب بل
يستبطنه بجىء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينقل الى جوار رب
العالمين ، كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا افلح
من ندم ، اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الى من الغنى ، والسقم احب الى من
الصحة ، والموت احب الى من العيش ، فسهل على الموت حتى الفاك . فاذا التائب
معذور فى كراهة الموت . وهذا مشكور فى حب الموت . واعلى منهما رتبة من فوض
امره الى الله فصار لا يحب لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون احب الاشياء اليه
حبه الى مولاه ، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضاء وهو
غاية المنتهى ، وهو معنى قول المصنف فيما يأتى (وبالكاره) اى والمراد بالكاره
لقاء الله (الراغب الى الدنيا) مالا وجاها ومنالا لما قدمنا (بخلاف الخائف هجومه)
اى هجوم الموت ومآتاه بغتة (قبل تمام التربة) وتدارك اوقات الغفلة فى الحوبة
(واصلاح الزاد) ليوم المعاد (فهو انما يكره فوت اللقاه) اى لانفس اللقاء ،
وعلامة صدق هذا ان يكون دائم الاستعداد لاشغل له سوى اعداد الزاد للمعاد . قال

وَالْأَعْلَى تَرَكَ الْإِخْتِيَارَ وَالتَّقْوِيضَ، وَيُفَرِّغُ الْقَلْبَ عَنْ غَيْرِ الْمَوْتِ وَيَتَفَكَّرُ دَائِمًا
تَفَكَّرَ الْعَازِمَ عَلَى السَّفَرِ

القعقاع بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة ، فلو اتانى ما احببت تأخير
شئ منه . وقال الثوري : رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول : انا في هذا المسجد منذ
ثلاثين سنة انتظر الموت ، ان نزل بي او اتانى ما امرته بشئ ولا نهيت عن شئ ، ولالى
على احد شئ ، ولالى عند احد شئ ﴿ والاعلى ﴾ اى اعلى المراتب بالنسبة الى ما ذكر
من الموت وسائر المناقب ﴿ ترك الاختيار ﴾ اى فى امر الا فيما اراد الله منه ان يختاره
﴿ والتفويض ﴾ بالرفع اى وتفويض امره وتسليمه الى المدير المختار بقوله تعالى
(وربك يخاف ما يشاء ويختار) وفى الاخبار عن سيد الاختيار وسند الابرار « لا يتمنين
احدكم الموت فان فعل ذلك لا محالة فليقل اللهم احببى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفى
اذا كانت الوفاة خيرا لى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة
لى من كل شر » وانما كره بعض الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة
وطول العمر فى العبادة من فبال السعادة ﴿ ويفرغ القلب ﴾ اى وان يفرغ قلبه ﴿ عن
غير الموت ﴾ اى استعداده قبل الفوت ﴿ ويتفكر دائما تفكر العازم على السفر ﴾ هائما
من خوف البحر والبر . ووضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقرانه الذين
مضوا قبله ، ويتذكر مصراعهم تحت التراب ، ويتفكر صورهم فى مناصبهم ومقام حضورهم ،
وكيف تبددت الآن اجزائهم فى قبورهم ، وكيف ارموا لساءهم وايتموا بناتهم
وابنائهم ، وضيعوا اموالهم ، ونقضوا احوالهم وخلصت منهم مجالسهم واخبارهم ،
ومساجدهم وآثارهم ، مع ما كان بهم من طول املهم للعيش والبقاء ، ونسيانهم للموت
والفناء ، وانخداعهم بمواساة الاسباب ، وزكونهم الى القوة والشباب ، وميلهم الى
الغفلة عما يراد بهم من الموت الذريع والهلاك السريع ، وانه كيف كان يتردد ، والآن
قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعقبانه ، وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه ، وكيف
كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه ، وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى
عشرين سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال ، فعند ذلك ينظر الى نفسه انه مثلهم
فى عاقبة امره . قال ابو الدرداء : اذا ذرت الموتى فعد نفسك كاحدهم ، وقال ابن مسعود :
السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبدالعزيز . الاترون انكم تجهزون غدا يا ورائحا

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِتْبَاهُ وَهُوَ خِلَافُ الْغُرُورِ وَهُوَ سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهُوَى
وَالشَّبْهَةُ فُورِدَ (فَلَا تَغْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ

إلى الله عز وجل ، تضعونه وقد توسد التراب ، وخلف الاحباب ، وقطع الاسباب ،
وواجه الحساب ، ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكي ، ثم قال :
والله لولا الموت لكدت بك مسرورا . (والأصل فيه) اي في ذكر الموت (الانتباه)
اي استيقاظ القلب من نوم الغفلة (وهو) * اي الانتباه * (خلاف الغرور) اي
ضده ، ولذا قيل : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (وهو) اي الغرور (سكون النفس)
واطمئنانها ، وهي قوة في الانسان مائلة الى الشر والفساد كما قال تعالى (ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) فن (الغرور ميلها الى ما يوافق الهوى والشبهة) ويخالف
الهدى والسنة بان تكون ارادتها موافقة الطبع من غير داعية الشرع . واما اذا اجتمع
الهوى والهدى فهو نور على نور ، وسرور على سرور ، ولذا قال تعالى (ومن اضل
من اتبع هواه بغير هدى من الله) (فورد) في التنزيل (فلا تغرنكم الحياة الدنيا)
فانها غدارة مكارة ، غرارة سحارة . فقيل : انها اسحر من هاروت وماروت (ولا يغرنكم
بالله الغرور) اي الشيطان المغرور . وفي الترتيب : تنبيه نبيه على ان من احب الدنيا
يضلها الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان ، بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على
هدايته جميع الانبياء ، ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين واهل الاغواء .
وقال عز و علا (وغرتمكم الاماني حتى جاء امر الله و غرتمكم بالله الغرور) وفي الحديث
« حينذا نوم الاكياس وفطرم كيف يعييون سهر الحقى واجتهادهم ، ولتقال ذرة من
صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين » كذا في الاحياء ، وهو من
قول ابى الدرداء بنحوه كما رواه ابن ابي الدنيا ؟ وللتزمذى وحسنه وابن ماجه من حديث
شداد بن اوس « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه
هواها ويتمنى على الله » (وانواعه) اي انواع الغرور (كثيرة) واكثرها كبيرة
لان الغرور عبارة عن بهض انواع الجهل ، اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على
خلاف ماهو به ، فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور ، بل يستدعى الغرور
مغرورا فيه مخصوصا ، ومغرورا به وهو الذى يغره ، فن اعتقد انه على خير امانى
العاجل او فى الآجل عن شهوة فاسدة او شبهة كاسدة فهو مغرور . واكثر الناس يظنون

كَايْثَارِ الدُّنْيَا لَكُونَهَا نَقْدًا حَاضِرَةً عَلَى الآخِرَةِ لَكُونَهَا نِسِيَّةً لِأَنَّ النِّسِيَّةَ الكَثِيرَةَ رَاجِحَةٌ وَإِنْ شَكَّ فِيهِ وَالمَرِيضُ يَتْرُكُ اللِّذَاتِ لِيَصِحَّ فِي المُسْتَقْبَلِ وَالتَّاجِرُ يَخَاطِرُ الأَمْوَالَ لِيَرْبِحَ فِيهِ فَالآخِرَةُ أَوْلَى لِلتَّيَقُنِ بِهَا وَعَدَمِ نِسْبَةِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا شِدَّةً وَدَوَامًا

بانفسهم ألخير الآن غرور بعضهم اظهر ، وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفجار (كايثار الدنيا) اى اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور . ثم ان اختيارهم الدنيا واغترارهم بها (لكونها نقدا حاضرة على الآخرة لكونها نسيئة) اى متأخرة غائبة وذلك جهل وغرور (لان نسيئة الكثيرة راجحة) على النقد القليل (وان شك فيه) اى فى حصول النسيئة الكثيرة وانما يرجع مع وجود الشك فيه (والمرضى يترك اللذات) التى هى نقد الحالات (ليصح) زمانا طويلا (فى المستقبل) من الاوقات (والتاجر يخاطر الاموال) اى يوقعها فى الخطر من الاهوال كركوبه فى البحر وسفره فى البر وتحمله شدائد الاحوال (ليربح فيه) اى فى زمان الاستقبال (فالآخرة اولى) بالاختيار من الدنيا (للتيقن بها) اى بالآخرة (وعدم نسبة الدنيا اليها) اى الى العقبى (شدة ودواما) اى كمية وكيفية ونظاما كما قال تعالى (والآخرة خير وابقى) بل قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانها والآخرة خزفا باقيا لكان العاقل اختار الآخرة ، فكيف والامر بالعكس . وكن غرته الحياة الدنيا فان اليقين خير من الشك ، ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ، فلا يترك اليقين بالشك . وهذا ونحوه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال (انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى (اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان وأما بتحقيق البرهان ، اما الاول فهو ان يصدق الله فى قوله (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقوله (وما عند الله خير وابقى) وقوله (والآخرة خير وابقى) وقوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) واما الثانى فيعلم مما تقدم . والله اعلم . وفى هذا المقام قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين : ان كنت ما قلت حقا فقد تخلفت وتخلصنا ، وان كان ما قلناه حقا فقد تخلفنا وهلكنا . وما قال على هذا عن شك منه فى الآخرة ، ولكن كلم الملحدين على قدر عقله . فمن شك فى الآخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل - وهى منتهى العمر - قرىب بالإضافة الى ما يقال من امر الآخرة . فان كان ما قيل

فيه كذبا فايقتوني الا التمتع ايام حياتي، وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم
فاحسب اني بقيت في العدم، وان كان ما قيل صدقا فابقي في النار ابد الآباد، وهذا
لا يطاق فيه العباد ولدا قال ابو العلاء المعري :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا يحشر الاموات قلت اليكما

ان صح قولكما فليست بخاسر اوصح قولي فالحسار عليكما

ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم في انفسهم وبالستهم : ان كان الله من معاد
فنجن به احق من غيرنا ، ونحن اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله عنه من حال
الرجلين المتحاورين اذ قال (وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها متقلبا) وجملة امرهما كما قيل في التفسير : ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار ،
واشترى بستانا بالف دينار ، وخرما بالف دينار ، وزوجة بالف دينار . وفي ذلك
كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا وبستانا يخرب ويفنى ، الا اشتريت قصرا وبستانا
في الجنة لا يفنى ، واشتريت خرما بالف دينار وزوجة بالف دينار الا اشتريت خرما
لا يموتون وازواجا . من الحور العين لا يفنون ، وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول :
ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو الكاذب ، وان كان ليكون لي في الآخرة خير من
هذا ، وكذا وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول (لا وتين مالا وولدا) ورد
عليه بقوله (اطعم الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا) وروى « عن الحباب بن الارت
انه قال كان لي علي العاص بن وائل دين فحُتت اتقاضاه فلم يقضني ، فقلت اني آخذه
في الآخرة ، وقال اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقتضيك منه ، فانزل
الله تعالى (افرايت الذي كُفّر باياتنا وقال لا وتين مالا وولدا) رواه الشيخان .
وقال عز وجل (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) الآية ، وذلك انهم ينظرون
تارة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة ، وتارة الى تأخر العذاب
عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة ويقولون لما اخبر الله عن بعضهم (لولا يعذبنا
الله بما نقول) الآية ، واخرى ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غير فيزدرونهم
ويستحقرونهم ويقولون (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ويقولون (لو كان خيرا
ما سبقونا اليه) ولم يعرف هذا المغرور « ان الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما
يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه » كما رواه الترمذي وحسنه والحاكم
وصححه من حديث قتادة بن النعمان . وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا

وَالْاعْتِمَادَ عَلَىٰ مَجْرَدِ الْإِيمَانِ فَوَرَدَ (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
ثُمَّ اهْتَدَىٰ) (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِنَفْسٍ خُسْرٍ) السُّورَةُ، وَعَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ كَرِيمٌ

وقالوا ذنب عجبت عقوبته، وإذا قبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين. فالمغرورون إذا قبلت عليهم الدنيا ظنوا أنها كرامة عند الله وإذا صرفت عنهم ظنوا أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرم من ، واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا) بين ان ذلك غرور من كل منهما ، فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا ، يقول ليس هذا بكر امتى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من اكرمه بطاعته غنيا كان أو فقيرا ، المهان من اهنته بمعصيته غنيا كان او فقيرا ﴿ والاعتماد ﴾ بالجر ، اى وكالات اعتماد ﴿ على مجرد الايمان ﴾ مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فانه من اعظم الغرور فى الحالات ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ وانى لغفار لمن تاب ﴾ عن الشرك وال كفران ﴿ وآمن ﴾ بالقلب واللسان ﴿ وعمل صالحا ﴾ لسائر الاعضاء والاركان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات ﴿ ثم اهتدى ﴾ بالاستقامة فى الحالات الى الممات ، فالغفرة مقيدة بهذه الطاعات . وكقوله تعالى (ان رحمت الله قريب من المحسنين) فى العبادات . وقيل للحسن قوم يقولون: نحن نرجو الله ويضيعون العمل فقال : هيات هيات ، تلك امانتهم ، من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف شيئا هرب به ﴿ والعصر ﴾ اى اقسى بصلاة العصر التى هى الصلاة الوسطى ، او بصصر المصطفى ، او بالدهر الذى هو منبع الخير والشر ، ومعدن النفع والضر ﴿ ان الانسان ﴾ اى جميع افراده ﴿ لى خسرا ﴾ اى خسارة فيما عندهم من تجارة ﴿ السورة ﴾ اى (الالذين آمنوا) كالصديق (وعملوا الصالحات) كالفاروق (وتواصوا بالحق) لذى النورين (وتواصوا بالصبر) كالمترضى ﴿ وعلى ﴾ اى وكالات اعتماد على ﴿ انه تعالى كريم ﴾ مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات ، فيغفر لى فى الآخرة بكرمه وفضله ويدخلنى فى الجنان . ومنشأ هذا قوله تعالى (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) حيث لفته بان يقول غررتى كرمك . وقد قيل انه تعالى كما انه كريم رحيم . متفضل بالثواب شديد العقاب ، فقد قال تعالى (فخالف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى يقولون سيغفر لنا) وقد قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانتهم)

فورد (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْأَمْسَعَى) وَفِيهِ الْعَكْسُ بِتَرْكِ التَّعْوِيلِ فِي الدُّنْيَا مَعَ
 وَرُودِ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ وَالتَّفَكُّرُ *

﴿ فورد ﴾ في التنزيل ما يدل على ذم الغرور بارتكاب المحذور ﴿ وان ليس للانسان ﴾
 نفع في العقبي ﴿ الاماسعي ﴾ من خير في الدنيا (وان سعيه سوف يرى) قليلا او
 كثيرا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ﴿ وفيه العكس ﴾
 اي وفي هذا الاعتماد عكس ما ينبغي في الاعتقاد ﴿ بترك التعويل ﴾ اي الاعتماد على
 المولى ﴿ في الدنيا ﴾ اي في امورها ومهماتهما ﴿ مع ورود من ﴾ وفي نسخة وورد
 من ﴿ يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وحاصله ان الغرور لم يعتمد على كرمه سبحانه في
 امر الدنيا مع ورود وعداها في باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعي ،
 ويعتمد في باب الآخرة على كرمه مع ان وعداها مقيد بالسعي والعمل ، وتوضيحه
 انه يجتهد في امور الدنيا ويعتمد في امور الآخرة على كرم المولى مع انه كريم في
 الدنيا والآخرة ، فانه لم يعتمد على المولى في الدين من غير السعي مع انه سبحانه ما لطفه
 بكسبه ويترك العمل في الآخرة مع انه عز وجل لطفه به ولم يرض عنه بتركه ؟ ﴿ والعلاج ﴾
 أي علاج الغرور ﴿ العلم ﴾ بالكتاب والسنة وما يقربه من الله وما يبعده عنه . وتوضيحه
 ما في الاحياء من ان الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والاهانة اما بالبصيرة واما
 بالتقليد ، اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعث
 الله ، ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله يدرك بالالهام في منازل العارفين والاولياء ،
 وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة . واما معرفته بطريق التقليد والتصديق
 فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله ، وقد قال تعالى (أَيْحَسِبُونَ أَنْ مَا نُمَدِّهِمْ بِهِ
 مِنْ حَالِ وَبْنِ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) وقال (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَعْلَمُونَ) قيل في تفسيره : انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم .
 وقال تعالى (ففتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
 مبلسون) وقال تعالى (انما نملئ لهم ليزدادوا اثما) وقال (ولا تحسبن الله غافلا عما
 يعمل الظالمون) انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) الى غير ذلك مما ورد في
 الكتاب والخبار ﴿ والتفكر ﴾ في احوال الماضين من الامة ، والمراد بالتفكر احضار
 القلب العارف فاذا اجتمعت فيه وازد وحت على ترتيب مخصوص انتج ذلك العلم

﴿الباب الخامس عشر في نفى الخواطر والرياسة﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الأهمُّ إصلاحُ القلبِ لنظره تعالى إليه فورداً «إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظرُ إلى قلوبكم ونياتكم وتعلُّقُ صلاحِ الجسدِ بصلاحه فورداً «أنَّ في الجسدِ لمضغةً إذا صلحت صلحَ الجسدِ كله إلا وهى القلبُ» وسعادةُ الأبدِ بسلامته

ضرورياً. وصورته كمن يعلم مثلاً ان الاتقى بالايثار اولى ، ثم يعلم ان الآخرة خير وابقى ، فينتج ان اختيار الآخرة اولى . بلغنا الله المقام الاسنى *

﴿الباب الخامس عشر في نفى الخواطر والرياسة﴾

اي نفى الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الردية لتهدب بالاخلاق البهية العلية والاحوال السنية السنية ، وتندرج فيه عجائب القلب من غرائب خلق الرب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ استعين به على كل خاق كريم ﴿الاهم﴾ في امر الدين الاتم ﴿اصلاح القلب﴾ وحفظه عما يفسده لثمانية عشر وجهاً ﴿لنظره تعالى اليه﴾ وواقباله عليه ، لما انه يصاح بدنه وثوبه ليحسن نظر الخالق اليه ﴿فورد﴾ في الحديث لما تقدم ﴿ان الله لا ينظر﴾ اي نظر عناية ورعاية ﴿الى صوركم واورالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم﴾ وفي رواية واعمالكم ، وفي اخرى واحوالكم ، ويشير اليه قوله تعالى (انه عليم بذات الصدور) فاذا كان القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث «لا يسعني ارضى ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» فواجباً بمن يهتم بتنظيف وجهه الذي هو منظر الخاق ولا يهتم بتطهير قلبه الذي هو منظر ربه ﴿وتعلُّقُ صلاحِ الجسدِ بصلاحه﴾ اي لتوقفه ظاهراً على تحققه باطناً ، وكذا تعلُّقُ فساد الجسد بفساده ﴿فورد﴾ في الحديث كما تقدم ﴿ان في الجسدِ لمضغة﴾ اي قطعة لحم مجرورة كانهها ممضوغة ﴿اذا صلحت﴾ بضم اللام وتفتح ﴿صلاح الجسد كله﴾ تمامه «واذا فسدت فسد الجسد كله» ﴿الا﴾ للتنبية ﴿وهي﴾ اي تلك المضغة ﴿القلب﴾ اي محل تعلُّقه وسرير ملكه ، فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع ؛ فاذا صلح المتبوع صلح التبع ، واذا استقام الملك استقامت الرعية ، ولذا قيل : الناس على دين ملوكهم . ﴿وسعادة الأبد﴾ اي وسيادة السرمد ﴿بسلامته﴾ اي بسلامة

فورد. (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) . وكونه معدن النفائس من العلم والمعرفة وسائر الفضائل وقصد العدو إليه كما ورد به الخبر

القلب من نحو الكفر والغل والحقد والحسد (فورد) في التنزيل (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) أي من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق والشقاق والاعراض الدنيوية والاعراض الدنية . وقيل هو ما لا يخطر فيه الا شهود الرب (وكونه) أي ولكون القلب (معدن النفائس) ومنبع الفواضل المستوہبة (من العلم والمعرفة) أي علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التي هي اجل انواع النعمة (وسائر الفضائل) المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزيين السمائل *

والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحق له ان يحفظ ويحرس عن الآفات ، ويكرم وييجل بضروب الكرامات . ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذي فضله الله على سائر خلقه باستعداده من بين عبادته لمعرفة ربه التي هي في الدنيا جماله ونفخه وفي الآخرة كماله وعدته وذخره ، وانما استعداد المعرفة بقلبه وجنانه لا بعضو آخر من اركانه ، فالقلب هو العالم بالله ، وهو العامل لله ، وهو الساعي المتقرب الى الله ، وهو المقرب اليه والمشهود عليه والمكاشف بما عند الله ولديه ، وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات كالجوارح يستخدمها القاب في خدمة الرب استعمال الملك للعبيد ، واستخدام الراعي للارعية ، والصانع للآلة . والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله ، وهو المطالب ، وهو الخاطب ، وهو المعاتب ، وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه ، وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه ، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى ، وانما السارى الذي ينشر على الجوارح من العبادات انواره ، وهو العاصي المتمرد على الله سبحانه ، وانما الطارى على الاعضاء من الفواحش آثاره . وباطلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، اذ كل اناء يرشح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه ، واذا عرف نفسه فقد عرف ربه ، وهو الذى اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه ، واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل . فعرفة القلب وحقيقة أوصافه التي هي مظاهر الرب أصل الدين وأساس طرق المجتهدين (وقصد العدو إليه) أي ولقصد الشيطان الذى هو اكبر أعدائه دائما الى اغوائه (كما ورد به) أي بقصد العدو الى القلب (الخبر) وهو

وَكَثْرَ تَشْغَلِهِ فَهُوَ مُعْتَرِكُ الْعَقْلِ وَالْهَوَىٰ وَكَثْرَةَ الْعَوَارِضِ لَوْ رُودِ الْخَوَاطِرِ مَعَ
 الْعَجْزِ عَنِ الْمَنْعِ، وَسُرْعَةِ الْأَنْقِلَابِ

قوله عليه السلام « ان الشيطان لجاثم » وفي رواية « واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وعلاه واذا غفل التقم قلبه فحده ومناه » ابن ابي الدنيا وأبو يعلى وابن عدى « وكثرة شغله » أى وكثرة اشتغال القلب واحواله وترتب ما عليها من أقوال الانسان وأفعاله « فهو » أى القلب « معترك العقل والهوى » اى موضع عراكهما وقتالهما وملاهما . فاذا برز خاطر الهوى داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا الى الخير فتارة يغلب العقل ويعلو علم الهدى ، وأخرى يغلب الجهل فتزعم راية النفس والهوى فالجرب سجال . وقد قال الملك المتعال (وتلك الايام نداؤها بين الناس) وقد قيل :

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

وفي الحديث « رجعتنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » ومنه قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) « وكثرة العوارض » أى وكثرة الامور الطارئة والاحوال السارية « لورود الخواطر » الدنية فى القلوب الفواتر الردية من حب الدنيا والرياضات . وحصول اللذات والشهوات واللهاوت « مع العجز عن المنع » أى مع عجز السالك عن دفع وقوع ما هنالك ، فان الخواطر كالسهام لاتزال تقع فى القلب كالمنزل لاتزال تنزل عليه ليلا ونهارا لاتقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع ، وليس بمنزلة العين التى هى بين الجفنين حتى تغمض وتستريح ، او اللسان الذى هو وراء الشفتين حتى تطبق وتصمت *

والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد على منعها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس مائلة اليها وهى محبوبة لديها « وسرعة الانقلاب » اى وسرعة تقليب القلب فى الطاعة والمعصية للرب ، وسعى بالقلب لتقلبه فى احواله ، ولذا كان عليه السلام يكثر فى دعائه « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » رواه الترمذى وحسنه من حديث انس والحالم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » وفي رواية « قالوا وتخاف يا رسول الله ؟ قال وما يؤمنى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء » وللنسائي

(م- ١٧ ج- ٢ شرح عين العلم)

فورد انه «مثل العصفور ينقلب في كل ساعة» وفيه الانشراح والانفساح عند عدم

النقصان والحجاب

في الكبرى وابن ماجه والحالم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان « مامن قلب الابن اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه » (فورد) من حديث أبي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب (انه) اي القاب (مثل العصفور) وهو الطير الصغير المشهور بالثقلب الكثير (ينقلب في كل ساعة) اي الى جهة ، فكذا القلب تارة يميل الى طاعة ويقظة ، وآخري الى معصية وغفلة . ولاحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث المقداد بن الاسود « مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا » وفي رواية لها « قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها » ولطبراني والبيهقي من حديث أبي موسى الاشعري باسناد حسن « مثل القاب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن » (وفيه) عطف بالمعنى على قوله لنظره لانه في قوة قولنا ولما فيه اي في القاب ، ومحل من الصدر (الانشراح) اي الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح (والانفساح) اي الاتساع والانفتاح (عند عدم النقصان) اي نقصان القلب بارتكاب المخالفة ، بل يكونان عند كماله في اكتساب الموافقة . فللحاكم في مستدرکه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ما هذا الشرح فقال : هو التوسعة . ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح ، والمعنى اتسع القلب لتجلى الرب وحفظ السر الذي شاهده في القلب ، ولذا قيل : صدور الاحرار قبور الاسرار . ونعم مقال بعض الابرار :

من اطعوه على سرفتم به لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

(والحجاب) عن رب الارباب ، وهو اشد العذاب أو الحجاب عن الاكتساب ، فهو بالجر عطف على النقصان ، أي عند عدم حجاب الملائه ونقاب المناهى . ويجوز رفعه على الانفساح أي وفي القلب حجاب المعاصي والشهوات المترامة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب ، فان ذلك يمنع من صفاء القاب وجلاته فيمنع ظهور الحق بقدر ظلامه في اثباته ، وقد قال أبو سليمان الداراني : اذا اعتادت النفوس ترك

وَالْمُهْلِكَاتِ وَالْإِنصْرَافِ إِلَى الْعِلْمِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ

الآنم جالت في المملوكوت ورجعت الى صاحبها بطريق الحكمة ، ويؤيده حديث «لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى مملوكوت السماء» رواه أحمد من حديث أبي هريرة ﴿ والمهلكات ﴾ التي هي ضد المنجيات ﴿ والانصراف ﴾ أى عند الانصاف والاعتراف ﴿ الى العلم ﴾ أى علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة ، أو المراد بالعلم هو التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته فى مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشغل لديه بما يرد عليه . وإنما زاد الانصراف الى العلم التوحيدى لحصول الانشراح والانسحاق ، ولم يكتب فى ذلك بعدم النقصان والحجاب والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر فى استقامة حالته من طاعته وعبادته وان كان قلبه صافيا عن شهواته وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح والانسحاق ، بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال ان كان تفكره فيها أو من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها . وأما الانشراح والانسحاق فلا يحصل الا إذا انصرف القلب الى العلم التوحيدى المتعاق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات ﴿ وهو ﴾ أى العلم المترتب عليه العمل ﴿ المراد بالامانة التي حملها الانسان ﴾ أى قلبها بقابليته لتحمل التكليف الشرعية . من تصحيح العقائد الدينية الاصلية . وارتكاب الفرائض الفرعية . واجتناب الامور المنهية . وفى الأحياء : فيه اشارة الى ان للقلب خاصة تميز بها عن السموات والارضين والجبال . وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد : وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الأصل انتهى . ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بماهاتك كما حقق فى قوله سبحانه : (وان من شئ الا يسبح بحمده) وغير ذلك من الآيات والأحاديث الثابتات إن الأشياء كلها لها معرفة بصانعها . وكذا أهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال . فالأظهر أن يقال ان الملائكة مظاهر الجمال فلا تنأتى منهم المعصية وما يقتضيه من العقوبة . والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة ، فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال والجلال وتقع فيهم قابلية للطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ، ولذا ورد « لولم تذنبوا لجاه الله

وَزِيَادَةُ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ

يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم « وفي قوله تعالى (بنى عبادى انا الغفور
 الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) ايماء الى ذلك وفي قوله (غافر الذنب وقابل
 التوب شديد العقاب ذى الطول) كذلك . ثم من أفراد هذا الانسان من يكون على
 الشان مع أنه خلق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامامة فى
 ميدان التبيان ، ومنهم من ترك الطاعة وضيع الامانة بالخيانة من غاية الطغيان ، فصار
 المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من ملائكة الرحمن ، والكافر منهم اخفض
 منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من
 النار) فعوذ بالله من دار البوار . وبما قررنا فيما حررنا انكشف وجه قوله سبحانه
 (انا عرضنا الامانة) اى حملها من غير الخيانة (على السموات والارض والجبال) اى
 ذواتها أو ما فيها من سكانها ومتصرفاتها (فابين ان يحملنها واشققن منها) لعدم استعدادهن
 لها ولكونهن ما خلقن لاجلها (وحملها الانسان) مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر
 لما خلق له (انه كان ظلوما) على نفسه بتحملة (جهولا) لعاقبة امره وتحمله . وهذا
 حكم عليه باعتبار اغلب افراده بمن لم يميز بين صلاح حاله وفساده فى ما له كما اشار
 اليه بقوله (ليعذب الله المنافقين) الآية (وزيادة اليقين) اى وفى القلب مزية الايقان
 فى امر الدين (والايمان) اى وفيه الايمان الذى سبب الامن والامان ، وباعث
 على الاسلام والاحسان فلهما درجات فيها مناقب ادانها التقليد كما لعوام المؤمنين
 وأوسطها الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كما للمتكلمين ، واعلاها ،
 المشاهدة والمكاشفة كما للعارفين ، ومثاله كمن اخبر صادق بوجود زيد فى الدار فصدقه
 من غير شهوده ، ثم سمع صوته فاستدل به على وجوده ، ثم رآه وشاهده ، فالمشاهدة
 نتيجة المجاهدة . ثم المشاهدة ايضا على مراتب ، كمن يشاهد السلطان جالس على سريره
 من وراء الحائط او حجاب ستره ، ثم من يشاهده من داخل داره . ثم من قريب فى
 مزاره ، ثم من هو جالس فى مجلسه ، ثم من هو جالس قريبا منه بحيث يلاحظ صفحة
 وجهه وجميع ما خفى عن غيره ، وقس على هذا تفاوت درجات المشاهدة فى الامور
 الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية الربانية الصمدانية ، كما يشير اليه قوله تعالى : (ثم
 دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى) ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لآبائهم

وَدَرَجَاتُ الْعِلْمِ وَالنُّورِ الْمَسْئُولُ فِي الدَّعَاءِ الْمَأْتُورِ وَالطَّبَعِ وَالرَّيْنِ عِنْدَ الْإِتِّصَافِ
بِالرِّذَائِلِ وَتَرَأَى كُمُ الظَّلَامِ وَالْإِحْتِجَابِ مِنْهُ تَعَالَى وَالتَّحْقِيقِ أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ
الْعَارِفُ الْعَالِمُ الْمُخَاطَبُ الْمَطَالِبُ

فانهم اذا بلغوا سن التمييز سمعوا وجود الله وعلمه و ارادته و قدرته و بعثة الرسول و صدقه
فما جاء به ، و كما سمعوه قبلوه و ثبتوا عليه ، و اطمأنوا اليه ، و هذا الايمان سبب النجاة في
الآخرة عند جمهور المتكلمين ، و امله من اوائل رتب اصحاب اليمين ، و ليسوا من المقر بين
لانه ليس فيه كشف و بصيرة و انشراح صدر نور اليقين . و قلوب اليهود و النصارى
ايضا مطمئنة بما سمعوا من آباائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القى اليهم الخطأ ،
و المسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لما القى اليهم ثلمة الحق ﴿ و درجات
العلم ﴾ اى وفيه مراتب العلم من علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين ، أو المراد بها علم
الشريعة التي هي متعلقة بالاعمال الظواهر ، و علم الطريقة التي هي مطلوبة في الاخلاق
السراير ، و علم الحقيقة التي هي المواهب بعد تحصيل المكاسب من شرائف المناقب
ولطائف المراتب ﴿ و النور ﴾ اى وفيه النور ﴿ المسؤل في الدعاء المأثور ﴾ « اللهم
اجعل في قلبي نورا » رواه مسلم وغيره ﴿ و الطبع ﴾ اى وفيه الختم قال تعالى ﴿ و تطبع على
قلوبهم ﴾ و ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ ﴿ و الرين ﴾ اى وفيه السراد الذي يعلو الفؤاد ﴿ عند
الاتصاف بالرذائل ﴾ و الخلو عن الفضائل ﴿ و تراكم الظلام ﴾ اى و تكاثف الظلمات
الناشئة عن الظلم و سائر السيئات ﴿ و الاحتجاب منه تعالى ﴾ بعدم توفيق الحسنات و هو
مأخوذ من قوله تعالى ﴿ كلا بل ران ﴾ اى غلب و علا ﴿ على قلوبهم ما كانوا يكسبون
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ اى عن رحمته أو رؤيته ، و في الحديث « ان المؤمن
اذا اذنب كانت نكسة سوداء في قلبه فان تاب و نزع و استغفر صقل قلبه منها و اذا
زاد زادت حتى تعلق قلبه فذللكم الران الذي ذكر الله في كتابه ﴿ كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون ﴾ أخرجه البغوى في تفسيره باسناده ﴿ و التحقيق ﴾ عند أهل
التوفيق ﴿ انه ﴾ اى القلب ﴿ هو ذلك الانسان العارف ﴾ اى المدرك للجزئيات ﴿ العالم ﴾
بالكليات ﴿ المخاطب ﴾ بالأمر و النهى ﴿ المطالب ﴾ باكتساب المأمورات و اجتناب
المنهيات ليرتب عليهما الثواب و العقاب في دار الجزاء و الحساب ﴿ فن ثقلت موازينه
فأولئك هم المفلحون ﴾ و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم

يُطَلَّقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقَلْبِ لِتَعَلُّقِهِ بِهِ بِلَا وَسْطَةٍ وَبَسَائِرِ الْحَوَاسِّ بِوَسْطَتِهِ كَمَا يُطَلَّقُ

عَلَى الْمُضْغَةِ الْمَكِّيَّةِ

خالدون) (يطلق عليه) أى على الانسان (اسم القلب) أى مجازا (لتعلقه) أى الانسان (به) أى بالقلب (بلا واسطة) أى من غير واسطة شىء آخر (وبسائر الحواس) أى ولتعلقه بباقيها (بواسطته) أى القلب (كما يطلق) أى القلب (على المضغة المكيفة) وهى قطعة لحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص فى باطنه تجويف ؛ وفى ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه كذافى الاحياء تبعا للحكماء ، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت الهائم ، وأما قول سهل التستري : القلب هو العرش ، والصدر هو الكرسي فراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسي ، وعن كعب الاحبار قال دخلت على عائشة فقلت : الانسان عيناه هاد ، ووأذناه قمع أى وواع ، ولسانه ترجمان ، ويده جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده ، فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول . وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب : ان الله تعالى فى أرضه آية وهى القلوب فأحبها اليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال : أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليتيم وأرقها على الاخوان يعنى المرافقين ، وهو اشارة الى قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فى مصباح) قال أبى بن كعب مثل نور المؤمن وقلبه ، وقوله (أو كظلمات فى بحر لججى) مثل قلب المنافق الفاسق ، وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى : (فى لوح محفوظ) هو قلب المؤمن وفى الحديث «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واطما من قلبه» الدليل من حديث أم سلمة باسناد جيد ولاحمد والطبرانى فى الصغير من حديث ابى سعيد «القلوب اربعة : قلب احرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب منكوس فذلك قلب الكافر ، وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فى المادتين غلبت عليه حكم له بها» وفى رواية ذهببت به . وفى الحديث القدسى والكلام الانسى «لم يسعنى ارضى وسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوداع» كذا فى الاحياء . وقال مخزجه لم ارله اصلا ، وتعقبه بعض الحفاظ بانه رواه عبد الله بن

احمد في الزهد عن وهب بن منبه بلذ « ان الله فتح السموات لحز قيل حتى نظر الى العرش فقال حز قيل : سبحانك ما اعظم شأنك يارب . فقال الله : ان السموات والارض ضعفن عن ان يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوداع اللين » انتهى ولا يخفى ان هذا هو الآثار فلا ينافي مانقاه المخرج من الاخبار . وفي الخبر « قيل من خير الناس فقال كل مؤمن محوم القلب ، فقيل وما محوم القلب ؟ فقال هو التقى التقى الذي لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا حسد » رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح وفي الاحياء عن عمر رضى الله عنه : رأى قلبى ربى اذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والمملوك في قلبه فيرى الجنة عرض بعضها السموات والارض اما جملة ما كبر سعة من السموات والارض ، لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة ، وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكتاف فهو متناه على الجملة ، واما عالم المملوك وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصائر فلانهاية له ، نعم الذى يلوح للقلب فيه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبلاضافة الى علم الله تعالى لانهاية له . وجملة عالم الملك والمملوك اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم ، وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ، ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته ، وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وأفعاله من مصنوعاته ؛ وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيتة وجلاؤه وقد افلح من زكاه، ومراده بتزكيتة حصول نور الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة، وفي الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق عجيب وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان ، وهي المدركة للعالم العارفة من الانسان، وهو المخاطب والمطالب والمعاتب والمعاقب، ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته . وان تعلقها به يضا هي تعلق الاعراض بالاجسام والاصواف بالوصوفات انتهى * ومن هنا قيل معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربه، تعجيز . وفيه تلميح على ان ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه مع انه بها بائد انسه هذا وفي اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه في ميدان التبيان ، بل المغايرة بينهما ظاهرة عند الاعيان لقوله تعالى : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الآية ، فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما يشير

وَأَسْمُ النَّفْسِ فَقَسَمَهَا التَّنَزِيلُ إِلَى مُطْمَئِنَّةٍ

اليه قوله تعالى (أفلم يسير وافي الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) والفرق بين القلب والنفس والعقل ان القلب يفرق بين الحق والباطل ثم يتقلب في قبول احدهما ويتردد في خاطرهما ، ويترب عليهما صلاح الجسد وفساده ، والنفس غالباً مائلة الى الشهوات واللذات كما يشير اليه قوله سبحانه (وفيها ما تشبهيه الانفس) من المأكولات والمشروبات والمشغومات والمسموعات وسائر الملهذذات ثم النفس المذمومة هي التي لا تفرق بين المباحات والمحظورات ، ومنه قوله سبحانه (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) - (وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى) والعقل الجزئي مشترك بين الحيوان والصيلان وسائر الانسان ، والعقل الكلي وهو المميز بين الخير والشر في العاقبة دنوباً او اخروياً ، وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين ، فهذا عقل المطبوع وهو لا يتفجع بدون عقل المشروع ، ولذا ترى الحكماء حججوا ببعقولهم الناقصة وان ادعوا كما لها عن متابعة الانبياء زعماء منهم ان الرسل ارسلوا للعامه وانهم من الخاصة فصاروا اجمل من كل جاهل ، فان المقلد قبل ايمانه وفاز بتقليده في درجات جنانه ، والحكيم بعقله تنزل في درجات نيرانه ﴿ واسم النفس ﴾ اي ويطلق على الانسان اسم النفس لقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) فالنفس جسم كثيف ، والروح جسم لطيف له سر يان شريف في سائر الاعضاء ، لطيف لطافة سر يان الهواء في البدن ، وقوله (كل نفس ذائقة الموت) وعلمت نفس ما قدمت واخرت و(علمت نفس ما احضرت) وكالزبد في اللبن ، والدهن في الجوز واللوز ، وماء الورد في الورد . والقلب داخل النفس وهو الطف وأضوء من النفس والسر نور رحمانى آلة للنفس فانها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فائدة مالم يكن السر عنده والحاصل ان النفس هنا عبارة عن الهيكل الانسانى المركب من الجسد الجسمانى والروح الربانى اذ المراد من نفس واحدة آدم عليه السلام ﴿ قسّمها ﴾ اي النفس ﴿ التنزيل ﴾ اي القرآن بعد اطلاقه النفس على آدم ونحوه وما يتعاق به من الاجزاء ﴿ الى مطمئنة ﴾ حيث قال تعالى (يا ايها النفس المطمئنة) أى بذكر الله سبحانه وهى النفس المؤمنة ولذا قال (ارجعنى الى ربك راضية مرضية) الآية وهو يحتمل أن يراد بها الهيكل المركب الانسانى فالمراد بقوله (فادخلى في عبادى وادخلى جنتى) اي مع عبادى الصالحين

وَلَوْامَةٌ. وَأَمَارَةٌ كَمَا تُطْلَقُ عَلَى مَا يَجْمَعُ الرِّذَائِلَ فَسَمَّاها الشَّارِعُ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ
وَأَسْمُ الرُّوحِ فُورِدَ (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)

كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين (توفنا مسلمين) (والحقنا بالصالحين) وأدخلنا الجنة آمنين ويشير اليه قوله سبحانه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا يذكرون الله تطمئن القلوب) ويحتمل أن يراد بها الروح المجرد عن الجسد المراد بقوله (فادخلني في عبادي) أي في اجسادهم وعلى كل تقدير أريد بالنفس الجنس ﴿ولوامة﴾ حيث قال (ولأقسم بالنفس اللوامة) أي كثيرة الملامة لنفسها لاسيما يوم القيامة إن كانت عملت خيرا قالت هلا زدت، وإن عملت شرا قالت ليتني لم أفعل، وهو قول الفراء، فهي شاملة للنفس البرة والفاجرة. وقيل تلوم على الخير والشر والنعف والضرب، وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة. وقال الحسن: هي النفس المؤمنة، فإن المؤمن والله ماتراه الايلوم نفسه ما اردت بكلامي؟ ما اردت باكلي؟ وإن الفاجر يمضى عليه الدهر لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها. وقال مقاتل هي النفس الكافرة فإن الكافر يلوم نفسه في العقبى على ما فرط في أمر الله في الدنيا، وهو يحتمل الاحتمالين السابقين ﴿وامارة﴾ حيث قال تعالى (إن النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) أي الامدة رحمة ربي بي، والامن رحم ربي به، ولا يخفى انه لا يصح اطلاق النفس بهذا الوصف على الانسان المعروف. وفي بعض النسخ هنا زيادة - وماهمة - وهي نسخة مهملة اذ لم يعرف في آية منزلة ﴿كأ تطاق﴾ أي النفس ﴿على ما يجمع الرذائل﴾ من سوء الشرائع ﴿فسماها الشارع اعدى الاعداء﴾ كما اخرج البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف «اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية، فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان، فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ﴿واسم الروح﴾ أي ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده، وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم، فإن الارواح ضد الاشباح والانسان عبارة عن المركب منهما، واستدلاله بقوله ﴿فورد﴾ في التنزيل ﴿قل الروح من امر ربي﴾ ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح ويراد به الانسان، فإن كل موجود ذي كمية ومقدار فهو من عالم الخلق، وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر، كذا قيل. والصواب ان كل ما خلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق، وكل ما خلقه بمجرد الامر وهو بتعلق الارادة، او بلفظ كن على

كَمَا يُطَلِّقُهُ الْأَطْبَاءُ عَلَى الْجِسْمِ الْمَكِّيْفِ، وَأَسْمُ الْعَقْلِ فُورَدَ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ
وَقَالَ لَهُ أَقْبَلِ» الْحَدِيثَ

اختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تعالى (اذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون)
وقال عز وجل (انزبكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) الى ان قال
(الاله الخالق والامر تبارك الله رب العالمين) (كما يطلقه) اى الروح (الاطباء) من
الحكماء (على الجسم المكيف) والصواب التوقف فى سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول
الله ﷺ على مقاله ابن مسعود كما فى الصحيحين ، ومالم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم
فيه ، وقد قال تعالى (وما او تيتم من العلم) اى به وبغيره (الا قليلا) لان علم جميع
الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر . والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحياة وبفقد
المات ، والا قرب فى تعريفه ما قيل من انه جسم لطيف روحانى باني منبعه تجويف قلب
جسمانى ، وينتشر بواسطة العروق الضواري الى اجزاء البدن ، ثم جريانه فى البدن
وفىضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهى فيضان
النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به ،
فالحياة مثلها النور الحاصل فى الحيطان ، والروح مثاله السراج ، وسريان الروح
وحرركاتها فى الباطن مثاله مثال حرركات السراج فى جوانب البيت بتحرك محركه ، واما
قوله تعالى (فنفخت فيه من روحى) فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من جملة
مخلوقاته ، وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالفى عام . واول الارواح روح
خاتم الانبياء ، وكذا قوله (وروح منه) اى من عنده او من امره ، وانما اطاق الروح
على جبريل الامين لتجرد روحه لان الملائكة كلهم ارواح مجردة ، ولتخصه به ؛ ول
القرآن المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح كما قال تعالى (يلقى الروح من امره
على من يشاء من عباده) وقال (او من كان ميتا فاحييناه) وسمى جبريل ايضا بالروح
المقدس اى المنزه عن النقصان فى تبليغ امر الحق الى رسل الانسان ، والله المستعان
(واسم العقل) اى ويطلق عليه اسم العقل وفيه النظر السابق ، وما ذكره من الاستدلال
فغير المطابق حيث قال (فورد اول ما خلق الله العقل وقال له اقبل الحديث) اى
« فاقبل وقال ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزنى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم على
منك بك آخذ وبك اعطى وبك اثيب وبك اعاقب » الحديث كذا فى الاحياء ، وقال

كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الصِّفَةِ الْمَكِّيَّةِ

مخرجه رواه الطبراني في الكبير والابوسط من حديث ابى امامة وابونعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى . وقال ابن تيمية وتبعه الزركشى انه كذب موضوع باتفاق أهل العلم ، وتعقبه الحافظ السيوطى بمارواه عبد الله ابن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسل بسند جيد بلغظ لما خاق الله العقل الخ . وفي الحديث دليل على ان العقل غير العلم ، فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ، ولانه لا يمكن الخطاب معه ﴿ كما يطلق ﴾ اى العقل ﴿ على الصفة المكيية ﴾ اى الوصف الذى يتميز الانسان به عن سائر البهائم من جنس الحيوان ، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الخفية المكرية ، وهو الذى اراده الحارث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل : انه غريزة يتيأ بها درك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب ليستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب فى تعريفه ، ونظيره ان الحياة غريزة بها يتيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، ثم العقل كالمراة التى تفارق غيرها من الاجسام والاوان فى حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها فى تلك الحالة وهى الصقالة وبها اتصفت بالآلة ، فعن ابن عباس مرفوعا « لكل شىء آلة وعدة وان الآلة المؤمن العقل » رواه ابن المحبر . وكذلك العين تفارق الجهة فى هيئات وصفات بها استعدت للرؤية ، فذسبة هذه الغريزة التى هى العقل الى العلوم كذسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم بها كذسبة نور الشمس الى البصر ، وعن على رضى الله عنه :

رأيت العقل عقليين * فطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس * وضوء العين بمنوع

فالاول هو المراد بقوله عليه السلام « ما خلق الله خلقا هو أكرم عليه من العقل » كما اخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة والاخير هو المراد بقوله عليه السلام لعل « اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليقر بوابها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة » رواه أبونعيم فى الحلية ، وهو المراد أيضا بقوله عليه السلام لآبى الدرداء « اذا زددت عقلا زددت

من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي فكيف لي بذلك؟ فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعملا بالصالحات من الأعمال تزد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتتل بها من ربك القرب والعز» رواه الترمذي الحكيم وغيره وقال ابن المسيب «ان عمر وأبي بن كعب و ابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال العاقل : قالو من أعبد الناس؟ فقال العاقل قالوا فمن أفضل الناس؟ قال العاقل قالوا ليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته ووجدت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام: (وان كل ذلك لما متاع الحياة والدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ان العاقل هو المتقى وان كان في الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر، وله من حديث أنس من حديث ابن سلام سأل النبي عليه السلام في حديث طويل في آخره «وصف عظم العرش وان الملائكة قالت : يا ربنا هل خلقت خلقا أعظم من العرش؟ قال نعم العقل ، قالوا وما بلغ من قدره؟ قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا لا قال تعالى فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطى حشية ومن الناس من اعطى حشيتين ومنهم من اعطى الثلاث ومنهم الأربع ومنهم من اعطى فرقا ومنهم من اعطى وسقا ومنهم من اعطى أكثر من ذلك» رواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا، ولهذا انقسم الناس الى بليد لا يفهم بالتحقيق الا بعد تعب طويل في التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة الى العبارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور ودقائقها بدون التعليم (يكاد يتهاىضى عو لو لم تمسه نار) وذلك مثل الانبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم من الأولياء الكرام ويعبر عن الأول بالوحي وعن الثاني بالالهام هذا وقد قال عليه السلام «يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه ، واعلموا أنه مجدكم عند ربكم ، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة، وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة نصوحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله من عصاه ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا ياكم واياهم فانهم من الخاسرين» رواه داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود . عن أنس قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال عليه السلام «ان الاحمق يصيب بحمقه أكثر من فجور الفاجر ، وانما يرفع العباد غدافي الدرجات زاني

من ربهم على قدر عقولهم» رواه ابن المحبر بنهماه والحكيم الترمذى مختصرا. وعن عمر مرفوعا «ما كتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى أو يورده عن ردى وما تم ايمان عبدا ولا استقام دينه حتى يكمل عقله» ابن المحبر، وعنه الحارث بن أبى أسامة وعن أبى سعيد مرفوعا «كل شئ دعامة أى عماد ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير» ابن المحبر وعنه الحارث. وقال عليه السلام «ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله، فعند ذلك تم له ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس» ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده به. والحديث عند الترمذى مختصرا دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه «وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله باى شئ يتفاضل الناس فى الدنيا؟ فقال بالعقل قلت ففى الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم، فقال هل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل، فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون» ابن المحبر والحكيم الترمذى نحوه. وقال عليه السلام «اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا» ابن المحبر من حديث ابى قتادة. وفى الاحياء: اما العلوم الدينية فهى المأخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما، وبه كمال صفة القلب فى معرفة الرب، وبه سلامته عن الاعراض والاعراض والادواء والامراض. فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجا اليها فى معرفة الرب. فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والملافتى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور. فياك ان تكون من احد الفريقين، وكن جامع بين الاصيلين فان العلوم العقلية كالاغذية، والعلوم الشرعية كالادوية، والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء، وكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفاد من الشريعة المصطفوية، وهى وظائف العبادات والاعمال التى رتبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب، فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية وائتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء. ثم قال: والعلوم العقلية تنقسم الى دينوية واخرى، والدينوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات، والاخرى كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله، وهما علمان متناهيان، يعنى ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر

ثُمَّ الْخَوَاطِرَ آثَارَ تَحَدُّثٍ فِي الْقَلْبِ تَبَعَتْ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتُّرُوكِ فَانْفَعَتْ فِي الْآخِرَةِ
فِي خَيْرٍ وَالْإِعَانَةَ عَلَيْهِ تَوْفِيقٌ وَإِنْ ضُرَّ فَشَرٌّ وَالْإِعَانَةُ خِذْلَانٌ وَالْفَارِقُ الشَّرْعُ، ثُمَّ
الْفَارِقُ عَمَلُ الصَّالِحِينَ فَالْمُوَافِقُ خَيْرٌ وَالْمُخَالَفُ شَرٌّ وَلَوْ بِرِخْصَةٍ أَوْ شَبْهَةٍ ثُمَّ النَّفْسُ فَمَا
تَنَفَّرَتْ عَنْهُ نَفْرَةً طَبَعٌ لِاخْتِشَاءِ خَيْرٍ

ضرورة على الاكثر، ولذا ترى الايلاس في علوم الدنيا جهالا في امور الآخرة، والايلاس
في دقائق علوم الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا، لان قوة العقل لانفى بالامر بن
جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني، ولذا قال عليه السلام «اذا اهل
الجنة البله» رواه الدارمي من حديث انس . وقال الحسن: ادر كتنا اقواما لورايتموهم
لقاتم مجانين ولوراؤكم لقالوا شياطين . وقال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون) فالدينا والآخرة لا يجتمعان فهما ضرتان اذا ارضيت احدهما
استخطت الاخرى . ومن هنا قال عليه السلام « من أحب آخرته اضر بدنياه ومن
أحب دنياه اضر بآخرته فاثروا ما يبقى على ما يبقى » (ثم الخواطر آثار تحدث في
القلب) وهي التي تعرض فيه من الاذكار والافكار (تبعث على الافعال) اي تارة
(والتروك) اي وعليها تارة، فان الخواطر هي المحركات للارادات. فبدأ الافعال
الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الاعضاء،
والخواطر المحركة تنقسم الى قسمين (فان نفع) أي الخاطر وما يخطر فيه أو الفعل
أو التروك (في الآخرة بخير) محض (والاعانة عليه توفيق) اي لطف وهداية
من الله سبحانه (وإن ضر) ذلك في الآخرة (فشر والاعانة) اي عليه كافي
نسخة (خذلان) اي ترك نصرته منه وإغواء، فالاعانة الثانية وقعت بطريق المشاطلة
(والفارق) بين الخير والشر (الشرع) ولا عبرة بالطبع (ثم الفارق عمل
الصالحاء) اي من العلماء (فالموافق خير والمخالف شر ولو) كان (برخصة أو شبهة)
لان لا ينفع في الآخرة اذ التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة والمخالف بشبهة. والرخصة
ما يستباح بعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضطر مال الغير وترك الخائف على
نفسه الامر بالمعروف، وحكمه أن الاخذ بالعزيمة أولى (ثم) الفارق (النفوس
فما تنفرت عنه نفرة طبع لا خشية) اي مخافة من مخالفة غير الله (خير) وقيل نفرة

وَمَا مَاتَ إِلَيْهِ مَيْلٌ طَبَعَ لِأَرْجَاءِ شَرِّهِ ثُمَّ مِنَ الْمَلِكِ إِلهَامٌ وَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَمَنِ
الشَّيْطَانِ وَسِوَأَسْ وَهُوَ شَرٌّ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا كَمَا يَدْعُوهُ إِلَى الْمَفْضُولِ بِالشَّغْلِ
عَنِ الْفَاضِلِ وَالْجُرِّ إِلَى ذَنْبٍ لَا يَفِي خَيْرُهُ كَالْعَجَبِ فَوَرَدَ « إِنْ الْقَلْبُ مَفْتُونٌ
بِمَلِكٍ أَوْ شَيْطَانٍ يَدْعُوَانِهِ »

الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والخاط ونحوهما، نفرة الخشية كنفرة عن الحيوانات
المؤذية، فاذا خطر له أن يطوى ميلا الى ثلاثة ايام في الصوم ولكن يجد في نفسه نفرة
وكره من هذا العمل فهذا الخاطر خيرا لانه لا يهلك بجوع ثلاثة ايام غالبا (وما مات
اليه ميل طبع لارجاء) من الله سبحانه (شر) مثلا خطر الخاطر أن يخرج من
البيت ويتفرج على المكان الفلاني ولا يخطر معه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة أخ
في الله أو عيادة مريض بل خرج مجرد الخاطر فهو شر لما ورد من حديث « من حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (ثم) الخاطر أصادر (من الملك إلهام وليس)
ذلك الخاطر (سوى الخير) لانه مرشد ناصح هنالك لم يرسل الا لذلك (ومن الشيطان
وسواس وهو شر) محض غالبا (وقد يكون) الوسواس (خيرا) في الصورة
وقصده منه شر (كما يدعو الى المفضل بالشغل) اي بسبب اشتغاله بالمفضل متمتعا
(عن الفاضل) كمن يلقي في قلبه خاطر العبادة من الفعل ليشغله عن العلم الذي هو
أفضل منها مع الجهل (والجر) عطف على الشغل اي وما يدعو الى خير بسبب
جره (إلى ذنب لا يفي خيره) أي لا يعدل نفعه بشره وضرره (كالعجب) او
غيره من طلب جاه ونحوه (فورد إن القلب مفتون) اي متمحن (بملك أو شيطان
يدعوانه) اي الى خير وشر، والحديث لم أجد له اصلا، فالملك عبارة عن خلق
خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير و فادة العلم، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد
ذلك، وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر، كما
قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا)
فنسب فعل الملك الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الوساطة، فان رؤية
الاسباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم)
وقوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وورده القلب بين أصبحين من أصابع الرحمن

وَمِنْهُ أِبْتِدَاءُ خَاطِرٍ مُطَاقٍ

ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاعه، قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية وقال عليه السلام « في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله ، ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا : الشيطان يعدم الفقر « الآية. رواه الترهذي وحسنه من حديث أبي سعيد . وقال الحسن : إنما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو ، فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله أمضاه وما كان من عدوه جاهده ونهاه . ولتجاذب القلب بين هذين المسطين ورد « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن » أى بين صفتى الجمال والجلال ، او تمثيل بسرعة تقب القلب وترده بالشىء المأخوذ بين الاصبعين المتحركين وهما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لاجرم لا يخلو قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالسوسة، ولذا قال عليه السلام « ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا الا أن الله اعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بالخير » رواه مسلم عن ابن مسعود *

ثم القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذا قال تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لاعبد الله قال تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) وقال جرير بن عبد الله : شكوت الى العلاء بن زياد ما وجد فى قلبى من الوسواس فقال : انما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شىء عاجزه والامضوا وتركوه ، ومن هنا قيل : المفلس فى امان الله . وقال عثمان ابن ابى العاص « يارسول الله ان الشيطان حال بينى وبين صلاتى وقرأتى ، فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثا، قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني » رواه مسلم . ولا بن ماجه والترمذى من حديث أبى بن كعب « ان للوسوء شيطانا يقال له الوهان فاستعيذوا بالله منه » والحاصل أنه لا خلاص من الشيطان الا بالالتجاء الى الرحمن والتبرى من الحول والقوة للانسان، واطهار العجز فى ميدان البيان بذكر الله فانه هو المستعان ، وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله سبحانه (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (ومنه) أى من الوارد من عنده تعالى (ابتداء خاطر مطلق) *

وهو اما خير اعتناء وإما شر ابتلاء ومن النفس هوى وليس الهوى سوى الشر
 وقيل كالوسوسة وقيل إلا اذا كانت مطمئنة فليس سوى الخير وهذا هو الخامس
 المسمى بخاطر القلب

وانما قال ابتداء لان حدوث الخواطر جميعها في قلب العبد من الله حقيقة،
 لكن اذا حدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى الهاما ، واذا حدثت عقيب
 دعوة الشيطان تنسب اليه وتسمى وسوسة ، واذا حدثت موافقا للطبع يقال له هوى
 النفس وتنسب اليه، واذا حدثت من الله في القلب ابتداء بلا واسطة الملك والشيطان
 ولا موافقا لطبع الانسان يسمى خاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة والرابطة (وهو
 اما خير اعتناء) اى عناية ورعاية لعبده (واما شر ابتلاء) اى امتحانا لعبده (ومن
 النفس هوى) اى والوارد منها يسمى هوى وهو ضد هدى (وليس الهوى سوى
 الشر) كما ان الهدى ليس سوى الخير (وقيل كالوسوسة) اى من الشيطان يدعو
 الى الشر غالبا وقد يدعو الى الخير ليسير ليجره به الى الشر الكثير ، وذلك لما قال
 احمد بن ارقم البلخي : نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى
 يقول (ان النفس لامارة بالسوء) وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا ابدا ، ولكنها
 استوحشت فارادت لقاء الناس لتتروح اليهم ، وتتسامع الناس فيستقبلونها بالتعظيم
 والتكريم ؛ فقلت لها : لانزلك العمران ولا انزلك على ذى معرفة فاجابت ، فاسأت
 الظن بها فقلت الله اصدق ، فقلت اقاتل العدو حاسرا اى بلا سلاح فتكونين اول
 قتيل فاجابت ، فاسأت الظن بها ، فعدت أشياء مما ارادها فاجابت الى كل ذلك ، فقلت
 يارب نبهنى لها فانى متهمها ومصداق لك ، فكوشفت كأنها تقول : يا احمد تقتلنى كل
 كل يوم يمنعك اياى من شهواتى مرات وبمخالفتك لى كرات . وما يشعر بذلك احد ،
 فان قاتلت فقتلت مرة واحدة نجوت منك ، وتتسامع فيقال استشهد احمد ويكون لى
 شرف وذكور ، فعدت ولم اخرج الى الغزو فى ذلك العام . فانظر الى خداع النفس وغرورها
 ترى الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد . ولقد صدق القائل :

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس شر من السبعين شيطانا

(وقيل الا اذا كانت) النفس (مطمئنة) بذكر الله (فليس) خاطرها
 (سوى الخير وهذا هو الخامس) من الخواطر (المسمى بخاطر القلب)

(م-١٩ ج-٢ شرح عين العلم)

فورد «استفت قلبك أما الفرق ففي الخير يعرف الخاطر بكونه مصمما ومحدثا
 عقيب الطاعة إثابة فورد (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وطار يافى الأصول
 والأعمال الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى إليها وتنبها فورد «اللهم نبهنا عن نومة
 الغافلين والالهام بكونه مترددا ومبتدئا وطار ثافي الفروع والأعمال الظاهرة وحثا
 على الطاعة فورد (ويفعلون ما يؤمرون) والوسوسة

لقوله تعالى (الا بذكر الله تطمئن القلوب) يعنى ولا تميل ايذا الى الذنوب والعيوب
 ﴿ فورد استفت قلبك ﴾ تمامه وان افتك المفتون، فالخطاب للمنتقى فان قلبه لا يخطىء،
 ومن هنا قيل بحكى قلبى عن ربى ﴿ اما الفرق ﴾ بين الخواطر فى الخير والشر ﴿ فى الخير
 يعرف الخاطر ﴾ المطاق الذى يرد من الله ﴿ بكونه مصمما ﴾ اى ثابتا على حالة واحدة
 دائما ﴿ ومحدثا ﴾ اى وبكونه واقعا ﴿ عقيب الطاعة اثابة ﴾ اى جزاء اراما ﴿ فورد ﴾
 فى التنزيل ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ بالطاعة ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ الباقية الموصلة الى
 قربنا ووصلنا. فى الخير « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم » وهو معنى قوله
 سبحانه (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) ر قوله (واما من اعطى واتقى وصدق
 بالحسنى فسنيسره لليسرى) اى الطريقة السهلة الموصلة الى الحالة الاخرى فى الدنيا والعقبى
 ﴿ وطاريا ﴾ عطف على مصمما اى عارضا ﴿ فى الاصول ﴾ اى الاعتقادات ﴿ والاعمال ﴾
 اى العبادات ﴿ الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى إليها ﴾ فهو عليهم بذات الصدور وخفايا
 الامور ﴿ وتنبها ﴾ عطف على اثابة اى للتنبيه عن نوم الغفلة فى مقام الاثابة على فعل
 الطاعة، ولا يبعد ان يعطف على مصمما بذكر المصدر واردة الفاعل : اى منها على الغفلات
 عن عمل الخيرات ﴿ فورد ﴾ فى الدعاء ﴿ اللهم نبهنا عن نومة الغافلين ﴾ لم ار له اصلا
 ﴿ والالهام ﴾ الملقى يعرف ﴿ بكونه ﴾ اى الخاطر ﴿ مترددا ﴾ بين الفعل وتركه غير قوى
 فى حكمه، وقيل مترددا اى يجرى مرة ويذهب اخرى ﴿ ومبتدئا ﴾ اى لا يحدثا بعد عمل عبادة
 ونحوه ﴿ وطاريا ﴾ اى عارضا ﴿ فى الفروع ﴾ العلمية والعملية ﴿ والاعمال الظاهرة ﴾
 الاخرى وقيد الاعمال بالظاهرة لان الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد فى قول اكثرهم
 ﴿ وحثا على الطاعة ﴾ فى الامور الدينية ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل (لا يعصون الله ما امرهم
) ﴿ ويفعلون ﴾ اى الملائكة ﴿ ما يؤمرن ﴾ لانهم جبلوا على الطاعة ﴿ والوسوسة ﴾ من

بِكُونِهَا مَعَ عَجَلَةٍ وَنَشَاطٍ دُونَ خَشْيَةٍ عَلَى اِتِّمَامِهِ وَاَدَانِهِ عَلَى وَجْهِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
 اِيَّاهُ وَبَصِيرَةً أَنَّهُ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ وَفِي الشَّرِّ يَعْرِفُ الْخَاطِرُ بِكُونِهِ مَصْمُومًا وَمُحَدَّثًا عَقِيبَ
 الذَّنْبِ عُقُوبَةً فُورِدَ (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وَالْهُوَى بِكُونِهَا
 مُطَالِبَةً لِلشَّهْوَةِ فُورِدَ (مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ)

الخواطر تعرف ﴿بكونها مع عجلة﴾ لأمع بأن لقوله تعالى (وكان الانسان عجولا) وفي الحديث
 «العجلة من الشيطان والاناة من الله» رواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد
 وقال عز وجل (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه) ﴿ونشاط﴾ اى فرح
 وانبساط وهو خفة تحصل للانسان للاقدام على العمل من غير بصيرة وتصور مشوبة
 ﴿دون خشية﴾ اى من غير مخافة ﴿على اتمامه﴾ اى اتمام العمل انهاء ﴿وادائه على وجهه﴾
 اى وجه العمل وحقه ابتداء ﴿وقوله تعالى اياه﴾ اى العمل وصاحبه اذ لا عبرة لما سواه
 ﴿وبصيرة﴾ اى ودون بصيرة ﴿انه﴾ اى ذلك العمل ﴿خير﴾ يرجى عليه الثواب ﴿او
 شر﴾ يخاف عليه العقاب وقيل: المراد بالبصيرة بصارة العاقبة بان تبصر وتحقق وتيقن انه
 خير ورشد، ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب ، والله اعلم بالصواب .
 والحاصل انك ان وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لامع
 خشية ، ومع عجلة لامع تان ، ومع امن لامع خوف ، ومع عمى عن العاقبة لامع
 بصيرة فاعلم انه من الشيطان . وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان تكون مع خشية
 لامع نشاط ، ومع تأن لامع عجلة ، ومع خوف لامع امن ، ومع بصيرة لامع عمى
 فاعلم انه من الله تعالى او من الملك . وهذا الفرق فى الخواطر فى الخير كله ﴿وفى الشر
 يعرف الخاطر﴾ المطلق الذى هو من الله سبحانه ﴿بكونه مصمما﴾ اى قويا ﴿ومحدثا﴾
 واقعا ﴿عقيب الذنب عقوبة﴾ اى للعقوبة على المعصية ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿بل ران﴾
 اى غلب وعلا ﴿على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ من السيئات الواقع بعضها عقيب
 بعض عقوبة لهم حتى اسودت قلوبهم حيث تراكمت ذنوبهم ، ومنه قوله تعالى (واما
 من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) اى الطريقة العسرى الموصلة
 الى مثلها فى الدنيا والاخرى ﴿والهوى﴾ اى ويعرف خاطر هوى النفس ﴿بكونها
 مطالبة للشهوة﴾ اى للذة التى فيها الشهوة ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿ما تشتهى انفسكم﴾ حيث

ومصرّة على معين فالنفس لا تسكن دون قضاء الشهوة والوسوسة بكونها مبتدأة
في الأكثر ومترددة فالشيطان كلب اذا طرد من جانب دخل من آخر، وباعثة
على غير معين فغرضه نفس الاغواء، ومسئلة لمعصية فورد (الشيطان يعول
لهم وأملى لهم)

نسب الاشتهاء الى النفس التي هي منبع الهوى (ومصرّة على معين) اي وبكونها مصممة
على شهوة معينة على وجه معين وطريق معين لا عدول عنه بوجه اصلا وقطعا (فالنفس
لا تسكن دون قضاء الشهوة) اي من غير غرضها التي تريده كما قيل :

تريد النفس ان تلقى مناها • ويا بني الله الا ما يريد

(والوسوسة) تعرف (بكونها مبتدأة) اي ليست تقب طاعة ولا معصية
(في الاكثر) اي اكثر الاحوال او اكثر الوسوس (ومترددة) فنارة تدعو
الى معصية واخرى الى اخرى فهي غير مصممة على حالة واحدة (فالشيطان
كلب) او ذئب (اذا طرد من جانب دخل من آخر) اي جانب آخر لما يشير اليه قوله تعالى
(فيما اغويته لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا تينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمنهم وعن شمائلهم) والمراد طرق المعاصي جميعها . فعن ابن مسعود : خط
لنار رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمين
الخط وشماله وقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا : وأن
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، (وباعثة) اي
وبكونها محرّضة (على غير معين) من انواع المعاصي (فغرضه نفس الاغواء) من
اي جهة كان من الاعمال والاحوال (ومسئلة) اي وبكونها مزينة ومسهلة (لمعصية)
من المعاصي غير متعين (فورد) في التنزيل (الشيطان سول لهم) اي زين لهم
سوء اعمالهم (واملى لهم) اي اهلهم ببطء آجالهم ، او القى في قلوبهم ما يندمون عليه في
ما آلمهم . قال الحسن : بلغنا ان ابايس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري
بالاستغفار ، فسولت لهم ذنوبهم بالاستغفرون الله عز وجل منها وهي الاغواء ، وقد
صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون

وَمَنْدَفَعَةً بَدْرُهُ تَعَالَى فَوْرَدَفِيهِ «إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسَوَسَ

منها؟ ومن عظيم حيل الشيطان انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية والفروعية، والخصومات الدنيوية. وقال عبد الله بن مسعود: قعد قوم يذكرون الله عز وجل، فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجالسهم فيفرق بينهم لم يستطع، فأتى رفقته اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم، فقاموا يقاتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم، فتفرقوا عن مجالسهم ذلك مراد الشيطان منهم ﴿ومندفعة﴾ اي وبكونها مندفعة ﴿بذكره تعالى﴾ ولو بذكر خفي ﴿فورد﴾ في الحديث ﴿فيه﴾ اي في حق الشيطان ﴿اذا ذكر﴾ العبد ﴿الله خنس﴾ اي تأخر الشيطان ﴿واذا غفل وسوس﴾ قال مجاهد في معنى في قوله تعالى (من شر الوسواس الخناس) قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه، فالتطارد بين ذكر الله وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار. ولتطاردهما قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فانسوهم ذكر الله) وعن انس قال عليه السلام «ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه» ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدى. هذا وكما ان الشهوات بمنزلة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ولذا قال عليه السلام «ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع» وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوة المانعة عن الطاعات، وفيه تنبيه على انه لا يتخاص احد من الشيطان مادام حيا، نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته، كما قال عليه السلام «ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى احد لم يعيره في السفر» اي يهزله ويضعفه، رواه احمد بن حنبل في حديث ابي هريرة. وقال ابن مسعود: شيطان المؤمن مهزول، وقال قيس: قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور، فقلت ولم ذلك؟ قال تديبني بكتاب الله عز وجل. وقال ابو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فاذا شيطان الكافر سمين دهن كاس، واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك؟ فقال انا معر جل اذا اكل سمي الله فاضل جائعا، واذا شرب سمي الله فاضل عطشانا، واذا ادهن سمي الله فاضل اشعث، واذا لبس سمي الله فاضل عربانا، فقال شيطان الكافر لكتني معر جل

وَقِيلَ يَتَعَذَّرُ التَّمِيَّزُ الْأَبْنُورُ التَّقْوَى وَالْمَعْرِفَةَ

لا يفعل شيئاً مما ذكرت ، فانا اشاركه في طعامه وشرابه ودهنه ولباسه . وفي النسائي من حديث سيرة باسناد صحيح « ان الشيطان قعد لابن آدم في طريقه ، قعد له في طريق الاسلام فقال اسلم وتذر دينك ودين آباءك فعصاه واسلم ، ثم قعد له بطريق الحجرة فقال انهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهاد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتتكح نسائك ويقسم مالك فعصاه وجاهد ، فقال عليه السلام : فن فعل ذلك ومات كان حقا على الله ان يدخله الجنة ، واذا عرف هذا فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله ونسبه ومحلّه ، فقد قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليلكونوا من اصحاب السعير) وقال عز وعلا (الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) (وقيل يتعذر التمييز) بين الخواطر بشئ من الاشياء (الابنور التقوى والمعرفة) بصفات المولى كما قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) أى رجعوا الى نور العلم (فاذا هم بصرون) أى انكشفت لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال وأمامن لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتلبيسه بمتابعة الهدى ويكثر فيه غلظه ويعجل هلاكه وهو لا يشعر به ، وفي مثلهم قال تعالى (وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قيل هى اعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات . وفي الاحياء : ينبغى ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعاً أنه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة ، والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا شك في كونه الهاماً ، والى ما يتردد فيه ولا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان . فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتميز في ذلك غامض ، واكثر العباده يهلكون ، فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير . ولذا روى : ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولاقولها بقولك . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « كان راهب فى بنى اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فحقتها وألقى فى قلوب اهلها ان ادعوا عند الراهب ، فأتى بها الى الراهب فأتى ان يقبلها ، فلم يزل الواهب حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها ، فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها ، فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه ، فوسوس اليه وقال : الآن تفتضح

وَاخْتَلَفَ فِي الْأَخْذِ بِالْخَوَاطِرِ وَالتَّحْقِيقِ

ياتيك أهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فاتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم والقي في قلوبهم انه احبها ثم قتلها ودفنها ، فاتاه أهلها فسألوه فقال ماتت ، فالقى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده ففتشوا عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه ، فاتاه الشيطان فقال انا الذى اخذتها وانا الذى القيمت في قلوب أهلها فاطعنى اخلصك منهم ، قال بما ذا قال اسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين ، فقال له الشيطان انى برى منك ، فهو الذى قال الله تعالى : كمثل الشيطان اذ قال للانسان ا كفر فلما كفر قال انى برى منك » الآية والحديث رواه ابن ابى الدنيا فى مكائد الشيطان ، وابن مردويه فى تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسل ، وللحاجم نحوه . ووقفا على بن ابى طالب وقال صحيح الاسناد ، ووصله مطين فى مسنده من حديث على ، وذكره البغوى فى تفسيره عن ابن عباس ، وذكر ان الراهب اسمه برصيصا ، وتعل بعد قتلها بان جنيتها اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها ، فانظر الآن الى حيل الشيطان واضطرارة الراهب الى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة ، وهو امرهين فى المخالطة وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة وملاطفة فى المرافقة وحسن عشرة فى المخالفة ، فيحسن ذلك فى قلبه ، ويخفى الهوى فى نفسه . فيقدم اليه كالراغب فى الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ، ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا للخلاص عن الامر المذكور فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور ، واليه الاشارة بقوله عليه السلام « من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه » متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير « واختلف فى الاخذ » اى فى المؤاخذة « بالخواطر » فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا ، وأستدل بقوله عليه السلام « يقول الله تعالى إذا هم عبدى بسبيته فلا تكتبوها » وبعضهم بالاختلاف مطلقا وأستدل بقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) « والتحقيق » التفصيل فان اول ما يرد على القلب الخاطر ، كما لو خطرت له مثلا صورة امرأة واما وراء ظهره فى الطريق بحيث لو التفت اليها لير اها ويسمى حديث النفس ، والثانى هيجان النفس فى الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ويسمى ميل الطبع ، والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف ، فانه قد يمنعه حياء أو خوف

عدمه فيما لا اختيار له كحديث النفس وميل الطبع لامتناع التكليف فيه وورد
 عني عما حدثت به نفوسنا . وإنما هو في العزم والهم فورداً (وإن تبدوا ما في أنفسكم
 أو تخفوه يحاسبكم به الله)

من الله تعالى عن الالتفات ، وعدم هذه الصور فربما يكون بتأمل وهو على كل حال
 من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخواطر والميل ، والرابع تصميم العزم وجزم
 النية ، وقيل الإرادة ميل الباطن نحو المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج
 المرغوب والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل في ما له فاذا عرفت
 هذا فالتحقيق عند أهل التدقيق وأرباب التوفيق (عدمه) أي عدم الأخذ بمعنى
 المؤاخذة (فيما لا اختيار له كحديث النفس) مما يخطر ببالها ويذهب بسرعة زوالها
 (وميل الطبع) أي الجبلي الذي لا اختيار لصاحبه في الميل إليه ، وأنت عرفت أن
 حديث النفس وميل الطبع متغايران . وقيل عطف تفسيري وهو خاطر فعل الذي
 ما انجر إلى العزم والهم (لامتناع التكليف فيه) أي فيما لا اختيار فيه فانه تكليف
 ما لا يطاق وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) (وورد) في الحديث (عني
 عما حدثت به نفوسنا) وهو معنى حديث الصحاح الست عن أبي هريرة « ان الله تجاوز
 لامتي عما حدثت به انفسها ما لم يتكلم به او يعمل به » وعن أبي هريرة قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « يقول الله اذا هم عبدي بسئمة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوا
 عليه سئمة فان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة ، واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها
 حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة » رواه الشيخان (وانما هو) أي الاخذ والمؤاخذة (في
 العزم) أي حكم القلب بان هذا ينبغي أن يفعل (والهم) أي المصمم فهو عطف
 تفسيري وهو قصد الفعل بعد الخطور ولكن ما افضى إلى مباشرة الفعل لما نفع من الشرع
 أو العقل أو غيرهما ، فانه قد يكون الفاسق محروماً وفسقه مجزوماً ، أو الثاني اخص
 من الاول فتأمل (فورد) في التنزيل (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به
 الله) أي ان تظهروا ما فيها من العزم والهم على المعصية أو تخفوه يحاسبكم به كما قال :
 (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ولما نزلت الآية جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيع ، ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يجب ان يشئ

أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ الْآيَةَ . أَمَّا يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ ، وَوَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى الْإِخْذِ
بِالْكِبَرِ وَالْعَجَبِ وَالرِّيَاءِ إِلَّا أَنْ يَمْتَنِعَ بَعْدَ الْعَزْمِ لَهُ تَعَالَى فَيَمْحُوهُ لِرُجْحَانِ
تَأْثِيرِ الْأَمْتِنَاعِ فِي تَنْوِيرِ الْبَاطِنِ لِأَنَّهُ يَخَالِفُ الطَّبْعَ عَلَى تَأْثِيرِ الْقَصْدِ فِي تَسْوِيدِهِ
لأنه يوافق

في قلبه ثم يحاسب بذلك ، فقال عليه السلام « لعليكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا » فانزل الله الفرق بقوله (لا يكلف الله نفسا الا
وسعها) رواه مسلم من حديث أبي هريرة . وابن عباس . فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت
الوسع من اعمال القلوب لا يؤخذ به ، قال تعالى (ان السمع والبصر الآيه) أي (والفؤاد
كل اولئك فان عنه مسئولوا) وقال تعالى (ولا تكتسبوا الشهادة ومن يكتسبها فانه آثم
قلبه) وقال (لا يؤخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم)
(انما يحشر الناس على نياتهم) رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما ، وله من
حديث أبي هريرة « انما يبعث الناس على نياتهم » واسنادها حسن . وفي الاحياء ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني فمات تلك الليلة مات مصرا
ويبعث على نيته . والدليل القاطع فيه حديث « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار . قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال لانه اراد قتل
صاحبه » رواه الشيخان (ووقع الاجماع على الاخذ) أي المؤاخذة (بالكبر والعجب
والرياء) وخص الثلاثة بالذكر لكونها من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر (الا ان يمتنع)
عن العمل السوء (بعد العزم) أي القصد والجزم على الفعل (له) أي يكون امتناعه
لاجله (تعالى) رجاء أو خوفا (فيمحوه) أي فيمحوه الله سبحانه الاخذ بها والعقوبة
عليها (لرجحان تأثير الامتناع) عن العمل لاجله تعالى (في تنوير الباطن لانه) أي
الامتناع (يخالف الطبع) ويوافق الشرع فيترجح (على تأثير القصد) أي قصد المعصية
والعزم عليها فيكون مؤثرا (في تسويده) أي تسويد الباطن وتغييره (لانه يوافق)
أي لان قصد المعصية يوافق الطبع ولا يلائم الشرع *

وحاصله الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد وسعى أكيد
وما كان جده أشد وسعيه أهم كان تأثيره أكمل وأتم فثبت بهذا ان تأثير الامتناع
في تنوير الباطن أشد من تأثير قصد المعصية في تسويد الباطن لانه لا يحتاج الى سعي

وورد فيه «إن تر كها فآ كتبوها حسنة» ثم الواجب الاحتراز عن الشيطان لأنه
 عدو كما نطق به القرآن ولأن العابد يغايظه فتشتمد معاداته آياه

بليغ، ولما كان جده واجتهاده أقل كان التأثير أنقص فتأمل، وفي الخبر «أفضل
 الطاعات أحزها» أي أشقها وأصعبها (ورد) في الخبر (فيه) أي في الامتناع
 (ان تركها) أي العبد السيئة (فآ كتبوها حسنة) وقد تقدم، ولابن أبي
 الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلًا قال ثابت: لما بعث النبي صلى الله عليه
 وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو، فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا
 ماندرى، قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء فقال بعث محمد صلى الله عليه
 وسلم، قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي عليه السلام فينصرفون خائبين
 فيقولون ما حببنا قوماً قط مثل هؤلاء ليس لنا نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم
 فينمحي أثر ذلك فقال إبليس رويداً بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيدون
 حاجتكم منهم، ومما يدل على ان حديث النفس لا يؤاخذ به ماروى عن عثمان بن
 مظعون حيث قال «يارسول الله ان نفسى تحدثنى ان اطلق خولة قال مهلا ان من
 سنتى النكاح، قال نفسى تحدثنى أن أجب نفسى، قال مهلا خصاء أمتى ذووب
 الصيام، قال نفسى تحدثنى أن أترهب، قال مهلا رهبانىة أمتى الجهاد والحج، قال
 نفسى تحدثنى ان اترك اللحم، قال مهلا فانى أحبه ولو أصبته لاكلته ولو سألت الله
 لاطعمنى، رواه الترمذى الحكيم فى نواذر الاصول عن سعيد بن المسيب مرسلًا
 (ثم الواجب الاحتراز) أي الاحتراس (عن الشيطان) وما فيه من الوسواس
 (لانه عدو كما نطق به القرآن) حيث قال (ان الشيطان لىم عدو مبين) وقال
 (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) الآية (ولان العابد) العالم (يغايظه)
 أي يغالبه فى غيظه لاجل كونه فى سبيل الله (فتشتمد معاداته) أي الشيطان (آياه)
 أي ذلك العابد، ولذا ورد «لغيبه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» ثم
 من عداوته للانام أمره لهم بالآثام ووعدده الامان من عذاب الله وعدم حسابه
 والياس من ثوابه من غير شبهة فضلاً عن حجة، ويخوفهم بالفقر فى اعطاء الزكاة ويحشهم
 على الاتفاق فى المحرمات، ويخيل لهم حصر اللذات فى الشهوات واللهاوت، ويدعو من
 له ازواج وجوار ذات جمال ومزينة ومعطرة فى غاية كمال الى زنا من ليس لها ذلك
 فى الاحوال، ويامر الامراء بالظلم فى اموال الاغنياء ووقوف الايتام والفقراء مع

وَالطَّرِيقُ الْاِسْتِعَاذَةُ لِانَّهُ مَأْمُورٌ بِهَا «وَلَا نَ الْكَلْبَ اِنْ حَارَبْتَهُ تَعَبْتَ وَرَبْمَا
غُلِبْتَ فَالرُّجُوعُ اِلَى رَبِّهِ اَوَّلَى» وَالْمُجَاهِدَةُ بِالرَّدِّ

وفورها لهم ، ويقتل النفس بادنى خيال مع تمكنهم من الدفع في الحال والاستقبال، وله ابواب فيها اطناب (والطريق) أى طريق الاحتراز خمسة (الاستعاذة) منه به تعالى (لانه) أى العبد والاستعاذة (مأهورة بها) في قوله تعالى (واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله) الآية وسائر الآيات والاخبار الواردة. وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم انك سلطت علينا عدوا من غير انفسنا بصيرا لبعونا مطلعنا على عوراتنا يرانا هو وقييله من حيث لانراهم ، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك ، وقطه منا كما قطه من عفوك ، وابعد بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شىء قدير ، وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : كان شيطان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب ، فاتاه جبريل عليه السلام فقال : قل « اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ وبرأ فى الارض ومن شر ما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن فتن الليل والنهار ، وطوارق الليل والنهار الاطارقا يطرق بخير يارحمن ، فقال ذلك فظفئت شعلته وخر على وجهه ، رواه ابن ابي الدنيا فى مكائد الشيطان هكذا مرسلا ، ولما لك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحيى عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود ، ورواه احمد والبخارى من حديث عبد الرحمن بن حبيب (ولأن الكلب ان حاربه تعبت وربما غلبت فالرجوع الى ربه اولى) فى الخلاص عن البلوى . ومثل الشيطان بالكلب الجائع يقرب منك ، فاذا لم يكن بين يديك لحم أو خبز فانه ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه ، وان كان بين يديك شىء من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام. فالقلب الخالى عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر ؛ فأما الشهوة اذا غلبت على القلب رفعت حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن الذكر من سويدها فاستقر الشيطان فى سويدها القلب . ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركى فانه لا يخلص لاحد منه لا بالسيف ولا بالفرار ولا باعطاء اللحم وغيره وانما ينجيه منه همهمة صاحبه من داخل خيمته فيفتقر غضب كلبه ونهمته (والمجاهدة) مع الشيطان (بالرد) اى برد الوسوسة

وَقَلَعَ الْمُهْلِكَاتِ فَهُوَ أَنْمَا سَلَطَ لِلْامْتِحَانِ وَأَدَامَةُ ذِكْرِهِ تَعَالَى لِسَانًا وَقَلْبًا لَمَّا سَبَقَ

ودفعها في الحالة الآنسة ﴿ وقلع المهلكات ﴾ اى وأزالتها من اصلها، وهى الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب التزين في الثياب والاثاث والدار والشروع من الطعام ولو لم يكن من الحرام، والطمع فى الانام واخذ كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال، وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب والترصد للمناصب والتفكر في ذات الله وسوء الظن بالمسلمين، ونحو ذلك من الحالات السكاسدة والمقامات الفاسدة ﴿ فهو ﴾ اى الشيطان ﴿ انما ساط ﴾ على الانسان ﴿ للامتحان ﴾ في ميدان الطاعة والعصيان فحينئذ يكرم المرء أو يهان ﴿ وادامة ذكره تعالى لسانا ﴾ خفية اوجهرها ﴿ وقلبا ﴾ فهو أفضل وأكثر تأثيرا واجمع بينهما اكل ﴿ لما سبق ﴾ من ان العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتاخر. وفي الخبر «ما سلك عمر فجا - اى طريقا - الاسالك الشيطان في غير فجة» رواه الشيخان من حديث سعد بن ابى وقاص . قال في الاحياء: وهذا لان قلبه هذا كان مطهرا عن رعى الشيطان وقوته وهى الشهوات، فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا، كمن طمع في أن يشرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة، ويطمع في أن ينفعه الدواء كما نفع الذى يشربه بعد الاحتماء وتخليمة المعدة . فالذكر دواء والتقوى احتماء، فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة، فان قلت الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان، قلنا ان عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين . فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعينة وتأمل ان انتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك لله، فراقب قلبك اذا كنت في صلواتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين، وكيف يبرك في أودية الدنيا وممالكها حتى انك لاتذكر مانسيته من فضول الدنيا الا في صلواتك فلا تزدهم الشياطين على قلبك الا اذا صليت، والصلاة محك القلوب فيها مساويها ومحاسنها . فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لاتطرد عنك الشيطان، بل ربما يزيد عليك الوسواس في ذلك الزمان كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر في الداء، فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر كما يشهد اليه قوله تعالى: (ان الذين اتقوا اذا مسهم

وَالِاسْتِخْفَافُ بِدَعْوَتِهِ فَالْكَلْبُ اِنْ اَعْرَضَتْ عَنْهُ سَكَتَ وَاِنْ اَسْتَعْتَمَتْ مَعَهُ تَعَبَكَ
وَمَعْرِفَةُ مَكَائِدِهِ فَالْلُّصُّ اِنْ عَلِمَ اِحْسَاسَ صَاحِبِ الدَّارِ فَرَّ وَهِيَ كَالْمَنْعِ عَنِ الْعَمَلِ
وَالْتَّسْوِيفِ وَالْعَجَلَةِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَرَجَاءِ الْاِظْهَارِ مِنْهُ تَعَالَى وَعَدَمِ الْحَاجَةِ
اِلَى الْعَمَلِ بِنَاءً عَلَى قِسْمَةِ الْاَزَلِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَالرَّدِّ بِالْحَاجَةِ لِلتَّزْوُدِ
وَهُجُومِ الْاِجْلِ وَرُجْحَانِ

طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فالشرط في الذكر تقدم التقوى
أو كمال الحضور في ذكر المولى، ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيهما بشيء
من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه» وقد قال وهب بن منبه: اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر أى مطيع له في الباطن. وقال بعضهم: يا عجب لمن
يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه. وعن بعض
الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى، فان امتنع اتاه من قبل النصيحة
حتى يلقيه في البدعة، فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فان
أبى شككته في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم، فان أبى خفف عليه أعمال البر
حتى يراه الناس صابرا عقيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يملكه وعنده يشتد
لجأه فانه آخر درجاته ويعلم أنه لو جاوزها فات منه الى الجنة ﴿والاستخفاف بدعوته﴾
أى الاستحقار وعدم الاعتبار بدعوة الشيطان ﴿فالكلب ان أعرضت عنه سكت﴾
ذلك ﴿وان اشتغلت معه﴾ بالدفع ﴿اتعبك﴾ بالعواء ﴿ومعرفة مكائده﴾ الآتى بيانها
﴿فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر﴾ أى شرد واضطر الى الفرار ولم يتمكن
من القرار ﴿وهى﴾ أى المكائد سبعة ﴿كالمنع عن العمل﴾ من أصله ﴿والتسويق﴾ أى
التأخير عن محله ﴿والعجلة﴾ فى فعله ﴿والرياء﴾ فى قصده ﴿والعجب﴾ بعد فراغه
﴿ورجاء الاظهار منه تعالى﴾ للخلق بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفى
﴿وعدم الحاجة الى العمل بناء على قسمة الازل فى السعادة والشقاوة﴾ وهذا لف
فى العبارة ونشر بالاشارة فى قوله ﴿والرد﴾ أى رد المكائد المذكورة ﴿بالحاجة﴾
الى العمل ﴿للتزود﴾ أى لزيد المعاد فى يوم التتاد، فقد قال تعالى (وتزودوا فان
خير الزاد التقوى) ﴿وهجوم الاجل﴾ أى مجيئه بغتة قبل حصول العمل ﴿ورجحان

الْقَلِيلِ التَّامِّ عَلَى الْكَثِيرِ النَّاقِصِ وَكِفَايَةِ رُؤْيَتِهِ تَعَالَى وَالتَّفْوِيضَ إِلَيْهِ فِي الْأَظْهَارِ
وَالْإِخْفَاءِ وَفَرْضِيَّةِ امْتِثَالِهِ وَحَقِّيَّةِ وَعْدِهِ الْأَدْنَى مِمَّا لِقْتَصَارِ عَلَى التَّكْذِيبِ وَتَرْكُ
الْجِدَالِ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ الزِّيَادَةُ فِي ضِدِّهِ فَفِيهِ اغْضَابُهُ وَاخْتِلَافُ
فِي أَمْنِ الْأَقْوِيَاءِ

القليل من العمل التام أي الكامل بالتأني على الكثير من العمل الناقص بالعجلة وكفاية رؤيته تعالى لقوله سبحانه (الم يعلم بان الله يرى) وقوله عز وجل (ليس الله بكاف عبده) وذكر منته والتفويض اليه أي التسليم بين يديه في الاظهار والاختفاء في العبادة، بل ينبغي ان يعيل الى الاختفاء لانه ابعد من الرياء. وفي الخبر «افضل امتي الانقياء الاختفاء» وفرضية امتثاله أي امتثال امره على عبده، ثم ان كنت شقيا فانا محتاج الى العمل لكيلا الوم نفسي يوم القيامة فاني لو ادخلت النار وانا مطيع احب الى من ان ادخلها وانا عاص لحفة العذاب، وان كنت سعيدا فانا محتاج الى زيادة الثواب وحقية وعده الادنى أي الاقرب بالاثابة على الطاعة والاجابة ثم الافضل الاقتصار على التكذيب أي تكذيب الشيطان فيما يوسوسه وترك الجدل فانه يردد قلب العبد ويشوشه ولان المجادلة شاغلة عن العبادة الكاملة ثم الاستمرار على ما كان عليه من العبادة والاستقرار من غير تكذيب ولا جدال لان التكذيب ايضا شاغل بالجدال وان كان قليلا فان المقصود الاعلى هو الحضور مع المولى ثم الزيادة أي زيادة الاجتهاد في ضده أي اضداد ما ذكر من المكائدا وفي ضد كيد الشيطان ففيه اغضابه أي اغضاب الشيطان وارضاء الرحمن كما حكى عن ابراهيم بن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة هاوية ولا زاد معك ولا سبب ولا راوية، فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك، وان لا يقطعها حتى يصل الى الف ركة تحت كل ميل من اميالها هنالك؛ وقام بما عزم عليه من الهمة وبقي عاياه في البادية اثنتي عشرة سنة. ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له: ان فلا ناذرك بسوء، فقال: والله لا اغيظن من امره قيل من امره؟ قال الشيطان، ثم قال: اللهم اغفر له ان لا اغيظنه بان اطيع الله فيه. ومهما عرف الشيطان من عبده هذه العادة فكف عنه خيفة ان تزيد في حسناته وهو خلاف ماله من الارادة واختلاف أي اختلاف العلماء في امن الاقوياء كالانبياء

منه والحق عدمه لقصة آدم عليه السلام وورد انه ليغان على قلبي وفي منافاة التردد
 التوكل والحق عدمها فاخذ السلاح وجمع العسكر وحفر الخندق ما قدحت في
 توكله عليه السلام وفي كيفية الحذر

والاصفياء من الاولياء (ومنه) أي من الشيطان فقال قوم هم معصومون وحفوظون
 عنه لقوله سبحانه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقوله (الا عبادك منهم المخلصين)
 (والحق) من الاقوال (عدمه) أي عدم أمنهم من الشيطان في جميع الاحوال (لقصة
 آدم عليه السلام) في أكل الشجرة فانه صريح في الملام ونص في الكلام حيث قال
 (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ولقوله تعالى (واما ينزغك
 من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) والخطاب لمنبينا عليه السلام وقد روى أنه عليه السلام
 نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال «شغاني عن الصلاة» ولقوله سبحانه
 (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى) أي قرأ (القي الشيطان في أميته) أي
 قراءته (فينسخ الله ما يقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) (وورد) في صحيح مسلم وغيره (انه)
 أي الشيطان (ليغان) أي ليحجب (على قلبي) فيمنعني عن ذكر ربي مع أن شيطانه أسلم فلا
 يامر الا بخير «وتمام الحديث «وانى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» وفيه انه ليس في هذا
 الحديث ما يدل على مدعى المصنف من اغواء الشيطان له فان المراد بالعين حجاب يقع من
 كثرة مشاهدة غبار الغير في مقام البين فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه من الذنب
 اللاتق به ، فان سيئات المقر بين الاحرار حسنات المطيعين الابرار ، وما دمت في هذه الدار
 لا تستغرب وقوع الاكدار (وفي) أي وكذا اختلف في (منافاة التردد) أي
 التحفظ للحذر من الشيطان (التوكل) بالنصب مفعول منافاة (والحق) من الاقوال
 المختلفة (عدمها) أي عدم المنافاة (فاخذ السلاح) من الدرع والمغفر وسائر الاسلحة
 (وجمع العسكر) للمقاتلة (وحفر الخندق) في المقابلة (ما قدحت في توكله) أي وما
 طعنت في توكله (عليه السلام) واصحابه الكرام ، بل ورد الامر من الله سبحانه بأخذ السلاح
 في قوله تعالى (ولياخذوا حذرهم واسلحتهم) وقال (واعدوهم ما استطعتم من قوة
 ومن رباط الخيل) وفي الحديث «الا ان القوة الرمي» (وفي) أي وكذا اختلف في (كيفية
 الحذر) عن الشيطان فقوم قالوا اذا حذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا ان نستغرق في ترصده
 ولا يكون شيء ا غالب على قلوبنا من ذكره وفكره ، وقال قوم: لا ينبغي لنا ان نجتمع بين ذكر الله

فَالأولى تَقْرِيرُ عداوتِهِ عَلَى القَلْبِ وَالاسْتِغْرَاقُ فِي ذِكْرِهِ تَعَالَى بِجَمْعِ الهِمَّةِ
 وَالاسْتِغْثَالُ بِالِدَفْعِ عِنْدَ الاِتِّبَادِ بُوْرُودِهِ أَمَّا الاسْتِغْرَاقُ فِي التَّرْصُدِ فَيُنَافِي الذِّكْرَ وَهُوَ
 اسْرَارُهُ وَالجَمْعُ يَنْقُصُ الحُضُورَ وَوَرَدَ (قُلِ اللهُ سَمِ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) وَعَنِ
 النِّفْسِ فَعَلَّاجُهَا أَعْسُرُ

سبحانه وبين ذكر عدوه فضلا ان يكون ذكره غالبا، ففي الخبر «من احب شيئا اكثر ذكره»
 وقال قوم: غلط الفريقان لان كلام القولين لا يخلو عن نوع من النقصان كما سيأتي له
 البيان ﴿ فالاولى تقرير عداوته ﴾ اي احكام عداوة الشيطان واثباته ﴿ على القلب ﴾
 فاذا تقررت عداوته في القلب لزم ترك الالتفات اليه ﴿ والاستغراق في ذكره تعالى ﴾
 اي وتمام التوجه الى ذكر الرب ﴿ بجمع الهمة ﴾ من غير الالتفات الى ذكر
 الشيطان ومكره بسبب حضور القلب في طاعة ربه ﴿ والاستغثال بالدفع ﴾
 اي بدفع الشيطان ﴿ عند الاتباه بوروده ﴾ اي بدخول الشيطان في القلب بالسوا
 ونحوه لدخوله في الانسان مجرى الدم في لحمه ﴿ اما الاستغراق في التردد ﴾ اي في
 التحفظ عن الشيطان للحذر ﴿ فينا في الذكر ﴾ المطلوب لذاته ﴿ وهو ﴾ اي الاستغراق
 المذكور ونفي الذكر ﴿ اسراره ﴾ اي ايقاع الشيطان في السرور وايشاره، لانه مراده
 في مقام اختياره ﴿ والجمع ﴾ اي وينافي جمع الهمة او مقام الجمع او جمع الجمع، وهو
 ان لا تنبع الكثرة عن الوحدة ولا تحجب الوحدة عن الكثرة، والجمع بين ذكر الرحمن
 وبين ترصد الشيطان ﴿ ينقص الحضور ﴾ في ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال
 القلب بذكر الشيطان، فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونسيان غيره ﴿ وورد ﴾
 في التثليل ﴿ قل الله ﴾ اي ولا سواه ولا نعبد ولا نشهد الاياه ﴿ ثم ذرهم ﴾ اي اترك
 الخلق من الشيطان وغيره فهم ﴿ في خوضهم ﴾ اي اباطيلهم من الاستغثال بغير الحق
 ﴿ يلعبون ﴾ كالبهائم والاطفال والمجانين كما قال في موضع آخر ﴿ ذرهم يأطوا ويتمتعوا
 ويلههم الامل فسوف يعلمون ﴾ اي جزاء عملهم او مضمون قوله سبحانه ﴿ وما خلقت الجن
 والانس الا ليعبدون ﴾ اي ليوحدون اولاً، ثم يطيعون ثانياً، ثم يذكرون على الدوام ثالثاً،
 ثم يعرفون حق المعرفة رابعاً ﴿ وعن النفس ﴾ عطف على قوله عن الشيطان اي ثم الواجب
 الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء ﴿ فعلاجها
 اعسر ﴾ من علاج الشيطان واشد الاشياء وداؤها اعزل الداء، وداؤها اشكل الدواء

لأنها محبوبة والحب يعمى عن رؤية العيب ويصم عن سماع الملامة وعدو
داخلي فلص البيت تعز فيه الحيلة ولا تنفك إلا بالموت ولا تندفع بالذكر وتشكو
النفس يوم القيامة عمن وافقها في الدنيا ومنها نشأ ذنب إبليس بالكبر والحسد

لاربعة امور (لأنها محبوبة) لصاحبها مع انها اعدى عدوه (والحب يعمى) العين
(عن رؤية العيب) في محبوه (ويصم) الاذن (عن سماع الملامة) في مطلوبه،
ففي الخبر «حبك الشيء يعمى ويصم» رواه احمد وغيره عن ابي الدرداء *
والحاصل ان للانسان عمن عن عيب محبوه لا يكاد يبصر عيبا في مطلوبه ، لما قال
قائل في شعره :

وعين الرضا عن كل عيب كذيلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح، ولا يكاد يطلع على عيب لها الا ويقول
انه مليح ، وهى في عداوته مستقرة، وفي غوايته مستمرة، فما اوشك ان توقعه في هلاك
وفضيحة ، ويتوهم انه خلاص ونصيحة، وهو لا يشعر به الا اذا حفظه الله سبحانه بفضلته
وكرمه (وعدو) أى ولانها عدو (داخلى) أى باطنى (فلص البيت) أى من
يدخل فيه ويخرج منه (تعز فيه الحيلة) أى يعسر فى دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال
تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلؤنكم خبالا) (ولا تنفك) أى النفس عن الانسان
(الا بالموت) بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعاذة والمجاهدة (ولا تندفع) النفس
وشرها (بالذكر) أى بذكر الله ، بخلاف الشيطان فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث
« اذا ذكر الله خنس » (وتشكو النفس يوم القيامة عمن وافقها في الدنيا) فللحالم عن
انس مرفوعا « عجت من مجادلة العبد به يوم القيامة يقول يارب اليس وعدتني ان لا تظلمني ؟
قال بلى ؛ قال فاني لا اقبل على شهادة شاهد الامن نفسى ، فيقول اوليس كفى بي شهيدا
وبالملائكة الكرام الكاتبين ، فيردد هذا مرات فيختم على فيه وتكلم اركانه بما كان يعمل ، فيقول
بعد الكن وسحقا فعنكن كنت اجادل » واما ما فى الاحياء من انه عليه السلام قال : « كف
اذك عن نفسك ولا تتبع هواها فى معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن
بعضك بعضا الا ان يعفو الله ويستتر » فقال مخرجه لم اجده بهذا السياق (ومنها) أى
من النفس (نشأ ذنب إبليس بالكبر والحسد) حيث قال (انا خير منه) وامتنع عن حكم

وَقَابِيلَ بِالشَّحِّ وَهَارُوتَ وَهَارُوتَ بِالشَّهْوَةِ وَالطَّرِيقُ مَنَعَ الشَّهَوَاتِ فَالْحَرُونَ يَلِينُ بِنَقْصِ
 الْعَلْفِ وَحَمَلُ أَعْبَاءِ الْعِبَادَةِ فَالْحَمَارُ يَنْقَادُ بِزِيَادَةِ الْحَمْلِ ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى فُورِدَ
 (أَنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ الْأَمَارِ حَمِ رَبِّي) وَالْأَصْلُ فِيهِ الرِّيَاضَةُ

ربه فكفر بسببه بعد قضاء الله السابق في حقه ففرق في بحر الضلال بعد عبادة ثمانين
 الف سنة في بعض الاقوال، ولم يكن هناك دنيا ولا خلاق ولا شيطان آخر بل كانت النفس
 وحدها فعملت ما عملت من جهدها (وقابيل بالشح) أي بسبب بخله على اخيه في اخته،
 فانكر على ابيه فوقع في الكفر بسببه لاسبب قتل اخيه (وهاروت) وصاحبه ماروت وقعا
 فيما وقعا من البلية (بالشهوة) التي ادت الى الزنا ونحوه من المعصية قيل: وآدم وحواء
 بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس (هل ادلكما على شجرة الخلد وملك
 لا يبلى) فسقطا بذلك من جوار المولى الى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدة الغانية، ولقى
 اولاده من الامور المهلكة، ثم هلم جرا الى يوم القيامة لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة
 ولا محنة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهوها والا كان الخلق في سلامة وخير
 في مبداء الامور ومنتهاها، واذا كان العدو بهذا الضرر فحق على العاقل ان يهتم بامر هاتفي
 حقه . فان قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال : (والطريق) أي طريق تذلل
 النفس وتكسر هوها، او طريق الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة (منع الشهوات)
 ودفع اللهوات ، ورفع اللذات عنها (فالحرور) أي الصعب من الدواب (يلين بنقص
 العلف) عن عادته مع حبسه في مربطه (وحمل اعباء العبادة) أي اثقالها واشغالها
 (فالحمار) الجوح (ينقاد بزيادة الحمل) على ظهره (والاستعانة به تعالى) والتضرع
 اليه ليهون امرها عليه والافلا مخلص لديه (فورد) في التنزيل (ان النفس لامارة
 بالسوء الامار حم ربني) أي من رحمته او مدرة رحمته (والاصل فيه) أي في طريق الاحتراز
 او في طريق تذلل النفس (الرياضة) أي وفق الشريعة المرضية ففي تحفة الملوك: لا تحل
 الرياضة بتقليل الاكل الى أن يضعف عن اداء العبادة ، ولو واصل اربعين يوما فمات
 مات عاصيا، ولو مرض وترك المعالجة توكلنا على الله فمات لم يمت عاصيا، والتنعيم بانواع
 الفاكمة يباح وتركه افضل ، والجمع بين الاطعمة حرام أي ممنوع وهـ كراهة
 تزيهية او حرام في طريق الصوفية ثم الاصل المهم المجاهدة والوفاء بالعزم على المعاندة ،

وهي تهذيب الأخلاق فورد «أني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمي جاثياً وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق فأدخله على الله تعالى» أثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق وهو ضبطه تحت الشرع والعقل وهو ممكن لصيرورة الصيد الوحشي أهلياً والجروح منقاداً والكلب معلماً

فاذا عزم على ترك شهوة وتيسر أسبابها ابتلاء من الله فينبغي ان يصبر عنها ويستمر عليها ، فانه ان عود نفسه كسر العزم ألقت بعد ذلك عدم الجزم وفسدت لفقده الحزم ، واذا اتفق منه بعض العزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء لديه (وهي) أي الرياضة او المقصود من الرياضة المستحسنة بالاتفاق (تهذيب الاخلاق فورد) في الحديث (أني رأيت البارحة عجباً) أي امرأ غريباً (رأيت رجلاً من أمي جاثياً) أي جالساً على ركبتيه (وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق) من باب (فأدخله على الله تعالى) من غير حساب ولا عقاب . والحديث رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عبد الرحمن بن سمرة (أثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق) رواه ابو داود . والترمذي وصححه من حديث ابي الدرداء . ولابي داود الترمذي من حديث ابي الدرداء « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » وللطبراني في الاوسط من حديث عمار بن ياسر « حسن الخلق خاق الله الاعظم ، ولا حمد والحلم والبيهقي من حديث ابي هريرة « بعثت لا تتم مكارم الاخلاق » ولا حمد من حديث عائشة (الشؤم سوء الخلق ولا بن حبان وغيره) سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وللخرايطي في مكارم الاخلاق من حديث عائشة « المؤمن حسن الخلق » وللطبراني في الصغير من حديث عائشة « ما من شيء الاوله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في شر منه » وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطي حديث « أحسن الحسن الخلق الحسن » رواه الحسن عن الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن بسند حسن (وهو) أي حسن الخلق (ضبطه) أي حفظه وربطه (تحت الشرع والعقل) في فضية الطبع (وهو) أي تحسين الاخلاق (ممكناً) بالاتفاق (لصيرورة الصيد الوحشي أهلياً) كالظبي والحمام (والجروح منقاداً) كالفرس والبعير (والكلب معلماً)

ورد « حسنوا أخلاقكم »

وكذا سائر الجوارح من الصيود حتى يصير آلة للصيد في مقام القيد (وورد) في الحديث (حسنوا أخلاقكم) رواه ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث معاذ « يا معاذ حسن خلقك للناس » ولاحمد من حديث عائشة « اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى » وللطبرانى من حديث جابر « ان اقربكم منى مجلسا يوم القيمة اعطسكم اخلاقا ، هذا ، والخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية وفكر ، ثم ان كانت الهيئة بحيث تصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا حسنا ، وأن كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا . وكما أن حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذلك في الباطن أربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها ، وهى قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه الثلاثة . ويعبر عن حسن القوة الغضبية بالشجاعة ، وعن حسن قوة الشهوة بالعفة . والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط والتفريط ، فان الامر المحمود في كل شىء هو التوسيط . فالجبن والتهور مذمومان كما ان البخل والاسراف منهيان ، والشرة والجوع مشغلان . وقد ورد « خير الامور اوساطها » رواه البيهقى في شعبه . وقال تعالى في ذم التبذير والتقتير (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا أن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) وقال تعالى (كلاوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) فالاعتدال مطلوب في جميع الاحوال ، فان العقيدة الحميدة هى المتوسطة بين التشبيه والتعطيل ، وبين القدر والجبر ، وبين النصب والرفض . وهو الصراط المستقيم والدين القويم الذى لاعوج له ولاميل الى احد الجانبين الزائغ عن الجادة قال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (واعتمصوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض ، بل هو ادق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط المستقيم فى العقبى ، وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم ، اعني الوسط حتى

فَالْأَسْرَعُ عِلَاجًا مَنْ غَفَلَ عَنِ اعْتِقَادِ وَتَمَيُّزِ مَنْ عَرَفَ الْقَبِيحَ ثُمَّ مَنِ اعْتَقَدَهُ
حَسَنًا وَهُوَ أَصْعَبُ، وَالطَّرِيقُ عِنْدَ فَقْدِ الْكَمَالِ الْفَطْرِيِّ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ وَالْجَذْبَةُ

لايميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه ، فكذا لاينفك
عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال تعالى (وان منكم الاواردها
كان على ربك حتما مقضيا) ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو
الله فى كل يوم سبع عشرة مرة بقوله : (اهدنا الصراط المستقيم) ومن هنا قال
عليه السلام « استقيموا ولن تحصوا » أى ولن تطيقوا حق الاستقامة وهى الموصوفة
بنعت الاستدامة فينبغى للعبد ان يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر
على حقيقتها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ، والمقصود بحج الانسان كما يشير اليه قوله
تعالى (كلا لما يقض ما أمره) هذا ، وقال يحيى بن معاذ : فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق
وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه . وقال الكنانى : التصوف خلق فن زاد عليك
فى الخلق زاد عليك فى التصوف . وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة
الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات ، ثم قال الحسن : حسن الخلق
بسط الحياء وبذل التدى وتحمل الاذى . وقال الواسطى : بهوان لا يخاصم ولا يخاصم
من شدة معرفته بالمولى . وقال الحسين بن منصور : هو ان لا يؤثر فيك حياء الخلق بعد
مطالعتك للحق (فالاسرع علاجاً) أى الاهون مداواة (من غفل عن اعتقاده وتميز)
من جهة اعتماد كالصبيان والنسوان والبله من الانسان وجماعة التريخان ، ومن هنا ورد
« اكثر اهل الجنة البله » (ثم من عرف القبيح) أى واعتقده سيئا فانه قابل للعلاج فى
تركه (ثم من اعتقده) أى القبيح (حسناً) وذلك كالمبتدعة ونحوهم قال تعالى (أفمن زين
له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) (وهو اصعب)
لان علاجه باخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب ، وفى مثله قيل : من التعذيب
تهذيب الذيب (والطريق) مبتدأ أى طريق تهذيب الاخلاق (عند فقد الكمال
الطبرى) أى الجليل الذى لا يحتاج الى التكلف الطبيعى (كما للانبياء عليهم السلام)
وكذا لبعض الاصفياء والاولياء من اتباعهم الكرام (والجذبة) أى وعند فقد

الْإِهْيَاءَ كَمَا لِلسَّحْرَةِ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التَّكَلُّفُ فِي اعْتِيَادِ الْإِضْدَادِ بِالتَّدْرِيجِ
وَالْمُجَاهِدَةِ فِيهِ حَتَّى يَعْتَادَ الطَّاعَةَ وَيَلْتَذَّ بِهَا التَّذَاذَ الْمَرِيضَ بِالطَّعَامِ بَعْدَ الْعِلَاجِ
وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْعِلْمِ عَلَى الدَّوَامِ لَا أَحْيَانًا

الجذبة ((الالهية لما للسحرة)) أى سحرة فرعون ((وعمر رضى الله عنه)) فإنه آمن
بغته ((التكلف)) خبر المبتدأ أى تكلف السالك ((فى اعتياد الاضداد)) أى تعود اضداد
الاخلاق السيئة ((بالتدرج)) أى بالتأني فى المعالجة ((والمجاهدة)) بالرفع عطف على
التكلف ويجوز جره عطفا على التدرج ، أى المبالغة فى المعالجة ((فيه)) أى فى الاعتياد
((حتى يعتاد)) السالك ((الطاعة)) بوصف الدوام ((ويلتذ بها)) أى بالطاعة ((التذاذ
المريض بالطعام بعد العلاج)) أى بعد علاج المريض ((والمتعلم)) أى والتذاذه ((بالعلم
على الدوام)) متعاقب بالتكلف كذا قيل ، والاظهر انه متعاقب ييلتذ ((لا احيانا)) أى
متساوية ، نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان فى اكثر الاحوال الواردة ، وقد مثل عدم
افادة بعض الاوقات فى الذكر والفكر والطاعات بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور
ابدا اذا كان الامر مترددا بين الحالات *

هذا وقد توهم عبارة المصنف أن صاحب الجذبة لا يحتاج الى سلوك المجاهدة ، وليس
كذلك ، فان الجهاد لا بد لجميع العباد ، غاية ما فى الباب ان ارباب السلوك على نوعين :
منهم سالك مجذوب وهو اغلب احوال المرادين ، ومنهم مجذوب سالك وهو قليل
من بين المرادين ، ويشير الى الطائفتين قوله تعالى : (الله يجتئى اليه من يشاء ويهدى
اليه من ينيت) واختلفا فى ايهما افضل ، والجمهور على ان السالك المجذوب اكمل *
هذا والانباء عليهم السلام أيضا فى مقام الترقى لا يستغنون عن زيادة المجاهدة
لكمال المشاهدة فقد قال تعالى (وقل رب زدنى علما) وفى دعائه عليه السلام « اللهم
كما حسنت خلقتى فحسن خلقتى » أى زد فى تحسين خلقتى ، والا فكان عليه السلام خاق
على خاق عظيم ، ثم كان خاقه القرآن وقد قال له تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض
عن الجاهلين) وفسر العفو بان تصل من قطعك وتمطى من حرمك وتعفو عمن
ظلمك . وكان من دعائه عليه السلام « اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدينى لاحسنها
الا انت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت » رواه مسلم من حديث

فالمقصود منه رسوخ حبه تعالى في القلب وقلع حب الدنيا عنه وهو بالاستفادة
 من شيخ بصير بالعيوب مطلع على الخفايا وهو عزيز الوجود

على (فالمقصود منه) أي من حسن الخلق أو من رياضة الخلق (رسوخ حبه تعالى) أي ثبوته (في القلب وقلع حب الدنيا عنه) أي عن القلب فانهم لا يجتمعان بإشعاره إليه قوله تعالى: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وورد «من أحب آخرته أضر بدنياء ومن أحب دنياه أضر باخرته فاتروا ما يبقى على ما يفتنى» وقد مثل على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة بالضرتين إذا أرضيت واحدة استخفت الأخرى، وبكفتي الميزان إذا انقلبت واحدة خفت الأخرى، وبالمشرق والمغرب فمهما توجهت إلى المشرق بعدت عن المغرب وكذا بالعكس، فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا أحب الشيء لكونه معيناً له على حب الله ودينه، قال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) قال علي رضي الله عنه: لا إيمان يبدو لمعة في القلب بيضاء وكلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء، فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق أسود القلب كله. وفيه تنبيه على أن الخلق الحسن من نتيجة الإيمان والعرفان، والسئى من ثمرة النفاق والكفران.

ثم أعلم أن أصل الأشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها الأشياء هو الله تعالى، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيئاً، وعلامة المعرفة المحبة، فمن عرف الله أحبه ومن أحبه لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات، كما قال تعالى (قل إن كان آباؤكم وابتاؤكم وبنائوكم) إلى قوله (أحب إليكم من الله ورسوله) الآية، فمن كان عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله فقلبه مريض، لما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة محتاجة إلى الدواء (وهو) أي الطريق الذي يتعرف به الإنسان عيوب نفسه أو التكلف باعتبار الاضداد إنما يحصل بخمسة أشياء (بالاستفادة من شيخ) أي ولو شاب تائب من الذنوب (بصير بالعيوب) أي الظاهرة والباطنة (مطلع على الخفايا) من أحوال المرید كالعجب والرياء (وهو عزيز الوجود) في ميدان الشهد لما يشير إليه قوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقوله (وقليل من عبادى الشكور) وورد

أَوْ صَدِيقِ يَنْبَهْ عَلَيْهِمَا كَمَا رَوَى عَنِ السَّلَفِ أَوْ عَدُوِّ فَعَيْنِ السَّخَطِ تَبْدِيهَا أَوْ مَخَالَطَةَ النَّاسِ وَتَرَكَ مَا رَأَى مَذْمُومًا

«الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة» واخبر تقيه وقال الشاعر *
 اتبني على الزمان محالا أن ترى مقلتاي طلعة حر
 والمراد بالحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه، فالاطباء هم العلماء، وقدماستولى
 المرض عليهم وغلب حب الدنيا لديهم، فلا يفيد السالك التردد اليهم، بل ادرس
 هذا العلم وهو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكلية، واقتل الخلق
 على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها مراياة وعادات. نعم كان يكسر وجودهم في
 الصحابة واكابر التابعين وبعض المتأخرين كالسري، والجنيد، والشبلي رضى الله عنهم
 اجمعين وقد قال الشبلي للحصيري: أن كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي تأتي شيء
 غير الله عز وجل فحرام عليك ان تأتيني (او صديق) أى صاحب صديق (ينبه) *
 صديقه (عليها) أى على عيوبه (كما روى عن السلف) ومنهم عمر رضى الله عنه
 حيث قال: رحم الله من أهدى إلى بعيوبى. وكان يسأل سلمان عن عيوبه كلما قدم عليه،
 وقال: ما الذى بلغك عنى مما كرهته؟ فاستغفى، والح عليه فقال: سمعتك انك جمعت بين
 ادامين على مائدة، وأن لك حلتين: حلة بالنهار وحلة بالليل. فقال هل بلغك غير هذا؟
 فقال: ما هذان فقد كفيتهما. وكان يسأل حذيفة ويقول: أنت صاحب سر رسول الله
 فى المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق؟ وقد قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا
 اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال بعضهم كن مع الله، فان لم تطق فكن مع من
 يكون مع الله وهذا ايضا عزيز فيقول فى الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيوب او يترك
 الحسد فلا يزيد على قدر الواجب، ولذا كان داود الطائى قد اعترل عن الناس فقبل له
 لم لا تخالط الناس؟ فقال: ما اصنع باقوام يخفون عنى عيوبى، فكان شهوة ذوى الدين
 من السلف المجتهدين ان يتنبهوا على عيوبهم تنبيه غيرهم، وقد آل الامر الى امثالنا،
 أن ابغض الخلق الينا من ينصحننا ويعرفنا بعيوب احوالنا، ويشبه أن يكون هذا
 من مساواة القلب التي ثمرتها كثرة العصيان، واصل ذلك كله ضعف الايمان (او عدو)
 حاذق عاقل (فعين السخط) * بفحنتين وبضم فسكون أى عدم الرضاء (تبديها) *
 أى تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم فى قول الشاعر *

فعين الرضا عن كل عيب كائلة ولكن عين السخط تبدى المساويا
 فلعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مدهن يشنى
 عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه (ارمخالطة الناس) اماما او ماموما (وترك ما رأى مذموما

أَوِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهُوَ الْإِنْفَعُ، وَالْأَصْلُ تَرْكُ التَّمَتُّعِ بِمَا لَا يَنَالُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا بِقَدْرِ
الضَّرُورَةِ لِثَلَا يَحْصُلُ الْإِنْسُ بِالدُّنْيَا الْمُؤَدَّى إِلَى حَيْبِهَا فَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ *

لثلا يكون مذموما ، وما يراه محمودا يطالب نفسه به ليصير مسعودا فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غير عيوب نفسه فلو ترك الناس كلهم ما يكرهون من غيرهم لاستغنوا عن مؤدب لانفسهم ، وقيل ليسى عليه السلام من ادبك ؟ فقال : ما دبتى احد . رأيت جهل الجاهل لجانته ﴿ او الكتاب والسنة ﴾ اى العمل بهما (وهو) اى الاعتصام بهما (الانفع) بل هو النافع ، ويؤيده قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وحديث « من عمل بما أعلم ورثه الله علم ما لا يعلم ﴾ (والاصل) فى تهذيب الاخلاق او فى رسوخ حبه سبحانه ﴿ ترك التمتع بما لا ينال ﴾ اى لا تحصل منفعة ﴿ فى القبر ﴾ الذى هو البرزخ بين الدنيا والاخرى ، فيذبحى ان لا يتمتع ﴿ الا بقدر الضرورة ﴾ فى معيشة الدنيا من اللقمة والخارقة ونحوهما ، ويتعين ترك التمتع بالذات والشهوات من غير الضرورات ، فقد قال وهب بن منبه . ما زيد على الخبز . فهو شهوة ، وقال يزيد الرقاسى : السلام على الماء البارد مادمت فى الدنيا لعل لا احرمه فى الاخرى وقال السرى : منذ اربعين سنة : تطالبنى نفسى ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعتها ﴿ لثلا يحصل الانس بالدنيا المؤدى الى حبها ﴾ والى نسيان الاخرى ، وذلك انه اذا تمتع بشىء منه انس به وألفه ، واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ، ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لاحظ له فى الاخرى ﴿ فهو ﴾ اى حب الدنيا ﴿ رأس كل خطيئة ﴾ كما رواه البيهقى عن الحسن البصرى مرسلا ، وقال تعالى (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) قيل نزع عنهم محبة شهوات الدنيا . وقال عليه السلام : « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، كافر يقتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه » رواه ابو بكر بن لال من حديث انس ، وقال عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ، فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال جهاد النفس » رواه البيهقى فى الزهد ، والترمذى فى اثنا حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد « المجاهد من جاهد نفسه » وقال سقيان الثورى ، ما عالجت شيئا اشد على من نفسى مر على ومررة على . وكان ابو العباس الموصلى يقول يا نفس لا فى الدنيا مع ابنا الماوك تتمعين ، ولا فى الآخرة مع طالب العباد تجتهدين كائن بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس ما تستحين ،

وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسيف الرياضة ، والرياضة على اربعة اوجه . القوت من الطعام ، والغمض من المنام ، والحاجة من الكلام ، واحتمال الاذى من الانام . فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفوة الارادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الاذى البلوغ الى الدرجات . وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفاء . والصبر على الاذى ، فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات ؛ الا انام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام ، وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتأمن بوائقها في سائر الايام وتضيئها من ظلمة شهواتها فتنبجو من غوائل آفاتها ، فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ، ونورانية حقيقة ، فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسلك الطاعات والمبرات ، كالفارسان الفار في الميدان والملك المتزهد في البستان . وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة : دنياه . وشيطانه ، ونفسه ، فاحترس من الدنيا بالزهد في نعمتها ، ومن الشيطان بمخالفته ، ومن النفس بترك شهواتها . وقال جعفر بن حميد اجتمع العلماء والحكماء ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم ، وقال ابو يحيى الوراق : من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامات . وقال وهب بن الورد : من اراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل في العقبى . وقال الجنيد : ارقت ليلة فقممت الى وردى فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها ، فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود ، فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة . فقلت ياسيدي من غير موعد . قال بلى سألت الله محرك القلوب ان يحرك الى قلبك ، قلت قد فعل فما حاجتك ؟ قال متى بصيرداه النفس دواعها ؟ فقلت اذا خالفت النفس هواها صار دأؤها دواعها . فاقبل على نفسه فقال اسمعني قد اجبتك بهذا سبع مرات فاليك ان تسمعيه الامن الجنيد . قال فانصرف وما عرفته ، وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهي قال لنفسه : اصبري فوالله ما امنعك الامن كرامتك على . وقال ابراهيم الخواص : كنت في جبل لكام فرأيت رمانا فاشتيمته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا فاقتاده مع عليه الزنابير ، فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم ، فقلت كيف عرفني ؟ قال من عرف الله لا يخفي عليه شيء ، فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير ؟ قال : وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان الله

في الآخرة، ولدغ الزناير يجد الانسان ألمه في الدنيا . فان قيل التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله ؟ فيقال هذا خيال ضعيف ، او المباح الخارج عن الحاجة من الدنيا « وحب الدينار رأس كل خطيئة » كما ورد وكذا يؤيده حديث « اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى » وللطبراني في الكبير وابي نعيم في الحلية من حديث ابن عباس « ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة » وللدبلي من حديث ابي هريرة مرفوعا « نور الحكمة الجوع ، والتباعد من الله عز وجل الشبع » ولاحمد والحالم والبيهقي باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاوماً الى بطنه باصبعه وقال : « لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك ، وللبهقي في الشعب من حديث عائشة انه عليه السلام قال لها « اياك والاسراف فان اكلتين في يوم « من السرف » ولابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا « ايما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » ثم اعلم أن الدنيا حلالها حساب ، حرامها عقاب ومتشابهها عتاب ، وورد « من نوقس في الحساب عذب » كما في الصحيحين ، فعند الصباح يحمد القوم السرى . فترك الشهوة يثقل على المرید في البداية ، ثم يتنعم في النهاية . ونظيره الطفل في الطعام عند الرعاية . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة ، والمنافق همته في الطعام والشراب بالبيمة » وقال حاتم الاصم : المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والامل . والمؤمن آيس من كل احد الا من الله ، والمنافق راج كل احد الا الله . والمؤمن آمن من كل احد الا من الله ، والمنافق خائف من كل احد الا من الله ، المؤمن يقدم دينه دون ماله ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن يحسن ويبيى والمنافق يسيء ويضحك . والمؤمن يحب الوحدة والحلوة ، والمنافق يحب الخاطئة والجلوة . والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد . والمؤمن يأمر وينهى للسياسة ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة . وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى . ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال اذى الخلق . وقال عيسى عليه السلام : جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم : وقال سهل : ماصار الابدال ابدال الاباربع خصال : اخصا البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس . وقد قيل في صفة الابدال : أن اكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة *

﴿البَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي التَّوْبَةِ وَالْمُرَابَّطَةِ وَالتَّقْوَى﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * التَّوْبَةُ تَنْزِيهِ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ، وَقِيلَ الرَّجُوعُ
مِنَ الْبُعْدِ إِلَى الْقُرْبِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ لُورُودِ قَوْلِهِ تَعَالَى (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ) وَدَلَالَةَ الْإِجْمَاعِ

﴿الباب السادس عشر في التوبة والمرابطة والتقوى﴾

قد ورد « التوبة ندم » رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ومعنى التوبة ندم أى معظم ارتكاب التوبة الندامة كما ورد « الحج عرفة » والافن ارتكابها ترك المعصية مباشرة ، والعزم على ان لا يعود اليها ابدا ، والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد ❁

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْمُسْتَعَانُ بِهِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى ﴿التَّوْبَةُ﴾ فِي اللُّغَةِ الرَّجْعَةُ ، وَفِي الشَّرْعِ الرَّجُوعُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ وَمِنْ الْغَفْلَةِ إِلَى الْحُضْرَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هِيَ (تَنْزِيهِ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ) أَيْ عَنِ اخْتِيَارِهِ ﴿ وَقِيلَ الرَّجُوعُ مِنَ الْبُعْدِ ﴾ أَيْ مِنْ كُلِّ مَا يَبْعُدُ الْعَبْدُ عَنِ الْمَوْلَى ﴿ إِلَى الْقُرْبِ ﴾ أَيْ إِلَى قُرْبِ الرَّبِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَى فَيَخْتَصُّ بِتَحْصِيلِ كُلِّ فَضِيلَةٍ جَلِيلَةٍ تَقْرُبُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَبِالرَّجُوعِ عَنْ كُلِّ خِصْلَةٍ رَذِيلَةٍ تَبْعُدُهُ عَنِ اللَّهِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، فَيَعْمُ الذُّنُوبَ الظَّاهِرَةَ وَالْعُيُوبَ الْبَاطِنَةَ وَالْإِخْلَاقَ الذَّمِيمَةَ وَالْغَفْلَةَ عَنِ الْإِذْكَارِ الْكَرِيمَةِ ، وَقِيلَ فِي حَدِّ التَّوْبَةِ : ذُوبَانُ الْحَشَا لِمَا سَبَقَ مِنَ الْخَطَا . وَقِيلَ هُوَ نَارٌ فِي الْقَلْبِ تَلْتَهَبُ وَصَدْعٌ فِي الْكَبِدِ لَا يَنْشَعِبُ . وَقِيلَ هُوَ خَلْعُ لِبَاسِ الْجَفَاءِ وَنَشْرُ بَسَاطِ الْوَفَاءِ . وَقَالَ سَهْلٌ : التَّوْبَةُ تَبْدِيلُ الْحَرَكَاتِ الْمَذْمُومَةِ بِالْحَرَكَاتِ الْمَحْمُودَةِ فَكَأَنَّهُ أَخَذَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (الْإِن تَابُوا وَأْمِنُوا وَعَمِلُوا عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ . وَمِنْ مَعَانِيهَا تَرْكُ الْمَعَاصِي فِي الْحَالِ وَالْعَزْمُ عَلَى تَرْكِهَا فِي الْإِسْتِقْبَالِ ، وَتَدَارُكُ مَا سَبَقَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي مَاضِي الْأَحْوَالِ ﴿ وَهِيَ ﴾ أَيْ التَّوْبَةُ ﴿ وَاجِبَةٌ ﴾ أَيْ فَرِيضَةٌ لِأَنَّهَا لِكُلِّ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ ﴿ لُورُودِ قَوْلِهِ تَعَالَى تَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أَيْ (جَمِيعًا) يَا مُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) وَفِي نَسْخَةِ (تُوبَةُ نَصُوحًا) أَيْ خَالِصَةً لِلَّهِ مِنْ دُونِ رِيَاءٍ وَسَمْعَةٍ وَإِعْرَاضٍ فَاسِدَةٍ، وَالْأَمْرُ فِي الْآيَتَيْنِ لِلْوَجُوبِ بِنَاءِ عَلِيٍّ أَصْلُهُ ﴿ وَدَلَالَةَ الْإِجْمَاعِ ﴾ الْمُنْعَقِدُ مِنَ الْإِمَامَةِ عَلِيٌّ أَنْ

وَالْعَقْلُ فَالْوَجِبُ مَا تَعَاقَ بِفَعْلِهِ السَّعَادَةُ وَبِتَرْكِهِ الشَّقَاوَةُ، وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فِيهَا
وَجَدَّوَاهَا حَبَهُ تَعَالَى آيَاهُ فُورْدَانَ ^{شُدْ} اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ، التَّائِبُ حَسِيبُ اللَّهِ وَالتَّوْفِيقُ

التوبة من المعصية فريضة ﴿ والعقل ﴾ أى ودلالة العقل ﴿ فالواجب ﴾ من طريق العقل مع قطع النظر عن ورود النقل ﴿ ماتعاق بفعله السعادة ﴾ العظمى ﴿ وبتركه الشقاوة ﴾ الكبرى ، اذ بها الوصول الى سعادة الابد من قرب المولى والنجاة من الهلاك السرمدى الذى هو الحجاب عن اللقاء فى العقبى ﴿ وهو ﴾ أى التعلق بهما ﴿ متحقق فيها ﴾ أى ثابت فى النوبة بلا خلاف عند العقلاء ﴿ وجدواها ﴾ أى فائدة التوبة ومنفعتها ونمرتها وتيجتها اربعة اشياء ﴿ حبه تعالى آياه ، فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ ان الله يحب التوابين ﴾ وفى الحديث ﴿ التائب حبيب الله ﴾ رواه ابن أبى الدنيا. وابو الشيخ من حديث انس بلفظ « أن الله يحب الشاب التائب » ولعبد الله بن احمد فى زوائد المسند من حديث على « ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب » ولاحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر « يعجب ربك من الشاب ليست له صبرة » ولابن ماجه من حديث ابن مسعود « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس « لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة فقد راحلته عليه طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ماشاء الله قال ارجع الى مكاني الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه تلى ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » زاد مسلم فى حديث انس « ثم قال من شدة الفرح : اللهم انت عبدى وانا ربك » أخطأ من شدة الفرح . هذا وأيضا من علامات حب العبد لله ان يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما يأمره وينهاه كما قال عبد الله بن المبارك *

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري فى الفعال شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ويشير اليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) ويفيد أيضا الملازمة بين المحبين كما يرمى اليه قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة ﴿ والتوفيق ﴾ أى جعله تعالى اسبابا موافقة

عَلَى الطَّاعَةِ فَقَيْدَ الذَّنُوبِ يَمْنَعُ عَنْهَا وَلِأَنَّ الْأَصْرَارَ يَقْسِي الْقَلْبَ وَيَجْرُ إِلَى
الشَّقَاوَةِ الْكُبْرَى وَلِأَنَّ الْمُتَلَطِّخَ بِالنَّجَاسَةِ لَا يَقْرُبُ فُورِدَ إِذَا كَذَّبَ الْعَبْدُ تَمَحَّى
الْمَلَكَانَ عَنْ تَتْنٍ مَا يُخْرِجُ مِنْ فِيهِ وَحَلَاوَتَهَا فَالْمُصْرُ لَا يَجِدُهَا وَقَبُولُهَا قَرِبُ الدِّينِ
لَا يَقْبَلُ هَدِيَّةَ الْمُدْيُونِ الْمَهَاطِلِ

للاعانة (على الطاعة) في كل وقت وساعة (فقيد الذنوب) التي بمنزلة القيود
والاغلال من العيوب (يمنع عنها) أي عن الطاعة وتوفيقها (ولان الاصرار)
أي الإقامة على المعاصي من غير تخلل التوبة بالرجوع الى الرب (يقسى القلب) أي
يسوده ويشدده (ويجر الى الشقاوة الكبرى) فان المعصية بريد الكفر وقد قال تعالى
(والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (ولان المتلطف بالنجاسة) أي
المتلوث بنجاسة المعصية (لا يقرب) الى بساط الرب بل يبعد ويحجب (فورد اذا كذب
العبد) وهو من اهون اسباب البعد (تنحى المملكان) أي يبعد اللذان معه من الكرام
الكاثرين من عنده لكمال نزاهتهما وجمال طهارتهما (عن تئن ما يخرج من فيه)
أي من فمه وهو الكذب والحديث رواه الترمذي وحسنه ، وابو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر ولفظه « اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من تئن ما جاء به » (وحلاوتها)
أي لذة الطاعة التي لو لم يكن للمطيع جزاء لعمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح
الانس بمنجاقره لكان ذلك كافيا ، فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة كما
يشير اليه قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون
افمن كان مؤمنا فمنا كن كان فاسقا لا يستون) الآية ، وفي الخبر القدسي « أعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وتقسيم هذه اللذة
لا يكون في ابتداء التوبة بل التوبة في اولها مرتدة كقطام الصبي ثم تصير حلوة بعد ما صبر
على مرارة العادة مدة مديدة ومعالجة شديدة والنفس قابلة ما عودتها تتعود
(فالمر لا يجدها) أي تلك اللذة اذ من لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الفانية هي اللذة
الباقية (وقبولها) أي قبول الطاعة قال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) (قرب
الدين لا يقبل هدية المديون المهامل) الممتنع من اداء الدين فمن الفضول تضيق الاصول

وَلَاِنَّ الْغَضَبَ يُنَافِي الْقَبُولَ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْكُلِّ فِي كُلِّ حَالٍ لِعُمُومِ
الْأَدَلَّةِ وَعَلَى الْفَوْرِ لَوْجُوبِ الْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي كَذَلِكَ وَحُرْمَةِ التَّسْوِيفِ

﴿ولان الغضب﴾ المترتب على معصية بالعقاب الصادر عن تجلي صفة الجلال ﴿ينافي﴾
القبول ﴿اي قبول طاعته المترتب عليه بالثواب الوارد عن تجلي نعت الجمال﴾ وهي ﴿وحي﴾
اي التوبة ﴿واجبة على الكل﴾ من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اقتصت بآدم
عليه السلام حيث قال تعالى : ﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبهه ربه فتاب عليه وهدى﴾
بل هو حكم ازلى مكتوب على جنس البشر لا يمكن فرض خلافه مالم يتبدل السنة
الالهية التي لا مطمع في تبديلها . فالرجوع في حق كل انسان يكون ضروريا نبييا كان
او غيبيا وليا او غويا . قال ابو تمام :

فلا تحسبن هذا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هندی

ويشير اليه حديث « كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، كما رواه احمد في غيره
عن انس ﴿ في كل حال ﴾ اي على الدوام ﴿ لعموم الأدلة ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وتوبوا
الى الله جميعا ﴾ وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه
الانبياء والاخيار كما ورد في القرآن والاحبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم ، فان خلا
احد في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب في القلب ،
فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة
عن ذكر الله ، فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله ،
وكل ذلك نقص وله اسباب ، وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق
الى ضده ، وانما يتفاوتون في مقادير النقصان لافي اصله ﴿ وعلى الفور ﴾ واجبة
من غير تراخ ومهلة ﴿ لوجوب الانتهاء ﴾ اي الامتناع ﴿ عن المعاصي كذلك ﴾
اي على الفور من غير التراخي ﴿ وحرمة التسوييف ﴾ اي ولحرمة تأخير التوبة
﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ وليست التوبة الآية ﴾ اي للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ﴿ اكثر صياح أهل النار من
التسوييف ﴾ كسندا في الاحياء ، وقال مخرجه : لم اجده اصلا ، وقال لقمان
لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ، وكل ايمان لم يثبت في اليقين أصله
ولم ينتشر في الاعمال فرعه لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك

فورد (وليس التوبة) الآية أكثر صياح أهل النار من التسوية وهي مقبولة

فورد (وهو الذي يقبل التوبة) الآية

الموت وسائر الاهوال ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، الاماسقى بماء الطاعات على توالي الايام والساعات . وأما قول العاصي للمطيع: أنى ومن كانك مؤمن ، فهو كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنى شجرة وأنت شجرة . وما احسن جواب الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجر مع الغفلة عن أسباب نبات الاشجار *

سوف ترى اذا انجلي الغبار افرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة نسأل الله العافية؛ ولقد صدق ابوسليمان الداراني فى قوله: لولم يبك العاقل فيما بقى من عمره الاعلى فوت ماضى منه فى غير طاعة الله وأمره لكان خالياً أن يحزنه ذلك الى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقى من عمره بمثل ماضى من جهله فيما سبق من الحياة، وقال بعض العارفين: أن ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقى من عمره ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين ، فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بجذا فيرها يخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعد فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سيديلا . وهو اول ما يظهر من معانى قوله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) واليه الاشارة بقوله سبحانه (وأنفقوا امارزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اآخرتنى الى أجل قريب فاصدق وان من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) أى ولانفسا. هذا وما مثال المسوف الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة جليلة ، فقال أوخرها سنة ثم اعود اليها ، وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف ، فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف (وهى) أى التوبة اذا استجمعت شرائطها (مقبولة) لاحتمال (فورد) فى التنزيل (وهو الذى يقبل التوبة الآية) أى (عن عباده) فوعده حق وقوله صدق لا يجوز خلفه ولا

(قَابِلُ التَّوْبِ) «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وَأَيْضًا

يتصور تبديله ﴿قَابِلُ التَّوْبِ﴾ فهو من صفاته كقوله (غافر الذنب) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا﴾ وفي الاحياء «أن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل الى النهار ولمسىء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» قال مخزجه رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ «يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار» الحديث. وفي رواية الطبراني «لمسىء الليل ان يتوب بالنهار» وبسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة في قبولها اذ الطالب ابلغ من القابل، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل، ولا بن ماجه من حديث ابى هريرة «لو اخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم يتم لتتاب الله عليكم» اى قبل توبتكم اورجع عليكم بالرحمة والمغفرة، ولا بن المبارك فى الزهد عن الحسن مرسلًا «ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبًا منه فاراح حتى يدخل الجنة» ولا بن نعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة «ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له» الحديث ولاحمد وابى يعلى والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد «ان الشيطان قال وعزتك يارب لا ازال اغوى عبادك مادامت ارواحهم فى اجسادهم فقال وعزتى وجلالى لا ازال اغفر لهم ما استغفرونى» وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى : (انه كان للاوايين غفورا) فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين، ويروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اذ ذنب ذنبا فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى لئن عدت لاعدنك، فقال يارب أنت أنت وانا انا، وعزتك لئن لم تعصمى لا اعودن، فعصمه الله. وقال بعضهم : ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما تائبًا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس يا ليتنى لم اوقعه فى الذنب، يعنى لاهلكه بالعجب. ويروى انه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المراة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك، ثم قال : الهى اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص : احببتنا، فاحببناك، وتركتنا فتركتناك، وعصيتنا فاملناك فان رجعت الينا قبلناك، وقد قال تعالى : (وان عدتم عدنا) وورد «ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة» ﴿وايضا﴾ اى وفى العقل ايضا دلالة على ان التوبة مقبولة لاحالة

تَزُولُ ظِلْمَةُ الذَّنْبِ عِنْدَ سَطْوَعِ نُورِ التَّوْبَةِ زَوَالِ الدَّنَسِ بِالصَّابُونِ وَالصَّدَاءِ بِالصَّيْقَلِ
وَإِنَّمَا يَشْكُ التَّائِبُ لَشَكِّهِ فِي تَحْقِيقِ الشُّرُوطِ وَالْأَرْكَانِ فَهِيَ دَقِيقَةٌ شَكَّ شَارِبِ الْمُسَهِّلِ

فانها ﴿ تزول ظلمة الذنب ﴾ وبخارها ﴿ عند سطوع نور التوبة ﴾ وآثارها ﴿ فزال الدنس ﴾ اى كزوال الوسخ والدرز من الثوب والبدن ﴿ بالصابون ﴾ ونحوه من الاشنان ﴿ والصداء ﴾ اى وكزوال صداء الحديد من المرءة ونحوها ﴿ بالصيقل ﴾ وتوضيحه ان زار الندم أتحرق غيرة الذنب، ونور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار، وكما لا طاقة للدورة الوسخ مع بياض الصابون. فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون في جواره، فكما ان استعمال الثوب في الاعمال الحسنية يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لمحالة، فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره، وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول، كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول، والقبول له حسب القضاء السابق الازلى مبذول *

والحاصل أن من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقلع، وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاوزيف الثوب وظلمه فلا يقوى الصابون على قلعه من اصله، ومثاله ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب، فمثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الى الرب وربما يقول باللسان قد ثبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب. هذا وقد ورد « ان للقلوب صداء كصداء الحديد وجلأؤها الاستغفار، رواه الحكيم الترمذى. وابن عدى عن انس. ثم لما كان المصنف استشعر سؤا الوهو ان يقال لا ينبغي ان يجوز الشك في القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول اجاب بقوله ﴿ وانما يشك التائب ﴾ في قبول توبته وحصول اوبته ﴿ لشك في تحقق الشروط ﴾ المعبرة في باب التوبة ﴿ والاركان ﴾ اللازمة في حصول الاوبة كاسياتى بيانها في محلها اللاتق بها، ومجملها الندم والقلم والعزم والتدارك بالجزم ﴿ فهى ﴾ اى الشروط والاركان ﴿ دقيقة ﴾ ادراكها فلا يجزم بكونها حقيقة ﴿ شك ﴾ اى مثل شك ﴿ شارب المسهل ﴾ في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الوقت والحال،

بِخِلَافِ الْقَصَارِ إِذْ شَرُوطُهُ جَلِيَّةٌ وَالذَّنْبُ مَا يَخَالَفُ أَمْرَهُ تَعَالَى مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ
 وَيَنْقَسِمُ إِلَى حَقِّهِ تَعَالَى وَحَقِّ الْعَبْدِ وَهُوَ أَغْلَظُ فَوُرِدَ أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ وَأَيْضًا إِلَى كَبِيرَةٍ
 وَصَغِيرَةٍ وَوُرِدَ فِي الْبَعْضِ أَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ

وكيفية خايط الدواء وطبجه وجودة عقاقيره وادويته ، والافلاشك في تأثيره وخاصيته
 ﴿ بخلاف القصار اذ شرطه ﴾ من الماء والصابون والدلك ﴿ جلية ﴾ وايست في
 نظر صاحبه خفية . ثم اعلم أن التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته
 واذا كانت التوبة واجبة فان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فعرفة الذنوب اذا واجبة ،
 ولذا قال المصنف ﴿ والذنب ما يخالف امره تعالى من فعل ﴾ للطاعات ﴿ او ترك ﴾
 للسيئات ﴿ وينقسم الى حقه تعالى ﴾ وهو اقرب الى العفو كترك الصلاة والصوم
 ونحوهما ﴿ وحق العبد ﴾ أى الى حقه كترك الزكاة وقتل النفس وامثالهما ﴿ وهو ﴾
 أى حق العبد ﴿ اغلظ ﴾ أى اشد . وعن العفو ابعد ﴿ فورد ﴾ في الحديث ﴿ انه ﴾
 أى حق العبد ﴿ لا يترك أى لا يعفى الا أن العبد يرضى ولذا قيل : بحق الكافر اشد
 من حق المسلم واقوى ، وحق الحيوان اشد من الكافر كما لا يخفى . ولا حمد والحاكم
 وصححه من حديث عائشة « الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر ، وديوان
 لا يترك فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى ، واما الديوان
 الذى لا يغفر فالشرك ، واما الديوان الذى لا يترك فظالم العباد أى لا بد أن يطالب
 بها حتى يتخاص عنها ﴿ وايضا ﴾ ينقسم ﴿ الى ﴾ معصية ﴿ كبيرة وصغيرة ﴾ كما جاء
 فى القرآن (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) ﴿ وورد فى البعض ﴾
 ﴿ أنه ﴾ أى ذلك البعض ﴿ من الكبائر ﴾ فى البخارى من حديث عبد الله بن عمرو
 مرفوعا « الكبائر الاشرار بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »
 وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وماهى
 قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال
 اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » ولهما من حديث
 أبى بكر « الا انبئكم باكبائر الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور . وقول
 الزور » ولهما من حديث ابن مسعود « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنوب

وَاخْتَلَفَ فِي حَصْرِهَا عَلَى مَا نَهَى مَخْصُوصًا فَالْتَخَصِصُ لِلتَّعْظِيمِ وَمَا أُوْعِدَ عَلَيْهِ
بِالنَّارِ لِعَظَمِ الْعُقُوبَةِ

اعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك؛ قلت ثم أي؟ قال أن تزني بحليلة جارك، وللطبراني من حديث سلمة بن قيس «انما هي أربع لا تشرکوا بالله شيئا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرفوا» وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس «الخمير الفواحش واكبر الكبائر» وللبخاري من حديث ابن عباس باسناد حسن «أن رجلا قال ما الكبائر قال الاشرک بالله، والاياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن ابيه «الكبائر تسع» فذكر منها استحلال البيت الحرام. وللطبراني من حديث واثلة «أن من اكبر الكبائر أن يقول الرجل علي: ما لم اقل» وله أيضا من حديثه «أن من اكبر الكبائر ان ينتفى الرجل من ولده، ولمسلم من حديث جابر «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو «من الكبائر شتم الرجل والديه» ولابي داود من حديث سعيد ابن زيد «أن من اربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق» وفي الصحيحين من حديث ابن عباس «أنه عليه السلام مر على قبرين فقال انهما العذبان وما العذبان في كبير وانه لكبير، اما احدهما فكان يمشي بالنميمة، واما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله» الحديث، ولاحمد في هذه القصة من حديث أبي بكرة «اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس، الحديث. ولابي داود، والترمذي من حديث انس «عرضت علي ذنوب أمي فلم اردنبا اعظم من سورة من القرآن او آية او آية او آية رجل ثم نسيها» وللدليلي من الكبائر السبعين بالسبعة «وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى إحدى عشرة فما فوق ذلك. قال ابن مسعود هي أربع. وقال ابن عمر هي سبع وقال ابن عمرو هي تسع. وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع» واختلف في احوال «في حصرها» أي الكبائر «على ما نهى» أي على ذنب ورد عنه نهي نهيا «مخصوصا فالتخصيص» بالذکر في القرآن «للتعظيم» أي لتعظيم العصيان. وقد قال ابن عباس: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، ويشير اليه قوله تعالى «ان تجتنبوا كبائر ما نهون عنه» اذا كانت الاضافة بيانية «وما» أي وعلى ذنب «اوعد» أي ورد الوعيد «عليه بالنار لعظم العقوبة»

وَمَا وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَالتَّعْجِيلُ لِلتَّغْلِيظِ وَمَا اسْتُصْغِرَ كَمَا أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا اسْتُعْظِمَ
 فورد «لاصغيرة مع الاضرار ولا كبيرة مع الاستغفار» وقيل الاصح انها مبهمة
 كليلة القدر وساعة الجمعة لانها ما لا يكفره الصلوات الخمس فورد «الصلوات
 الخمس يكفرن ما يمينهن إن اجتمعت الكبائر»

فقد قال جماعة من الصحابة كل ماتو عد الله عليه بالنار فهو من الكبائر (وما) أى
 وعلى ذنب (وجب عليه حد) من رجم وجلد وقتل وقطع (فالتعجيل) لعقوبة
 المذنب (للتغليظ) فى حقه ذنب ، فقد قال بعض السلف : كل ما اوجب الحد فى
 الدنيا فهو كبيرة (وما) أى وعلى ذنب (استصغر) أى استحق وعد صغيرا
 وحقيرا (بأن الصغيرة ما استعظم) أى عد عظيما وكبيرا (فورد لاصغيرة مع
 الاضرار ولا كبيرة مع الاستغفار) رواه الديلمى عن ابن عباس به مرفوعا . وعن
 أنس موقوفا . وعن أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة رضى الله عنهم « أنكم
 تعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر لنا نعدھا على عهد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من الكبائر ، رواه أحمد والبخارى بسند صحيح . وقال ابن مسعود لما سئل
 عن الكبائر فقال : اقرأ من اول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله
 (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) فكل ما نهى الله عنه فى هذه
 السورة الى ههنا كبيرة . وقال قائلون : لاصغيرة ، بل كل مخالفة لله فهى كبيرة .
 وضعف هذا القول لقوله تعالى (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وقوله (الذين
 يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللهم) أى الصغائر . وفى الحديث « ان تغفر اللهم
 فاغفر جماعى عبد لك لا الما » (وقيل الاصح أنها) أى الكبيرة (مبهمة) اذ ربما
 قصد الشرع باها ما كوز العباد على وجل منها (كليلة القدر وساعة الجمعة)
 وكذا الصلاة الوسطى ليعظم جد الناس فى طلبها وعدم الاكتفاء بها عن غيرها
 (لانها) أى والدليل على كون الكبيرة مبهمة أن المراد بها (ما) أى ذنب (لا يكفره
 الصلوات الخمس) أى ونحوها من المذنبات للسيئات (فورد) فى الحديث
 (الصلوات الخمس يكفرن ما يمينهن) أى من الصغائر ، ولم يبق عليه شىء من الذنوب
 حينئذ (ان اجتمعت الكبائر) وليس المعنى أن اجتناب الكبائر شرط لكون الصلوات

أَوْ إِلَّا الْكِبَائِرُ وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ فَلَا يَبْهَامُ أَوْ لِي تَحْذِيرًا عَنِ السُّكْلِ وَلَا تَكْلِيفَ
فُوجِبَاتِ الْحُدُودِ مَعْلُومَةٌ وَرَدَّ الشَّهَادَةَ

ونحوها تكفر الصغائر ، بل أن كان عنده الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والافتخاف الكبائر ، وأن كان محفوظا من الكبائر والصغائر فتكون سببا لرفع الدرجات العالية والزلفات الغالية ﴿ او الا الكبائر ﴾ شك من الراوى او اختلاف الروايات فالاخير رواية مسلم . ولما حكم من حديث أبى هريرة وصححه « الصلاة الى الصلاة كقارة ، ورمضان الى رمضان كقارة الامن ثلاث : اشرك بالله ، وترك السنة ، ونكث الصفة ، قيل وماترك السنة ؟ قال الخروج من الجماعة ، ونكث الصفة أن يباعد رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله ، ﴿ وهو ﴾ أى حكم الكبيرة أو التكفير وهو الاظهر ﴿ يتعلق بالآخرة فالابهام اولى ﴾ ﴿ تحذيرا عن الكل ﴾ أى كل المعاصي لثلاث يقع أحد في مخالفة المولى لاحتمال أن يكون كل ذنب أقدم عليه بار تكابه كبير فيتلخص من الكبائر والصغائر جميعها ، ومطلوب الرب من العبد أن لا يقع في مطاق الذنب ليحصل له كمال القرب ، وتوضيحه أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق اليه الابهام ﴿ ولا تكليف فيها ﴾ أى لا تكليف بما لا يطاق في معرفة الكبائر للاجتناب عنها لان دار التكليف هى دار الدنيا ، والكبيرة على الخصوص لاحكم لها في الدنيا من حيث أنها كبيرة بل لها تعاق في حكم العقبي ﴿ فوجبات الحدود معلومة ﴾ باساميها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها . وفى الأحياء وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة ، لكن يتمكن من امرأة ومن موافقتها فيكف نفسه عن الوقاع بها ويقتصر على نظر ولمس منها ، فان مجاهدة نفسه فى الكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدمه على النظر من اظلامه ، فهذا معنى تكفيره . فان كان غنيا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز ، او كان قادرا وامن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصحح للتكفير أصلا ، فكل من لا يشتهى الخمر لطبعه ولو ابيح له لما شربها فاجتنابها لا يكفر عنه الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملاهى والاوزار ، نعم من يشتهى الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطاقها فى السماع ، فمجاهدة النفس بالكف ربما يحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت اليه من معصية السماع ﴿ ورد الشهادة ﴾ فى الحكومة

لَا يَخْتَصُّ بِهَا فَلَأَكْلٌ فِي الطَّرِيقِ يُوجِبُهُ مَع كَوْنِهِ مُبَاحًا وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا اسْمٌ مُضَافٍ
وَالْمَطْلُوقُ هُوَ الْكُفْرُ وَالْجَمْعُ فَيَأْوُرِدُ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كِبَائِرَ الْأَثْمِ)

(لَا يَخْتَصُّ بِهَا) أَي بِالْكَبِيرَةِ بَلْ وَلَا بِالصَّغِيرَةِ (فَلَأَكْلٌ فِي الطَّرِيقِ) مِنْ السُّوقِ وَنَحْوِهِ (يُوجِبُهُ) أَي رَدَّ الشَّهَادَةَ (مَع كَوْنِهِ مُبَاحًا) وَفِي الْأَحْيَاءِ لَا اخْتِلَافَ فِي أَنْ مَنْ يَسْمَعُ الْمَلَاهِي وَيَلْبَسُ الدِّيَابِجَ وَبِخَاتِمِ الذَّهَبِ وَيَشْرَبُ مِنْ أَوْانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَا تَقْبَلُ شَهَادَتَهُ، وَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ إِلَى أَنْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنَ الْكِبَائِرِ، فَكُلُّ الذَّنُوبِ تَقْدَحُ فِي الْعَدَالَةِ إِلَّا مَا لَا يَخْلُو الْإِنْسَانَ عَنْهُ غَالِبًا لِضَرُورَةِ مَجَارَى الْعَادَاتِ كَالغَيْبَةِ وَالتَّجَسُّسِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَالْكَذْبِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَسَمَاعِ الْغَيْبَةِ وَتَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَكْلِ الشَّبَهَاتِ وَسَبِّ الْوَالِدِ وَالغُلَامِ وَضَرْبِهِمَا بِحُكْمِ الْغَضَبِ زَائِدٌ عَلَى حُكْمِ الْمَصْلُوحَةِ وَأَكْرَامِ السُّلَاطِينِ الظُّلْمَةِ وَمَصَادِقَةِ الْفَجْرَةِ وَالتَّكَاثُلِ عَنِ تَعْلِيمِ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَهَذِهِ ذُنُوبٌ لَا يَنْفَكُ الشَّاهِدُ عَنْ قَلِيلِهَا أَوْ كَثِيرِهَا إِلَّا بَانَ يَعْتَزِلُ النَّاسَ وَيَتَجَرَّدُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَيُجَاهِدُ نَفْسَهُ مَدَّةً بِحَيْثُ يَبْقَى عَلَى سَمْتِهِ مَعَ الْمُخَالَطَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَوْلَمْ يَقْبَلِ الْإِقْرَولُ مِثْلَهُ لَعَزَّ وَجُودَهُ وَبَطَلَتْ الْأَحْكَامُ وَالشَّهَادَاتُ، وَلَيْسَ لِبَسِّ الْحَرِيرِ وَنَحْوِهِ مِنْ قَبِيلِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ (وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا) أَي الْكَبِيرَةَ (اسْمٌ مُضَافٍ) كَمَا أَنَّ الزُّنَا كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعَانِقَةِ مَعَ التَّجَرُّدِ عَنِ الثِّيَابِ فِي الْجَانِبِينَ، وَالْمَعَانِقَةُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّمَسِ، وَاللَّمَسُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّظَرِ بِالشَّهْوَةِ، وَالنَّظَرُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْهَمِّ وَالْعَزِيمَةِ، وَقَطَعَ يَدَ الْمُسْلِمِ كَبِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَرْبِهِ وَصَغِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَتْلِهِ (وَالْمَطْلُوقُ) أَي الْفَرْدُ الَّذِي إِذَا أُطْلِقَ الْكَبِيرَةُ يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ (هُوَ الْكُفْرُ) إِذْ لَا كَبِيرَةَ فَوْقَهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (أَنْ الشَّرْكَ لَظْلَمٌ عَظِيمٌ) وَلِهَذَا لَا يَغْفَرُ بِالْإِجْمَاعِ أَوْ الذَّنْبِ الْمَطْلُوقِ. وَالْكَفْرُ وَبَاقِي الذَّنُوبِ مَقِيدٌ بِالْإِضَافَةِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ يَقِيدُ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ إِلَّا الْكُفْرُ وَهُوَ مَقْرَدٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِلِقْظِ الْجَمْعِ قَالَ فِي دَفْعِ هَذِهِ الْأَشْكَالِ (وَالْجَمْعُ) مُبْتَدَأٌ أَي وَقَوْعَ لِقْظِ الْكَبِيرَةِ جَمْعًا (فَيَأْوُرِدُ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ) وَقَدْ قُرِئَ كَبِيرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ الْكُفْرُ أَوْ أَرِيدَ بِهِ الْجِنْسُ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْأَثْمِ)

لتنوعه أو تعدد المخاطب فالمغفرة تتعلق بالمشيئة لا غير، فورد (ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ثم هو يعظم بالأصرار لأنه سبب تراكم الظلام فورد «لا صغيرة مع الأصرار والمباهاة والاستحقار فهما سبب التألف وورده المنافع يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره»

لتنوعه (خبر المبتدأ أي لوقوع افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها) (او تعدد المخاطب) فوقع مقابلة الجمع بالجمع اولان كفر زيد غير كفر عمرو (فالمغفرة) للصغيرة والكبيره وهى العفو من غير التوبة (تتعلق بالمشيئة لا غير) أي لا غيرها من الاشياء المكفرة (فورد) في التنزيل (ويغفر مادون ذلك) أي غير الشرك والكفر بجميع انواعه (لمن يشاء) أي لمن تعلقت مشيئة الله تعالى بمغفرته . وكان مطرف بن عبد الله يقول : اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض عن فعله . والحاصل أن الرضاء يتعلق بالطاعة . والعفو والمغفرة بالمعصية (ثم هو) أي الذنب ولو صغيرة (يعظم) في الكيفية حتى يصير كبيرة بسبب أربعة اشياء (بالأصرار) وهو الاستمرار على الذنب والاستقرار (لانه) أي الأصرار (سبب تراكم الظلام) أي ظلمات الآثام في قلوب الآثام (فورد لا صغيرة مع الأصرار) وتماهه ولا كبيرة مع الاستغفار . وقد تقدم فكبيرة واحدة تنصرم ولا تتبعها بمثلها لو تصور وجودها لكان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها إلا أن الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولو احق من جملة الصغائر ، فقلبا يزنى الزانى بغتة من غير مرادة ومطالبة ومطالعة ، وقلبا يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة ، فمكل كبيرة يتبعها صغائر سابقة ولاحقة (والمباهاة) أي وبالمباهاة والمفاخرة (والاستحقار) بعدم المبالاة (فهما) لفان ونشرهما مرتبا (سبب التألف) أي تألف الذنب . والالفة شديدة الاثر في القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات ، والمحذور تسويده بالسيئات ، فكما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها في تسويد القلب (وورد المنافع يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره) أي عن نفسه ، وتماهه «والمؤمن يرى ذنبه كالجلبل فوقه يخاف أن

وَنَسِيَانِ حَلْمِهِ وَكَرَمِهِ تَعَالَى فَهُوَ سَبَبُ الْأَمْنِ مِنَ الْمَكْرِ وَوَرَدَ (أَتَمَّا تَمَلَّى لَهُمْ لِيَزْ دَادُوا
 أَتَمَّا) وَالْإِظْهَارُ فَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى ذُنُوبٍ أُخْرَى كَقَهْتِكَ السِّرِّ وَتَرْغِيبِ الْغَيْرِ وَوَرَدَ
 «كُلُّ النَّاسِ مُعَافُونَ إِلَّا الْمُجَاهِرَ بِالذَّنْبِ»

يقع عليه، رواه البخاري من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً. ولا يخفى أن هذا الحديث يصلح أن يكون شاهداً لعدم المبالاة لا بوجود المبالاة فكان حقه أن يؤخر عن قوله ﴿ ونسيان حلمه ﴾ وهو بالجر عطف على التألف أي وسبب نسيان حلمه ﴿ وكرمه تعالى ﴾ وستره وعدم كشف حاله ﴿ فهو ﴾ أي ما ذكر من النسيان ﴿ سبب الأمن من المكر ﴾ الإلهي من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالبعثة للنعمة ﴿ وورد ﴾ في التنزيل ﴿ إنما تملئ لهم ﴾ أي تملئهم إياها ﴿ ليزدادوا أتما ﴾ أي أتما وقال بعضهم: الذنب الذي لا يغفر قول العبد - ليت كل شيء عملته مثل هذا فإما يعظم الذنب في القلب لعلمه بعظمة الرب، فإذا نظر إلى جلال من عصى رأى الصغيرة كبيرة. وقد أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء « لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها » وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين الأبرار: لا صغيرة، بل كل مخالفة في كبيرة. وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل، ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن المخالفة تكثر بقدر معرفة المخالف كما يشير إليه قوله سبحانه: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نوتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً) فوزرهن مضاعف كاجرهن. ومن هنا قال تعالى خطاباً لعلماء أهل الكتاب: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) وقال: (الذين آتيناكم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا تبلى عليهم) إلى أن قال: (وأولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) الآية ﴿ والاظهار ﴾ أي وبظهار المعاصي للفتجار ﴿ فهو ﴾ أي الاظهار ﴿ يؤدي إلى الذنوب اخر كهتك السر ﴾ بنفسه لنفسه والله سبحانه هو الستر ﴿ وترغيب الغير ﴾ إلى مثل فعله فيكون عليه ذنب التسبب في عمله، ففي حديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله « من سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها الحديث ﴾ وورد كل الناس معافون ﴿ بضم الميم وفتح الفاء يقربون إلى العفو ﴾ الا المجاهر بالذنب ﴿ فانه

وَحَقُّهَا أَنْ يَتَنَدَّمَ فُورِدَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»

بعيد عن العفو ، وتماه « بييت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله فيحدث بذنبه » والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظه كل امتي وقال بعضهم : لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب فيه غيرك فتذنب ذنبن ، ولذا قال تعالى: (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) وقال بعض السلف : ما انتك المرء من اخيه حرمة اعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه ، فسبحان من يظهر الجميل ويستر القبيح . وقال تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) والآثار ما يكتب بعد انقضاء العمل والعامل اذا كان المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير ويركب سرج الذهب ويأخذ المالم الحرام ويدخل على الظلمة من بين الابام طمعا في المناصب العظام كثر له الآثام . وطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم تتجاوزه الى غيره . فعن ابن عباس « ويل للعالم من الاتباع تزل بزلة فيرجع عنها ويحتملها الناس فيذهبون بها في الآفاق » وقال بعضهم : مثل زلّة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق أهلها وفي الاسرائيليات : أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا ، فوحي الله الى نبيهم أن قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قد اذلتك من عبادي فادخلتهم النار ؟ (وحققها) أى حق التوبة على صاحب المعصية (ان يتندم) أى يظهر الدمامة في القلب (فوردا) فى الحديث لما تقدم (الندم) وهو توجه القلب بمخالفة الرب (توبة) أى معظم اركانها هى الندامة على فعل المعصية من حيث أنها معصية وتكون خالصة لله من الرياء والسمعة ويتبعها قلع المعصية فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال . وفى الاسرائيليات أن الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله النبى قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة ولم ير اثر قبول توبته فى مقام السعادة ، فقال وعزتى وجلالى لوشفع فيه أهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه . فلا بد فى التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فيلتذ بترك اللذة ، ويشير اليه قوله عليه السلام « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، الحديث وينبغى أن يجد مثل هذه المرارة فى جميع الذنوب وأن لم يرتكبها قبل فتكون مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق للشرع ، فتكون المعصية عنده كالسّم والطاعة كالعسل هذا ، وفى حديث « الندم

وَقِيلَ هُوَ غَيْرُ مَقْدُورٍ وَيَتَدَارَكُ وَهُوَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ مُحْتَاطًا

توبة ايماء الى انه مقدور مرغوب فيه وكذا في قوله تعالى: (وتوبوا) والافيون الامر بما لا يطاق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق على خلاف في جوازه وعدمه (وقيل هو) اي الندم (غير مقدور) للبشر ولا يدخل تحت التكليف فلا يكون توبة بل هو الباعث فاستعير لها وفي الاحياء فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب واعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال، بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة للقادر والسكل من خالق الله وفعله (والله خلقكم وما تعملون) هذا هو الحق عند ذوى البصائر وما سوى هذا ضلال (ويتدارك) أى وحق التوبة أن يتدارك ويتلافى ما فاته من الطاعة وما سبق له من المعصية (وهو) أى التدارك (في حقه تعالى القضاء) بدل الاداء (والكفارة) بدل المعصية وقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك الفوت (محطاط) أى حال كونه يحتاط في امره من اوله الى آخره بردفكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتمام، فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهر اشهر او يوم او يوما ونفساً نفساً، وينظر الى الطاعات ما الذى قصر عليه فيها، والى المعاصى ما الذى قارفه منها، فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس، أو صلاها بنية غير صحيحة، أو ترك فيها شيئاً من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضئها من آخرها، فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه اداه ويقضى الباقي، وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحرى والاجتهاد، وكذا امر الصوم والزكاة والحج وسائر فرائض الاسلام وشرائع الاحكام. فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات. وأما بحثه عن السيئات فيتفكر من أول بلوغه الى آخر امره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته، وينشر عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطالع على جميعها قليلاً وكثيراً وصغيرها وكبيرها، ثم ينظر فيها فان كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعاق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع آلة فالنوبة عنها بالندم والتحسر عليها *

وَفِي حَقِّ الْعَبْدِ رَدُّ الْمَالِ مُحْتَاظًا إِلَى الْمَالِكِ أَوْ الْوَارِثِ مُبَالِغًا فِي التَّبْلِيغِ بِالطَّوْفِ
فِي الْبِلَادِ أَنْ أَمَكَّنَ لَهُ وَالْأَفَالَتَّصَدَّقُ أَوْ الصَّرْفُ إِلَى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ التَّسْلِيمِ
إِلَى الْقَاضِي الْأَمِينِ وَالِدِيَّةٌ وَالْقَصَاصُ فِي النَّفْسِ

ثم اعلم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، واثر اتباع الدنيا في القلب
السرور بها والالفة لها والحنين إليها، فلا جرم أن كل اذى يصيب المسلم ثم ينبو
بسببه قلبه عن الدنيا يكون ذلك كفارة لداه القلب يتجا في بالغموم عن دار الهموم،
فورد « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم » وفي لفظ آخر الالهم بطاب
المعيشة رواه الطبراني في الاوسط و ابو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة . ولاحمد
من حديث عائشة « اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال تكفرها ابتلاه الله
بالحزن فيكون كفارة لذنوبه » ويقال الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه
هو ظلمة الذنوب والهم بها . وروى « أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه
السلام في السجن فقال له يوسف : كيف تركت الشيخ الكئيب ؟ فقال قد حزن عليك
حزن مابه ثكلى ، قال فقال له عند الله ؟ قال اجر مائة شهيد » والطبراني والحالم عن أبي
الدرداء مرفوعا « ان الله يحب كل قلب حزين » ﴿ وفي حق العبد ﴾ أى والتدارك
في حق العباد ثلاثة اشياء ﴿ رد المال محتاطا ﴾ أى وفي قدره ﴿ الى المالك ﴾ ان كان
حيا ﴿ او الوارث ﴾ ان كان ميتا ﴿ مبالغا ﴾ أى غاية الاجتهاد ﴿ في التبليغ ﴾ أى
اتصال حق العباد ﴿ بالطوف ﴾ أى السير والتردد ﴿ في البلاد ﴾ رجاء ان يلقى الملك
هنالك فيرد اليه حقه او يستحل منه ﴿ ان امكن له ﴾ السفر ﴿ والافالتصدق ﴾ على
الفقراء والمساكين ﴿ او الصرف الى مصالح المسلمين ﴾ من بناء مسجد وعمارة وجسر
ومدرسة ﴿ او التسليم الى القاضى الامين ﴾ ليصرفه فى امور الدين ﴿ والدية ﴾
عطف على رد المال ، اى وفي حق العباد الدية الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع
خطأ ﴿ والقصاص ﴾ اذا وقع عمدا ﴿ فى النفس ﴾ وكذا فى الاطراف ، فيجب
عليه ان يعترف عند ولى الدم ويحكمه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ،
ولا تسقط عهده الا بهذا ، ولا يجوز له الاخفاء ، وليس هذا كما لوزنى اوسرق
اوشرب او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد لله ، فانه لا يلزمه فى التوبة ان

وَالِاسْتِعْفَاءُ نَفْسًا كَانَ أَوْ مَالًا وَعِنْدَ الْعِجْزِ فَتَكْثِيرُ الْحَسَنَاتِ بِحَسَبِ الْمَظَالِمِ وَفِي
نَحْوِ الْغَيْبَةِ وَالسَّبِّ وَالْإِيذَاءِ فَلِاسْتِعْفَاءِ وَالذُّرِّ الْمَفْصَلِ إِلَّا أَنْ يَزِدَّ دَادَ التَّأْذِي
بِالْأُظْهَارِ فَالْمُبْهَمِ تَحَامِيًا عَنْ ذَنْبٍ آخَرَ وَالْجَبْرِ بِالْحَسَنَاتِ كَمَا لَوْ كَانَ مِيتًا أَوْ غَائِبًا
وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْإِسْتِعْفَاءِ

يفضح نفسه ويبتك ستره ويلتمس من الوالى استعفاء حق الله ، بل عليه ان يستر
بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة ، فان رفع امره الى الوالى حتى اقام
عليه الحد وقع فى موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله ﴿ والاستعفاء ﴾
اى طلب العفو ، والاسْتِحْلَالُ عِنْدَ الْعِجْزِ عِنْدَ رَدِّ الْمَالِ أَوْ الْوَالِدِيَّةِ وَالْقَصَاصِ ﴿ نَفْسًا كَان ﴾
حَقِّ الْعَبْدِ ﴿ أَوْ مَالًا وَعِنْدَ الْعِجْزِ ﴾ اى عدم القدرة على الاستعفاء ﴿ فَتَكْثِيرُ الْحَسَنَاتِ ﴾
مَتَعِينَ ﴿ بِحَسَبِ الْمَظَالِمِ ﴾ اى مراتبها فى مقام السيئات ، وذلك بان يحسب مقدارها
من حيث الكثرة ومن حيث المدة ، ويحاسب نفسه على الحيات والذرات من اول
يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيامة ، ويناقش نفسه قبل ان يناقش.
وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى الفجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين ظمهم ولا على
طلب ورتهم ، ولكن على كل منهم ان يقبل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق
الا ان يكثر من الحسنات حتى يقبض منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته فتوضع فى موازين
ارباب المظالم ، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تنف بها حسناته حمل
من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسىئات غيره ﴿ وفى ﴾ اى والتدارك
فى ﴿ نحو الغيبة ﴾ وكذا النيمة ﴿ والسب ﴾ اى الشتم واللعن ﴿ والايذاء ﴾ باللسان او
بالاركان ، ومنه الزنا بحليلة المسلم او جاراته او بقرابته ﴿ فالاستعفاء ﴾ متعين لعدم وجوب
المال وجواز القصاص فى امثالها ﴿ والذكر المفصل ﴾ بفتح الصاد او كسر هابا بان يذكر الغيبة
ونحوها ميسرة معينة ﴿ الا ان يزداد التأذى ﴾ اى لصاحب الحق ﴿ بالاظهار فالمبهم ﴾ اى
فلا استعفاء للمبهم متعين ﴿ تحاميا عن ذنب آخر ﴾ فان مثل هذا الاعتذار اشد من الذنب
عند اهل الاعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول ﴿ والجبر ﴾ اى جبر نقصان
الاستعفاء للمبهم ﴿ بالحسنات ﴾ ولو كان حيا موجودا حاضرا ﴿ كما لو كان ﴾ صاحب
الحق ﴿ ميتا او غائبا ﴾ لم يمكن الاجتماع به ﴿ والمبالغة ﴾ اى حينئذ ﴿ فى الاستعفاء

بالتَّلَطُّفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْإِحْسَانِ فَإِنَّ عَفَاً وَالْإِفْحَاسَ فِي مِقَابَلَتِهِ فَالْكُلُّ مَا تَوَدُّدٌ
 وَيَتَّبِعُ الْحَسَنَةَ بِحَسَبِ السَّيِّئَةِ فَسَمَاعُ الْمَلَاهِي بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالْقَعُودُ فِي الْمَعْصِيَةِ
 بِالْإِعْتِكَافِ وَشُرْبُ الْخَمْرِ بِالتَّصَدُّقِ بِشُرَابِ حَلَالٍ لِذِيهِ وَالْقَتْلُ بِالْإِعْتِقِ وَالْغَيْبَةُ بِالثَّنَاءِ
 وَالْغَضَبُ بِالصَّدَقَةِ وَنَحْوَهَا

بالتلطف في طريق المحو (والتودد) اى اظهار المحبة بالقيام والاكرام
 (والاحسان) بالهدية والضيافة والانعام لا بالالراء والابرام فانه غير مفيد عند الله
 (فان عفا) اى صاحب الحق ، وفي نسخة فان عفى اى عن المذنب بالاستغفاء فيها
 (والافحاسب) فى القيامة بحسناته (فى مقابله) اى مقابلة سيئاته كما قدمنا (فالكل
 ما تودد) وعن السلف مذکور *

والحاصل ان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر قلبه بسيئة مال بحسنة فاذا طاب
 قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال عن فعله ، فان ابى الا الاصرار فليكن
 تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التى يمكن ان يجبر بها فى القيامة جنائته وليكن
 قدر سعيه فى فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه فى ابدائه حتى اذا قاوم أحدهما
 الآخر اوزاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيامة بحكم الله عليه كن اتلف فى الدنيا ما لا يجاء
 بمثله وامتنع من هول عن القبول وعن الالراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض والالراء عنه
 شاء ام ابى ، فذلك يحكم الله فى صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين (ويتبع)
 وهو مرفوع وقيل منصوب ، اى وحق التوبة ان يتبع (الحسنة بحسب السيئة) اى بقدرها
 كمية وكيفية (فسماع الملاهى) من انواع الاوتار المناهى يتبع (بسماع القرآن)
 ومجالس الذكر الالهى (والقعود فى المعصية) كقعود فى المسجد جنباً (بالاعتكاف)
 فيه مع الاشتغال بالعبادة ، وكذا مس الصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة
 تقبيله ، وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا (وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال
 لذيد) اى حلوا بارد (والقتل بالاعتاق) اى وقتل النفس عمدا او خطأ باعتاق
 رقبة لان ذلك نوع احياء ، اذ العبد مفقود بنفسه موجود بسيدته ، فالاعتاق ايجاد
 لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد (والغيبة) ونحوها من الابداء
 (بالثناء) على صاحب الحق او على اهل الدين والخير فى الحضور والغيبة (والغضب
 بالصدقة ونحوها) عطف على سماع الملاهى اى وكذا نحو المذكورات فعد جميع

فورد (ان الحسنات يذهبن السيئات) اتبع السيئة الحسنة تمحها ويستغفر فورد
« ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة » والستر احب ولو اقر لاقامة الحد
فلا قدح فورد في ما عزى الله عنه « لقد تاب توبة لو قسمت بين الامة لو سعتهم »
ويؤكد العزم على ان لا يعود

المعاصي غير ممكن في العبادات ، والعاقلة يكفيه بعض الاشارات ، والمقصود سلوك
طريق المضادة فان المرض يعالج بضده ، فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمصيبة فلا
يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها ، والمتضادات هي المتناسبات ، فكذا ينبغي
ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها ، فان البياض يزال بالسواد
لا بالحرارة والبرودة ، وهذا التدرج والتحقيق من التاطف في طريق المحو ، فالرجاء
فيه اصدق ، والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان
ذلك ايضا مؤثرا في المحو ، هذا وسلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له
في الشرع حيث كفر القتل باعناق الرقبة (فورد) في التنزيل (ان الحسنات)
اي جميع الطاعات (يذهبن السيئات) اي تمحوها (اتبع السيئة) اي وورد ؟
اتق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اي اعقب السيئة (الحسنة تمحها) رواه
الترمذي من حديث أبي ذر وصححه . ولليهنقي في الشعب من حديث معاذ « اذا عملت
سيئة فاتبعها حسنة تكفرها ، السر بالسرو والعلائية بالعلائية » (ويستغفر) اي وحق
التوبة ان يستغفر (فورد ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة) رواه
ابو داود والترمذي عن ابى بكر (والستر احب) اي من الاظهار في حق الله (ولو اقر
لاقامة الحد) اي في حقوق الله الخالصة (فلا قدح) اي لا ذم ولا منع كما تقدم
(فورد في ما عزى الله عنه) حيث اعترف بالزنى ورجم (لقد تاب توبة لو قسمت
بين الامة) وفي رواية بين الخلائق (لو سعتهم) اي لكيفتهم وهو عبارة عن كثرة
ثوابها . والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب ، وكذا حديث الغامدية
واعترافها بالزنا ورجمها . وقوله عليه السلام : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب ملأ
لغفر له » (ويؤكد العزم) اي وحق التوبة ان يشدد العزم ويقوى الجزم (على
ان لا يعود) بمثل الذنب الذي تاب منه ابدا ، قال بعضهم : من صدق في ترك شهوة

وَيُخَالِصُ النِّيَّةَ فَمَنْ تَرَكَ لَذَهَابَ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ عَدَمِ اسْبَابٍ لَا يَكُونُ تَائِبًا ثُمَّ أَنْ
يَغْسِلَ الثِّيَابَ وَيَغْتَسِلَ وَيُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ وَيَضَعُ الْوَجْهَ عَلَى
الْأَرْضِ وَالْتِرَابِ وَلِلتَّذِكْرِ بَدْمَعِ حَارٍّ وَقَلْبِ حَزِينٍ وَصَوْتِ عَلِيٍّ وَيَذْكُرُ الذُّنُوبَ
وَاحِدًا وَاحِدًا وَيُلُومُ النَّفْسَ وَيُوبِخُهَا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيُحَمِّدُ اللَّهَ وَيُصَلِّيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يتبل بها . وقال آخر : من تاب من ذنب فاستقام
عليه سبع سنين لم يعد اليه ابداً (ويخلص النية) أى وحققها أنت يصحح
النية ويخلص الطوية في ترك المعصية الجلية والخفية (فمن ترك) المعصية
(لذهاب مال) كما في القمار ونحوه (اوجاه) من سقوط اعتباره عند الخلق
(او عدم اسباب) معينة له على المعصية (لا يكون تائبا) وقيل من العصمة
ألا تقدر (ثم) أى بعد ذلك حق التوبة على التائب (ان يغسل الثياب) التى عصى الله
فيها (ويغتسل) فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن ، وفى رواية ويتوضأ
واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل (ويصلى اربع ركعات) تنبئها على
جهات اربع تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى : (يومئذ تحدث اخبارها بان ربك
أوحى لها) (فى موضع خال) عن اشتغال وعن توهم الرياء والسمعة فى بال (ويضع
الوجه) أى وأن يضع جبينه (على الارض) تراضعاً لله (والتراب) لزيادة
الخشوع عند رب الارباب (وللتذكر) أى اصله ومرجعه فى هذا الباب كما يشير اليه
قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) (بدمع حار) أى
مع بكاء فى الندامة فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ، ولذا
ورد قررة عين وقرى عينا (وقلب حزين) على ماسبق له من المعصية (وصوت
على) أى رفيع فى البكاء ، والا فالدعاء والاذكار اولى ان تكون بالاخفاء (ويذكر
الذنوب) أى وان يتذكر ذنوبه (واحدا واحدا) جنسا وفردا (ويلوم النفس)
أى وأن يعيبها ويذمها (ويوبخها) أى يثرها ويقرعها (ويرفع يديه) الى
كتفيه اودنيه حتى يرى بياض ابطنه مبالغة فى التضرع الى الله والالتجاء اليه
(ويحمد الله) على آلاء الله ونعمائه الظاهرة والباطنة عليه ويقول : الحمد لله على
كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار (ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم)

وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ . إِذَا اتَّبَعَ الذَّنْبَ بَعَزِمِ
 التَّوْبَةِ وَخَوْفِ الْعِقَابِ وَرَجَاءِ الْعَفْوِ وَأَدَاءِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ وَالِاسْتِغْفَارِ سَبْعِينَ
 مَرَّةً وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ مِائَةَ مَرَّةً وَالتَّصَدُّقِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً وَصَوْمِ يَوْمٍ فَالْعَفْوُ أَرْجَى

لانه شفيح المذنبين (ويدعو لنفسه) لقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة (ولو والديه) فيقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (وللمسلمين) فيقول (رب اغفر لي ولو والدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ويكثر الاستغفار لاسيما ما ورد عن سيدنا ابرار نحو قوله (رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي) وكذا يكثر من سيد الاستغفار (وجاء في الاثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة) أي بالتوبة على وجه العزم والجزم (وخوف العقاب) عند مناقشة الحساب (ورجاء العفو) من رب الارباب (واداء ركعتين في المسجد) فانه افضل الاماكن واشرفها، ويشهد له بما عرفه (والاستغفار سبعين مرة) لما ورد في بعض طرق الاحاديث ولوزاد حتى صار مائة مرة فهو افضل واكمل (والتسبيح والتحميد مائة مرة) أي كل واحد منهما او يقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، وينبغي ان يكون التكبير والتهايل كذلك لتجتمع الباقيات الصالحات، بل ويضم اليها لاحول ولا قوة الا بالله كذلك (والتصدق سرا وعلانية) وكذا نهارا وليلا ليدخل في قوله تعالى (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم) وليكون تصدقه مكفرا بجميع انواع معاصيه من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية (وصوم يوم) فانه من جملة الحسنات المكفرات للسيئات (فالعفو) عن الذنب حينئذ (ارجى) أي اكثر رجاء. وفي الاحياء ان في الأثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا، اربعة من اعمال القاب وهي التوبة او العزم على التوبة، وحب الافلاع عن الذنوب، وخوف العقاب عليها، ورجاء المغفرة لها، واربعة من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقيب الذنب ركعتين، ثم يستغفر الله بهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما، وفي بعض الاخبار يصلي ركعات. قال مخرجه: اثران من مكفرات الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين، رواه أصحاب السنن

وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ مَاوردَ فِيهَا وَقَبْحُ الذَّنْبِ وَشِدَّةُ الْعُقُوبَةِ وَوَضْعُ النَّفْسِ عَنِ الْاِحْتِمَالِ

من حديث أبي بكر الصديق « مامن عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الاغفر الله له » هذا لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعاً وموقوفاً . وحديث التكفير بصلاة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال : « كان رجل يهوى امرأته - الحديث - وفيه » فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادماً فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له عليه السلام صلى اربع ركعات قاتل الله عزوجل (اقم الصلاة طرفي النهار) الآية » واسناده جيد . وفي هذا الحديث دلالة على ان توبة العنين ، صحيحة وفي الصحيحين « ان رجلاً قال يا رسول الله انى عاجلت امرأة فاصبت منها كل شئ الا الميس فامض على بحكم الله فقال عليه السلام او اصيلت معنا صلاة الغداة فقال بلى ، فقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات » وهذا يدل على ان مادون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله عليه السلام « الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر » كما في الاحياء . وقال مخرجه حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله او اصيلت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم من حديث انس ، وفيه « هل حضرت معنا الصلاة قال نعم » ومن حديث أبي امامة وفيه « ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم » الحديث (والطريق) الموصل الى التوبة عشرة اشياء (ذكر ماورد فيها) أى من الكتاب والسنة في فضل التوبة لقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) وكقوله عليه السلام « ليمتنين اقوام لو اكثروا من السيئات الذين بدل الله عزوجل سيئاتهم حسنات » رواه الحاكم في مستدرکه عن أبي هريرة ، وهو مقتبس من قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (وقبح الذنب) فعن ابن مسعود : ينسى المرء بعض العلم بالمعصية ، وتلا آية (فتسوا حظاً مما ذكروا به) ولانه مخالفة الرب وقد تجر الى الكفر كقصه ابليس اوله ذنب وآخره كفر ، وكذا قضية قاييل وبلعام بن باعوراء اوله شهوة وآخره شقوة (وشدة العقوبة) أى وذكر شدتها الناشئة عن غضب الله وسخطه الذى لا طاقة لاحد به (وضعف النفس عن الاحتمال) أى تحمل احوال يوم القيمة فقد قال تعالى (فما اصبرهم على النار) فان من لا يحمّل حر شمس ولطمة شرطى كيف يحمّل غداً حر نار

وَشَرَفِ الآخِرَةِ وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَا وَقُرْبِ المَوْتِ وَلَذَةِ المَعْرِفَةِ وَالمُنَاجَاةِ ، وَخَوْفِ
 الأَمَلَاءِ بَعْدَمِ الأَخْذِ الحَالِيِّ وَالمُنْتَدِرِجِ بِالأِحْسَانِ بَعْدَ الأَرْتِكَابِ وَقَلْعِ أسبابِهِ
 وَهِيَ الغُرُورُ وَحُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الأَمَلِ بِمَا فِي مَوْضِعِهَا ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ تَرَادُفَ
 المَعَاصِي سَبَبٌ تَرَائِمِ ظَلَامِ القَلْبِ وَبِهِ يَحْصُلُ

جهنم ، وضرب مقام الزبانية ، ولسع حيات اعناقها كاعناق البخت ، وعقارب
 كالبعال خلقت من النار في دار الغضب والبوار ، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من
 سخط الواحد القهار ﴿ وشرف الآخرة ﴾ أى وذكر شرفها فانها خير وابقى
 ﴿ وخساسة الدنيا ﴾ من سرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها
 ﴿ وقرب الموت ﴾ كما قال سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه •
 كل امرئ مصبح في اهله والموت اذن من شرك نعله

﴿ ولذة المعرفة ﴾ فانها لا تجامع المعصية فقد اجمع السلف على ان كل من عصى الله
 فهو جاهل ﴿ والمناجاة ﴾ لانها تختص بادل العبادات والمناداتة ﴿ وخوف الاملاء ﴾
 بالرفع عطف على ذكر ، أى وخوف الامهال ﴿ بعدم الاخذ الحالى ﴾ بتشديد الياء
 نسبة الى الحال ضد الماضى والاستقبال ، فقال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما)
 ﴿ والاستدراج ﴾ أى وخوف الاستدراج ﴿ بالاحسان ﴾ أى باحسان الرب ﴿ بعد
 الارتكاب ﴾ أى ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطفية وقت صدور الخطية ﴿ وقلع
 أسبابه ﴾ عطف على ذكر ماورد ، أى وقطع اسباب الذنب ﴿ وهى ﴾ أى أسباب ثلاثة
 ﴿ الغرور ﴾ قال تعالى (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . فلا تغرنكم الحياة الدنيا)
 وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة كمن يذنب وتسكن نفسه الى ان الله تعالى
 غفور ، فهذا آمن وغرور ، بخلاف من يطيعه ويرجو ثوابه من اللقاه والحضور أو الجنة
 والهور والقصور ﴿ وحب الدنيا ﴾ فانه رأس كل خطيئة كما ورد ﴿ وطول الامل ﴾
 فانه مانع من العمل ومسوفه الى آخر الاجل ، فقلع أسبابه ﴿ بما فى موضعها ﴾ من
 دلالة هذه الاشياء بتمامها ﴿ والتحقيق ﴾ فى وجوب التوبة عن كل معصية بلا مهلة وفى
 قلع الأسباب عليك ﴿ ان ترادف المعاصى ﴾ أى تواردتها وتتابعها باصرارها من غير
 تخلل توبة فى اثباتها ﴿ سبب تراكم ظلام القلب ﴾ أى تكاثف ظلماته ﴿ وبه يحصل

الرِّينِ وَالطَّبْعِ وَهُوَ دَاءٌ عَضَالٌ وَاخْتَلَفَ فِي صِحَّتِهَا عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَالْحَقُّ إِفَادَةُ
نَقْصَانِ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا بِحَسْبِ الذَّنْبِ دُونَ النِّجَاةِ لِأَنَّهَا بِتَرْكِ الْكُلِّ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا التَّرْكَ

الرِّينِ ﴿ في قوله تعالى (فلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ﴾ (والطحع) اى الختم
فى قوله سبحانه (ان لونها لاصبناهم بذنوبهم و نطبع على قلوبهم فهم
لا يسمعون) وقال مجاهد: القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع
حتى تنقبض الاصابع كلها فيشتد عليه الفعل فذلك هو القفل يعنى فيما قال تعالى
(افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفاها) وقال بعض السلف : ليست اللعنة
سوادا فى الوجه انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا و قد وقع فى مثله او شرمته . وقال
ابو سليمان الداراني : لا يفوت احد صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفى الخير « ما انكرتم
من زمانكم فيما تركتم من اعمالكم » رواه البيهقى فى الزهد من حديث ابى الدرداء
﴿ وهو ﴾ اى ترادفها ﴿ داء عضال ﴾ اى صعب فى غاية اشكال عجز عنه اطباء القلوب
الا ان يريد دواءه علام الغيوب ﴿ واختلف فى صحتها ﴾ اى التوبة ﴿ عن بعض الذنوب ﴾
فى الاحياء : ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه فى المستقبل
وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ، ثم ان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة
المطابقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب ، كالذى يتوب عن الشرب والزنى واللواط
والغصب مثلا دون غيره ؛ وليست هذه توبة مطلقة . وقد قال بعض الناس : ان هذه
التوبة لا تصح ، وقال قائلون تصح ولكن لفظ الصحة فى هذا المقام مجمل ﴿ والحق ﴾
اى الذى لا يحصى عنه ان فى التوبة عن بعض المعاصى ﴿ افادة نقصان العقوبة لانها ﴾
اى العقوبة ﴿ بحسب الذنب ﴾ كثرة وقلة ﴿ دون النجاة ﴾ اى دون افادة النجاة
من النار ﴿ لانها ﴾ اى النجاة انما تحصل ﴿ بتترك الكل ﴾ اى جميع المعاصى وتوضيحه
ان يقال لمن قال لا تصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده
كعدمه فما أعظم خطأك ، فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتلها سبب
لقلتها . ويقال لمن قال تصح ان أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا
يوصل الى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بتترك الجميع هذا حكم
الظاهر فلسنا نتكلم فى خفايا اسرار عفو الله فهو اعلم بالسرائر ﴿ فان قلت انما الترك ﴾
اى ليس مراد القائل الأول بعدم الصحة عن بعض الاترك بعض الذنوب وهو شرب الخمر

لكونه ذنباً لا بعينه وهو مشترك فيه فكيف تتصور عن البعض قلت يجوز الترتك
لكونه أفحش والعقاب عليه أصعب أو التدارك أشق أو ميل النفس إليه أقل

مثلاً (لكونه) أى ذلك البعض الذى تاب منه وهو الشرب (ذنباً لا بعينه)
أى لا لكونه شرب الخمر بذاته (وهو) أى كونه ذنباً أو علة تركه (مشترك فيه)
أى يشترك فى هذا المعنى جميع الذنوب شامل بين جميع المعاصى ، لأن من ترك الخمر لكونها
معصية وتوقعه فى عقوبة وجب عليه أن يترك سائر المعاصى لكونها معصية
وتوقعه فى العقوبة (فكيف تتصور) التوبة (عن البعض) دون البعض ، فإذا
ثبت أنها لا تصح عن البعض بهذا المعنى فوجب أن يتوب عن الجميع دون البعض
(قلت) التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون من الكبائر دون الصغائر أو بالعكس
أو عن كبيرة دون كبيرة أما الأول فإنه ممكن ويقال (يجوز الترتك) لبعض الذنوب (لكونه)
أى ذلك البعض (أفحش) أى اغاظم وأعظم وأجاب لسخط الله وغضبه (والعقاب
عليه أصعب) أى أشد وأقوى وأبقى ، والصغيره أقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحل
ترك الكبيرة بهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب
دابته لظن أن السيد ربما يسامحه فى ذلك ، وكالمريض يحذر الطيب عن أكل الحلوى
تحذراً شديداً فيتوب المريض عن العسل دون السكر. وأما الثالث وهو أن يتوب عن
بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد عند الله
من بعض كمن ترك شرب الخمر مثلاً لكونه مفتاح الشر ، ولأنه إذا زال عقله ارتكب سائر
المعاصى فيجتنبها دون الزنا (أو التدارك) أو يكون تدارك ذلك البعض (أشق) أى
أتعب كالذى يترك القتل أو النهب ومظالم العباد لعلمه أن التدارك فيه أصعب ، ولأن ديوان
العباد لا يترك يوم المعاد ، ويرتكب ما بينه وبين الله كترك الصلاة فإنه يتسارع العفو اليه
وأما الثانى وهو أن يتوب عن الصغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة وهذا أيضاً
ممكن كالذى يترك الغيبة أو النظر الى غير المحرم وما يجرى مجراه وهو مصر على شرب
الخمر لأن ميل النفس اليها أكثر (أو ميل النفس اليه) أى الى ما ترك من الصغائر
(أقل) فيكون تركه أهون وأسهل. ووجه امكان ذلك انه ما من مؤمن الا وهو خائف
على المعاصى نادم على فعله ندماً ضعيفاً أو قوياً ، ولكن ميل نفسه فى تلك المعصية اقوى
من ألم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة ، واسباب توجب

هَذَا وَلَمْ يَشْتَرِطِ الْكُلَّ فِيهَا وَرَدَّ فِي صَحَّتِهَا عَنْ الْعَاجِزِ كَالْعَيْنِ عَمَّازِي قَبْلَ
 الْعِنَةِ وَالْأَقْرَبِ الْعَدَمَ لَا مَتَاعَ التَّرْكِ فِي غَيْرِ الْمَقْدُورِ لَكِنْ لَوْ تَنَدَّمَ وَتَأَلَّمَ الْقَلْبُ
 بِحَيْثُ لَوْ فُرِضَتْ الشَّهْوَةُ لَقَهَرَهَا فَالرَّجَاءُ الْقَبُولُ عَلَى حَسَبِ إِطْلَاقِهِ تَعَالَى
 عَلَى الضَّمَائِرِ

قوة الشهوة ، فيكون الخوف موجودا لكن لا يحمل على ترك الذنب ، فان سلم من شهوة
 هي اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه ، فهو أى ذلك الخوف الضعيف ملك
 الشهوة التي هي اضعف منه ودفعها ، وان لم يسلم من شهوة هي اقوى منه كشراب الخمر
 لم يقدر على الدفع ، فمثاله كمثل رجل له عدو ان احدهما ضعيف والآخر قوى ، فاذا
 واجه الضعيف غلب عليه واذا واجه القوى صرعه القوى ، ولان التوبة على حسب
 المعصية ، وتوبة ذنب لا تتوقف على توبة ذنب آخر ، وهذا لان توبة ذنب احسان
 في العبودية. وتوبة ذنب آخر احسان آخر ، وصحة احسان لا تتوقف على صحة احسان آخر
 ﴿ هذا ﴾ هو التحقيق ، اوخذ هذا على طريق التوفيق ﴿ ولم يشترط الكل ﴾ أى لم يشترط
 التوبة عن جميع المعاصي ﴿ فيما ورد ﴾ من الكتاب والسنة في التوبة بقوله تعالى (ان الله
 يحب التوابين) حيث لم يقل عن جميع الذنوب ، وبقوله عليه السلام « التائب من
 الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل عن جميع الذنوب وقوله : « الندم توبة » ولم يقل عن
 جميع المعاصي ، وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلاة والزكاة حيث
 لا تتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا ﴿ وفي صحتها ﴾ أى وكذا اختلف في صحة
 التوبة ﴿ عن العاجز ﴾ الذى لم يقدر على المعصية ﴿ كالعنين ﴾ بوزن سكين وهو من
 لم يقدر على الجماع ﴿ عمَّازي ﴾ أى كتوبته عما قارفه ﴿ قبل العنة ﴾ أى حدودها ﴿ والاقرب
 أى القول الاقرب الى الصحة او الصواب ﴾ العدم ﴾ أى عدم صحتها ﴿ لا متناع الترك
 في غير المقدور ﴾ لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله ،
 واما ما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ﴿ لكن ﴾ قد يقال ﴿ لو تندم ﴾
 العنين ﴿ وتألم القلب ﴾ بالزنى ﴿ بحيث لو فرضت الشهوة ﴾ أى قدرت شهوة الزنى
 ﴿ لقهرها ﴾ أى غلبها وتركها ﴿ فالرجاء ﴾ أى الماء ول من كرمه سبحانه ﴿ القبول ﴾
 أى قبول توبته ﴿ على حسب اطلاعه تعالى على الضمائر ﴾ أى على ما يخفى على غيره من

كَلَا لَوْ تَابَ قَبْلَ طَرِيَانِ الْعِنَةِ وَمَاتَ قَبْلَ هَيْجَانِ الشَّهْوَةِ وَتَيَسَّرَ سَبَابُ قَضَائِهَا وَفِي
 « أَنْ الْأَفْضَلَ مِنْ يَجَاهِدِ شَهْوَتَهُ أَوْ مِنْ أَنْقَطَعَتْ شَهْوَتُهُ » وَالْحَقُّ أَنَّ الثَّانِيَّ أَسْلَمَ مُطْلَقًا
 وَأَفْضَلُ أَنْ كَانَ أَنْقَطَعَتْ قُوَّةُ الْيَقِينِ وَسَبَقَ الْمُجَاهِدَةَ فَالْمُظْفَرُ أَوْلَى مِنَ الْمُجَاهِدِ وَأَنْ
 كَانَ لَضَعْفِهَا فِي نَفْسِهَا فَالْأَوْلَى الْأَفْضَلُ لِأَنَّ التَّرْكَ بِالْمُجَاهِدَةِ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ وَاسْتِيْلَاءِ الدِّينِ

السراير (كالتاب) العنين عن الزني (قبل طريان العنة) أي حذر نها (ومات قبل هيجان الشهوة) أي شهوة الزني أو الجماع (وتيسر أسباب قضائها) أي قضاء الشهوة ومباشرتها لكان من التائبين اتفاقا فبعد طريان العنة لو تدم بما تقدم لكان من التائبين أيضا حيث لا فرق بينهما (وفي) أي واختاف أيضا في (أن الأفضل من يجاهد شهوته) (ويمنع معصيته) (أو من انقطعت شهوته) وسكنت نفسه عن الميل إلى المعصية ، فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني: أن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل المجاهدة ويؤيده ما أخرجه الامام أحمد في الزهد عن مجاهد أنه قال كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتبه المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتبه المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر أن الذين يشتبهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ويقويه أن جنس البشر أفضل من جنس الملك لما تقدم والله أعلم، وقال علماء البصرة ذلك الأجر أفضل لأنه لو فتر في تربته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة القصور عن المجاهدة (والحق أن الثاني أسلم مطلقا) سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة أو ضعف البنية (وأفضل) أي الثاني مقيدا بقيد وهو أنه (أن كان انقطاعها) أي الشهوة (لقوة اليقين) في مقام المشاهدة (وسبق المجاهدة) مع النفس في دفع الشهوة على سبيل المعصية (فالمظفر) أي المنصور على العدو (أولى من المجاهد) المشغول في صف القتال ولا يدري كيف يسلم في الاستقبال (وان كان) انقطاعها (لضعفها) أي لفتور الشهوة (في نفسها) أي في أصل خلقتها (فالأول) وهو الذي يجاهد شهوته (أفضل) (لأن الترك بالمجاهدة من قوة اليقين واستيلاء الدين) ولقد زل في هذا البحث فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ، ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطرق وعلائقها الشاغلة عن المولى، وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماطتها بالسكينة مقصود بالذات

وَفِي نَفْعِ الْاِسْتِغْفَارِ مَعَ الْاِصْرَارِ وَالْحَقُّ النَّفْعُ لِمَا سَبَقَ وَكَوْنُهُ حَسَنَةً تَصْلَحُ لِتَكْفِيرِ
 وَعَدَمِ ضِيَاعِ الْاَجْرِ فَوُرِدَ اَنْ اَللّٰهُ لَا يُضَيِّعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَاَنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعُهَا
 وَمَا وُرِدَ اَنْ الْمُسْتَغْفِرَ بِلسَانِهِ الْمَصْرَعِ عَلَى ذَنْبِهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ بِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعَادَةِ
 مِنَ الْغَفْلَةِ دُونَ الْاِبْتِهَالِ وَالصَّدْقِ فِي السُّؤَالِ

حتى جرب بعضهم ذلك فعجز عنه، فقال : هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل
 الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات ، وكل ذلك جهالة وضلالات ﴿ وفي ﴾ أي وكذا
 اختلف في ﴿ نفع الاستغفار ﴾ باللسان ﴿ مع الاصرار ﴾ على الذنوب الكبار أو الصغار
 ﴿ والحق النفع ﴾ لثلاثة أوجه ﴿ لما سبق ﴾ من الاخبار في فضل الاستغفار من غير قيد
 بعدم الاصرار ﴿ وكونه ﴾ أي ولكون الاستغفار باللسان ﴿ حسنة تصاح للتكفير ﴾ أي
 لتكفير العصيان ﴿ وعدم ضياع الأجر ﴾ أي ولعدم ضياع أجر عامل عبده سبحانه
 ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ (ولا يضيع أجر من أحسن عملا)
 ﴿ وان تك حسنة يضاعفها ﴾ تمامه (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وقال : (فمن
 يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ﴿ وما ورد ﴾ مبتدأ أي وما جاء في حديث ﴿ ان المستغفر بلسانه
 المصر على ذنبه ﴾ أي بجنانه ﴿ كالمستهزئ بربه ﴾ وفي الاحياء بلفظ « المستغفر من الذنب
 وهو مصر كالمستهزئ بآيات الله » قال مخرجه : هو حديث ابن عباس عند ابن أبي الدنيا
 ومن طريق البيهقي في الشعب ولفظه « المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ
 بربه » ﴿ محمول عليه ﴾ خبر المبتدأ أي حمله العلماء على الاستغفار ﴿ بحكم العادة من
 الغفلة ﴾ عن الارادة ﴿ دون الابتهاال ﴾ أي التضرع في الحال ﴿ والصدق في السؤال ﴾ أي
 سؤال المغفرة في الاستقبال ، فهذا حسنة تصاح ان تدفع بها السيئة . وكذا ما نقل عن
 بعضهم انه كان يقول : استغفر الله من قولي استغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة
 الكذابين ، وهو محمول على الاستغفار بمجرد القول من غير أن يكون للقلب فيه شركة العمل .
 وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ، فلا تظن انها تدم حركة
 اللسان من حيث انه ذكر الله بل تدم غفلة القلب ، فهو يحتاج الى استغفار من غفلة جنانه
 لا من حركة لسانه ، فان من سمكت عن الاستغفار باللسان أيضا يحتاج الى استغفار من
 لا الى استغفار واحد : فهكذا ينبغي ان يفهم حمدا ما يحمده وذم ما يذم وهو الاجهلت معنى

قول القائل الصادق : حسنت الابرار سيئات المقربين ، فان هذه امور ثبتت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة ، بل ينبغي ان لا يستحق ذرات الطاعات والسيئات . ولذا قال الامام جعفر الصادق : ان الله تعالى خبياً ثلاثاً في ثلاث : رضاه في طاعته ، فلا تحقروا منها شيئاً فاعل رضاه فيه ، وسخطه في معاصيه ، فلا تحقروا منها شيئاً فاعل غضبه فيه ، وخبياً وليه في عباده فلا تحقروا من عباد الله احداً فاعلمه ولي الله . وزادوا وخبياً اجابته في دعائه واسمائهم ، فلا تتركوا شيئاً منهما فرجماً كانت الاجابة فيه . وقال سهل : لا بد للعبد في كل حال من مولاة . فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شئ بما قدره وقضاه ، فان عصاه قال يارب استر علي ، فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب علي فاذا تاب قال يارب ارزقني العصمة ، واذا عمل الطاعة قال يارب تقبل مني . وسئل ايضاً عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال : اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة . فالاستجابة اعمال الجوارح ، والانابة اعمال القلوب ، والتوبة اقباله على مولاة بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر ، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ، ثم التنقل الى الافراد ، ثم الثبات ، ثم البيان ، ثم القرب . ثم المعرفة ، ثم المناجاة ، ثم المصافاة ، ثم الموالاتة ، ثم محادثة السرو وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غداً والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ، ثم ينظر الله اليه فيرفع الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل عن معنى قوله عليه السلام « التائب حبيب الله » فقال : انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله تعالى (التائبون العابدون) الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه . وفي الاحياء : فايك ان تستحق ذرات الطاعات فلا تأتيتها وذرات المعاصي فلا تتقها كالمراة الحرقاء تسكس عن الغزل تعلمل بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد ، فتقول وأى غنى يحصل في خيط واحد ؟ وما وقع ذلك في الثياب ؟ ولا تدري المعترة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطاً خيطاً ، وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة ، فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلاً ، بل اقول : الاستغفار باللسان ايضاً حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الحالة بغية او فضول كلام ، بل هو خير من السكوت عنه ، فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه ، وأما يكون نقصاناً بالاضافة الى عمل القلب ، ولذا قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي : ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل ، فقال اشكر الله اذا ستمعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ، ولم يستعمله في الشر ولم يعودها الفضول .

وَفِي نَسِيَانِ الذَّنْبِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَهُوَ الْأَوَّلَى لِلْمُبْتَدِءِ تَحَامِيًا عَنْ تَحْرِيكِ الْمِيلِ
وَمَارُوِيٍّ مِنْ كَثْرَةِ نَوْحِ الْمُنتَهِينَ وَبُكَائِهِمْ فَلَا يُقَاسُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحَدَّادِينَ وَأَفْضَلُ
التَّائِبِينَ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى الْمَوْتِ مُبَالِغًا فِي اجْتِنَابِ غَيْرِ الزَّلَّاتِ فَهُوَ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

انتهى . فإياك أن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتعتر رغبتك في العبادات ، فهذه
مكيدة ووجها الشيطان بلعبه على المغرورين ، وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل
اللفظن في الحبايا والسراير ، فإى خير في ذكر اللسان مع غفلة الجنان والله المستعان (وفي)
أى وكذا اختلف في (نسيان الذنب) وذكره (بعد التوبة) ايها اولى ، وانما قيد
بما بعد التوبة فان النسيان قبلها مذهبوم اجما عا قال تعالى : (ونسى ما قدمت يداه) فقال
قوم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك ، وقال آخرون حقيقة التوبة ان تنسى
ذنبك (وهو) أى نسيان الذنب (الاولى للمبتدئ تحاميا عن تحريك الميل) أى
احتراسا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة عن الشهوة عند ذكرها ولان المذنب
اذا نسيه لم يكشر احتراقه ، ولا تقوى ارادته وانبعثه لسلك الطريق لان ذلك يستخرج
منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله ، فهو بالاضافة الى الغافل لئلا ، ولكنه
بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق (وماروى)
مبتدأ أى وما نقل (من كثرة نوح المنتهين) من الانبياء والمرسلين والاولياء
والصالحين (وبكائهم) حال كثرة دعائهم والخير (فلا يقاس) فى سلوك طريق
الدين (الملائكة بالحدادين) فان صدور البكاء واطهار الذنوب بالاستغفار والدعاء
انما كان لتعليم امتهن حتى لا يغفلوا عن حال الجفاء وقت الوفاء . هذا وقد اخرج ابن
المبارك وابن أبى حاتم عن المقبرى ان عيسى بن مريم كان يقول : يا ابن آدم اذا عملت
حسنة فإله عنها فانها عند من لا يضيعها ، واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك (وافضل
التائبين المستقيمين) على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات (الى الموت) أى
انقضاء الحيا من غير نقصان القوت (مبالغا فى اجتناب غير الزلات) التى لا ينفك
البشر عنها فى الحالات بحسب العادات من المعاصى المنهيات ، وانما المبالغة مطلوبة
فى جانب المحظورات لما ورد « اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه » (فهو) أى المستقيم (سابق بالخيرات) وهو مسارع الى المبرات

وَالنَّفْسُ مُطْمَئِنَّةٌ وَيَزَادُ الْفَضْلُ بِطُولِ الْعُمُرِ وَالْمُجَاهِدَةِ فَوَرَدَ «أَفْضَلُ السَّادَاتِ طُولُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ» وَالسَّلَامَةُ بِقُرْبِ الْمَوْتِ ثُمَّ الْمَعَاوِدُ فِي بَعْضِ الذَّنْبِ الْمَجْدُ لِلتَّوْبَةِ مَبَالِغًا وَهُوَ الْمَقْتَنُ التَّوَابُ وَالنَّفْسُ لَوَامَةٌ

• يستبدل لسيئاته بالحسنات . وفي الكلام إيحاء الى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) ﴿ والنفس ﴾ أى نفس هذا التائب الموصوف بهذه الصفات ﴿ مطمئنة ﴾ راضية مرضية في رياض التوبة ، واهل هذه الرتبة يتفاوت حالهم في القوة ، فمنهم من سكنته شهوته تحت قهر المعرفة فقتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك ضراعتها ، ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس ومنعها ولكن تغلب بالمجاهدة وردعها . ومنهم من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثر . ومنهم من يطول عمره ويطول اجتهاده في أمره ، وتكثر حسناته وتستمر استقامته . ومنهم من يقصره عمره فيظفر بالسلامة عن مرارة امره وعن فتوره في الطاعات وقصوره ، وهذا معنى قوله ﴿ ويزداد الفضل ﴾ أى فضل التائب ﴿ بطول العمر ﴾ أى ان طال عمره في مكابدة الطاعة ﴿ والمجاهدة ﴾ مع النفس في العبادة ﴿ فورد افضل السعادات طول العمر في طاعة الله ﴾ أى في العبادات ، والحديث لم يعرفه . وقد ورد « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » رواه الطبرانى وأبو نعيم عن عبد الله بن بسر ﴿ والسلامة ﴾ عطف على الفضل ، أى وتحصل زيادة السلامة عن الوقوع في المعصية والملامة ﴿ بقرب الموت ﴾ وقصر العمر وتتمام الامر ونقصان الاجر وقد طلب بعض الاكابر طول العمر رجاء كثرة العبادة ، وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة ، والتسليم اسلم ، وفي الدعاء المأثور « اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا الى ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا الى واجعل الموت راحة لي من كل شر واجعل الحياة زيادة لي في كل خير » ﴿ ثم المعاوِد ﴾ عطف على المستقيم أى ثم الافضل المعاوِد ﴿ في بعض الذنوب المجدد للتوبة ﴾ رجوعا الى الرب ﴿ مبالغا ﴾ في تجديد التوبة ﴿ وهو ﴾ أى كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة ﴿ المقتن التواب ﴾ أى كثير التوبة والرجعة وعند البيهقي عن علي مرفوعا « خيار لم كل مقتن تواب » ﴿ والنفس ﴾ أى نفس هذا التائب المعاوِد في بعض الذنوب ﴿ لوامة ﴾ تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة التي فيها سلامة وهو المقتصد وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهي اغلب احوال التائبين لان الشر

ثُمَّ التَّائِبُ عَنِ الْبَعْضِ الْمُسَوِّفِ فِي الْآخِرِ الْمُنْتَدِمُ بَعْدَ الْارْتِكَابِ الْقَاصِدُ لِلتَّوْبَةِ
 فَهُوَ الْمُخْلَطُ وَالنَّفْسُ مُسَوَّلَةٌ وَهُوَ عَلَى الْخَطَرِ فِي الْخَاتِمَةِ فَإِنْ مَاتَ تَائِبًا فَازَ وَالْآلِ
 فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِخِلَافِ الْأَوَّلِينَ فَهِيَ فَائِزَانِ، وَأَمَّا الْمُرْتَكِبُ الْمُصْرُ النَّاسِي
 لِلتَّوْبَةِ وَعَزَمَهَا فَهُوَ الْغَافِلُ

معيون في طينة البشر، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يشق ميزانه فترجم
 كفة الحسنات. وأما أن تخلو عنه بالكيفية كفة السيئات فذلك في غاية العبد من حيث
 العادات، فهو لاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال سبحانه (الذين
 يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللغم) أي الصغائر (إن ربك واسع المغفرة)
 وفي الخبر *

ان تغفر اللهم فاعفر جما وأي عبد لك لاألما

وقد قال عز وعلا في مقام المدح والثناء (والذين إذا فعلوا فاحشة وظلموا انفسهم
 ذكروا لله) الآية، فإني عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندوهم وتحسروهم (ثم التائب)
 عطف على المعاوذ والمستقيم أي الانضال بعدهما التائب (عن البعض) أي بعض
 الذنوب (المسوف) أي المؤخر بالتوبة (في الآخر) أي في البعض الآخر من
 الذنوب (المنتدم) أي يظهر الندامة (بعد الارتكاب) أي اكتساب المعصية
 (القاصد) أي النಾಯ (للتوبة فهو المخلط) الداخل فيمن قال الله في حقه
 (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب
 عليهم) وهو ظالم لنفسه (والنفس) أي نفس هذا الغافل (مسولة) أي
 مزيئة للمعصية ومسهلة لتأخير التوبة وقد قال تعالى (أو لك هم الغافلون لاجرم
 انهم في الآخرة هم الخاسرون) فالخسارة مترتبة على الغفلة (وهو على الخطر
 في الخاتمة فان مات تائبا فاز) بالجنة وظفر بالمشوبة (والا) أي وان لم يتب ومات (ففي
 مشيئة الله تعالى) ان شاء عفا عنه باطنه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه (بخلاف
 الاولين) أي صاحب النفس المظمنة وصاحب النفس اللوامة (فهما فائزان) بالجنة
 والسلامة في العاقبة (واما المرتكب) للمعصية (المصر) عليها من غير التوبة (الناسي
 للتوبة) أي التارك لها نفسها (وعزمها) أي والعزم عليها (فهو) الذي اسمه (الغافل)

وَالنَّفْسُ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ يَخْشَى عَلَيْهِ سُوءَ الْخَاتِمَةِ وَيَجُوزُ شَمُولُ الْعَفْوِ إِيَّاهُ كَسَبِيلِ
الْكَنْزِ بِالطَّلَبِ لَكِنَّ التَّوَقُّعَ حَمَاقَةً فُورِدَ (وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

عن نوحكم ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمي « ان الله ملكا ينادى في كل يوم ليلة ابناء الاربعين زرع قد دنأ حصاده ، الحديث وفيه « ليت الخلاق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا الماذا خلقوا افتجاسوا بينهم فيتذأ لروا » الحديث ﴿ والنفس ﴾ أى نفسه ﴿ امارة ﴾ أى كثيرة الامر ﴿ بالسوء ﴾ أى بالمعصية ﴿ يخشى عليه سوء الخاتمة ﴾ من الموت على الفسق او الكفر هنالك نعوذ بالله من ذلك ﴿ ويجوز شمول العفو ﴾ من الله ﴿ اياه ﴾ أى الغافل ولكنه نادر لا يقع فى الاغلب بلا سبب ﴿ كسبيل الكنز ﴾ أى كوصوله للكنز ﴿ بلا طلب وكن يحصل له العلم اللدنى بمجرد الجذب الالهى ﴾ لكن التوقع ﴿ للعفو مع الاصرار على المعصية وعدم اتيان الطاعة ﴾ حماقة ﴿ أى غرور وجهالة ﴾ فورد ﴿ فى التنزيل ﴾ وان ليس للانسان الا ما سعى ﴿ وفق ما قدره الله له وقضى ، فلا بد من فعل الطاعة وترك المعصية او الرجوع عنها بالتوبة ، والافعا قبته خطرة ، فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره فى المشيئة ، فان تداركه الله بالرحمة واتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين ، وأن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه من القول الاول فى قضاء الازل ، لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين ، فيضعف الرجاء فى حقه من ذلك الحين ، واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له فى الازل أن يكون من جملة العالمين ، فكذا ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب ، كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية ، وارتباط حصول فقه النفس الذى تستحق به المناصب العلمية فى الدنيا بترك الكسل فى طلب المراتب العليا والمواظبة على طلب العلم ، فكلما لا يصلح لمنصب الرياسة والتقدم بالعلم فى مقام السياسة الانفس صارت فقيمة بطول التفقه ، فلا يصح لملك الآخرة ونعيمها ولللقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير ، هكذا سبق فى الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال تعالى (ونفس وما سواها فلهما فجرها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب

وَلَا يَتْرُكُهَا لِحُورِ الْعُودِ لِحُورِ الْمَوْتِ قَبْلَهُ وَغَفْرَانَ السَّالِفَةَ فُورِدَ «خِيَارُكُمْ
 الْمُفْتَتِنُ التَّوَابُ» أَي كَثِيرُ الْإِبْتِلَاءِ بِالذَّنْبِ وَكَثِيرُ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَسَبَبُ الْإِسْتِقَامَةِ
 الرِّيَاضَةِ وَالْمُرَابَطَةِ فُورِدَ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

من دساها) فلخافة من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة ما قبله ، اذ يمكن أن يكون
 الموت متصلا به فليراقب الانفاس والاقوع في المحذور ودامت الحسرة الى ان يخرج
 من دار الغرور. فلناس ظلم محرومون العالمون والعالمون كلهم محرومون العالمون
 والعالمون ظلم محرومون الا المخلصون . والمخلصون ظلم على خطر عظيم ﴿ ولا
 يتركها ﴾ أي التوبة ﴿ لحور العود ﴾ أي لخافة الرجعة الى المعصية ﴿ لجواز الموت
 قبله ﴾ أي قبل عوده الى ذنبه ﴿ وغفران السالفة ﴾ أي السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب
 الى ربه . وهذا الترك من خدوع الشيطان ، فانه من اين له هذا العلم ، فعسى أن يموت
 تابعا عن الذنب ويصير حبيبا للرب مع أن الخوف من العود لا ضرر فيه بل فيه منفعة ، فعلى
 العبد العزم والصدق في الجزم ، وعلى الله الاتمام من باب الفضل والاكرم ، فان اتم
 فهو المطلوب الاعلى ، وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الرجح العظيم
 والفائدة الكبرى ، فالعبد من التوبة ابدأ بين احدى الحسينين ﴿ فورد ﴾ عن علي مرفوعا
 ﴿ خياركم المفتتن ﴾ بصيغة المجهول . وفي رواية المفتتن بالادغام ﴿ التواب ﴾ رواه
 البيهقي في شعبه ﴿ أي كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه ﴾ أي طاعة الرب وفي خبر
 آخر المؤمن كالسنبله تقوم احيانا وتميل احيانا ، رواه أبو يعلى وابن حبان من حديث
 انس . وللبيهقي والطبراني من حديث ابن عباس باسناد حسنة « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه
 القيمة بعد القيمة » أي الحين بعد الحين . فالفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخاق عن درجات
 السعادات بما يفتق لهم من العثرات ومقارفة السيئات المحتطقات ، فللمتر مذى والحالم وصححه
 من حديث أنس « كل بنى آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون » وللطبراني والبيهقي
 من حديث جابر « المؤمن واه راقع فسعيدهم من مات على رقعة » أي واه بالمعصية والملامة
 راقع بالتوبة والندامة ﴿ وسبب الاستقامة الرياضة ﴾ وهي تهذيب الاخلاق
 ﴿ والمرابطة ﴾ وهي الاقاة بالمجاهدة والاستدامة ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ يا ايها الذين
 آمنوا اصبروا ﴾ على الطاعات وعن السيئات ، وفي المصيبات ﴿ وصابروا ﴾ أي وغالبوا

وَرَابِطُوا أَي أَنْفُسَكُمْ بِالْمُشَارِطَةِ وَهُوَ وَصِيَّةُ النَّفْسِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ نَحْوُ أَنْ لَا بِضَاعَةَ
لَكَ سِوَى الْعَمْرِ وَالْأَنْفَاسِ مَعْدُودَةٍ وَالْمَاضِي لَا يَعُودُ وَالْوَقْتُ ضَيْقٌ وَالْتِمْنَى غَيْرُ
نَافِعٍ وَتَوْظِيفُ الْعَمَلِ وَشَرْطُ الشُّرُوطِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِالْمُرَاقَبَةِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ
فَالْأَعْلَى أَنْ يَصِيرَ مَغْلُوبًا بِالْإِسْتِغْرَاقِ بِهِ تَعَالَى وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ

الاعداء الظاهرة والباطنة بشدة الصبر ووحدة الامر ﴿ و رابطوا أي أنفسكم بالمشارطة ﴾
أي مع النفس بالمدامه على الطاعة والمواظبة على العبادة في كل يوم وساعة خوفا
عليها من ضياع البضاعة . والتحقيق ان المرابطة ربط النفس على الارتحال والفناء ؛
والقلب على اغتنام العبادات والتأهب ليوم الجزاء ، وهو معنى قوله ﴿ وهو ﴾ أي ربطها
بالمشارطة ثلاثة أشياء : منها ﴿ وصية النفس ﴾ أي وصيتهما ﴿ في أول النهار ﴾ بل في
كل نفس من الاعمار ﴿ نحو ان لا بضاعة لك ﴾ أي ليس لك رأس مال ﴿ سوى العمر ﴾
وهو ايام غير معدودة ﴿ والانفاس ﴾ أي والحال أن انفاسه ﴿ معدودة ﴾ لا تزيد
ولا تنقص ﴿ والماضي لا يعود ﴾ في الوجود ﴿ والوقت ضيق ﴾ في ميدان الشهود ﴿ والتمنى ﴾
بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا ، او تمنى المراتب العلية بدون المكاسب
العلمية والعمالية ﴿ غير نافع ﴾ بعد الورود ﴿ و ﴾ منها ﴿ توظيف العمل ﴾ بان يجعل في
كل وقت عملا ينفعه في العقبى او يعينه على الطاعة في الدنيا ﴿ ومنها ﴾ شرط الشروط
عليه ﴿ أي على نفسه فحذف لفظ النفس فاتي الجار على ضميره فصار عليه ، ولا يبعد
أن يكون الضمير راجعا الى العمل ، والمعنى يقول لها : ان كذبت فعليك صوم
ثلاثة ايام ، وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوهما ﴿ ثم ﴾ المرابطة ﴿ بالمرابطة ﴾
وهي مشاهدة كونه سبحانه رقيبا بحاله عالما بفعاله ﴿ في الحركات والسكنات ﴾ فلا يتحرك
ولا يسكن الا بما يرضاه الحق في تلك الساعات من العبادات والطاعات ﴿ فالاعلى ﴾ أي
اعلى انواع المراقبة ﴿ ان يصير ﴾ العبد ﴿ مغلوبا بالاستغراق به ﴾ من ذكره وفكره
﴿ تعالى وعدم الالتفات الى ما سواه ﴾ أي سوى الله وما عداه ، وهذا مراقبة المقرين
من الصديقين ، وهو مراقبة التتظيم والاجلال ، بان يصير القلب في جميع الاحوال مستغرقا
بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه الكمال ، ومنكسرا
تحت الهيبة والعظمة في المشاهدة ، فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج

ثُمَّ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ الشَّرْعِ فَيَنْظُرُ قَبْلَ الْعَمَلِ فِي أَوَّلِ خَاطِرٍ فَيَتِمُّ مَا هُوَ لَهُ
تَعَالَى وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ وَيَنْظُرُ عِنْدَهُ فِي الطَّاعَةِ يَخْلُصُ النِّيَّةَ وَيُرَاعِي الْأَدَبَ وَفِي
الْمَعْصِيَةِ يَسْتَحْيِي وَيَتُوبُ وَيُكْفِرُ وَفِي الْمُبَاحِ يُرَاعِي النِّيَّاتِ وَالْأَدَابَ ثُمَّ بِالْمُحَاسَبَةِ
فِي آخِرِ النَّهَارِ وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ الْعَمَلِ فَوَرَدَ «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا» لِلْعَاقِلِ
أَرْبَعُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا ثُمَّ بِالْمُعَاقَبَةِ فَبِالْجُوعِ أَنْ أَكَلَ حَرَامًا وَالسَّهْرِ

الى المجاهدة، وهذا الذى صار همه واحدا وكفاه الله سائر همومه أبدا، ومن نال هذه
الدرجة مع الحق فقد غفل عن مراقبة الخلق، فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه،
ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا يصم في أذنيه ﴿ثم﴾ (الاعلى من انواع المراقبة) ان يكون
تحت حكم الشرع ﴿خارجا عن تحكّم الهوى والطبع، وهذه مراقبة الورع-ين من
اصحاب اليمين﴾ (فينظر) ﴿ويتأمل ويتفكر﴾ (قبل العمل فى اول خاطر) ﴿يخطر﴾ (فيتم
ما هو له تعالى) ﴿وفيه رضاه﴾ (ويترك ما سواه، وينظر) ﴿أيضا﴾ (عنده) (أى عند الشروع
فى العمل طاعة او غيرها) ﴿فقى الطاعة يخلص النية﴾ (ويصفى الطوية بان يجعلها لله تعالى
من غير الرياء والسمعة، ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد «الاحسان ان تعبد الله
كأنك تراه» ﴿ويراعى الادب﴾ فى حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط فى بساط
الانبساط) ﴿وفى المعصية يستحى﴾ من الرب ﴿ويتوب﴾ من الذنب ﴿ويكفر﴾
بما يناسبه ان صدرت عنه ﴿وفى المباح يراعى النيات﴾ فان المباحات بتحسين النيات تصير
عبادات ﴿والآداب﴾ بان لا يتجاوز عن الضرورات ﴿ثم﴾ مرابطة النفس ﴿بالمحاسبة فى
آخر النهار﴾ اوفى آخر كل نفس وساعة ﴿وهو النظر بعد العمل﴾ من الحسنات والسيئات
﴿فورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا﴾ وهو اثر عن عمر كاتقدم وقد قال تعالى (يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله واتنظروا نفس ما قدمت لاعدوا اتقوا الله) ﴿للعاقل اربع ساعات ساعة
يحاسب نفسه فيها﴾ أى وساعة يناجى فيها ربه، وساعة يفضى فيها الى بعض اخوانه
الذين يبصرونه بعيوبه، وساعة يخلو فيها بينه وبين شهودته وقد تقدم ﴿ثم﴾ مرابطة
النفس ﴿بالمعاقبة﴾ لها ﴿فبالجوع﴾ يعاقبها ﴿ان اكل حراما والسهر﴾ أى ويعاقبها

ان نظراً حراماً ونحوه فلو ساهل سهل عليه الرجوع ثم بالمجاهدة باداء الورد عند
 استئصال النفس بل بالزيادة كاحياء ليلة عند التواني عن حفظ جماعة أو أداء نافلة . ثم
 بالمعاقبة بمثل يانفس الا تستحين منه تعالى الك طاقة بعذابه الاليم والكل ماثور
 والأصل الاستعانة به تعالى متضرعاً بين يديه تعالى متبرئاً عن الحول والقوة ،
 قيل من جاهد سبع مرات لا يبتلى ثامنة وقيل من استقام سبع سنين لا يعود

بالسهر (ان نظر حراماً ونحوه) بان رقد عن التهجد (فلو ساهل) التائب في هذه
 المعاقبة (سهل عليه الرجوع) اى المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة ، فقد
 عاقب عمر رضى الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض
 كانت له قيمتها مائتا الف درهم ، وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة احيا تلك الليلة
 وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع لوكبان فاعتق رقبتين (ثم) المرابطة (بالمجاهدة)
 وهى مخالفة النفس (باداء الورد) من أنواع الطاعات والعبادات (عند استئصال
 النفس) عن بعض الأمور (بل بالزيادة) على المواظفات (كاحياء ليلة) في عبادة
 (عند التواني) اى التساهل والتكاسل (عن حفظ جماعة) كان يحفظها (أو أداء
 نافلة) كان يفعلها (ثم) المرابطة (بالمعاقبة بمثل يانفس) بالضم او بالكسر اى
 يانفسى (الاستحين منه تعالى) في ترك طاعته او فعل معصيته (الك طاقة بعذابه
 الاليم) المؤلم من نار الجحيم ومن ماء الحميم (والكل) اى جميع ما ذكر من
 انواع المرابطات (ماثور) عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس ، والرياضات
 في مقام الطاعات (والأصل) المتعبر في تحصيل الاستقامة (الاستعانة به تعالى)
 والاستعانة بكرمه سبحانه (متضرعاً بين يديه تعالى) اى حال عبادته وطاعته (متبرئاً عن
 الحول والقوة) من جهة ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى (اياك
 نعبد و اياك نستعين) فايك نعبد تفرقة و اياك نستعين جمع وفي الجملة الأولى رد على
 الجبرية وفى الثانية على القدرية (قيل) اى في باب الاستقامة (من جاهد) في ترك المعصية
 (سبع مرات لا يبتلى) بالذنب (ثامنة) أى مرة ثامنة ، وبه تحصل الاستدامة
 (وقيل من استقام) على التوبة (سبع سنين لا يعود) الى المعصية في جميع عمره

ثُمَّ التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فُورِدَ (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ)
 وَالْإِنَابَةُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَهِيَ لِلْمُقْرَبِينَ فُورِدَ (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) وَالْإِوَابَةُ مِنْ رُؤْيَةِ
 التَّقْصِيرِ وَهِيَ لِلْمُرْسَلِينَ فُورِدَ (نَعَمْ الْعَبْدُ أَنَّهُ أَوْابٌ) ثُمَّ التَّقْوَى أَعْمٌ مِنْهَا فَالْمَمْتَنِعُ
 عَنْ ذَنْبٍ لَمْ يَرْتَكِبْهُ قَبْلَ مَتَّقٍ لَا تَأْتِبُ *

وهو قول فرقد السنجى (ثم التوبة) في عرف المحققين (من الذنب وهي للمؤمنين) خاصة حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أو عامة ﴿فُورِدَ﴾ في التنزيل (توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) لعلمكم فتلاحون ﴿والإناية من الغفلة﴾ إلى الحضور ﴿وهي للمقربين فورد﴾ في التنزيل (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ومنه قوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من يذنب) وقوله خرد الراعي وأواب ﴿والإوابة من رؤية التقصير﴾ في الطاعة ﴿وهي للمرسلين فورد﴾ في التنزيل (ووهبنا لداود سليمان) ﴿نعم العبد انه اواب﴾ وكذا في حق أيوب (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) وقد يستعمل في حق المؤمنين المقربين كقوله تعالى (ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا) ﴿ثم التقوى اعم منها﴾ أي من التوبة وهي اخص من التقوى فكل تائب متق وليس كل متق تائبا ﴿فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل﴾ أي قبل وقته ﴿متق لا تائب﴾ والممتنع بعد ارتكابه تائب ومتق، اما لونه تائبا فظاهره، واما كونه متقيا فلانه لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح ان يقال للنبي انه متق ولا يجوز ان يقال انه تائب. والله سبحانه اعلم. وأما ما في الاحياء من انه يجب على كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد ان يعلم اهله دينهم، ويميز ما يضرهم عما ينفعهم، وما يشغلهم عما يسعدهم ولا يذبحي ان يصبر الى ان يسأل عنه، بل يذبحي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه، فان العلماء ورثة الانبياء و الانبياء ماتركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلعون واحدا بعد واحد فيرشدونهم، فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره. وهذا فرض عين على العلماء كافة ففيه ان هذا غير معروف في الكتاب والسنة انه فرض عين

بل ولا فرض كفاية وإنما الواجب على العلماء ان لا يكتموا العلم ويبيئوه لاهله
 وعلى الجهال ان يسألوهم كما قال تعالى (فاستلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقال
 (واخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب) لتبينته للناس ولانكتمونه واما معنى قوله
 عليه السلام « العلماء ورثة الانبياء » فهو انهم لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا
 العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون في مراتب الوراثة كتفاوت مناصب
 العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة . هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء
 في زماننا صاروا مرضى بالداء الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم
 الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ، ومع هذا غلب عليهم الرجاء وهى الدهياء المعضلة
 والعلماء العالمون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء
 فنسأل الله الهداية من الابتداء الى الانتهاء ❀

ثم اعلم ان من ابتلى بحب الدنيا فداؤه عضال ليس له دواء ، وقد قال رجل لمحمد بن
 واسع اوصنى ، فقال انا اوصيك بان تكون ملكا فى الدنيا والآخرة ، فقال : كيف
 لى بذلك ؟ فقال الزم الزهد فى الدنيا ، وكتب معاوية الى عائشة بالسلام ان اكتبى لى
 كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك ، اما
 بعد فانى سمعت رسول الله عليه السلام يقول ، من التمس رضى الناس بسخط الله وطلبه
 الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، والسلام
 عليك . والحديث رواه الترمذى والحارم ، وكتبت اليه مرة اخرى : أما بعد فاتق
 الله فانك ان اتقيت الله كفئك الناس ، وان اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله
 شيئا والسلام . وهو مقبوس من قوله تعالى (ولقد وصينا الذين اتوا
 الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) ومن قوله سبحانه (انهم لم يغنوا
 عنك من الله شيئا) وقال لقمن لابنه . يا بنى زاحم العلماء بركبتك ولا تجادلهم فيمقتوك ،
 وخذ من الدنيا بلاغك ، وانفق فضولك سببك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض
 فتكون عيالا ، وعلى اعناق الرجال كلا ، وصم صوما تكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر
 بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم . وقال أيضا يا بنى لاتضحك من غير عجب . ولا
 تمش فى غير ارب ، ولا تسأل عما لا يعنيتك ؛ ولا تضيع مالك . وتصلح مال غيرك فان
 مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما خلفت . يا بنى من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ومن
 يفعل الخير يغنم ، ومن يفعل الشر يأتهم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصنى ،
 فقال : كل ما لوجاءك الموت عليه فرأيته غنمة فالزمه ، وكل ما لوجاءك الموت عليه فرأيته مصيبة

﴿الباب السابع عشر في الصبر والرضاء والشكر﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الصَّبْرُ ثَبَاتٌ بَاعَثَ الدِّينَ فِي مَقَابِلَةِ بَاعَثَ الْهُوَى

فاجتنبه. وقال رجل لحامد اللقاف . او صني ، فقال : اجعل لديك غلافاً كغلاف المصحف
لثلاث تدنسه الآفات . قال : وما غلاف الدين ؟ قال : ترك طلب الدنيا الى ما لا بد منه ، وترك
كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه ، وكتب الحسن الى عمر
ابن عبد العزيز . اما بعد نخف ما خوفك الله ، واحذر ما حذرك الله وخذ ما في يديك لما
بين يديك ، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام ، وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز : اما بعد فان الدنيا دار ذقوبة ، ولها يجمع من لا عقل له ، وبها يغتر من لا علم
عنده ، فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف
من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة : اما بعد فان الدنيا عدوة
اولياء الله تعالى وعدوة اعداء الله ، اما اولياء الله فغمتمهم ، واما اعداؤه فغرتهم . ومجمل
الكلام في هذا المقام من المرام أن من اعطى قلبه حسن الاصغاء ، واستشعر الخوف
واقبى ، وانتظر المثوبة الاسنى ، وصدق بالحسنى ، فسييسره الله تعالى للطريقة اليسرى ،
وامان بن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ، ثم لا يغنى عنه ما اشتغل
به من ملاذ الدنيا مهما هلك فتردى ، وما على الانبياء الا شرح طريق الهدى ، وانما
لله الآخرة والاولى .

﴿الباب السابع عشر في الصبر والرضاء والشكر﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الذى نستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على ثلاثة
وابتلائه ، والرضاء بحكمه وقضائه ، والشكر على نعمائه وآلائه . وقد اجتمع الثلاثة
في حديث عطاء عن ابن عباس « لما دخل عليه السلام على الانصار فقال امؤمنون انتم؟
فسكتوا ، فقال عمر نعم يا رسول الله ، قال وما علامه ايمانكم؟ فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر
على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال عليه السلام : مؤمنون ورب الكعبة » رواه الطبرانى
في الاوسط ﴿الصبر﴾ وهو حبس النفس عن الامر ﴿ثبات باعث الدين﴾ من قصد
الامتثال ، ثم خوف النار ، ثم طمع الجنة ، ثم رجاء اللقاء ، وهذا كله طريق أهل الهدى وهو
اسم لجميع ما يقرب العبد الى المولى ﴿فى مقابلة باعث الهوى﴾ من الاغراض الفاسدة
والاعراض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد

فَأَمَّا بِالْجَسْمِ عَنِ الشَّقِّ كَالْعِبَادَةِ أَوْ عَنِ الْمَصَائِبِ وَأَمَّا بِالنَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ فَعَنِ
الشَّهَوَاتَيْنِ عَقَّةً وَعَنِ احْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ صَبْرٌ مُطْلَقًا

هو نفس والطبع، وقيل الصبر على ثلاثة أنواع صبر العوام وهو صبر النفس على ما تكره، وصبر الخواص وهو تجرّع المرات من غير تعبس، وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالآلاء فانه علامة اهل الولاء من الانبياء والاولياء، وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب في الثبات على الولاء وتلقى مرأقضيته بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة، وينقسم اقساما صبر لله وهو الثبات على اداء اوامره واتهاء زواجره، وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه من سرائه وضرائه، وصبر على الله وهو الركون الى وعده في كل شيء من أمره حلوه ومره وصبر عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذموم كما قيل *

الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه مذموم

أى الاعنك وقد يحمد اذا وصل الى مقام الرضاء في جميع ابواب القضاء كما قيل

اريد وصاله ويريد هجرى فترك ما اريد لما يريد

وقال الجنيد: المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب

الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد وحكى عن بعض العارفين أنه سئل الشبلى عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله فقال لا قال الصبر لله قال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فإى شيء، قال الصبر عن الله قال نصرخ الشبلى صرخة، كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى (اصبروا وصابروا ورابطوا) اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله تقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء * وانشد

الصبر عنك مذموم عواقبه والصبر فى سائر الاشياء محمود

﴿ قاما ﴾ أن يكون الصبر ﴿ بالجسم عن ﴾ الامر ﴿ الشاق ﴾ على البدن ﴿ كالعبادة او عن المصائب ﴾ البدنية ﴿ وأما ﴾ أن يكون الصبر ﴿ بالنفس ﴾ طلبا للتوابع أو هربا من العقاب ﴿ عن الشهوة ﴾ أى شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما ﴿ فعن الشهواتين ﴾ المذكورتين يقال له ﴿ عقة ﴾ وعن احتمال المكروه ﴿ بموت الاقارب ونحوه يقال له ﴾ صبر مطلقا ﴿ أى وهو الفرد الكامل فى هذا الباب كما اطلق

وَصِدَّ الصَّبْرُ الْجَزْعَ وَالْهَلْعَ وَفِي الْغَنِيِّ ضَبْطُ النَّفْسِ وَضِدَّهُ الْبَطْرُ وَفِي الْحَرْبِ
 شَجَاعَةٌ وَضِدَّهُ الْجُبْنُ وَفِي كَبْظِمِ الْغَيْظِ حِلْمٌ وَضِدَّهُ التَّهَوُّرُ وَفِي نَوَائِبِ الزَّمَانِ سَعَةٌ
 الصَّدْرِ وَضِدَّهُ ضَيْقُهُ وَالتَّضَجُّرُ وَالتَّبْرُمُ وَفِي اخْفَاءِ الْأَمْرِ كِتْمَانٌ وَضِدَّهُ الْأَظْهَارُ
 وَفِي فُضُولِ الْعَيْشِ زُهْدٌ وَضِدَّهُ الْحِرْصُ وَفِي الْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

في نزل الكتاب (وبشر الصابرين) الآية فاقصر حيثنذ على اسم الصبر بلا اختلاف اسم
 خاص ((وضد)) أى تقيض ((الصبر الجزع)) وهو محركة الجزع ((والهلع))
 بفتحيتين الحش الجزع كرفع الصوت بالبكاء وضرب الحدود وشق الجيوب ونحوها
 ومنه قوله تعالى (أن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
 منوعا) وظاهر الآية أن الهلع ضد الجزع والمنع كلاهما ((وفي الغنى)) أى ويقال
 فى احتمال الغنى وتحمله من البلوى ((ضبط النفس)) تحت الشرع والعقل
 والهدى وحفظها عن متابعة الطبع والهوى ((وضده البطر)) يفتحيتين وهو الطغيان
 بالنعمة ومنه قوله تعالى (كلان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ((وفي الحرب)) أى
 والصبر فى مواطن الحرب يقال له ((شجاعة)) وهى قوة القلب وثباته فى المقاتلة ((وضده
 الجبن)) وهو ضعف القلب وخوفه من رؤية العدو فى المعركة حين المقاتلة ((وفى كظم
 الغيظ)) أى تحمل الغضب ((حلم)) وعفو ((وضده التهور)) صوابه ما فى الاحياء
 من جعل ضده سفها وأما التهور فهو التجاوز عما يقتضيه العقل فى الشجاعة وهو مذموم
 فى الشريعة قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهاكة) فان الخلق الحسن هو المتوسط
 بين طرفى الافراط والنفريط (والتدمر) وهو المترتب على التهور هو قبول الدمار
 وهو الاهلاك كالتدمير ومنه قوله تعالى عز وجل تدمر كل شىء بامر ربها ((وفى نوائب
 الزمان)) أى حوادث الدهر وآفات الدوران ((سعة الصدر)) وهو كناية عن ذال
 التجميل فى الامر ويقال له شرح الصدر ومنه قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك)
 ((وضده ضيقه)) أى ضيق الصدر ومنه قوله تعالى (ولا تلك فى ضيق بما يمكرون) قرئ
 بالتخفيف والتشديد (والتضجر والتبرم) فالثلاثة الفاظ مترادفة ومتقاربة ((وفى اخفاء
 الامر كتمان وضده الاظهار)) والافشاء ((وفى فضول العيش زهد)) وهو عدم الرغبة
 وقلة المحبة ((وضده الحرص)) على الزيادة ((وفى اليسير من الدنيا)) أى فى القليل من فضول

قِنَاعَةٌ وَضِدَّهُ الشَّرُّ وَوَرَدَ (أَيْ يُوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الْإِيمَانُ هُوَ الصَّبْرُ وَهُوَ لِدُخُولِ أَكْثَرِ أَخْلَاقِهِ فِيهِ الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَهُوَ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْمَعَارِفِ

الدنيا (قِنَاعَةٌ وَضِدَّهُ الشَّرُّ) بفتحين وهو الحرص على طلب الكثير (وورد) في التنزيل (أَيْ يُوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون، وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العبدان ونعم العلاوة للصابرين يعنى بالعدين الصلوة والرحمة وبالعلوة الهدى والعلوة ما يحمل فوق العدين على البعير، وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الا شعرى عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبر ان أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله وكان حبيب بن أبي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد أنه اربا بكي وقال واعجابه اعطى واثنى أى هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه كما يشير اليه قوله تعالى (وأصبر وما صبرك الا بالله) (الايان) أى معظم خصال أهل الايمان (هو الصبر) لم اعرفه وفي رواية الديلمي عن أنس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وزاد البيهقي عن علي موقوفا ولا جسد لمن لا رأس له والايان لمن لا صبر له (وهو) أى كون الايمان هو الصبر (لدخول اكثر اخلاقه) أى اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الجزع في المصيبة (فيه) أى في الصبر وللاكثر حكم الكل أمر مقرر، وقد جمع الله سبحانه اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال والصابرين في البأساء أى المصيبة والضراء أى الفاقة وحين البأس أى المحاربة (الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود. ولديلمي والبيهقي في الشعب عن انس «الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر» وفي النهاية اراد بالصبر الورع لان العبادة قسيان: نسك وورع، فالنسك ما امرت به الشريعة، والورع ما نهت عنه. انتهى، والحديث مقتبس من قوله تعالى (أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن. وفي تقديم الصبر على الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم، وأنه افضل كما تقدم والله أعلم (وهو) أى وكون الصبر نصف الايمان (لاطلاقة) أى الايمان (على المعارف) اليقينية من الاعتقادات

وَالْأَعْمَالُ وَلَا تَمَّ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِبَيِّنَاتٍ بَاعَتْ الدِّينَ فَهُوَ نَصْفُ الْإِيْمَانِ وَلَا طَّلَاقَهُ
عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُثْمِرَةِ لِلْأَعْمَالِ وَإِنَّ مَا أَصَابَ أَمَّا نَافِعٌ وَأَمَّا ضَارٌّ وَفِيهِمَا الشُّكْرُ
وَالصَّبْرُ فَهُمَا نَصْفَانِ وَلَا بُدَّ مِنْهُ لَابْتِنَاءِ الْعِبَادَةِ عَلَيْهِ فَالدُّخُولُ فِيهَا لِقَمْعِ النَّفْسِ
وَالْإِتْمَامِ أَشَدُّ وَلِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَحْنَةٍ وَالْجَزَعُ شَاغِلٌ وَلِأَنَّ طَلَبَ الْآخِرَةِ أَشَدُّ ابْتِلَاءً
فَوَرَدَ «أَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءِ»

(والاعمال) الصالحات من العبادات (ولا تتم الاعمال) للمجتهدين (الاثبات
باعث الدين) من الهدى في مقابلة باعث الهوى (فهو) أى الصير (نصف الايمان)
بهذا الاعتبار ، والترتيب بين النصف الاول والثانى وفق اقتضاء الشرع والطبع
(و) أيضا (لاطلاقه) أى الايمان (على الاحوال) من استيلاء تلك المعارف وهى
الرضا والهبة والانس والشوق (المثمرة للاعمال) لاعلى المعارف والعوارف من
مقامات الرجال . وفى الاحياء : أن جميع مقامات الدين ومنازل السالكين انما ينتظم من
ثلاثة أمور : معارف ، احوال واعمال ، فالمعارف هى الاصول فهى تورث الاحوال ،
والاحوال تثمر الاعمال ، فالمعارف كالاشجار ، والاحوال كالاعصان ، والاعمال كالثمار
(وأن ما) أى لاجل أن ما (أصاب) السالك من النعم الدنيوية (أمانافع) فى الدنيا
والآخرة كالطاعات والمباحات (واما ضار) فيها كالمصائب والسيئات (وفيهما) أى
النافع والضار (الشكر) للعبد بالاضافة الى ما ينفعه (والصبر) بالنسبة الى ما يضره
وهما لا يحصلان الا بتلك الاحوال (فهما نصفان) لتلك الاحوال باعتبار ما ذكر
من الاقوال (ولا بد) للعبد (منه) أى من الصبر (لابتناء العباداة) من الصلاة والصوم
وسائر اسباب السعادة (عليه) أى على الصبر (فالدخول فيها) أى فى العباداة (لقمع
النفس) لتكميلها ونفعها (والاتمام) أى اتمام العباداة بعد الدخول فيها (أشد)
من دخولها فى باب الارادة والقمع والاتمام انما يتأتى بالصبر فى المقام (ولان الدنيا
دار محنة) فمن كان فى الدنيا فلا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها والصبر على
جميع مراتبها لتحصل العباداة ومناقبها (والجزع شاغل) عن العباداة التى هى غاية
المنحة (ولان طلب الآخرة أشد ابتلاء فورد : أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء)

ثم الأمثل فالأمثل وهو عن الحرام واجب وعن المكروه نفل ثم هو في النعم
الدينيّة بترك الميل ورعاية حقه تعالى وهو الشكر

ثم الأمثل كالعلماء (فالأمثل) كالصالحاء واهل الترمذى وقال: حسن صحيح وصححه
ابن حبان والحاكم ، لكنه بدون لفظ الاولياء . وقد قسم عليه السلام مرة مالا فقال
بعض الاعراب من المسلمين : هذه قسمة ما اريد بها وجه الله ، فاخبر به عليه السلام
فاحمرت وجنتاه ثم قال عليه السلام « رحم الله أخى موسى قداوذى باكثر من هذا فصبر ،
متفق عليه من حديث ابن مسعود وقال عليه السلام « صل من قطعك وأعط من حرمك
واعف عن ظلمك » وقد تقدم . وقال عيسى عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل - يعنى فى التوراة -
ان السن بالسن والعين بالعين والانف بالانف ، وانا اقول لكم : لا تقاوا والشر بالشر ،
بل من ضرب خدك الايسر فحول له خدك الايمن . ومن اخذ رداك فاعطه ازارك
ومن سخر لك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين . انتهى . ولا يخفى أن عيسى عليه السلام كان
مظهرا للجمال ، كما أن موسى عليه السلام كان مظهر للجلال ، ونبينا ﷺ
كان مظهرا للكمال المتضمن للجلال والجمال ، باحكامه فى غاية الاعتدال ، والله سبحانه
أعلم بمقتائق الاحوال (وهو) أى الصبر (عن الحرام واجب) أى فرض لازم
(وعن المكروه) أى كراهة تنزيه (نفل) بل مستحب ، أما عن المكروه كراهة تحريم
فواجب ، وعن فضول المباح زيادة فضيلة وحزم . وفى الاحياء ان الصبر ينقسم أيضا
باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم ، فالصبر عن المحظورات فرض ، وعن المكاره
نفل ، والصبر على الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يولدده وهو يصبر عليه ساكتا
وكن يقصد حريمه بشهوة محظورة فيهبج غيرته فيصبر على اظهار الغيرة ويسكت على
ما يجرى على اهله فهذا الصبر محرم ، والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة
مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر الذى هو نصف الايمان ، ولا ينبغي ان يخيل
اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع مخصوصة (ثم هو) أى الصبر (فى النعم
الدينيّة) انما يحصل (بترك الميل) الها ويعرف بترك ارتكاب المحرم والمكروه
فى تحصيلها (ورعاية حقه تعالى) فيها لصرها الى طاعته وعبادته (وهو الشكر)
أى من وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل :

ثم اعلم ان جميع ما يلحق العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق
هواه والاخر مالا يوافق بل يكرهه ، وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد

وَفِي الطَّاعَةِ بَصَوْنِ النِّيَّةِ وَالْإِدَاءِ وَالثَّوَابِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّكَاسُلِ وَالْإِفْشَاءِ وَنَحْوَهَا
وَفِي الْمَعْصِيَةِ بِالرِّيَاضَةِ وَفِي مُصِيبَةٍ مُمَكِّنِ الْمَجَازَةِ بِالتَّحْمَلِ بِتَرْكِ الْمُكَافَاةِ قَوْلًا وَفِعْلًا

منهما والنوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال
والجاه وكثرة العشرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصرار وجميع
ملاذ الدنيا ، وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور ، فانه ان لم يضبط نفسه
عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجته ذلك
الى البطر والطغيان ، ويجري انه الى أنواع من العصيان فما قال تعالى (كلا ان الانسان
ليطغى أن رآه استغنى) وقال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية
لا يصبر عليها الاصدىق . ولما فتحت أموال الدنيا على الصحابة قالوا : ابتلينا بفتنة
الضراء فصبرنا ؛ وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، وقال عليه السلام « الولد لمبخلة مجبنة
محنة » رواه أبو يعلى الموصلى من حديث أبي سعيد ، ولا صحاب السنن من حديث
بريدة باسناد حسن أنه عليه السلام لما نظر الى ابنة الحسن والحسين يتعثر في قبضه
نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال . صدق الله (انما اموالكم واولادكم فتنة) أى لما
رأيت ابني يتعثر لم املك نفسى أن اخذته « ففى ذلك عبرة لاولى الابصار » (و) الصبر
(فى الطاعة) أى العبادة (بصون النية) أى بحفظها عن السمعة والرياء فى حال
الابتداء (والاداء) أى وبصون اداء العمل عن غير الاخلاص أو عن الغفلة
ودواعى الفترة فى الاثام (والثواب) أى وبصونه عن الافشاء حال الانتهاء
فالثلاثة مذكورة بطريق اللف ، ومقابلاتها مسطورة على وجه النشر حيث قال
(عن الرياء) رفى معناه السمعة ولوفى الخلاء (والتكاسل) أى وعن التشاغل فى الاعضاء
(والافشاء) بالاملاء فى الملاء (ونحوها) من العجب والغرور والندامة عن الطاعة ،
ورؤية الحول والقوة ، والامن من مكر الله ، واستدراجه وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد
بقوله تعالى (نعم أجر العاملين الذين صبروا) أى على تصحيح النية وعلى اتمام العمل
واخلاصه عن الآفات (و) الصبر (فى المعصية) المبتلى بها (بالرياضة) أى برياضة
النفس عن مخالفة هواها (و) الصبر (فى مصيبة) من شأنها أنها (يمكن المجازاة) أى يمكن
فيها المكافاة (بالتحمل) أى الحلم والعفو (بترك المكافاة) أى المجازاة ولو بالمائة
فى المعاقبة (قولاً) كمن سبه (وفعلاً) كمن ضربه ، ومنه قوله تعالى (وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

وَفِي غَيْرِهَا بَتَرَكَ الْجَزَعَ وَالشَّكَايَةَ وَاسْتَمَرَّ ارِ الْعَادَةَ فِي الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ أَمَا التَّأَلُّمُ
وَجَرِيَانُ الدَّمْعِ فَلَا يَنَافِيهِ لِعَدَمِ الدُّخُولِ تَحْتَ الْاِخْتِيَارِ وَالسَّكَّالُ تَرَكُ مَا يَشْغُلُ عَنْهُ
تَعَالَى وَجَاءَ الصَّبْرُ عَلَى الْفَرَائِضِ ثَلَاثًا مِائَةً دَرَجَةً وَعَنْ

واصلح فاجره على الله) وقد قال بعض الصحابة : ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم
يصبر على الاذى . وقال تعالى حكاية عن الانبياء (وانصبرن على ما آذيتمون) وقال تعالى
(ودع اذاهم وتوكل على الله) وقال (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)
وقال (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) وقال (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشرکوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)
(وفي غيرها) اى وفي مصيبة غير ممكن المجازاة (بترك الجزع) والفرع (والشكاية)
الى الخالق (واستمرار العادة) اى وباستقرارها على حالها (فى الطعام واللباس) وكذا
الكلام مع الناس وقد قيل : ان الصبر هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبهه غيره .
وقال داود عليه السلام . ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه
ان البسه لباس الايمان فلا انزع عنه أبدا ، وقال نبينا عليه السلام من اجل الله ومعرفة
حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك . ذكره فى الاحياء وقال مخزجه لم أجده مرفوعا
واما رواه ابن ابي الدنيا . زرواية سفيان عن بعض الفقهاء ، قال من الصبر ان لا تحدث
بمصيبتك ولا بوجعك انتهى . وقد قيل من كنوز البر كتبان المصائب والواجع والصدقة ،
وفى الاثر « ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات ، فاذا جرى الصبر ثلاثة الطاعة
والمعصية والالية من جهة الخالق او الخالق (اما التألم) اى الحزن للقلب (وجريان الدمع)
من العين (فلا ينافيه) اى الصبر (لعدم الدخول تحت الاختيار) بل هما مستحيان لما
ورد عن سيد الابرار انه بكى عند موت ولده وقال « القلب يحزن والعين تدمع وأنا على
فراقك يا ابراهيم لمحزونون » رواه الشيخان من حديث أنس (والسكالك) اى كمال الصبر
(ترك ما يشغل عنه) اى عن الله (تعالى) من أمور الدنيا فمن غفل عن الله ولو فى
لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى (ومزيعش عن ذكر الرحمن)
الآية ، وعن الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصاب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو ؟
قال : هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك (وجاء) فى الاثر عن ابن عباس (الصبر على
الفرائض) اى اداؤها (ثلاثا مائة درجة) اى بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل (وعن

المحارم ستمائة وفي المصيبة عند الصدمة الأولى تسعمائة والطريق تضعيف باعث
الهوى بالرياسة

المحارم ستمائة) لانه اصعب على النفس ، فاز في فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على
لذة ترك المعصية (وفي المصيبة عند الصدمة الاولى) أى فورتها وشدتها وحدتها
(تسعمائة) لانه اقوى واشق على النفس ، فلا بن أب الدنيا في كتاب محاسبة النفس
عن عمر بن عبد العزيز « أفضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس » والحديث الذى
في المتن رواه ابن أبى الدنيا فى الصبر وأبو الشيخ فى الثواب عن على مرفوعا بلفظ
« الصبر ثلاثة . فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية فمن صبر
على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين
كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين
الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى الارضين ، ومن صبر عن المعصية كتب
الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش »
فالحديث يدل على أن الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ما سبق من اثر عمر
رضى الله عنه حيث قال الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله وأما
« الصبر عند الصدمة الاولى » فحديث رواه البزار وأبو يعلى عن أبى هريرة مرفوعا
وفى رواية البزار عن ابن عباس الصبر عند اول صدمة وفى رواية البخارى فى تاريخه عن
أنس « الصابر الصابر عند الصدمة الاولى » (والطريق) فى تحصيل الصبر بعد التوفيق منها
ثلاثة) تضعيف باعث الهوى) أى تقليله) بالرياسة) الكثيرة بان يقول داعى الهدى
ويقهر داعى الهوى فلا يبقى لها قوة المنازعة فى الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة . وعند
هذا يقال : من صبر ظفر . والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون بلا جرم هم الصديقون
والمقربون (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهؤلاء هم الطريق المستقيم واستموا
على الصراط القويم . وأما من يغلب عليه دواعى الهوى ويضعف عنده بواعث
الهدى فهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون ، وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت
عليهم شدة وهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخرست صفقتهم واربحت
تجارتهم ، وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهى غاية الحق كما
قال عليه السلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه
هوها وتمنى على الله تعالى » وفى رواية « والعاجز » بدل الاحق كما رواه أحمد والترمذى

وَذَكَرُ قَلَّةَ قَدْرِ الشُّدَّةِ وَوَقْتَهَا وَأَضْرَارَ الْجَزَعِ وَتَقْوِيَةَ بَاعِثِ الدِّينِ بِذِكْرِ فَضَائِلِ
الْمُجَاهِدَةِ ثُمَّ أَنْ كَانَ يَتَعَبُّ قَوِيًّا فَتَصْبِرُ وَأَنْ

وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس . ومعنى دان نفسه حاسمها قاله الترمذى وغيره
من العلماء . واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعى الهوى اخرى فهذا من
المجاهدين الذين قيل فيهم (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) واما التار كون للمجاهدة
فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى (ذرهم يأطوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون) وقال بعض الشعراء :

دع المسكارم لاترحل ابغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
وقد قال تعالى (اوائك كالانعام بل هم اضل) اذ البهيمة لم تخاق لها المعرفة والقدرة
التي بها يجاهد مقتضى الشهوة ، وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقوا والمدبر يقينا
وصدقا ولذا قال أبو العتاهية :

ولم ارفى عيوب الناس عيبا كنعص القادرين على التمام
وهو مقتبس من قوله عليه السلام « أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل امكبه طلب
العلم فى الدنيا فلم يطلبه ، ورجل علم علما فانتفع به دونه » رواه ابن عساکر . واما من علم
وعمل وعلم فيدعى فى الملكوت عظيما كما قال عيسى عليه السلام (ومنها) ذكر قلة قدر
الشدة (فى مخالفة النفس حال المجاهدة لأن شدائد الدنيا وأحوالها سهل بالنسبة الى
شدائد الآخرة وأحوالها) (ووقتها) أى وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى
(كأنهم يوم يرونهم يابثوا الاعشىة اوضحاها) ولذا قيل « الدنيا ساعة فاجعلها طاعة »
(واضرار الجزع) أى وذكر اضرار الجزع والفرع من غير حصول الدفع والنفذ
(و) منها (تقوية باعث الدين بذكر فضائل المجاهدة) الواردة فى الكتاب والسنة
فى حق المجاهدين والمجاهدين من قوله تعالى (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبيلا)
وقوله (وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
وكان الله غفورا رحیما) وقوله عليه السلام « المجاهد من جاهد هواه » رواه النسائى
« ورجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وقد تقدم (ثم أن كان) الصبر والتحمل
او ذلك الثبات والتحمل حاصل (بتعب قوى) أى شديد وجهد جهيد (فتصبر) أى
فيقال له تصبر لان صاحبه يتكلف فى الصبر كما يقال زاهد زاهد وصوفى وصوفى ومتصوف (وأن

كَانَ يَسِيرَ فَصْبْرٍ وَأَنْ كَانَ دُونَ جَهْدٍ فَرَضِيٌّ وَوَرَدَ «أَعْبُدِ اللَّهَ عَلَى الرِّضَاءِ
فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ» وَأَنْ كَانَ يَتَلَذَّذُ فَشَكَرَ وَهُوَ
بِالْغَيْبَةِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ وَالشَّهُودِ مَعَهُ تَعَالَى كَمَا وَرَدَ «أَنْى آيَاتٍ عِنْدَ رَبِّي
يُطْعَمَنِي هُوَ وَيَسْقِينِي» وَعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَلَمِ وَاللَّذَّةِ

كان ﴿ ما ذكر واقعا ﴾ يسير ﴿ أى بتعب سهل وغير عسير ﴾ فصبر ﴿ أى فيخص بآدم الصبر
فاذا دام التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى
(فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) ﴿ وان كان ﴾ الصبر ﴿ دون
جهد ﴾ أى من غير تعب ﴿ فرضى ﴾ أى فهو رضى بما يفعل المولى ﴿ وورد اعبد
الله على الرضاء ﴾ فان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم ﴿ فان لم تستطع ﴾ على
عبادته فى مقام الرضاء من غير جهد ﴿ البلاء فى الصبر على ما تكره ﴾ بمقتضى
البشرية ﴿ خير كثير ﴾ فى الامور الدنيوية والاخروية ، فاعبده على الصبر فان ما
لا يدرك كله لا يترك لذة ، والحديث رواه الترمذى من حديث ابن عباس . وقال
ابو سليمان : والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره ﴿ وان كان ﴾
الصبر على البلاء يتلذذ كتلذذ النعماء ﴿ فشكر ﴾ أى فهو شكر يذثأ عن حال المحبة
والصدق وغاية الرضاء عن الحق ، فقد قال بعض العارفين : أهل الصبر على ثلاث
مقامات . الاولى ترك الشكوى وهذه درجة التائبين ، والثانية الرضاء بالمقدور وهذه
درجة الزاهدين ، والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين ﴿ وهو ﴾
أى التلذذ بالبلاء إنما يكون بستة أشياء ﴿ بالغيبة عن حظوظ النفس ﴾ ولذات الهوى
﴿ والشهود ﴾ أى وبال حضور ﴿ معه تعالى ﴾ ليلا ونهارا ﴿ كما ورد ﴾ عنه عليه السلام
انه قال ﴿ انى آييت عند ربى ﴾ أى حاضر لديه كالواقف بين يديه ﴿ يطعمنى هو ﴾
اى لا غيره ﴿ ويسقيني ﴾ أى يغنينى عن الطعام والشراب ويقوينى بدلها بما يلتذ به
الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لفناء حظوظ نفسى وشهود قلبى مع ربى ،
فهذا المعنى يصلح ان يكون استئناف علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب
الاسباب . واما ما قيل من ان المعنى يطعمنى ويسقيني من طعام الجنة وشرابها فلا
يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على أولى الالباب ﴿ وعدم التمييز ﴾ أى وبعدم
الفرق ﴿ بين الالم واللذة ﴾ الطبيعيين . ولقد قال بعض المحبين

كَانِي حَدِيثِ حَارِثَةَ «مَا ابَالِي عَلَى أَيِّ الْحَالَيْنِ وَقَعْتَ عَلَى غَنِيٍّ أَوْ فَقْرٍ وَالْأَعْلَى التَّمْيِيزُ
وَإِخْتِيَارُ الْأَلَمِ فِي مُوَافَقَتِهِ تَعَالَى وَالْإِلْتِذَازُ بِهِ» فَوُرِدَ «إِخْتَارَ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا
وَجَاءَ يَأْحَبْنَا الْمَكْرُوهَانَ الْمَوْتَ وَالْفَقْرَ»

فليس لي في سواك حظ * فكيف ما شئت فاخترني

لكن لما كان في هذا شائبة من الدعوة ابتلى بنوع من البلوى ﴿ في حديث حارثة ما ابالي على أي الحالين ﴾ أي المقامين ﴿ وقعت ﴾ أي سقطت وثبت ﴿ على غني أو فقير ﴾ وكذا صحة أو مرض ، وسذا وصل أو هجران . وقيل . الفقر بلاء ومحنة ، والغنى هم ومشقة . وكل ذلك قاذح في كمال الرضاء والمحبة ، بل ينبغي أن يفوض التدبير لما لكها ويسلم الامر الى صاحبه وسيده ويقول ما قال عمر رضي الله عنه : لا ابالي اصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ، وفيه اشارة الى قوله (ن ربك يبدط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا) وفي الحديث القدسي « ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر . ومنهم من لا يصلحه الا الغنى » الحديث وقد قال عزوجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فالتسليم اسلم والله اعلم ﴿ والاعلى ﴾ أي أعلى مراتب الصبر من التلذذ بالبلاء الذي هو الشكر بالنسبة الى عدم التمييز كحال اهل السكر ﴿ التمييز ﴾ بين النفع والضرر والحلو والمر ﴿ واختيار الالم في موافقته تعالى ﴾ حيث جعله مختارا ﴿ الالتذاذ به ﴾ أي بالامر فهو الاولى ﴿ فورد ﴾ عنه عليه السلام انه لما خير بين الدنيا وتركها بأن يكون ماسكا نبيا أو عبدا نبيا فقال : ﴿ اختار ان أكون عبدا نبيا ﴾ وفي رواية زيادة (أجوع يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر) ليفوز بالمقامين ومجمع بين الامرين لانه كان في غاية من الكمال فاخذ ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال ﴿ وجاء ﴾ في الخبر ﴿ يا ﴾ قوم ﴿ حبذا المكروهان ﴾ أي نعم المكروهان في طبع الانسان وهما سببا مزيد الاحسان ﴿ الموت ﴾ على الايمان ﴿ والفقر ﴾ لمقرور برضى الرحمان رواه ابن أبي الدنيا وغيره . واخرج احمد وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اثنتان يكرهما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب »

ثم الرضاء بترك الاعتراض وقيل ترك السخط ولا بد منه للفراغ للعبادة والتحايم
من هموم الدنيا والتعب فيها وغضبه تعالى فورد «من لم يرض بقضائي ولم
يصبر على بلائي فليطلب ربا سواي»

﴿ثم الرضاء بترك الاعتراض﴾ بالقلب في جميع انواع القضاء فلا يقول لحادث
حدث : لولم يحدث لكان أولى ، أو لو حدث في غير هذا الموضع كانت أحسن
وأعلى ، اذ ليس في الامكان ابداع ما بان كما في الاحياء . وأعترض عليه من لم يفهم
معناه من العلماء ﴿وقيل ترك السخط﴾ أى الكراهة وهو ضد الرضاء ، والرضاء
غاية العايات ونهاية العناية ، ففي الحديث « ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى
فيقولون رضاك » ويؤيده قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) أى من النعيم
الذى يتم فيه ، فهذا فضل رضى الله ، وهو ثمرة رضى العبد ، كما يشير قوله تعالى
(رضى الله عنهم) او لا (ورضوا عنه) آخر (ولا بد) للعبد ﴿منه﴾ أى من
الرضاء عن الله تعالى لاربعة أشياء ﴿للفراغ﴾ أى فراغ الخاطر ﴿للعباداة﴾ وقد
ورد « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » ﴿والتحايم﴾ أى
والتحافظ ﴿من هموم الدنيا﴾ بالقلب ﴿والتعب﴾ ومن غموم النصب بالبدن
والقلب ﴿فيها﴾ أى فى الدنيا ، وقد ورد « من جعل الهموم هما واحدا هم الاخرة كفاه
الله هم الدنيا والاخرى » ﴿وغضبه﴾ أى التحايم ن غضبه ﴿تعالى فورد﴾ فى الحديث
القدسى والكلام الانسى ﴿من لم يرض بقضائى﴾ فى احكام ارضى وسمائى ﴿ولم يصبر على
بلائى﴾ أى ابتلائى فى سرائى وضرائى وفى رواية زيادة ولم يشكر على نعمائى ﴿فليطلب ربا
سواى﴾ أى غيرى وما عداى من اعدائى « وروى أنه عليه السلام سأل طائفة من أصحابه
الكرام فقال ما انتم ؟ فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامه ايما نتم ؟ قالوا انصبر على البلاء ونشكر
عبد الرضاء ونرضى بمواقع القضاء ، فقال مؤمنون ورب الكعبة ، وفى لفظ آخر أنه قال « حكام
علماء كاد وامن فقهم أن يكونوا انبياء » وفى مناجاة موسى عليه السلام قال : يا رب أى
خلقتك أحب اليك ؟ قال من اذا اخذت عنه محبوبه سالمى ، قال فإى خلقتك أنت ساخط
عليه ؟ قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيت له سخط قضائى « وفى الخبر « قدرت المقادير
و دبرت التدابير من رضى فله الرضاء منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى »

ويحصل رضوانه فورد (رضى الله عنهم ورضوا عنه)

في الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير واجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقت له للشر واجريت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف » وفي الاخبار السالفة « أن نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والفقر والعمل عشرين سنة فما اصاب الا ما اراد ، ثم اوحى الله اليه لم تشكو؟ هكذا كان بدوك عندى فى ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض به وهكذا سبق لك منى ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد أن ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ، او يكون ما تريد فوق ما اريد ، وعزتى وجلالى لئن ياج هذا فى صدرك مرة أخرى لا يحونك من ديوان النوة » ويروى « ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام : يا داود تريد واريد وانما يكون ما أريد ، فان سلمت لما اريد كفيتهك ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ، والله در من قال من أهل المزيد :

تريد النفس أن تلقى منهاها ويأبى الله الا ما يريد

﴿ ويحصل رضوانه ﴾ أى ويحصل رضاه الله عنه ﴿ فورد ﴾ فى التنزيل ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ فعلامة رضى العبد عن الله رضاه الله عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضى الله فى المرتبة الاولى وليسبق رضاه فى الازل الاعلى. وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال : هو الرضاء بقضاء الله . قيل وكيف ذلك ؟ قال الراضى لا يمتنى فوق منزلته. وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم يتل ؛ وحسن الرضاء فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات. وروى عن بعضهم قال ومررت على سالم مولى أبى حذيفة فى القتلى وبه رمق فقلت له : اسقيك ماء؟ فقال : جرتى قليلا الى الاعداء واجعل الماء فى الترس فانى صائم فان عشت الى الليل شربته ، وفى الخبر « طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به » وفى خبر آخر « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل » وللمزمذى « من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله ، وفى خبر آخر « أرض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس » وفى اخبار موسى عليه السلام : أن بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى : الهى قد سمعت ما قالوا ، فقال يا موسى قل لهم : يرضون عنى حتى ارضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن ينظر ماله

وَالسَّبَبُ ادِّهَاشُ غَلْبَةِ الْحُبِّ عَنِ الْإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ كَمَا بِالْعَاشِقِ وَالْحَرِيصِ

عند الله فليُنظر ما لله عز وجل عنده فإن الله يتزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه ، وفي اخبار داود عليه السلام : ما لا وليا لي والهم بالدنيا ان بهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ، ياد اود ان علامة محبتي من اوليائي ان يذكرونا روحانيين لا يقيمون ، وروى أن موسى عليه السلام قال : يارب دلتني على أمر فيه رضاك حتى أعمله ، فأوحى الله اليه أن رضائي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره ، قال يارب دلتني عليه ، فقال أن رضائي في رضاك بقضائي . وعن عمر بن عبد العزيز : ما بقى لي سرور الا في مواقع القدر . وقيل له ما تشتهي ؟ قال ما يقضى الله تعالى ﴿ والسبب ﴾ لرضاء العبد بما يفعل الرب شيئا من أحدهما ﴿ ادِّهَاشُ غَلْبَةِ الْحُبِّ ﴾ أي اغنائها واغفالها ﴿ عن الاحساس بالالم ﴾ في المحن وأهوالها ﴿ كما بالعاشق ﴾ بالدنيا ﴿ والحريص ﴾ في جمع مالها وأحوالها ، وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك ، فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وقال الجنيد : سألت سريبا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وأن ضرب بالسيف قال نعم وان صرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخولها . وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف صوت في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لاني عاشق . فقلت ولم سكت ، قال لان معشوقى كان بخدائي ينظر الى ، قات ولو نظرت الى المعشوق الاكبر ، فزعت زعقة وخر ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازي : اذا نظر أهل الجنة الى الله سبحانه ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم ، فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر : قصدت عبادان في باديتي فاذا أنا برجل اعشى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت رأسه فوضعت في حجرى فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي دخل بيني وبين ربي ، لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الاحبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك رقمة بين عبد وبين رب فانكرتها . ويروى ان يونس عليه السلام قال لجزيريل عليه السلام : دلتني على اهل الارض ، فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه وبصره وهو يقول : الهى متعتنى بهما ما شئت وسلبتني ما شئت

وَالْعِلْمُ بِجَزَالَةِ الثَّوَابِ

وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا واصل : ويروى أن عسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد . ضروب الجبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني بما أبتلي به كثيرا من خلقه ، فقال له عيسى عليه السلام يا هذا أي شيء من البلاء أراه . مصروفا عنك ؟ فقال باروح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته ، فقال صدقت ، هات يدك فناوله يده فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ، قد أذهب الله عنه ما كان به وصحب عيسى وتبعه معه * وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال : الحمد لله الذي أخذ مني واحدة وأبقى أخرى ، لأن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبليت لقد عافيت ، ثم لم يدع ورده تلك الليلة * وقال أبو سليمان الداراني : قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضاء فما لي منه إلا مشام الريح ، وعلى ذلك لو ادخل الخلائق لهم الجنة وادخلني النار كنت راضيا . ولما قدم سعد بن أبي وقاص مكة وكان قد كشف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا ، وكان يجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفتني وقال أنت قارىء أهل مكة ؟ قلت نعم ، فذكر قصة قال في آخرها فقلت له : يا عم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ؟ فتبسم وقال : يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصرى : وقال بعض السلف . ولو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاء الله ليته لم يقضه ﴿ والعلم ﴾ أى وثأنيهما المعرفة بشيئين ﴿ بجزالة الثواب ﴾ أى عظمتها وكثيرته يوم الحساب فقد قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد ينال الجزاء في الدنيا أيضا قبل العقبي كما روى (عن الرميضاء أم سليم أنها قالت : توفي ابن لي وكان زوجي أبو طاححة غائبا ، فقممت فسجيت في ناحية من البيت ، فقدم أبو طاححة فقممت فهايات له افطاره فجبل يأكل ، فقال كيف الصبي ؟ فقلت في أحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة ، ثم تصنعت له باحسن ما كنت أتصنع من قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ، ثم قلت : ألا تعجب من جيراننا ؟ فقال وما لهم ؟ فقلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال بشس ما صنعوا ، فقلت هكذا أبنتك كان عارية من الله تعالى وإن الله قبضه إليه فحمد الله وأثنى عليه واسترجع

كَمَا لِلْمَرِيضِ وَالتَّاجِرِ الْمُتَحَمِّلِينَ شِدَّةَ الْحِجَامَةِ وَالسَّفَرِ وَبَانَ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ صِنْعٍ
حِكْمَةٌ يَتَعَجَّبُ الذَّاهِلُ عَنِ السَّرِّ كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَا يَرِدُ
التَّنَاقُضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغْضِ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَالْمَعْصِيَةَ مَقْضِيَةً لِأَنَّ
الرِّضَاءَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَقْضَى لَا يَنَافِي الْبَغْضَ لِلْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ

ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام: اللهم بارك لهم في ليلتهم
قال الراوي فاقدرايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن، رواه
الطبراني في الكبير من طريق أبي نعيم في الحلية، والقصة في الصحيحين من حديث
أنس مع اختلاف، وللنسائي في الكبرى باسناد صحيح من حديث جابر «دخلت
الجنة فاذا انا بالريمياء امرأة أنى طلحة» فقدروى ان امرأة فوج الموصلي عثرت فقطع
ظفرها فضحك فقيل لها اما تجدى من الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي
حرارة وجعه وعذابه، وقد ورد في الترمذى وغيره حديث *

«هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت»

وقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها والله در المتنبى اذ يقول *

أن كان سرى ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أراضنا الم

﴿ كما للمريض والتاجر ﴾ المسافر ﴿ المتحملين شدة الحجامة ﴾ رجاء الصحة ﴿ والسفر ﴾
أى ومحتته طمعا للزيادة ﴿ وبان له تعالى فى كل صنع حكمة ﴾ كما قال تعالى ﴿ صنع الله
الذى اتقن كل شىء ﴾ وقال ﴿ صبغة الله وما احسن من الله صبغة ﴾ بل حكما كثيرة
﴿ يتعجب الذاهل ﴾ الغافل ﴿ عن السر ﴾ أى سرتلك الحكمة فى تلك الصنعة وما
يترتب عليها من الحكم ﴿ كما فى قصة موسى والخضر عليهما السلام ﴾ وما وقع بينهما
من الملام والكلام فى تحقيق المقام وتدقيق المرام ﴿ ولا يرد التناقض بينه ﴾ أى بين
الرضاء بالقضاء، فقد ورد فى الدعاء « اللهم اسألك الرضاء بالقضاء، ﴿ وبين بغض
المعصية ﴾ الواقعة بحكم القضاء ﴿ لان الرضاء ﴾ انما هو ﴿ بالقضاء ﴾ الذى هو فعل
الرب وخلقها ﴿ والمعصية مقضية ﴾ على العبد صادرة عن فعله وكسبه، ولو كان بتقدير
الرب وحكمه، ولان قضاء الشر ليس بشر، انما الشر هو المقضى فلا يكون الرضاء
بالشر، وبهذا يتحقق معنى الخبر « الخير كله بيدك والشر ليس اليك ﴾ ﴿ ولان الرضاء ﴾
بالقضاء ﴿ من حيث أنه مقضى لا ينافى ﴾ أيضا ﴿ البغض للمعصية من حيث أنها معصية ﴾

وهو لا يوجب ترك الأسباب وتحقيقه يأتي في التوكل ولا الدعاء بشرط الصلاح قلباً فورداً «اللهم زدنا في اللبب اللهم ارزقنا خيراً منه في غيره

فالحشية اذا كانت مختلفة تصير الامور المختلفة كلها مؤلفة ، كالولد العاق يجب من حشية الولدية ويغض من جهة العقوبة (وهو) أى الرضاء بالقضاء (لا يوجب ترك الاسباب) أى اسباب البقاء وغيره من الابواب (وتحقيقه) أى تحقيق ترك الاسباب (يأتي في التوكل) الموضوع لهذا الباب (ولا الدعاء) أى ولا يوجب الرضاء ترك الدعاء لقوله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء مع أنه في أعلى مقامات الرضاء (بشرط الصلاح قلباً) ولولم يشرطه لساننا (فورداً «اللهم زدنا» في اللبب «اللهم ارزقنا خيراً منه» في غيره) والحديث رواه الترمذى في الشمائل عن ابن عباس أنه عليه السلام قال « من أطمعه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قال وقال عليه السلام « ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبب ، هذا وقد قال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء ، وقال الفضيل : اذلم تصالح على تقدير الله فلم تصالح على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز بن أبى رواد : وليس الشأن فى أكل خبز الشعير والحل ، ولا فى لبس الصوف والشعر ، لكن الشأن فى الرضاء بالقضاء والقدر . وقال عبد الله بن مسعود . لئن أحس جمره أحرقت ما أحرقت وابتقت ما أبتقت أحب إلى من ان أقول لشيء كان ليته لم يكن ، أو لشيء لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال : أنى لأرحمك من هذه القرحة ، فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذلم تخرج فى عينى . وقال الثورى يوماً عند رابعة العدوية : اللهم ارض عنا ، قالت : أما تستحي من الله أن تسأله الرضاء وأنت عنه غير راض : فقال أسغفر الله . فقال جعفر بن سلمان : متى يكون العبد راضياً عن الله ؟ قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة ، وعن الفضيل إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى ، عن احمد بن أبى الحوارى قال أبو سليمان الدارانى أن الله من كرمه قدرضى من عبده بما رضى به العبيد من مواليهم قلت كيف ذلك ؟ قال ليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاة قلت نعم ، قال أن محبة الله من عبده أن يرضوا عنه ، وقال بعض السلف : من حسن الرضاء بالقضاء ان لا

ثُمَّ الشُّكْرُ يَجْمَعُهُ عِرْفَانُ النِّعْمَةِ مِنَ الْمُنْعَمِ وَالْفَرَحُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَتِهِ

يقول هذا يوم حار أو يوم بارد في معرض الشكاية . وقول القائل : الفقر بلاه ومحنة ، والعيال هم وتعب ، والاحتراف كدوم ومشقة وكل ذلك قادح في كمال الرضا بالقضاء ، فعرف عمر رضى الله عنه لا ابالى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي . وعن ابن مسعود أنه قال الفقر والغنى مطيتان لا ابالى أيهما اركب ان كان الفقر ففيه الصبر ، وان كان الغنى ففيه البذل وانما يقل ففيه الشكر ايماء الى ان الفقر أنضل من الغنى وإشارة الى أن الغنى من غير البذل مذموم عند أهل الفضل والعدل هذاه وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاثة : رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا وأرضى بما يختاره الله لي . ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين فقال : صاحب الرضا أفضل لانه أقلمهم فضولا . واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط ، فقال سفيان الثوري : كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم ، واليوم وددت أنى مت ، فقال له يوسف لم ؟ قال : لما تخوف من الفتنة ، فقال يوسف لكنى لا اكره طول البقاء ، فقال سفيان لم ؟ قال لعلى اصادف يوما توب فيه واعمل صالحا . فقال لو هيب أى شىء تقول ؟ قال انا لا اختار شيئا ، أحب ذلك الى الله أحبه الى فقبل الثوري بين عينيه فقال : روحانية ورب الكعبة . ويؤيده الدعاء المأثور « اللهم احببني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » ﴿ ثم الشكر يجمعه ﴾ ثلاثة اشياء ﴿ عرفان النعمة من المنعم ﴾ وهذا علم بصدور عن اعتقاد ان كل ما في العالم موجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وفي دعائه عليه السلام « اللهم ما اصبح بي من نعمة او باحد من خلقك فتمك فتمك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر » ﴿ والفرح به ﴾ أى بالمنعم الحاصل بانعامه لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الاذنى ، بل من حيث انها وسيلة الى القرب من المولى والنظر الى وجهه الاعلى ، فهذا هو الرتبة العليا ، وعلامته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للاخرى ، ويحزن بكل نعمة تلميه عن طريق الهدى وهذا حال ﴿ واستعمالها ﴾ أى صرف النعمة ﴿ فى طاعته ﴾ أى طاعته دون معصيته للمنعم ، وهذا عمل . وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة . وقال الجنيد : الشكر أن لا ترى نفسك لعلا للنعمة . وقال الخواص : شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخاصة على واردات القلوب ، وهي رتبة

وَلَا يَدَّبُّ مِنْهُ لَاسْتِدَامَةَ النِّعْمَةِ فَوَرَدَ (فَكَفَّرَتْ بِالنِّعْمِ اللَّهُ فَادَّأَمَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وَإِنَّ النِّعْمَ أَوْ أَبْدَ فَقِيدُوا بِالشُّكْرِ وَاسْتَزَادَتْهَا فَوَرَدَ
(لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ - وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى)

لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات ، وخلا عن لذة القلب وما يرد عليه من الواردات ،
فان القلب السليم لا يلتذ في حالة من الصحة القويم الا بذكر الله ومعرفته من حيث اللذات
والصفات ، وأما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين
ويختاره على السكنجيين ، وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء
المررة حتى قيل :

ومن يك ذا فم مريض يجرد مرا به الماء الزلالا

(ولا بد) للعبد (منه) أي من الشكر (لاستدامة النعمة) أي لطلب دوام النعمة
وبقائها (فورد) في التنزيل (وكفرت) صوابه فكفرت كما في نسخة و صدر الآية
(وضرب الله مثلا قرية) أي مكة (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا) أي واسعا (من
كل مكان فكفرت) أي أهلها (بانعم الله) أي بتكذيب رسوله (فاذا قام الله لباس الجوع)
أي القحط سبع سنين (والخوف) أي الرعب من المسلمين (بما كانوا يصنعون
وان) أي وورد في الحديث (أن النعم او ابد) أي وحشيات متفترات كصيود شوارد
(فقيدوها بالشكر) وقد قيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد المنحة المقفردة ، كما
يشير اليه قوله (واستزادتها) أي وطلب زيادة النعمة (فورد) في التنزيل (لن
شكرتم لآزيدنكم) تماما (ولئن كفرتم أن عذابي لشديد) (والذين اهتدوا)
بالايمان وترك الكفر واداء الشكر (زادهم هدى) أي هداية على هدايتهم ،
وعناية على رعايتهم *

ثم أعلم أن لكل عضو من القلب واللسان وسائر الجوارح والاركان شكريا يليق به من عمل
الطاعة وترك المعصية ، واعظماها شكر الجنان ، واطهرها شكر اللسان . وقد قال عليه السلام
لرجل « كيف اصبحت ؟ فقال بخير فاعاد عليه السلام السؤال حتى قال في الثالثة بخير
أحمد الله واشكره ، فقال عليه السلام هو الذي اردت منك » رواه الطبراني في الدعاء من
رواية الفضل بن عمرو مرفوعا ، وهذا معضل . وفي المعجم الكبير من حديث عبد الله بن

وَإَيْضًا إِذَا أَرْسَلَ مُلْكٌ فَرَسًا وَتَوْبًا وَزَادَ إِلَى عَبْدِ لِيَجِيءَ إِلَيْهِ وَيُنَالُ حَظَّ الْقُرْبَةِ
 مَعَ اسْتِغْنَاءِ الْمَلِكِ عَنْهُ فَاسْتَعْمَلَ فِي الْبَعْدِ عَنْهُ إِبْرَاهِيمَ أَوْ مَكْنَ عَبْدًا عَلَى بَسَاطِ
 الْقُرْبَةِ فَاسْتَعْمَلَ الْعَبْدَ عَنْ خِدْمَتِهِ مَلْتَقِمًا إِلَى خَسِيسٍ فِي حَرْفَتِهِ يَسْأَلُهُ

عمر ووليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله اليك . وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج
 الشكر لله ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به مطيعا ، فكل عبد يسأل عن
 حاله فهو بين ان يشكر وبين ان يشكو ، وبين ان يسكت ، فالشكر طاعة صحيحة ، والشكوى
 معصية قبيحة . وكيف لا تقبح الشكوى من المولى وهو ملك الملوك ؛ ويبدد كل شيء
 الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد أن لم يصبر على البلوى ويفضيه
 الضعيف الى الشكوى أن تكون شكواه الى المولى ، فهو المبلى وهو القادر على ازالة
 البلاء ؛ وذل العبد لمولاه عز ، والشكوى الى غيره ذل ، واطهار الذل للعبد مع كونه
 عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون
 لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فقدر وى ان
 وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر الكبير الكبير ، فقال
 يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اكبر منك ، فقال تكلم ، فقال
 لسنا وفدا لرغبة ولا وفدا لرغبة ، اما الرغبة فقد اوصلها اليها بفضلك ، واما الرغبة فقد آمنتنا
 منها عدلك . وانما نحن وفدا لشكر جئناك نشكرك باللسان ونصرف ﴿ وايضا ﴾ بما يدل
 على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر عن النقل
 مثال ، وهو ان يقال ﴿ اذا ارسل ملك ﴾ عظيم ﴿ فرسا وتوبا وزادا الى عبد ﴾ بعبد
 عن قرب ﴿ ليحجى اليه ﴾ رابا لابس منعا عليه ﴿ وينال حظ القربة ﴾ اى ويلقى حظ
 قرب الملك لديه ﴿ مع استغناء الملك عنه ﴾ واما احتياج العبد منه ﴿ فاستعمل ﴾ الفرس
 والراد ﴿ فى البعد عنه ﴾ اى عن حكمه وفى سفر المخالفة من قربه ﴿ او أهمل ﴾ امره
 ونسى قدره ، وجلس فى محله ، ولم يستعمل لافى قربه ولا فى بعده ﴿ او مكن ﴾ اى واذا
 اقدر ﴿ عبدا على بساط القربة ﴾ وامكنه من الانبساط فى بساط عدم الكربة ﴿ فاشتغل
 العبد عن خدمته ﴾ اى خدمة الملك وعن المأتى الى حضرته ﴿ ملتقما الى خسيس فى
 حرفته ﴾ من دباغ وكناس . وسيس دابة ﴿ يساله ﴾ اى يطلب العبد من ذلك الخسيس

كسرة رَغِيفٍ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَّ وَسَلْبَ النِّعْمَةِ

﴿ كسرة رَغِيفٍ ﴾ باظهار فاقته وحرفته في حضرة الملك وصحبته فلا شك ان كلا منهما ﴿ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَّ ﴾ اى كمال الغضب ﴿ و ﴾ يقتضى ﴿ سلب النعمة ﴾ وجلب النعمة وادامة العقوبة والطرده عن الخدمة والبعد عن الحضرة. وتوضيحه ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة ، وقطع تلك العقبات الشاقة ويمكنك أن تفهم بمنال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مراكوبا وملبوسا ونقدا لأجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان ، أحدهما أن يكون قصده من وصول العبد الى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى فى خدمته ، والثانية أن لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه ، بل حضوره لا يزيدنى ملكة ، كما ان غيبته لا تنقص من ملكة ، فيكون قصده من الانعام عليه بالمر كوب ونحوه أن يحظى العبد بالقرب منه فى مقابلة خدمته ، وينال سعادة حضرته ليستمتع هو فى نفسه لا يستمتع الملك به بانتفاعه . فتنزى العباد من الله فى المنزلة الثانية لافى المنزلة الاولى ، فان الاولى محال على الله والثانية غير محال *

ثم أعلم أن العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التى ارادها الملك منه ، وأما فى الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ، ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا أو كافرا ، فيكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه ، وكفره بان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد فى بعده منه ، فهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه ، اذا استعمل نعمته فى سبيل محبته أى فيما احبه لبعده لالذ نفسه ، وأن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لالذ نفسه ، وان جلس ولم يرتب لافى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذا هملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه ، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتكامل أبدانهم بها فيبعدون عن حضرة بسببها ، وإنما سعادتهم فى القرب منه ، فاعد لهم من النعم ما يقدرون

وَالْفَارِقُ بَيْنَ مَحْبُوبِهِ تَعَالَى وَمَبْغُوضِهِ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ الْعِلْمُ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ
 وَالِاسْتِبْصَارُ وَالضَّابِطَانِ الْمُوَصَّلِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ وَالشَّاعِلُ عَنْهُ
 مَبْغُوضٌ لِلَّهِ ثُمَّ النِّعْمَةُ أَمَادِنِيَّةٌ كَالْخَلْقَةِ السُّوِيَّةِ وَالْمَلَاذُ الشَّهِيَّةِ وَصَرَفُ الْمَفَاسِدِ
 وَالْمَضَارِّ وَأَمَّا دِينِيَّةٌ كَالتَّوْفِيقِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالْحِفْظِ

على استعماله في نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى فقال (لقد
 خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات) الآية فاذا أنعم الله بالات يترقى بها العبد عن أسفل سافلين خلقها
 لله لاجل العبد حتى ينال بها سعادات القرب ، والله سبحانه غنى عنه قرب أو بعد
 منه ، والعبد فيه بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه ، وبين
 أن يستعملها في المعصية فقد كفر لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ، فان الله
 لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وان عطلها فلم يستعملها لا في طاعة ولا في
 معصية فهو أيضا ككفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى في الدنيا انما
 خلقه آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرى ونيل القرب من المولى ، فكل مطيع
 فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملتها ، وكل كسلان ترك
 الاستعمال ، أو عاص استعمال ذلك في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله ،
 فالمعصية والطاعة لتشملها المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكرهية بل رب مراد محبوب ورب
 مراد مكره ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي يمنع من افشائه صواللحقيقة (والفارق
 بين محبوبه تعالى ومبغوضه عزو علا (للفعل) محبوبا ومبغوضا (والترك)
 كذلك العلم بالكتاب والسنة فانها كفتا ميزان العدالة (والاستبصار) أى برؤية
 كما في نسخة ، أى والاعتبار بفكر من العقل ونظر وتامل في النقل (والضابط)
 لما يحبه الله وما يبغضه (أن الموصل) للعبد (الى معرفته) أى الله تعالى (ومحبته محبوب
 لله) فينبغى استعمال التية فيه (والشاعل عنه) أى والمانع عما ذكر من المعرفة
 والمحبة (مبغوض لله) فيجب عدم استعمال الذية فيه (ثم النعمة امادينية كالخلق السوية
 والملاذ الشهية) من المطالبات النفسية (وصرف المفاسد والمضار) البدنية
 بالات حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضرر أو بهرب من الشر (وأما دينية
 كالنوفيق على الطاعة والعصمة) في حق الانبياء (والحفظ) في حق الأولياء

عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهِيَ أَعْظَمُ لَا يَصَالِحُ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الشَّقَاوَةِ
السَّرْمَدِيَّةِ وَاشْتَرَكَ الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَوِيَّةِ وَاعْتَمَّ الْأَبْرَارُ زَوَالَهَا وَطَلَبُوا الْأَحْصَاءَ
تَوْقِعَ الْحَالَ فُورِدَ (وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) وَالطَّرِيقُ الْمَعْرِفَةُ وَالتَّفَكُّرُ
فِي صَنَائِعِهِ تَعَالَى وَالنَّظَرُ إِلَى الْأَدْنَى فُورِدَ «مَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ دُونِهِ وَنَظَرَ فِي
الدِّينِ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا وَشَاكِرًا»

(عَنِ الْمَعْصِيَةِ) مَعَ الْقُدْرَةِ أَوْ عَدَمِهَا فَإِنَّ مِنَ الْعِصْمَةِ أَنْ لَا يَقْدِرَ (وَهِيَ) أَى
النِّعْمَةُ الدِّينِيَّةُ (أَعْظَمُ) قَدْرًا مِنَ النِّعْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ (لَا يَصَالِحُ) أَى لِتَبْلِيغِ النِّعْمَةِ
الدِّينِيَّةِ (إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ) الَّتِي لَا غَايَةَ لَهَا (وَالْإِنْجَاءِ) أَى الْخِلَاصِ (عَنِ
الشَّقَاوَةِ السَّرْمَدِيَّةِ) الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا (وَاشْتَرَكَ الْكُفَّارُ) مَعَ الْأَبْرَارِ (فِي
الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدُّنْيَا مَبْغُوضَةٌ لِسُرْعَةِ فَنَائِهَا وَكَثْرَةِ عَنَائِهَا وَخَسَّةِ شَرَايِهَا) وَاعْتَمَّ الْأَبْرَارُ
زَوَالَهَا (أَى فَقَدَ النِّعْمَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ خَوْفًا مِنْ نَقْصَانِ النِّعْمَةِ الْآخِرِيَّةِ) كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُجْتَهِدِينَ:
وَرُودَ الْفَاقَاتِ أَعْيَادَ الْمُرِيدِينَ وَ (طَلَبُوا الْأَحْصَاءَ) لِنِعْمِ اللَّهِ وَعَدَهَا (تَوْقِعَ الْحَالَ) وَتَمَنِيَّةَ
لِعَدَمِ طَاقَةِ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ الْحَالِ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (وَأَنْ تَعْدُوا) أَى تَرِيدُوا أَنْ تَحْصُوا
(نِعْمَةَ اللَّهِ لِتَحْصُوهَا) أَى لِتَنْطِقُوا أَحْصَاءَهَا وَعَدَهَا فَضْلًا عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّهَا مِنْ شُكْرِهَا.
وَقَدْ قِيلَ: الْإِنْفَاسُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ نَفَسًا، وَفِي كُلِّ نَفْسٍ نِعْمَتَانِ فِي حِصْوِهَا
بِاعْتِبَارِ طُلُوعِهَا وَنُزُولِهَا (وَالتَّفَكُّرُ) الْمَقْضَى إِلَى الشُّكْرِ ثَلَاثَةٌ (المَعْرِفَةُ) لِنِعْمِهِ
سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَوْ أَمَعِنَ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِهِ لَرَأَى مِنْ اللَّهِ نِعْمَةً وَنِعْمًا كَثِيرَةً
تَخْصُهُ لَا يَشَارِكُ فِيهَا عَامَّةُ النَّاسِ، بَلْ يَشَارِكُ عِدَدٌ يَسِيرٌ مِنْهُمْ، وَرَبَّمَا لَا يَشَارِكُ فِيهَا
أَحَدٌ (وَالتَّفَكُّرُ فِي صَنَائِعِهِ تَعَالَى) مِنَ الْإِنْفِاسِيَّةِ وَالْآفَاقِيَّةِ، وَاحْسَانَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ
مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ (وَالنَّظَرُ إِلَى الْأَدْنَى) فِي الْمَرْتَبَةِ الْمَعِيشِيَّةِ وَالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ (فُورِدَ
مِنْ نَظَرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ دُونِهِ) فِي الْمَرْتَبَةِ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ (وَالنَّظَرُ فِي الدِّينِ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ) فِي
مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ (كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا) بِالنَّظَرِ الثَّانِي (وَشَاكِرًا) بِالنَّظَرِ الْأَوَّلِ
فَتَأْمَلُ. وَالحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ فِي الصَّحِيحِينَ بِلَفْظِ
«نَظَرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ» أَى لِتَحْتَقِرُوهَا. وَلِلْعَسْكَرِيِّ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَرْيَمَ «مَنْ نَظَرَ إِلَى مَا فِي يَدَيْ النَّاسِ

طال حزنه ولم يشف غيظه » وحكى عن بعضهم أنه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر ومواضع الحدود ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم، ثم يتأمل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما أعطاه من نعمه، فأذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد الله تعالى على نفسه نعمًا كثيرة، لاسيما من خص بالسنة والايان والعلم والقرآن، ثم بالفراغ والصحة والامان، ولذا قيل:

من شاء عيشا رحيبا يستطيب به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ورعا ولينظرن الى من دونه مالا

وقال عليه السلام « أن القرآن هو الغني الذي لا غنى بعده ولا فقر معه » رواه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس . وقال عليه السلام « من آتاه الله حفظ كتابه نظن أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر اعظم النعم » رواه البخاري في تاريخه . منه « فقد استهزأ بآيات الله » وعن الصديق « من أوتي القرآن نظن أن أحدا أوتي أفضل منه فقد حقر عظيما وعظم حقيرا » وقال عليه السلام « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أي لم يستغن، وقد سبق . والكل مقتبس من قوله سبحانه (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لآتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم) وقال بعض السلف: يقول الله أن عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد آتمت عليه نعمتي، عن سلطان يأتيه - فيه احتمالان - وطيب يداويه، وعمما في يداخيه » وعبر الشاعر عن هذا بقوله:

إذا ما القوت يأتيك * كذا الصحة والامن * وأصبحت اخا حزن * فلا فارذك الحزن
بل أفصح العبارات وأماح الاشارات كلام أفصح من نطق بالضاد، حيث عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد للعباد بقوله « من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكانما حيزت له الدنيا » أي جمعت . والحديث قد تقدم . قال في الاحياء: ومهما تأملت الناس ظمهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراه هذه الثلاث، مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يحمدون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والمملك العظيم، بل البصير ينبغي أن لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايان، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أهوال وأتباع وأنصار، وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به الى قربه سبحانه في الآخرة، بل لو قيل له: لك ما ترجوه في الآخرة بكهاله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يُمْكِنُ الشُّكْرُ وَالْعَبْدُ يَعْبُرُ عَنْهُ الْإِبْتِوَافِيْقَهُ وَهُوَ نِعْمَةٌ تَسْتَدْعِي شُكْرًا
إِلَى أَنْ يَتَسَلَّلَ قُلْتُ التَّحْقِيقُ لِمَنْ بَلَغَ مَقَامَ الْفَنَاءِ أَنَّ الشَّاكِرَ هُوَ الْمَشْكُورُ فَوْرَدَ « لَا
أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ »

به قبل العقبى لكان لا يأخذه ، لعله بانلذة العلم دائمة لا تنقطع ، وثابتة لا تسرق ولا
تغصب ولا ينافس فيها ولا تنقلع ، وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها
ناقصة مكدره مشوشة لا يبي مر جوها بمخوفها ولذاتها بالمها ، ولا فرحها بغمها
هكذا يرى إلى الان ، وهكذا يكون إلى آخر ما بقي من الزمان ، اذا ما خلقت لذات
الدنيا الا لتخدع بها العقول الناقصة ، حتى اذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليهم
وامتنعت عنهم واستعصت منهم كالمرأة الجميلة ظاهرها مزينة للشباب العشيقي ، الغبي حتى
اذا تعاقب بها قلبه احتجبت عنه ، فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم ، وكل ذلك
لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ، ولو غفل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم
في جميع عمره ، فهكذا وقع ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ، ولا ينبغي أن يقول
أن المعرض عن الدنيا متأمم بالصبر عنها فان المقبل عليها أيضا متأمم بالصبر عليها
وحفظها وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع المقصود عنها . وتأمم المعرض عنها يفضى إلى
اللذة في الأخرى وتأمم المقبل عليها يفضى إلى العسر في المعاقبة . فايقرأ المعرض عن الدنيا
على نفسه قوله تعالى (ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون)
﴿ فان قلت كيف يمكن الشكر ﴾ لله ﴿ والعبد يعجز عنه ﴾ أى عن شكر
الله ﴿ الا بتوفيقه ﴾ لشكره ﴿ وهو ﴾ أى والحال ان توفيقه لشكره ﴿ نعمته تستدعى
شكراً ﴾ آخر ﴿ الا ان يتسلسل ﴾ فيصير الشكر محالا ﴿ قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء
عن نفسه والبقاء بربه ﴾ (أن الشاكر) الذى ﴿ هو ﴾ الشكور ﴿ المشكور ﴾ وأن المثني
هو المثني عليه ﴿ فورد ﴾ في الحديث المشهور ﴿ لا احصى ثناء عليك ﴾ أى لا اطيق
الحمد والشكر على نعمك ﴿ أنت كما أثنت على نفسك ﴾ وحاصله أن الاعتراف بالعجز عن
الشكر عين الشكر ، وأنشد العجز عن درك الادراك ادراك :

كما حقق في توحيد الذات حيث قال تعالى : (ولا يحيطون به علما) (ليس كمثل
شئ) وقال على : ما خطر ببالك فالله غير ذلك . وقالت الملائكة (سبحانك لا علم
لنا إلا ما علمتنا) ويوم يجمع الله الرسل فيقول ما اذا اجبتم قالوا لا علم لنا) وقيل

في معنى قول بعض السلف : من عرف نفسه فقد عرف ربه . أى من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء . وتوضيح السؤال والجواب ولو احتيج الى بعض الاطناب لانه من فصل الخطاب الذى هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب : هو أن جميع ما تعطاه باختيارنا من أنواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هى نعمة اخرى من الله تعالى وبالشكر اخرى ، اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر أمورنا التى هى اسباب سكوننا وحركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه ، فكيف نشكر نعمته بنعمته ، ولو اعطانا الملك مر كوبا فاخذنا مر كوبا آخر له ورغبناه ، او اعطانا مر كوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول منا ، بل كان الثانى يحتاج الى شكر آخر كما يحتاج الاول ، ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى ، فيؤدى الى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين ، ولسنا نشك في الامرين ، وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الى الجمع ؟ فاعلم أن هذا الخاطر خطر لداود وكذا لموسى عليهما السلام فقال : يا رب كيف اشكرك وان لا استطيع أن اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك ، وفي لفظ آخر وشكركى لك نعمة اخرى منك توجب الشكر على ذلك ، فارحى الله تعالى اليه : اذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى رضيت بذلك منك شكرا ، والتحقيق في مقام التوفيق على وجه التدقيق ان ههنا نظرين : نظرا بعين التوحيد المحض ، وهذا النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وانه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره ، وأن كل شىء هالك الاوجهه ، ومن هنا قول لبيد

الائل شىء ما خلا الله باطل

وقول بعض ارباب الشهود : سوى الله والله ما في الوجود غير قول بعض الابرار

ليس في الدار غيره ديار

وذلك أن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد ، اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود ، بل قائم بغيره فهو موجود بغيره ، فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة ، وانما الموجود هو القائم بنفسه ، والقائم بنفسه هو الذى اذا قدر عدم غيره بقى موجوداً . فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا نظرت في هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره ، واليه مرجعه ، فهو الشاكر وهو المشكور ، وهو المحب

وهو المحبوب ، ومن هنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ
(انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) فقال وانجياه اعطى وأثنى. اشار الى انه اذا اثنى
على عطائه فعلى نفسه اثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه ، ومن هنا نظر الشيخ أبو سعيد
الميهني حيث قرىء بين يديه (يحبهم ويحبونه) فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم
فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه ، اشار به الى ان المحب هو المحبوب ، وهذه رتبة
عالية ومنزلة غالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ، فيقال ان المصنف اذا
احب تصنيفه فقد احب نفسه ، والصانع اذا احب صنيعته فقد احب نفسه ، وكل
ما في الوجود سوى الله فهو تصنيفه وصنيعته ، فان احبه فما احب الانفسه
وإذا لم يحب الانفسه فبحق احب ما احب . وهذا كله نظر بعين التوحيد وتحقيق
التفريد . وتعتبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه عن غير الله
فلم يرفى الكون الا الله ، وليس المعنى كما فهمه الوجودية من العينية لنص المعية
كما بينته في رسالة المرتبة الشهودية في المنزلة الوجودية ، فهذا احد النظيرين * وأما النظر
الثانى فنظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجودا مستقلا ، ولو
عرف اعلم انه من حيث هو لا ثبات له ولا وجود له وانما وجوده من حيث أوجد
لا من حيث وجد ، وفرق بين الموجود وبين الموجد . وليس في الوجود الا موجود
واحد وموجد . فالموجود حق والموجد من حيث هو هو باطل ، والموجود قائم
وقيوم ، والموجد هالك وفان ، فاذا كان كل من عليهما فان فلا يبقى الا وجهه بك ذوالجلال
والاكرام ودرجات الموحدين متفاوتة في مقامات المجتهدين وقد جاء جميع الانبياء والمرسلين
داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ، ومعناه ان لا ترى الا الله الواحد
القهار . فالواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون ، والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى
غافلون كما قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اذ عبدة الاوثان قالوا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وكانوا داخلين في اوائل التوحيد دخولا ضعيفا .
والمتوسطون وهم الكثيرون ففهمهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فتلوح لهم
حقائق التوحيد ولكن كالبريق الخاطف لا يثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا
ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل :

كل الى شأو العلا حرثاته ولكن عزيز في الرجال ثباته

ولما أمر عليه السلام بطلب القرب بقوله سبحانه (واسجد واقترب) قال في سجوده
« اعوذ بعفوك من عقابك ، واعوذ برضائك من سخطك ، واعوذ بك منك لا احصى ثناء

وَاخْتَلَفَ فِي وُجُوبِهِ فِي الْمَصَائِبِ وَالْحَقُّ الْوَجُوبُ عَلَى أَنْ لَا يُصِيبَ أَكْبَرَ مِنْهَا
وَأَنْ لَا تَكُونَ فِي الدِّينِ

عليك أنت كما أثبتت على نفسك « فقول عليه السلام : اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط ، وكانه لم ير الا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ، ثم اقترب فقنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات ، فقال : اعوذ برضاك من سخطك ، ثم رأى ذلك نقصا ما فى التوحيد فاقترى ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال : اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ، ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ، ومستعيذا به ومثنيا عليه ، فقنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصا ما فى مقام أنسه فاقترى فقال لا احصى ثناء عليك انت كما اثبتت على نفسك ، فقله : لا احصى خبر عن فناء نفسه وخروجها عن مشاهدتها وقوله أنت كما اثبتت على نفسك بيان أنه هو المثنى وهو المثنى عليه ، وأن الكل منه بداواليه يعود ، ولقد كان عليه السلام لا يرقى من مرتبة الى الاخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ، كما قال « أنه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة » فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض فى مقام الوحدة ومشاهدة الدثرة : هذا وما من مقبرل الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب من تسليط العلم والخوف عليه ، وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بسلاسل تسليط الغفلة والغرور عليه ، فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ، ولا قاهر الا الله الواحد القهار ، ولا قادر الا الملك الجبار . وهذا معنى قوله دخلت هؤلاء للجنة ولا بالى وخلقتم هؤلاء للنار ولا بالى » (واختلف فى وجوبه) أى الشكر (فى المصائب والحق الوجوب) بناء على ستة اشياء (على أن لا يصيب اكبر منها) أى من تلك المصيبة التى أصابته اذ مقدورات الله لا تنتاهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يردها عما ارادها . وكان يقول شيخنا العالم النقى على المتقى : اذا اخذ عمامتك فتصدق بالحلاوة بسلامة رأسك . فالمصيبة المالية أهون من المصيبة البدنية (وأن لا تكون) المصيبة (فى الدين) فقد قال رجل لسهل : دخل اللص بيتى وأخذ متاعى ، فقال له : اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع وقد ورد فى دعائه عليه السلام « لا تجعل مصيبتنا فى ديننا » وقال عمر

وَأَنْ تَعْجَلَ عَقُوبَتَهَا وَلَا تَدْخُرَ لِلْآخِرَةِ وَأَنَّهَا كَانَتْ أَتِيَةً فَفَرَّغَ مِنْهَا وَأَنْ ثَوَابَهَا خَيْرٌ مِنْهَا

رضى الله عنه : ما تبلت ببلاء الا كان لله على فيه أربع نعم : اذ لم تكن في ديني، ولم تكن أعظم منها واذ لم أحرم الرضاء واذ رجوت الثواب عليها ﴿ وان تعجل عقوبتها ﴾ بصيغة المجهول أى عقوبة المعصية في الدنيا ﴿ ولا تدخر للآخرة ﴾ فلعذاب الآخرة أشد وأبقى، اذ مصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلى . اذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذنين . وأيضا مامن عقوبة الا وكان يتصور أن تؤخر الى الآخرة ، ومن تعجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانية في العقبى، لقوله عليه السلام « اذا اذنب ذنبا فصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم أن يعذبه ثانيا في العقبى » كذا في الاحياء . وقال مخرجه رواه الترمذى وابن ماجه من حديث على « من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده » ولاحمد والطبرانى باسناد صحيح من رواية الحسن البصرى « عن عبد الله بن مغفل أن رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فسكلمها ثم تركها ، فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط فآثر في وجهه ، فأتى النبي عليه السلام فاخبره ، فقال عليه السلام : اذا اراد الله بعبد خيرا عجّل له عقوبته في الدنيا » وقال على كرم الله وجهه : الاخير لم بارحى آية في كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى فقرأ عليهم (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) والله در القائل

لعمرك ما كالشكر داع زيادة ولاعوضا كالصبر عند المصائب

﴿ وانها ﴾ أى ولان المصيبة الماحية ﴿ كانت ﴾ في التقدير ﴿ آتية ﴾ لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ﴿ ففرغ منها ﴾ وتخلص عنها فهى نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها) ﴿ وأن ثوابها ﴾ أى المصيبة ﴿ خير منها ﴾ أى من عدمها فإمن شئ يقع للعبد الا ويتصور أن يكون له فيه ذخيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويشليه فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد ، وغدا يشكره العباد على البلاء اذ اراوا ثواب البلاء ويتمنوا أنه كان يقرض ابدانهم فى الضراء فقدر روى أن رجلا قال له عليه السلام اوصنى ، فقال « لا تهتم الله فى شئ قضاء عليك » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبادة . وقال عليه السلام « عجبا لامر المؤمن أن أمره كله

وَأَنَّهَا تَنْقُصُ مِنَ الْقَلْبِ حُبَّ الدُّنْيَا فَهِيَ فِي التَّحْقِيقِ نِعْمٌ إِذْ لَا تَخْلُو عَنْ تَكْفِيرِ
لِلْخَطِيئَةِ أَوْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ أَوْ رَفْعِ لِلدَّرَجَةِ وَقِرَاءَةِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي أَيَّامِ الْعُسْرَةِ
لَطَلَبِ الْقِنَاعَةِ أَوْ الْعِدَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ دُونَ وَسْعَةِ الدُّنْيَا وَانَّمَا قُرِئَتْ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ

له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سرامشكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر
فكان خيرا له « رواه مسلم (وانها) أى ولان المصيبة (تنقص من القلب حب الدنيا)
فلم يسكن اليها ولم يأنس بها فقد ورد « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » رواه مسلم
من حديث أبي هريرة (فهى) أى المصائب (فى التحقيق نعم) يجب لأهل التوفيق
الشكر عليها (اذ لا تخلو) المصيبة (عن تكفير للخطيئة) ان كان من المبتدئين
(أو رياضة للنفس) لما فيها من المحنة والبليّة ان كان من المتوسطين (أو رفع للدرجة)
أن كان من المنتهين . والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله
عليه السلام « من يرد الله به خيرا يصب منه » رواه البخارى من حديث أبي هريرة
« ولابن أبى الدنيا من حديث أبى سعيد الخدرى « أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالى
وسقم جسدى ، فقال : لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ، أن الله تعالى اذا
أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره » ولابن داود « أن الرجل لتكون له الدرجة عند
الله لا يبلغها بعمل حتى يتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك » (وقراءة سورة الواقعة)
مبتدأو (فى ايام العسرة) ظرفه والخبر (لطلب القناعة) أى قناعة القلب ، وهو أن
لا يشغله شاغل عن حضرة الرب : وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم اوصيتم بالشكر
على المصيبة وأثبتتم انها فى التحقيق من النعمة ، فقراءة السلف سورة الواقعة كل ليلة
فى ايام العسرة لآى معنى كانت ؟ فاجاب بما تقدم . وقد اخرج ابن عسار فى فضائل
القرآن . وأبو يعلى وابن مردويه فى تفسيره والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن
مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه الفاقة » واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم أنه قال « سورة الواقعة سورة الغنى فاقرعوها وعلوها اولادكم »
(او العدة) أى الاستعداد (على العبادة دون وسعة الدنيا) لان السلف لم يكونوا
محبين لو سعتها (وانما قرئت) السورة (لما ورد فيها) أى فى فضلها (من الاخبار

وَالْآثَارَ وَالْأَفْلَامِبَالَاتَةَ بِحَمْدِهِ تَعَالَى بِالشَّدَةِ فَهَمَّ كَانُوا يَغْتَمُونَهَا وَأَمَّا نَدَاءُ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلِيَّانِ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الصَّبْرِ وَجَزِيلِ جَزَائِهِ لِقَرِينَةٍ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَوْ لِبُلُوغِ الْمَرَضِ إِلَى الْعَقْلِ وَاللِّسَانِ الْمُفَوَّتِ لِلْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ أَوْ الْعَجْرِ عَنْ أَقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوْ لَانْقِطَاعِ الْوَحْيِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَمَّا وَرَدُ الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ سُؤَالِ الْبَلِيَّةِ

وَالْآثَارَ (والآثار) كما سبق (والآثار) أى وأن لم يحمل على ما تقدم (فلامبالاة بحمده تعالى) للسلف (بالشدة) أى بالبلاء والمحنة (فهم) أى السلف (كانوا يغتمونها) أى الشدة والبلاء أكثر مما كانوا يغتمون الراحة والنعماء (وأمانداً أيوب عليه السلام) (رب أنى مسنى) الضر (فلييان الشكر) واطهاره (على نعمة الصبر) لقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) (وجزِيلِ جزائه) أى وعلى عظيم جزاء الصبر وعطائه (لقريئة وأنت أرحم الراحمين) وذلك لأن الله تعالى ساطب بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصة اصفيائه فهو فضل من الله ومن جملة عطائه، فشكر عليه وتبجح لديه وأشار إليه بقوله مسنى الضر الذى تخص به انبياءك واوليائك بلا استحقاق منى بل بكرم منك فانك أرحم الراحمين (أولبلوغ المرض الى العقل) أى القلب (واللسان المفوت) ذلك المرض (للمعرفة) بالجنان (والذكر) باللسان (أوالعجز عن اقامه الصلاة) بتام ارتكابها (أولا نقطاع الوحي أربعين يوماً) ومقام الفترة فى غاية من العسرة حتى كاد نبيينا عليه السلام أن يرمى نفسه عن الصخرة، ولذا قيل: الحجاب أشد العذاب (وأما ورد الامر بسؤال العافية) فى الاحاديث الثابتة الوافية لما رواه الترمذى من قوله عليه السلام «ما سئل الله شيئاً أحب اليه من أن يسئل العافية» ولابن ماجه عن انس مرفوعاً «سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة فاذا اعطيت العافية فى الدنيا واعطيتها فى الآخرة فقد افلحت» ولاحمد والترمذى عن أبى بكر «سلوا الله العفو والعافية فان احداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية» (والنهي عن سؤال البلية) فقد مر عليه السلام يقوم مبتلياً فقال «أما هؤلاء كانوا يسألون الله العافية» رواه الترمذى، وقال علي رضي الله عنه: اللهم أنى استئلك الصبر، فقال عليه السلام

لأنَّ الأوَّلَى سؤَالِ تَمَامِ النِّعْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَثَوَابِ الشُّكْرِ فِي الآخِرَةِ لِقُدْرَتِهِ تَعَالَى
عَلَى أَنْ يُعْطِيَ الأَجْرَ الجَزِيلَ عَلَى الشُّكْرِ مَا يُعْطَى عَلَى الصَّبْرِ، وَأَمَّا مِثْلُ :

فَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ * فَكَيْفَ مَا شِئْتَ فَاخْتَبِرْنِي

وَقَوْلِ الآخِرِ: أُرِيدُ وَصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي * فَاتْرُكْ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

فَكَلَامُ العِشَاقِ فِي حَالِ الغَلْبَةِ وَهُوَ يُطَوِّي وَلا يُرَوِّي

« لقد سألت الله البلاء فسله العافية » رواه الترمذى ولا بن ماجه والنسائى باسناد جيد
عن أبى بكر الصديق أنه عليه السلام قال « سلوا الله العافية فما أعطى عبد أفضل
من العافية الا اليقين » وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك، فعافية
القلب اعلى من عافية القالب ﴿ لان الاولى سؤال تمام النعمة فى الدنيا ﴾ فان تمامها
بعافية البدن فيها ﴿ وثواب الشكر ﴾ أى وسؤال ثوابه على نعمة رفع البلاء ﴿ فى الآخرة
لقدرته تعالى على أن يعطى الاجر الجزيل على الشكر ﴾ على نعمة رفع البلاء ﴿ ما يعطى
على الصبر ﴾ على محنة البلاء، ومن هنا قال عليه السلام « ولكن عافيتك اوسع » كما رواه
ابن أبى الدنيا وغيره فى اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف . وقال مطرف بن عبدالله:
لان اعما فى فاشكر احب الى من أن ابتلى فاصبر . ﴿ وأما ﴾ ما يرد على قوله والنهى
عن سؤال البلية ﴿ مثل ﴾ قول سمنون المحب :

فليس لى فى سواك حظ فكيف ماشئت فاخترنى

وقول الآخر اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لما اريد

﴿ فكلام العشاق فى حال الغلبة ﴾ من الاشواق ﴿ وهو ﴾ أى مثل هذا الكلام

حين يجرى ﴿ يطوى ولا يروى ﴾ لان صاحب الحال لا يقتدى *

ومن الطائف ما حكى أن فاخنة كانت يرادها زوجها فتمنعه، فقال ما الذى يمنعك
عنى ولو اردت أن اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك، فسمعه سليمان
فاستدعاه وعاتبه على ما جرى، فقال يابنى الله : كلام العشاق يسمع ولا يحكى *

ثم اعلم أنه حكى أن سمنون بلى بعد هذا البيت بعبلة الحصر، فكان بعد ذلك يدور
على أبواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعنكم الكذاب، ومن هذا القبيل ما قال

وَفِي أَنْ الشَّاكِرَ أَفْضَلَ أَمِ الصَّابِرِ ؟

بعضهم : اودان أكون جسرا على النار يعبر على الخلق لهم فينجون وأكون أنافى النار ، لأن محبة الانسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق غير ممكن ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حبا لمثل ذلك ، فن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فيما ذكر فلوزايله سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لاحقيقة لها فأيسر الدعوى وما أعسر المعنى ، وأما قول الشاعر : أريد وصاله البيت فهو أيضا محال اذ معناه اني أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر ، فكيف أراد الهجر الذي لم يرد كذا قرره الامام حجة الاسلام ، ولا يبعد أن يقال في البيت الثاني انه أراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله ، وان تكون ارادته تابعة لارادته سبحانه سواء يكون وصلا وهجر اقربا او بعدا كما يشير اليه قوله تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) وقول السلف : ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وفي هذا المقام قال أبو يزيد البسطامي لما قيل له ما تريد : اريد ان لا اريد غايته انه قال صاحب منازل السائرين : هذه ايضا ارادة ، ونوقش بان هذه ارادة مطلوبه وبانها داخله في قوله لا اريد . والحاصل انه من باب كمال الرضاء بالقضاء ، واما البيت الآخر فلانه يدعى ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه ، ولعل وجه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ او شظية لذة ولو كان في ضمن الدعوى لهذه الحالة التي اظهرها بتلك المقالة (وفي) أى واختلف أيضا في (ان الشاكر) الغنى (افضل أم الصابر) الفقير ، وأما الفقير الصابر فهو افضل من الغنى الشاكر اتفاقا فقد قال قائلون : الصبر افضل من الشكر ، وقال آخرون : الشكر افضل من الصبر ، وقال جماعة : هما سيان لقوله عليه السلام : الصبر نصف الايمان وهو استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الآخر كما يقال ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويان اذ العلم خير من العمل . وقالت طائفة : يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منها واختاره الجلال السيوطي والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر بل قال بعضهم : ان الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر ، ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم ، وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى ان يصحبه فيما عليه اشياء تألم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير ان يصحبه فيما عليه اشياء تألم صفته وانقباضها وانزعاجها فاذا كان الاثنين قائمين لله عز وجل بشروط

وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ مَا كَانَ بَتَلْدُذٍ فَلَا تَعُدُّدٌ وَهُوَ عَلَى الْبَلَاءِ خَيْرٌ مِنْهُ عَلَى الرَّخَاءِ
 وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيَ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ «يُؤْتَى يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ بِشُكْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَجْزِيهِ اللَّهُ جِزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَيُؤْتَى بِأَصْبِرِ أَهْلِ
 الْأَرْضِ فَيُقَالُ لَهُ أَرْضِي أَنْ نَجْزِيكَ كَمَا جَزَيْنَا هَذَا الشَّاكِرَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ
 فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْلَى أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ فَشُكْرًا وَابْتِلِيَّتِكَ فَصَبْرَتٌ لِأَضْعَفِنَ لَكَ الْإِجْرَ

ما الذي كان آلم صفتها وازعجها اتم حالا بمن متع صفتها ونعمها . ويقال كان
 ابو العباسى بن عطاء قد خالفه في ذلك فقال . الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر ،
 فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قبل اولاده وتلف امواله وزوال
 عقله اربع عشرة سنة ، ويقول دعوة الجنيد اصابتى ورجع الى تفضيل الفقير
 الصابر على الغنى الشاكر . هذا والشاكر الذى يشكر على الموجود ، والشكور الذى
 يشكر على المعبود ، ومن هنا قوله سبحانه (وقليل من عبادى الشكور - انه كان عبدا
 شكورا) وقوله عليه السلام «افلا أكون عبدا شكورا» واما الشكور من اسمائه
 عز وجل فهو الذى يعطى الاجر الجزيل على الامر القليل (والحق) فى المسألة (انه)
 أى الشأن (ان أريد) بالصبر (ما كان) من الصبر (بتلذذ فلا تعدد) كما سبق بيانه
 ان الصبر حينئذ هو الشكر (وهو) أى الصبر المطابق من غير التلذذ المالحق (على البلاء
 خير منه على الرخاء) كما مر فى كلام الجنيد من طريق الائمة (وهو) أى وهذا
 الصبر هو (المراد بما ورد من افضل ما أوتيم اليقين وعزيمة الصبر) وقد تقدم (يوتى
 يوم القيمة بشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكر بن ويوتى باصبر أهل الارض
 فيقال له أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول نعم رب ، فيقول الله عز وجل
 انعمت عليه) وفى نسخة الاحياء كلما انعمت عليه (فشكر وابتليتك فصبرت
 لاضعفن لك الاجر) كذا فى الاحياء . وقال مخرجه . لم أجد له اصلا له لكن معناه
 صحيح مستفاد من قوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وروى
 «يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الاجر
 صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض

وَالْأَفْشُكْرُ لِابْتِنَائِهِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَهِيَ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ

﴿ الباب الثامن عشر في الخوف والرجاء ﴾

ما يذهب به اهل البلاء من الفضل كذا في تفسير البغوى ﴿والا﴾ أى وان لم يرد بالصبر ما كان بتلذذ ﴿فالشكر﴾ الذى يضمن ركنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة أفضل من الصبر ﴿لابتنائه﴾ أى الشكر هذا ﴿على المحبة وهى﴾ أى المحبة ﴿اعلى المقامات﴾ وحاصله ان لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خير من الشكر الذى غير تام ، والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ ، وأما قوله عليه السلام « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » لما ذكره الترمذى من حديث أبى هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر حيث الحق به الشكر ، ومن المعلوم ان المشبه به ينبغى ان يكون اعلى رتبة فى القدر . ومما يدل على فضيلة الفقير ما رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث معاذ بن جبل « يدخل الانبياء عليهم قبل داود وسليمان عليهما السلام الجنة باربعين عاما » وروى البزار من حديث انس « آخر من يدخل الجنة من اغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف »

﴿ الباب الثامن عشر فى الخوف والرجاء ﴾

وهما جناحان للسالك يطير بهما الى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع كل عقبة كؤود ، فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيدا لارجاء الازمة الرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الاسياط التخويف وسطوات التعنيف ، وقد دخل عليه السلام على رجل وهو فى النزاع فقال عليه السلام : كيف تجدك فقال اجدى اخاف ذنوبى وارجو رحمة ربي ، فقال عليه السلام « ما اجتمعما فى قلب عبد فى هذا الموطن الا اعطاه الله مارجاه وامنه مما يخاف » رواه الترمذى وغيره باسناد جيد ، ومن هنا قال تعالى : (نبيء عبادى أنى انا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) ليكونوا بين الرجاء والخوف . وفى تقديم الرجاء ايماء الى أن الوصول به ارجى كما لا يخفى ، وكذا قوله تعالى (وأن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وأن ربك لشديد العقاب) فكان حق المصنف أن يقدم الرجاء ، وانما اخره كما فى الاحياء لان الخوف حال أهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه مقام أهل الانتهاء . ومما يدل على استواء الامرين حديث « القلوب بين اصبعين » ومما يدل على ترجيح الرجاء حديث « غلبت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ خَاطِرَانِ فَلَا تَكْلِفُ الْإِنْفِي مُقَدَّمَاتِهِمَا
مَبْنِيَانِ عَلَى أَنْتَظَارِ مَا يَسْتَقْبَلُ فَاَلْمُسْتَعْرَقُ بِذِكْرِهِ تَعَالَى ابْنُ الْوَقْتِ فَبَعْدَهُمَا

رحمته غضبي « وفي الجملة لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكك أحدهما. فلا بن حبان في صحيحه ، والبيهقي في شعبه ، وابن المبارك في زهده ، من رواية الحسن مرسلًا « لا يجمع على عبادي خوفين ولا يجمع له أمين » .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ رجاء كل خائف من العذاب الاليم ﴿ الخوف ﴾ للسائرين ﴿ والرجاء ﴾ للطائرين في منازل السالكين ﴿ خاطران ﴾ عاطران ، وفي اصلهما عارضان ، وهما من جملة مقامات المريدين واحوال الطالبين ، وأما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت ، وأقام وأما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك زوالا ، فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب على القرب ، وهو جار في كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه بتقليب الرب . ثم اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له ، والحب يغلب بالرجاء . واعتبر ذلك بملك له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء ثوابه ؛ واذا كان الخوف والرجاء خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما ﴿ فلا تكليف الا في مقدماتهما ﴾ وهي ذكر الآيات والاحاديث التي تبعث الانسان على الخوف والرجاء ، فمقدمات الخوف اربع : ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التي لا طاقة للانسان بها في العاقبة ، وذكر ضعف النفس عن احتمالها ، وذكر قدرة الله على الانسان متى شاء وكيف شاء في احوالها ، ومقدمات الرجاء اربع ايضا . ذكر سوابق الفضل اليك من غير العمل ، وذكر ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في بابيه دون استحقاقك اياه بالخدمة في جنبه ، وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى ، وذكر سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه ، فهو بالرجاء أولى واحرى ثم هما ﴿ مبنيان على انتظار ما يستقبل ﴾ من الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق لتوقع المكر وهو الرجاء فرح يلحق لتوقع المحبوب ﴿ فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت ﴾ بل ابو الوقت ، فانه الغالب عليه ، وانما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه ، والحاصل انه مشتغل بما هو أولى في الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت ﴿ فبعدهما ﴾ أي

فَالرَّجَاءُ الْفَرَحُ لَا تَنْتَظِرُ مَحْبُوبٌ فَلَا بُدَّ مِنْ سَبَبٍ فَإِنْ حَصَلَ أَكْثَرُ الْأَسْبَابِ
فَلَا صَدُقَ اسْمُ الرَّجَاءِ كَتَوَقُّعِ الْخَصَادِ مَنْ أَلْقَى بَذْرًا جَيِّدًا فِي أَرْضٍ صَالِحَةٍ يَصِلُهَا
الْمَاءُ وَإِنْ فُقِدَ فَالْغُرُورُ وَالْحِمَاقَةُ كَمَا لَوْ أَلْقَى بَذْرًا فِي غَيْرِ صَالِحَةٍ لَا يَصِلُهَا الْمَاءُ وَإِنْ
شَكَّ فِيهَا فَالْتَمَى كَمَا إِذَا صَالَحَتِ الْأَرْضُ وَلَا مَاءَ

الخوف والرجاء، وفي نسخة فبمقدمهما ﴿ فالرجاء الفرح لا انتظار محبوب فلا بد
من سبب ﴾ وباعت لتحقيق انتظار المطلوب ﴿ فان حصل اكثر الاسباب ﴾ اي اسباب
حصوله لديه ﴿ فالاصدق اسم الرجاء ﴾ ووصوله عليه كتوقع الخصاد من القى
بذرا جيدا ﴿ نقيبا غير عفن ولا مسوس ﴾ في ارض صالحة ﴿ للزراعة بان تكون
غير سبخة ﴾ يصلها الماء ﴿ على سعة ﴾ وان فقد ﴿ اكثر الاسباب ﴾ فالغرور والحماقة ﴿
اصدق عليه من اسم الرجاء لصاحبه في هذا الباب ﴾ كما لو القى بذرا ﴿ تالفا ﴾ في غير
صالحة ﴿ من ارض ﴾ لا يصلها الماء ﴿ الا مرة ﴾ وان شك فيها ﴿ اى في كثرة
الاسباب للخصاد بان حصل بعضها دون بعضها ﴾ فالتمى ﴿ اصدق عليه من اسم
الرجاء ﴾ كما اذا صالحت الارض ﴿ مع القاء البذر الجيد ﴾ ولا ماء ﴿ لاحتمال وصول
ماء من السماء : وتوضيحه أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالارض ، والايمان
كالبذر ، والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها وحفر الانهار ونحوها .
والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق لحبها وذكرها كالارض السبخة التي
لا ينمو البذر فيها ويوم القيامة يوم الخصاد ولا يحصد أحدا الا مازرع ولا ينمو زرع
الامن بذرا الايمان ، وقل ما ينفع الايمان مع خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوى
العصيان ، فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه
الداخلة تحت اختيار العبد ، ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله
بصرف القواطع والمقاسد والموانع . فالعبد اذا ثبت بذرا الايمان ، وسقاه بماء الطاعات ،
وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية ، وانتظر من فضل الله تئيبته على ذلك الى
المات ، وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره
رجاء حقيقيا ، وأن قطع عن بذر الايمان ماء الطاعات ، وترك القلب مشحونا
بالاخلاق السيئات ، وانهمك في طلب اللذات والشهوات واللهاوت ، ثم انتظر المغفرة

(م-٣٢-ج ٢ شرح عين العلم)

فورد (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وكما ورد «الاحق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله أم احسن الظن

وعلو الدرجات فانتظاره حق وغرور في الحالات (فورد أن الذين آمنوا والذين هاجروا)
السيئات واللذات (وجاهدوا في سبيل الله) بتكثير الطاعات (اولئك يرجون
رحمت الله) أى هم الذين يستحقون أن يرجوا رحمة ربهم ، بخلاف من ينهمك
فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع اليه ، فرجاؤه
المغفرة حق وغرور كما قيل : الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى
مغفرته عز وعلا . (وكما ورد : الاحق من اتبع نفسه هواها) وتابعها في طلب مشتهاها
(وتمنى على الله) أن يدخل الجنة ومأواها . والحديث تقدم . وقال يحيى بن معاذ
الرازى . من اعظم الاغترار عندى التماذى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة ،
وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب
دار المطيعين بالمعاصى ، وانتظار الجزء من غير عمل ، والتمنى على الله عز وجل مع
الافراط فى الامل ، قال عبد الله بن المبارك الحنظلي *

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

وقد ورد « أن زيد الخيل الذى غيره عليه السلام وسماه زيد الخير جاءه عليه السلام
وقال : جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ، فقال كيف
اصبحت ؟ قال أصبحت احب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وايقنت
بشوابه ، واذا فاتني شئ منه حزنت عليه وحننت اليه ، فقال هذه علامة الله فيمن يريد
ولوهيأك للآخرى هيأك لهاثم لا يبالي فى أى اوديتها هلكت » رواه الطبرانى فى الكبير من
حديث ابن مسعود * فمن ارتجى أن يكون مرادا للخير من غير هذه العلامات فهو وغرور
فى وادى الملامات . وعن على كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة تبطل عن الشهوات ، ومن
أشفق من النار رجعت عن المحرمات (أما حسن الظن) بالله حيث يقول « أنا عند ظن
عبدى بى » كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان « فليظن بى ما شاء » وعنه عليه السلام « لا يموتن
أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله » كما رواه مسلم من حديث جابر ، أما يكون

بالحذر عن المعصية والاجتهاد في الطاعة فلا بد منه للسالك فهو يبعث على الطاعة
ويهنو احتمال المشقة والقنوط كقوله (لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون) والطريق ذكر سوابق فضله

بالحذر عن المعصية والاجتهاد في الطاعة فلا بد منه للسالك (أي من حسن الظن وغلبة
الرجاء) فهو يبعث على الطاعة) وترك المعصية (ويهنو احتمال المشقة) في ورود المصيبة
والخنة (والقنوط) وهو ضد الرجاء (كقوله) قال تعالى (لا تقنطوا من رحمة الله)
وقال (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) وهو بمعنى اليأس (فورد) في التنزيل
(لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وورد أنه عليه السلام قال « لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم إلى الصعدات تلذمون صدورهم وتجارون
إلى ربكم ، فهبط جبريل فقال : أن ربك عز وجل يقول : لم تقنط عبادي ؟
فخرج إليهم فرجاهم وشوقهم » رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ؟
وأوله متفق عليه من حديث أنس . وقال علي كرم الله وجهه لرجل أخرجه الخوف
إلى القنوط لكثرة ذنوبه : يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك . وعنه رضى
الله عنه : أما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله .
وللبهقي في الشعب عن زيد بن أسلم « أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم ، قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة : اليوم أويسك من رحمتي كما كنت
تقنط عبادي منها » ، وفي الخبر « أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحبني وأحب
من يحبني وحببني إلى خلقي ، فقال يارب كيف أحبيك إلى خلقك ؟ فقال اذكرني بالحسن
الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا بالجميل ، ولا بن
أبي الدنيا والبيهقي في شعبه من حديث أنس مرفوعا « أن رجلا يدخل النار فيمكث
فيها ألف سنة ينادى يا حنان يا منان ، فيقول الله تعالى لجبريل أذهب فأتني بعدى ، قال
فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول له كيف وجدت مكانك ؟ قال فيقول شر مكان فيقول
بما قدمت يدك وما أنا بظلام للعبيد ردوه إلى مكانه ، قال فيمشى فيلتفت إلى ورائه
فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت ؟ فيقول رجوت أن لا تعيدني إليها بعد
أن أخرجتني منها ، فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة » فدل هذا على أن رجاءه أنجاه
(والطريق) الموصل إلى تحصيل الرجاء ذكر ستة أشياء (ذكر سوابق فضله) في إيجاد

دُونَ شَفِيعٍ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْ جَزِيلٍ ثَوَابِهِ دُونَ اسْتِحْقَاقٍ وَمَا أَنْعَمَ بِمَا يَدُّهُ فِي الدَّارِينِ دُونَ سُؤَالٍ وَسِعَةَ الرَّحْمَةِ وَسَبَقَهَا الْغَضَبُ فُورِدَ «رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِثْلُ (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) الْآيَةِ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»

العبد وأمداده من جوده وكرمه ﴿دون شفيع﴾ أي بلا شفيع من عنده ﴿وما وعد الله من جزيل ثوابه﴾ في كتابه ﴿دون استحقاق﴾ ساق في بابه مع أنه لا استحقاق للمملوك على المالك بشيء من حسابه ﴿وما انعم﴾ على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة ﴿بما يدُّه﴾ نفعه ﴿في الدارين﴾ من عنده ﴿دون سؤال﴾ أي من غير مسألة سابقة من عبده ﴿وسعة الرحمة﴾ قال الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد» ﴿وسبقها الغضب فورده رحمتي سبقت غضبي﴾ وفي رواية غلبت. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «أن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي تغلب غضبي» ﴿وما ورد فيه﴾ أي في فضل الرجاء من الكتاب والسنة ﴿مثل لا تقنطوا من رحمة الله الآية﴾ أي (إن الله يغفر الذنوب جميعا) وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي كما رواه الترمذي من حديث أسماء بنت أبي يزيد وحسنه ﴿أنا عند ظن عبدي بي﴾ كما تقدم والله اعلم وكان أبو جعفر محمد بن حلي يقول: انتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) انتهى وذلك لما ذكر في تفسيره أنه عليه السلام قال «لا يرضى محمد واحد من أمته في النار» أي مؤبدا. وكان بعض العارفين يرى آية المدائنة في سورة البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقيل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا ظمأ قليل، ورزق الإنسان فيها قليل، وألدين من رزقه قليل، فانظر كيف أنزل الله فيه أطول آية ليتهدي بها عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه في دنياه وعتابه، وروى في تفسير قوله تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أن الله أوحى إلى نبيه عليه السلام أني أجعل حساب أمتك اليك، فقال لا يارب أنت خير لهم مني فقال إذن لا أخزيك فيهم» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

وَالْخَوْفُ وَهُوَ الْحُزْنُ لَا تَنْتَظَرُ مَكْرُوهٌ

حسن انظن بالله تعالى . والبيهقي في شعبه من رواية عقبة بن الوليد « ان الخليل قال يوما يا كريم العفو، فقال جبريل أتدرى ما تفسير يا كريم العفو؟ هو أن يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدؤها حسنات بذكره، ولا بن أبي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا «ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان بليس ليتناول لها رجاء ان تصيبه» وفي الصحيحين من حديث ابى هريرة ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها ، وتعطف البهيمة على ولدها ، فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه، وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك » وللمزني من حديث أنس وصححه وابن ماجه من حديث جابر «شفاعتى لاهل الكبائر من امتى» وقال الثوري: ما احب أن يجعل حسابي الى ابوى ، لاني أعلم أن الله تعالى ارحم بي منهما . وقال ابن ادهم: خلاى المطاف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب، فقلت يارب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا، فهتف هاتف من البيت : يا البرهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنون يطلبون ذلك ، فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ، ويؤيده حديث «لوم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بخاق آخر يذبون فيغفر لهم أنه هو الغفور الرحيم » رواه مسلم من حديث ابى هريرة وكان الحسن يقول لوم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمع بالذنوب، ويؤيده حديث «لوم تذبوا لخشيت عليكم اهو شر من الذنوب، فقيل ما هو؟ قال العجب» رواه البزار وابن حبان والبيهقي من حديث أنس . وقال الجنيد : أن بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين . ويؤيده قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال يحيى بن معاذ في مناجاته : يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص، وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدنى في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالوجود موصوف . وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب وأى أهل دهرلم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابعة ، وارزاقك عليهم دارة ساعة ، سبحانه ما احملك ، وعزتك أنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكأنك ياربنا أنما تطاع، وسبحانك . احملك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكأنك ياربنا لا تنضب (والخوف) عطف على الرجاء (وهو الحزن لا تنتظر مكروه) وهو تألم

فَأَمَّا مِنَ الْعِلْمِ بَعْدَ مَبَالِغِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ هُوَ لَاءٌ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُوَ لَاءٌ فِي النَّارِ
وَلَا أَبَالِي مِنْ مَلَامَةِ أَحَدٍ أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ أَوْ لِعَدَمِ تَأْثِيرِ الْإِثَابَةِ وَالتَّعْذِيبِ فِي
زِيَادَةِ مُلْكِي وَنُقْصَانِهِ

القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال واما من انس بالله في جميع الاحوال وملك الحق قلبه على وجه النظام ، و صار ابن وقته و يشاهد اجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زما مان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها ، ولهذا اشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد ، وقال ايضا : اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف في الضمائر . و يؤيده ظاهر قوله تعالى (الآن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام ، واما بالنسبة الى الصالحاء من العوام فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بقوت الثواب في العقبي ، وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة محبوبه لخوف فراقه كان ذلك نقصا في شهوده ، واما دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات ، لكن الكلام الآن في اوائل الحالات ، فنقول الخوف له اسباب ينشأ منها ويصدر عنها كما قال ﴿ فاما من العلم بعدم مبالغته تعالى ﴾ فانه وعز وجل لا يسأل عما يفعل ، ومن عزته في صفاته انه لو املك العالمين لم يبال من احد ولم يمنعه مانع لو حدة ذاته ﴿ فورد ﴾ في حديث مشهور : ان الله تعالى لما خاق آدم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال ﴿ هؤلاء في الجنة ولا ابالي ﴾ قبض اخرى فقال ﴿ هؤلاء في النار ولا ابالي ﴾ اي لا ابالي ﴿ من ملامة احد ﴾ اذ لا يجب على الله شي لا من اثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي ﴿ او من الطاعة والمعصية ﴾ اي او المعنى لا ابالي من طاعة مطيع ولا من معصية عاص ، فانه كما ورد « لو عذب اهل سمواته وارضه لكان عاد لا في حكمه غير ظالم في امره » ﴿ او ﴾ لا ابالي ﴿ لعدم تأثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه ﴾ كما في حديث مسلم عن ابي ذر مرفوعا حكاية عن الله سبحانه « يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي

أَوْلَانِي مَتَصَرَّفٌ فِي مَالِكِي أَوْ مَتَفَضَّلٌ غَيْرُ مَائِلٍ عَادِلٍ غَيْرُ جَائِرٍ أَوْ الْجَهْلُ بِالْحَاتِمَةِ
وَهُوَ لِلْمَتَّقِي أَغْلَبُ وَالْأَعْلَى مِنْ سَابِقَةِ الْأَزْلِ وَإِمَامِنِ الْمَعَاصِي

لأن أولكم وآخركم وانسكم وكنتم كانوا على اجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من مالكي شيئا» (او) لا ابالي (لاني متصرف في مالي) افعل ما اشاء واحكم ما اريد بالعدل (او) لاني (متفضل غير مائل) في ادخال الجنة (عادل غير جائر) في ادخال النار لما تقدم (او الجهل) أي او الخوف هو الحزن للجهل (بالحاتمة وهو) أي خوف الحاتمة (للمتقى اغلب) لانه بحسب معرفته بعبوب نفسه وبعظمة جلال الله وقدسه ، فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ، ولذا قال عليه السلام: « والله اني لا خشية لله واتقاكم له » رواه البخاري من حديث انس وللشيعين من حديث عائشة « والله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية » وقد قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) (والاعلى) من انواع الخافة وادلها على كمال المعرفة ان يكون الخوف (من سابقة الازل) لان الحاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة . فالحاتمة في هذا الباب تظهر بما سبق به القضاء في ام الكتاب ، فالالتفات الى القضاء الازل الذي جرى بتوفيقه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد بعد ما كان في حيز العدم ، واليه اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال على المنبر فقبض كفه النبي ثم قال « هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لايزاد فيهم ولا ينقص ، وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانوا منهم بل هم هم ، ثم يستتقدهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانوا منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم » رواه الترمذي من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية « السعيد من سعد في بطن أمه والشقى من شقى في بطن أمه » رواه البزار وغيره بسند حسن ، ومن هنا خوف الكاملين حيث لم يعرفوا أنهم من أي القبضتين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي قوله عز و علا (فمنهم شقى وسعيد) وقوله عز وجل (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وقوله سبحانه (اما شاكر واما كفور) (واما بالكرس عطف على قوله اما من العلم النخ ، والمعنى أن الحزن لا تنظر مكروه اما من جهة المعرفة بصفة الله تعالى وعزته وجلاله في مرتبة عظمتة واما (من المعاصي) أي من جهة

ويختص بموضع الغرور عند المواظبة على الطاعة بخلاف الأول ثم إمامنا السؤال

كثرة المعصية الصادرة عن العبد في حال غفلته وغرته * ويختص الخوف من المعصية
 ﴿ بموضع الغرور عند المواظبة على الطاعة بخلاف الأول ﴾ أي يختص هذا الخوف
 ويتدبر من الخوف الاول وهو عدم المبالاة بان يغتر بمواظبته على الطاعة فيعلم أن
 هذا كان من المعاصي لامن عدم المبالاة لأن خوف عدم المبالاة لا يزول قط وخوف
 الثاني يزول عند المواظبة على الطاعة * وتوضيحه ان هذا انقسام الخائفين الى من
 يخاف من معصيته وجنائته والى من يخاف الله تعالى نفسه لعظمته وجلالته
 فهذا أعلى رتبة وأعلى منزلة ، ولذا يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين ، وأما
 الآخر فهو في عريضة الغرور والأمن ان واظب على الطاعات وداوم على العبادات
 فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين
 وهو ثمرة المعرفة بالله ، فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان
 يخاف من غير جنائته ، بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من
 معصيته ، اذ لو لانه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيل بابها ومهدله
 تمام أسبابها ، فان تيسير أسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية
 استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ، ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توصل
 بها من تيسرت له الطاعات وتمهدت له سبل القربات ، فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية
 شاء أم أبى فكذا المطيع حسب ما قدره الله وقضى . فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم
 الى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع أبا جهل في أسفل سافلين
 من غير جنائية سبقت منه قبل شهوده جدير بان يخاف منه لصفة جلاله فان من اطاع الله
 أطاع بأن ساط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة ، وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة
 التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى لعصى لانه سلط عليه ارادة قسوية جازمة
 وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري
 ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه ، وما الذي
 اوجب اهانة الآخر وتبعيده بتسليط دواعي المعصية لديه ، وكيف يحال ذلك على
 العبد وينسب اليه . واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جنائية ولا وسيلة
 فالخوف ممن يقضى بما شاء ويحكم بما يريد جزم عند كل مرید طالب للمزيد ﴿ ثم ﴾ الخوف
 عند سكرات الموت وشده وما بعده ﴿ إمامنا السؤال ﴾ في القبر من منكر ونكير ، او عند

أَوِ الْعَذَابِ أَوْ فُوتِ الْجَنَّةِ وَنَحْوَهَا، وَتَخْتَلِفُ الْآثَارُ فَمِنْ خَافِ اسْتِيْلَاءَ الْعَادَةِ وَاطَّابَ
 عَلَى تَرِكِهَا وَمَنْ خَافَ إِطْلَاعَهُ تَعَالَى اشْتَغَلَ بِتَنْقِيَةِ السَّرِّ فَاعْتَبِرْ وَيُؤْتِرُ فِي الْبَدَنِ بِالْهَزَالَةِ
 وَالصُّفْرَةِ وَالضَّعْفِ وَالْبِكَاءِ وَإِذَا كَمَلَ يُودَى إِلَى الْجُنُونِ وَالْمَوْتِ وَهُوَ شَهَادَةٌ لَكِنْ
 الْإِفْضَلُ مَنْ عَاشَ وَجَاهَدَ

الموقف من نقيير وقطمير ﴿ او العذاب ﴾ في القبر، او من هول المطلع، او هيبته الموقف،
 والحياء من كشف السر، او من مزلة الصراط، او وحدته وكيفية العبور عليه باختلاف
 الاحوال، او العذاب في النار وما فيها من الاغلال والانكال والاهوال ﴿ او فوت الجنة ﴾
 دار النعيم والملك المقيم ﴿ ونحوها ﴾ من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات، واعلاها
 رتبة هو خوف الفراق والحجاب، فانه اشد العذاب عند ارباب الالباب، وهو خوف
 العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين. والصالحين والزاهدين وكافة العالمين. ومن لم
 تكمل معرفته، ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق، فاذا ذكر له
 ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب في دار القرار وجد ذلك منكرا في باطنه
 وتعجب منه في نفسه. قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت
 في بحر لحي ﴿ وتختلف الآثار ﴾ للخوف بحسب اختلاف أنواعه في الاسرار ﴿ فمن
 خاف استيلاء العادة ﴾ في اتباع الشهوات المألوفة بالارادة ﴿ واطب على تركها ﴾ وداوم
 على خلافها ﴿ ومن خاف اطلاعه تعالى ﴾ على السرائر ﴿ اشغل بتنقية السر ﴾
 وتطهير القلب من الوسوس في الضمائر ﴿ فاعتبر ﴾ وقس على هذا مخاوف اخروهي
 من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها، ومن خاف هجوم الموت قبل التوبة بادر
 اليها ﴿ ويؤثر ﴾ الخوف ﴿ في البدن بالهزلة ﴾ أي التحول باذابة اللحم والشحم
 ﴿ والصفرة ﴾ باللون المصحوب بالكدرية ﴿ والضعف ﴾ في القوى ﴿ والبكاء ﴾ الصادر
 عن الحشية ﴿ واذ اكمل ﴾ الخوف ﴿ يؤدي الى الجنون ﴾ بان يصعد الى الدماغ فيفسد
 العقل أ ﴿ و ﴾ يقوى فيورث القنوط والياس او يفضى الى ﴿ الموت ﴾ بان تشق به المرارة
 ﴿ وهو ﴾ أي الموت من خوف الله ﴿ شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد ﴾ لقوله
 عليه السلام « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » وقد تقدم. واعلم ان معنى لونه شهيدا
 انه رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لومات في ذلك الوقت، لا بسبب الخوف

وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فُورِدَ « أَنَّ الشَّيْطَانَ لِيَقْرَأُ
 مِنْ ظِلِّ عَمْرٍ ، وَالْأَعْلَى أَنْ يَدْهَشَهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ فَلَمْ تَوْثُرْ فِيهِ لِلْغَيْبَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ حَيْثُ قَصَدَهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَاحْتَرَقَ فَلَا بَدَّ

فرو بالإضافة إليه فضيلة ، واما بالإضافة الى بقاءه وطول عمره في طاعة الله وسلكه
 سبيل أمره فليس بفضيلة ، بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المجاهدة
 في كل لحظة رتبة شهيد ، ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح
 مداد العلماء » ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل ، او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة
 نبي او منزلة ولي يموت حتف انفه ، وهو محال . والحاصل أن اقصى درجات الخوف
 أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى فيه متسع لغير الله ، وذلك مع بقاء
 الصحة والعقل ، فان تجاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب عليه علاجه
 أن كان قدرة لديه ، ولذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة
 : احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل . ويؤيده ما اشتهر في لسان العامة :
 ما اتخذ الله ولينا جامدا ولو اتخذ له لعله ، وكذا يؤثر الخوف في الجوارح فيكفها عن
 السيئات ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط في الماضي واستعدادا للمستقبل ، ولذا قيل :
 ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ، بل الخائف من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه .
 وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه . وقيل
 لذى النون : متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمى مخافة طول
 السقام « ومن غلب عليه » خوف الله « خافه كل شيء » بمساواه . ولابن الشيخ بن
 حيان وابن أبي الدنيا حديث « من خاف الله خافه كل شيء » كما كان هذا المقام
 المعمر « لعمر رضى الله عنه فورد : أن الشيطان ليقر من ظل عمر » كما مر ، وكذا
 يؤثر في الصفات بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة
 كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيها اذا عرف سما فيه « والاعلى » في مراتب
 الخوف « أن يدهشه » الخوف يدهله « عن الاشياء » أى رؤيتها ويفعله عما يجرى على
 الاعضاء من حر كبتها « فلم توتر » الاشياء « فيه » أى في الخائف « للغمية عنها »
 أى لغيبة الخائف عن الاشياء والغفلة عنها « كما كان له عليه السلام حيث قصده
 الشيطان وهو في الصلاة فاحترق » أى الشيطان فاذا كان الامر كذلك « فلا بد »

منه فهو يزجر النفس عن المعصية وينفي العجب عن الطاعة. والامن كفر فورد
 فلا يامن مكر الله الآية، والطريق النظر في صفاته تعالى وأفعاله

للسالك (منه) أي من الخوف هنالك (فهو) أي الخوف (يزجر النفس) ويمنعها
 (عن المعصية) وارتكابها (وينفي العجب) ويدفعه (عن الطاعة) وارتكابها
 فاقبل درجات الخوف مما يظهر أثره في الاعمال المورثة للاحوال أن يمتنع من المحظورات،
 ويسمى الكيف الحاصل عنهما رعا، فاذا زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم
 فيكف عما لا يتيقن أيضا تحريمه، ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه الى
 ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وهو الصدق في التقوى، فاذا
 انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يصرف الى
 غير الله نفسا من أنفاسه فو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا، وأما الخوف
 الذي يجرى مجرى رقة النساء كما يخاطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء،
 وكذا عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى
 الغفلة عن خوف الرب، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى. وهذا حال الناس كلهم
 الا العارفين والعلماء الراسخين. ولست أعني بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسماتهم
 فانهم أبعد الناس عن الخوف لما فيهم من العجب والغرور، بل العلماء بآيات الله وصفاته
 وأفعاله في مصنوعاته وذلك بما قد عز وجوده الآن كالكبريت الاحمر في سالف الزمان
 ولذا قال الفضيل: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت، فالك أن قلت لا كفرت وأن
 قلت نعم كذبت. وأما الخوف المفرط وهو الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى
 اليأس والقنوط فهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل، والمراد من الخوف هو الخجل على
 العمل، وإذا تحقق اليأس له فهو كفر منه لانه أعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه في
 زلته (والامن) وهو ضد الخوف (كفر) أيضا لانه يدل على عتقاد عدم قدرته
 وقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته وعبادته (فورد) في التنزيل
 (فلا يامن مكر الله الآية) أي (الا القوم الخاسرون) أي الذين خسروا انفسهم واهليهم
 يوم القيامة بالكفر والمعصية (والطريق) الموصل الى تحصيل الخوف شيثان (النظر
 في صفاته تعالى) الجلالية كالتقهار والمنتقم والجبار (وأفعاله) في مصنوعاته من
 معاملاته مع طوائف الكفار، فمن عرف الله حق معرفته حملته معرفته على خشيته

فورد (أَمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَآخِشَاكُمْ لَهُ وَذَكَرَ الذُّنُوبِ
وَالْخُصُومِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ وَضَعْفِ النَّفْسِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ

بمشاهدة عظمة الله وعزته (فورد) في التنزيل (أَمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) لأنهم
العارفون بصفاته الخائفون منه بحسب ذاته (أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَآخِشَاكُمْ لَهُ) حديث
متفق عليه (وذكر الذنوب) السابقة (والخصوم) المتعلمين به يوم القيامة في الاحوال
اللاحقة (وشدة العذاب) بعد مناقشة الحساب (وضعف النفس) عن العقاب
والحجاب (وما ورد فيه) أى في فضل الخوف من الكتاب والسنة وأقوال السلف
وأحوالهم في هذا الباب ، أما الكتاب فقوله تعالى (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون)
(رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) (ولمن خاف مقام ربه جنتان)
(وخافوني ان كنتم مؤمنين) (سيدكر من يخشى) (وهم من خشية ربهم مشفقون)
وأما السنة فقوله عليه السلام «رأس الحكمة مخافة الله» رواه البيهقي في شعبه من
حديث ابن مسعود . وقوله لعائشة لما قالت : يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وتولوا بهم
وجلة: هو الرجل يسرق ويذني ، قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف
أن لا يقبل منه « رواه الترمذى وابن ماجه والحالم . وقوله عليه السلام «ما من مؤمن
تخرج من عينه دمعة وأن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئا
من حر وجهه الا وحرمه الله على النار» رواه الطبرانى والبيهقى في الشعب من حديث
ابن مسعود ، وقوله « اذا اشعر قاب المؤمن من خشية الله تحات عنه خطاياها كما يتحات
عن الشجرة ورقها » رواه الطبرانى والبيهقى في شعبه من حديث العباس وقوله « لا يابح
النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللب في الضرع » رواه الترمذى وقال حسن
صحيح وقوله لعقبة بن عامر حيث سال : ما النجاة يا رسول الله قال « أمسك عليك
لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » وقد تقدم . وقوله « ما من قطرة أحب الى
الله من قطرة دم جرت من خشية الله ، أو قطرة دم اهرقت في سبيل الله » رواه الترمذى
من حديث أبى أمامة وحسنه ، وقوله « اللهم ارزقني عينين تطالبتين تسقيان بذروف
الدمع قبل أن تصير الدموع دما والاضراس جمرًا » رواه أبو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر باسناد حسن وقوله « سبعة يظاهم الله يوم لا ظل الا ظله » وذكر منهم « رجلا
ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه » رواه الشيخان ؛ وعن حنظلة قال « كنا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فودعنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا
أنفسنا فرجعت الى أهلي فذنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا نسيت ما كنا
عليه عنده عليه السلام وأخذنا في الدنيا ، ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي
قد نادقت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت انادى
نافق حنظلة ، فاستقبلني أبو بكر فقال كلام تنافق ، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا
اقول نافق حنظلة نافق حنظلة ، فقال عليه السلام كلام يتافق حنظلة ، فقلت يارسول
الله كنت عندك فودعنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ،
فرجعت الى أهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك ؛ فقال يا حنظلة
لو كنتم أبدا على تلك الحالة لصاغتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ؛ ولكن يا حنظلة
ساعة فساعة ، رواه مسلم * وأما الآثار فقال أبو بكر الصديق : من استطاع أن يبكي
فليك ومن لم يستطع فليتبك . وكانه اخذه من قوله تعالى (فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا) ومن قوله (يبكون ويزيدهم خشوعا) ومن قوله (افمن هذا الحديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون) ومن قوله (خروا سجدا وبكيا) وكان محمد بن المنكدر
اذا مسح وجهه وحيته من دموعه يقول : بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته
الدموع . وقد تقدم في الحديث ما يساعده . وقال عبد الله بن عمرو : ابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا ، فوالذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم ما وراءه اصرخ حتى ينقطع صوته ،
وصلى حتى ينكسر صلبه ، وقال أبو سليمان الداراني : ما تغرغرت عين بمائها من خشية
الله الا لم يرهق وجه صاحبها قطر ولا زلة يوم القيامة ، فان سالت دموعه انظفا باول
قطرة منها بحار من النيران ، ولوان رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الامة . وقال كعب
الاحبار : والذي نفسي بيده لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعي على
وجنتي اوجب الى من ان اتصدق بجبل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر : لان ادمع
دمعة من خشية الله أحب الى من ان اتصدق بالف دينار . وقال الفضيل : من خاف الله
تعالى دله الخوف على كل خير ، أى وحفظه عن كل شر وضير . وقال الشبلي : ما خفت الله
يوما الا رأيت له بابا من الحكم والعبر ما رأته قط . وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه
واشدت له حبه وضح له لبه أى عقله . وقال ذو النون ينبغي أن يكون الخوف ابلغ من
الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف
الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده ، فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين ،
وقيل ليحيى بن معاذ : من آمن الناس غيبا ؟ فقال أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل

وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّ الرَّجَاءَ أَفْضَلُ أَمْ الْخَوْفُ وَالْحَقُّ عَدَمُ الْإِنْفِكَاءِ إِذْ لَوْ عَدِمَ أَحَدُهُمَا
 لَصَارَ أَمْنًا وَقُتُوطًا فَشَرَطَهُمَا عَدَمَ الْقَطْعِ فَلَا يُقَالُ أَرْجُو طُلُوعَ الشَّمْسِ وَأَخَافُ هَجُومَ
 الْأَجْلِ وَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ فَهُوَ طَرِيقُ الْحُبَّةِ وَوَرَدَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي

لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا
 الاخر ب (واختلف في أن الرجاء) للعبد (أفضل) من الخوف (أم الخوف) أفضل
 له من الرجاء (والحق) من القول (عدم الانفكاك) أي انفكاك أحدهما عن الآخر (إذ
 لو عدم أحدهما لصار أمنا) عند عدم الخوف (أو قوطا) عند عدم الرجاء فان الرجاء
 بلا خوف امن والخوف بلا رجاء يأس وكلاهما ممنوعان بنص القرآن والحق
 الاعتدال في غالب الاحوال وأيضا فهما متلازمان لان كل من رجا محبوبا فلا بد أن
 يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى (يدعوننا رغبا ورهبا) (ويدعون ربهم خوفا
 وطمعا) نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب
 بأحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلته عنه (فشرطهما) أي شرط وجودهما
 (عدم القطع) في كليهما فالأمن والقنوط ينافيان عدم القطع (فلا يقال أرجو طلوع
 الشمس وأخاف هجوم الأجل) لأن أمرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر
 لموت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه فلا
 يطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى مشكوك بتقدمه إذ المعلوم لا يرجح ولا يخاف
 فان المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لاحتمال تقدير وجوده يروح القلب
 وهو الرجاء وتقديره عدمه يوجع القلب وهو الخوف فالتقديران لاحتمال يتقابلان نعم
 أحد طرفي الشك قد يترجح بحصول بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك
 سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى
 الخوف بالاضافة وكذا بالعكس (والرجاء أفضل من حيث هو هو) أي مع قطع
 النظر عن صاحبه انه في أي مقام هو من مقامات المبتدئين والمؤمنين من المرادين
 في طريق المجتهدين أو المرادين في أمر الدين (فهو) أي الرجاء (طريق الحجة) وسبيل
 المحبين وهو أفضل المقامات وأكمل الحالات (ووردت رحمتي غضبي) وقد تقدم،
 وفيه تشبيه نبيه على أنه ينبغي أن يكون الرجاء أغلب على الخوف وتوضيحه أن الخوف
 والرجاء دواء ان تداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب

وهو الأفضل ان امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي أو اقتصرت على الفرائض
أو ضعف وأشرف على الموت ليموت على المحبة والخوف ان غلب التمني
واعتماد المعاصي والاعتدال ان اتقى ظاهر الاثم وباطنه ولا يعرض بمعارضة
كثيرة أسباب الرجاء فكان عمر رضي الله عنه يقول لو لم يدخل الجنة الا واحد

على القلب داء الأمن من مكر الله والاعتذار به فالخوف أفضل وان كان الأغلب على
العبد هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف
افضل لأن الاعتذار اغلب على القلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل
لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله
ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام في طلب الرب
وأما الخوف فمنه الالتفات الى الصفات التي تقتضى العنف والقمة فلا تمازجه
المحبة بمازجة الرجاء (وهو) أي الرجاء (الافضل) من الخوف والمفهوم من الاحياء
انه الأصلح كما في بعض النسخ هنا ولعله المصلح وانما يكون الرجاء أولى من الخوف
(ان امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي) الموجبة لليأس والقنوط من الرحمة
(واقترت) النفس (على الفرائض) دون الواجبات والسنن المؤكدة
(أضعف) بالمرض والكبر (وأشرف على الموت) أي قاربه الموت فان الأفضل
حيث هو الرجاء (لموت) بزيادة وصف الرجاء (على المحبة) الناشئة من كثرة
الرجاء (والخوف) أفضل وأصلح وأولى من الرجاء في مقام الدواء (ان غلب التمني
واعتماد) صاحبه (المعاصي) لقلته خوفه (والاعتدال) بين الخوف والرجاء انسب
واقرب (أن اتقى ظاهر الاثم وباطنه) أي جليته وخفيه ولذا قيل لو وزن خوف المؤمن
ورجاؤه لاعتدلا، وروى أن عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا
ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيت
بسيئات أهل الارض غفرها لك (ولا يعرض) من الاعراض أي ولا يعدل المتقى
المذكور عن الاعتدال (بمعارضة كثرة أسباب الرجاء) من الاعمال (فكان عمر رضي
الله عنه) مع كمال تقواه وكثرة أعماله لله (يقول لو لم يدخل الجنة الا واحد) من

أرجو أن أكون آياه ولو لم يدخل النار إلا واحد أخاف أن أكون آياه وتعسر
التحرز عن المعاصي الباطنة حتى كان عمر يسأل حذيفة عن وجود أثر النفاق
فيه واحتمال زوال الأسباب في المستقبل فورد أن الرجل ليعمل بعمل أهل
الجنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه

المؤمنين ﴿ أرجو أن أكون آياه ﴾ أي ذلك الرجل ﴿ ولو لم يدخل النار الا واحد ﴾ من
الحنافى ﴿ أخاف أن أكون آياه ﴾ وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع
الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فمثل عمر رضى الله عنه ينبغي أن يساوى
خوفه رجاءه فاما العاصى اذا ظن أنه ذلك الرجل واستثنى من دخول النار كان ذلك دليلا
على ما فيه من الاغترار ﴿ وتعسر التحرز ﴾ عطف بالمعنى لان الفاء في قوله فكان عمر لتعليل
المعنى فالتقدير لانه كان عمر ولتعسر الاحتراز ﴿ عن المعاصي الباطنة ﴾ ويجوز عطفه على
قوله بمعارضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤال مقدر وهو ان مثل عمر لا ينبغي
أن يساوى خوفه رجاءه بل ينبغي أن يغلب رجاءه خوفاً فإشاراً الى أن شروط صحة الايمان
على وجه الحقيقة من الامور الدقيقة فانه لا بد للقلب أن يكون نظيفاً من الشرك الخفى والنفاق
والرياء وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والآفات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق
بها من اللذات واللهاوت كثيرة وان سلم القلب في الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت
اليها في الاستقبال فان كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه
لا محالة كما يحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوى القلب ثابت
الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما أن يغلب رجاءه فلا ولقد كان عمر يباليغ
في تفتيش قلبه وتقلب حاله من المعاصى حتى كان يقول رحم الله: من أهدى الى
بعموب نفسى وكذا يخاف من النفاق وخصال أهله ﴿ حتى ﴾ غاية التعسر الى أن
﴿ كان عمر يسأل حذيفة ﴾ بن ايمان ﴿ عن وجود اثر النفاق فيه ﴾ أى عمر اذا كان حذيفة
قد خصه عليه السلام بعلم المنافقين، وكان يسمى صاحب سر النبى عليه السلام
﴿ واحتمال زوال الاسباب ﴾ أى ولا احتمال زوال اسباب الرجاء ﴿ في المستقبل ﴾ من الزمان
﴿ فورد أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ﴾ وفي الاحياء زيادة خمسين سنة ﴿ حتى لا يبقى
بينه وبين الجنة الا شبر ﴾ قال في الاحياء وفي رواية الا قدر فواقة ناقة ﴿ فيسبق عليه

الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه أما بالشك أو الجحود

الكتاب) أى المكتوب الازلى فى علم الله او المكتوب فى اللوح المحفوظ او عند تولده فى صحائف الملائكة الموكلة على حفظه (فيختم له بعمل أهل النار) فيدخل النار وكذا من يعمل عمل أهل النار، والحديث رواه مسلم من حديث أنس بن مالك أن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وللبزار والطبرانى فى الاوسط سبعين سنة واسناده حسن، وللشيخين فى اثناء حديث لابن مسعود « أن احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع » الحديث وليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شهر ولا فواقر ناقة (ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه) أى من سوء الخاتمة وتغير الحالة فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى والرياء فى زوايا القلب وأن اعتقد نقاء قلبه وصفاء لبه عن مثله فمن يأمن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء غيبه عنه فان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التى عليه مدار سعادة العاقبة فاذا نصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء فى اكثر الناس فيكون مستنده الاعتراض وقلة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر، فالخاق الموجدون فى هذا الزمان كلهم الاصلاح لهم غلبه الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجاى عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون الياس الموجب للقنوط من رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاعتراض ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة ذوى الاستبصار، وقال مكحول الذى من عبده بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده لمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صدق ثم سوء الخاتمة (اما بالشك) والتردد فى قبول الايمان (او الجحود) أى الانكار باصل الايمان ومحض الكفران

عند النزاع لظهور بطلان بدعة كان يعتقدها تقليدياً أو تعويلاً على مجادلته الكلام فهو حالة الانكشاف واعتقاد بطلان كل ما اعتقده أو شكه لهذا السبب

﴿ عند النزاع ﴾ أي نزاع الروح حال سكرات الموت وظهور أهواله الموجبة لتغير أحواله فتقبض روحه في حالة شك القاب أو وجود الرب وذلك يقتضى البعد الابد والعذاب الخلد وذلك الشك أو الجحود إنما يقع ﴿ لظهور بطلان بدعة ﴾ يعتقدها في ذاته سبحانه أو صفاته أو أفعاله في مصنوعات أو يتأولها في آيات من آياته ﴿ كان يعتقدها ﴾ أي البدعة ﴿ تقليدياً ﴾ بمن هذا حاله ﴿ أو تعويلاً ﴾ أي اعتماداً ﴿ على مجادلته الكلام ﴾ أي مجادلته الخصام بما يعول عليه من أصول علم الكلام ويغتر به فيما بين الانام ﴿ فهو ﴾ أي وقت النزاع ﴿ حالة الانكشاف ﴾ أي انكشاف كل شيء على ما هو عليه يقال تعالى ﴿ فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ﴾ فقوله هو علة لظهور بطلان البدعة، وأما قوله ﴿ واعتقاد بطلان كل ما اعتقده ﴾ فبتبدأ وقوله ﴿ أو شكك ﴾ بالجر عطف على بطلان الثاني، وقوله ﴿ لهذا ﴾ خبر المتبداً أي واعتقاد بطلان كل المعتقدات الصحيحة أو اعتقاد شك لها لهذا السبب ﴿ السبب ﴾ وهو ظهور النزاع أي صار هذا الظهور سبباً لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة، أو سبباً لاعتقاد شك الجميع. ويجوز كون قوله أو شكك مرفوعاً عطفاً على قوله واعتقاد، قيل وهو الأرجح يعني اعتقاد بطلان الجميع لهذا السبب أو شك الجميع لهذا السبب. والظاهر عندي أنه فعل ماض عطفاً على اعتقده فتأمل، ثم حاصل كلامه أنه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير السؤال، فإن قلت: بظهور بطلانها بما يوجب الشك أو الجحود في نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم لخلود النار إنما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة أو الشك فيها كلها، فكيف يتصور سوء الخاتمة بهما في بدعة واحدة؟ فأجيب بما تقدم. وتوضيحه: إن المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لا لتجانبه فيه إلى رأيه الكاسد وعقله الفاسد، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله وبرسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة الصريحة، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو باعثاً لشكها فيها، فإذا اتفق زهوق روحه في

وورد (قل هل ننسبكم بالآخسرين أعمالاً) الآية والمعاملة لاتنافيه والبله بمعزل
 عنه ومن ثم ورد «أكثر أهل الجنة البله»

هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه ، فمؤلاء هم المرادون بقوله تعالى: (وبدالهم من الله مالم يكونوا يحسبون) (وورد) في التنزيل (قل هل ننسبكم بالآخسرين أعمالاً الآية) أى (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) (والمعاملة) أى حسنها (لاتنافيه) أى لاتعارض سوء الخاتمة واراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الاعمال الصالحة فانها لاتكفى لدفع هذا الخطر بل لاينجى منه الا الاعتقاد الحق (والبله) جمع الابله (بمعزل عنه) أى عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايماناً مجملاً راسخاً كالاعراب والعجمان وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر العقلى استدلالاً ، ولم يشرعوا فى الكلام استدلالاً ، ولا اصغوا إلى أصناف أهل الكلام فى تقليد آرائهم المختلفة التى تقتضى ضلالاً واضلالاً (ومن ثم ورد أكثر أهل الجنة البله) رواه البزار من حديث أنس ، ولذا منع السلف الكرام من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الامور بالتمام ، وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد نفي التشبيه ، ومنعواهم من الخوض فى التأويل لان الخطر فى البحث عن الصفات عظيم وعقباته كوؤدة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القى اليها فى ابتداء النشوء آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبله وشهوات الدنيا بمخنة آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام بالله وبصفاته بالرأى والمعقول وفى تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى السكالم والاحاطة بكنهه ذى الجلال انطلقت السننهم بما يقع لكل واحد منهم وتعاق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكيد ذلك بطول الإلف فيهم وأنسد الكلية طريق الخلاص عليهم فكانت

أَوْ بِمُعَادَاتِهِ تَعَالَى لَعَلَّهُ بِتَفْرِيقِهِ تَعَالَى أَيَاهُ وَتَأْلَمِ الْقَلْبَ بِفَوَاتِهَا وَكَانَ يَسْتَوْلِي
حُبَّهَا عَلَيْهِ وَلِضَعْفِ إِيْمَانِهِ وَلَا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى فِيهِ إِلَّا حَدِيثُ النَّفْسِ وَهُوَ
أَسْوَدُ مَنْ تَرَامُ ظِلَامَ الرِّذَائِلِ فُورِدَ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
الْآيَةُ أَوْ بِأَمْرِ دُنْيَوِي كَانَ يَجِبُهُ فَاحْتَجِبَ عَنْهُ تَعَالَى شُغْلًا بِهِ

سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم
ولكن الآن قد أسترخى العنان وفشا الهديان وترك كل جاهل على ما وائق طبعه بظن
وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنهم صفو إيمان وعرفان ويظن أن
ما قبع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين ولتعلمن نبأه بعد حين كما قيل
سوف ترى إذا أنجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار
وينشد في حق هؤلاء عند كشف الغطاء :

احسنت ظنك بالايام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتكم الليالي فاعترت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل ما فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد
تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا ملخص ما في الاحياء (أو) سوء الخاتمة يقع (بمعاداته
تعالى) وهو من اضافة المصدر إلى مفعوله (لعلمه) أي لمعرفة العبد (بتفريقه تعالى
اياه) أي للعبد من الدنيا (وتأل القلب) أي ولتوجهه (بفواتها) أي بفوات الدنيا
ولذاتها (وكان يستولى حبا عليها) أي على قلبه (ولضعف ايمانه) بالله وبمالديه (ولا يكون
من ذكره تعالى فيه الاحديث النفس) المحذور اليه (وهو) أي والحال أن قلبه
(اسود من ترام ظلام الرذائل) من سوء الاخلاق والشماثل فان اتفق زهوق وحه في
تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمد او هلك هلا كامو بدا
ولا يظلم ربك أحدا (فورد) في التنزيل (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم
الآية) أي وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
والله لا يهدي القوم الفاسقين (أو) سوء الخاتمة يحصل (بأمر دنوي كان
يجبه) العبد (فاحتجب عنه تعالى شغلا) لذلك العبد (به) أي بالأمر الدنيوي

فَمَا اعْتَادُوا تَرْسُخَ فِي الْقَلْبِ لَا يَنْسِي كَمَا فِي النَّوْمِ وَهُوَ لِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي مَعَ قُوَّةِ الْإِيمَانِ
أَوْ قَلَّتْهَا مَعَ ضَعْفِهِ وَهَذَا لَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ وَمِنْ ثَمَّ تَكَرَّرَ الْفُجَاءَةُ لِجَوَازِ اتِّفَاقِهَا
عَلَى خَاطِرِ سُوءٍ وَتَغَبُّطِ الشَّهَادَةِ لِاسْتِيْلَاءِ حُبِّهِ تَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ

﴿فما اعتادوا ترسخ﴾ أي ثبت ﴿في القلب لا ينسى كما في النوم﴾ ويعرف هذا بمثال وهو لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة فإن المراهق الذي لم يحتمل لا يرى صورة الواقع إذ لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذين مضى عمره في التفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما يراه التجار الذي مضى عمرهم في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بأسباب التجارة أكثر مما يراه الطبيب والفقير لأنه إنما يظهر له في حالة النرم ما حصل له من مناسباته مع القلب بطول الألف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم، وأما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضى بذلك تذكر المألوفات من الطاعات أو السيئات أو اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين والصالحات وقد قيل كما تعيشون تموتون وما تموتون تحشرون ويشير إليه قوله تعالى ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ وطول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشر عدو ذخيرة لحالة سكرات الموت وساعات الفوت فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه، ولذا قيل عن بقال كان يلحق عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة أربعة زيادة ﴿ وهو ﴾ أي الاحتجاب المذكور وسائر الأمور ﴿ لكثرة المعاصي مع قوة الإيمان أو قلتها مع ضعفه ﴾ أي لقلّة المعاصي مع ضعف الإيمان ﴿ وهذا ﴾ الاحتجاب المذكور أو القسم المسطور من أقسام سوء الخاتمة ﴿ لا يوجب الخلود في النار ﴾ بخلاف الأولين من أقسام سوء الخاتمة فإنهما يوجبان الخلود في دار البوار ﴿ ومن ثم ﴾ أي ومن أجل أن سوء الخاتمة يتحقق عند النزاع ﴿ تكرر الفجاءة ﴾ من الموت والبلغته المقتضية لبعض الفوت ﴿ لجواز اتفاقها ﴾ أي اتفاق وقوع الفجاءة ﴿ على خاطر سوء ﴾ يكون سببا لسوء الخاتمة ﴿ وتغبط الشهادة ﴾ أي تحب وتتمنى ﴿ لاستيلاء حبه تعالى ﴾ حيثئذ ﴿ على القلب

وَأَعْرَاضَهُ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ مَنْ يُخَاصُّ وَلَا يَقْصِدُ الْعَلْبَةَ وَالْغَنِيمَةَ وَالصِّيتَ
وَالْعِلَاجَ الْمَعْرِفَةَ وَالزُّرُومَ الطَّاعَةَ وَتَعْجِيلَ التَّوْبَةَ وَالنَّوْمَ عَلَى الطَّهَارَةِ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا
وَتَنْقِيَةَ الْقَلْبِ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَطَلْبَ الْعِلْمِ النَّافِعِ فَالْأَمْرُ صَعْبٌ وَمِنْ ثَمَّ يَرُوى
عَنِ السَّافِ كَثْرَةُ النُّوحِ وَالْبُكَاءِ ۞

وأعراضه عن الدنيا ۞ وأقباله بكيته على الرب ۞ وهو ۞ (لمن يخلص) ۞
في الدنيا ۞ (ولا يقصد العلبة) ۞ من أخذ المبالد وقهر العباد ۞ (والغنيمة) ۞ من الأموال النفيسة
والخدام الأنيسة ۞ (والصيت) ۞ بالجاه والرياء والسمعة ۞ (والعلاج) ۞ للخلاص عن سوء
الخطية ۞ (المعرفة) ۞ التامة من العلم النافع ۞ (ولزوم الطاعة) ۞ من العمل الصالح ۞ (وتعجيل
التوبة) ۞ عن المعصية ۞ (والنوم على الطهارة ظاهرا) ۞ وهو طاهر ۞ (وباطنا) ۞ بان
لا يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد « من بات على طهارة ثم مات
من ليلته مات شهيدا » رواه ابن السني عن أنس ۞ (وتنقية القلب) ۞ أي تصفيته وتخليته
عن حب غير الرب ۞ (وتلاوة القرآن) ۞ غيبا ونظرا مع مراعاة المباني وملاحظة المعاني
۞ (وطلب العلم النافع) ۞ من التفسير والحديث والفقه والتصوف ۞ (فالأمر) ۞ أي امر سوء
الخطية ۞ (صعب) ۞ أي شديدا ومر ۞ (ومن ثم يروى عن السلف) ۞ من الصحابة والتابعين
۞ (كثرة النوح والبكاء) ۞ مع زيادة التضرع والدعاء في السراء والضراء فقد قال الحسن
البصري: يخرج رجل من النار بعد الف عام باليتنى كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك لخرف
سوء الخطية ، وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا زكي أحد غير رسول الله ولا أبي الذي
ولدى فثارت الشيعة عليه فجعل يذكر من فضائل علي ومناقبه ، وروى أن النبي
صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يكماخوفا من الله عز وجل فأوحى الله اليهما
لم تبكيان فقد امتنكما فقالا ومن يأمن مكرنا وغيره وكأنيهما إذا علما
أن الله علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله فقد
أمتنكما ابتلاء لهما واهتجانا ومكرأبهما حتى أن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا
من المكر وما وبقولهما هذا ، ولولا أن الله لطيف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم
بروح الرجاء لاحتقرت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء للعارفين رحمة من الله
لهم وأسباب الغفلة رحمة علي عموم الخاق من وجه ، وكان أبو الدرداء يحلف بالله

والأحد أمن على أيمانه أن يسلب عند الموت الإسلام، وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال (وقلوبهم وجلة) ولما احتضر سفيان جعل يبكي ف قيل يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفوا الله أعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابني لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان التقى الله بامثال الجبال من الخطايا، وفي رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب زمانا فلان بكوا على الاسلام، وكان سهل يقول المرید يخاف ان يتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يتلى بالكفر، وروى عن عيسى عليه السلام انه قال يامعشر الحواريين انتم تتخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر، وفيه تذييه نبيه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله والمعتمد ان الانبياء معصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل اذ لا يجب شيء على الله وان فعله اما العدل واما الفضل، وقد قيل كان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاني ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرؤك السلام ويقول هل رأيت خليلنا يخاف خليله فيقول يا جبريل أنى ذكرت خطيئتي نسيت خلتي، وعن الحسن لو أعلم أنى برىء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، وقد قال الحسن أن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذى يخلص من هذه المعاني بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ومنسى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة: ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد عليه السلام فيصير بها منافقا انى لاسمعها من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد، وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعداها على عهد عليه السلام من الكبائر رواه البخارى وغيره، وقال بعضهم علامة النفاق ان تذكره من الناس ما أتى مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق، وقيل من النفاق انه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تسكلمنا فيهم فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد عليه السلام رواه احمد، وسمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارأيت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد عليه السلام، واشد من ذلك ما روى ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا

يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نمد هذا نفاقا على عهده عليه السلام، وكان حذيفة يقول أنه يأتي على القلب ساعة يمتليء بالايمن حتى لا يكون للنفاق فيه مغزابة ويأتي عليه ساعة يمتليء بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغزابة، ولعلمهم ما عنوا به النفاق الذي هو ضد الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان من بعض العصيان، والحاصل أن العارف بين الالتفات الى السابقة والى الخاتمة اللاحقة خائفا منهما ولذا قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخالفتين بين أجل قد مضى لا يدري ما لله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما لله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا من دار الاجنة أو النار ذكره البيهقي وغيره، وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين خشية الله وحب المرديوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق أقول لكم أن اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طاب الفردوس قليل ويروى عن الصديق أنه قال لطارء ليتنى كنت مثلك يا طائر أو لم اخلق بشرا، وقال أبو ذرودت لو أنى لشجرة تعضد وكذا قال طلحة، وقال عثمان وددت أنى اذامت لم ابعث وقالت عائشة وددت أنى كنت حيضة ونسيان نسيما وروى أن عمر كان يسقط من الخوف فاذا سمع آية من القرآن خر مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما تذنة من الارض وقال ياليتنى كنت مثل هذه التذنة ياليتنى لم اك شيئا مذكورا ياليتنى كنت نسيان نسيما ياليت أمى لم تلدنى وكان فى وجهه عمر خطان أسودان من الدموع ولما قرأ عمر (إذا الشمس كورت) فانتهى الى قوله (وإذا الصحف نشرت) خر مغشيا عليه، ومر يوما بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى (أن عذاب ربك لواقع ما له من دافع) نزل عن حمراء واستند الى حائط فكدت زمانا وارجع إلى منزله فرض شهرا يعود الناس ولا يعرفون مرضه، وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كآبة وهو يقرب يده لقد رأيت أصحابه عليه السلام فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعشا غبرا بين اعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا وذكروا مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح فهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كائى بالقوم باتوا غافلين يعنى من حرله ثم قام فما رى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم، وقال عمران بن حصين لو ددت أنى كنت رمادا تسفينى الرياح في يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح وددت أنى كبش فيذبحنى

أدلى فيأكلون لحمي ويمسسون مرقى ، وكان على بن الحسين اذا توضأ اصفر لانه يقول له
 أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول اتدرون بين يدي من اريد أن اقول فقرأ
 مضر القارى يوما (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كذبا) الآية فبكى عبد الواحد بن
 زيد حتى غشى عليه وقال وعزتك وجلالك لاعصيتك جهدى ابدا فلعنى بتوفيلك على
 طاعتي ، وكان المسور بن مخرمة لا يقوى على أن يسمع القرآن من مسده فوقفه ~~وقد كان~~
 يقرأ عنده الحرف او الآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من بني خنعم
 فقرأ عليه (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)
 فقال انا من المجرمين ولست من المتقين فقال اعد على القول ايها القارى فاعاد عليه فشبه
 شهقة فلحق بالآخرة ، وروى ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ
 (فاذا نقرى بالاقور) خر مغشيا عليه فحمل ميتا ، وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال
 قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وطأنا والقبر
 أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا ، فقال عمر بن
 عبد العزيز انما جعل الله الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله ، وقال
 الفضيل انى لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا اليس هؤلاء يهاوتون يوم القيامة انما
 اغبط من لم يخلق ، وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فبكى حتى حبسه ذلك
 في البيت فجاء عليه السلام ودخل البيت فاعتقه فخر ميتا فقرأ عليه السلام : جهزوا
 ميتكم فان الفرق من النار فقت بده ، رواه ابن ابي الدنيا واليهقى في الشعب من حديث
 سهل بن سعد ، وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع
 عليهم من كوة وهو يبكي وحيته ترجف فقال عليهم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم
 ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع و ~~هنا~~ كسب العزيق انما هذا
 زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وقال
 رجل للحسن با ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك فتبسم الحسن فقال
 تسألنى عن حالى ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى تو سطوا البحر فانكسرت سفينتهم
 فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال هم قال للرجل على حالة شديدة قال الحسن
 حالى أشد من حالهم ، وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة
 اوفى النار ، وقال معاذ بن جبل أن المؤمن لا تسكن روحه حتى يخلف جسدهم ورواه
 وخلاصة الكلام في هذا المقام أن غلبة الخوف حال الصحة أصلح لبيعته على ترك الغفلة
 وغلبة الرجاء في تلك الحالة أصح لانه اجلب للمسلم وللهذا قال عليه السلام : « لا يموتن

(البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْفَقْرُ فَقْدٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَإِنْ فَرِحَ بِالْفَقْدِ وَكَرِهَ
الزَّانِبُ عَلَى الضَّرُورَةِ فَزَاهِدٌ وَإِنْ لَمْ يَكْرَهُ

أحمد بن محمد بن الحسن الطائفي رحمه الله روى عن جابر بن عبد الله بن جابر، ومن هنا لما حضر
الوفاة سليمان التيمي قال لابنه يابن حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى اتقى الله
حسن الطائفي به، وكذلك لما حضر الوفاة الثوري واشتد جزعه جمع العلماء حوله
يرجونه، وقال الامام أحمد عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن
الظن، والمقصود من ذلك أن يحبب الله إلى نفسه وأن يموت مع المحبة التي هي مقام
أنسه رزقنا الله من فيض قدسه ۝

(البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ)

الفقر نفي الانبياء والخير الاولياء والزهد زاد الاتقياء، وقدم الفقر على الزهد بناء
على تقدم وجود أصله في كل مخلوق ونسله كما يشير اليه قوله تعالى (والله الغني وأنتم
الفقراء) والزهد عارض من جهة عدم ميله إلى الغنى المضر لوصول نيله (بسم
الله الرحمن الرحيم) فقر إلى غنى ربي الكريم وأزهد عن غير لقاء مولاي
العظيم (الفقر) عند الصوفي (فقد ما يحتاج اليه) في ظن الفاقد بما لديه أما فقد
ملا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وإنما كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن
المحتاج اليه فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله سبحانه
فهو فقير لانه محتاج إلى دوام الوجود في ثانی الحال ودوام وجوده مستفاد من
فضل الله وجوده وأن كان في الوجود موجودا ليس وجوده مستفادا من غيره فهو الغني
المطابق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود الا واحد فليس في الوجود الا غني واحد
وكل ما عداه محتاج اليه في ايجاده وامداده، وإلى هذا الحصر اشير في قوله تعالى (والله
الغني وأنتم الفقراء) وهذا معنى التبرر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال
على الخصوص والافقر العبد بالانضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر (فان فرح)
السالك (بالفقد) المذكور أو بوصول ما يحتاج اليه (وكره الزائد على الضرورة)
فيما لديه (فزاهد) أي فهو زاهد وهذه الحالة حالة علياء (وان لم يكره)

ولم يرغب فراض وورد يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا ثواب
 فقرم وان ترك الطلب مع ان الوجود عنده احب فقانع وان رغب وتركه
 للعجز فخرىص وان اضطر اليه وفقده فمضطر والاعلى تسوية الوجود والعدم

الزائد على الضرورة كراهة يتأذى بوصوله (ولم يرغب) في الواجب على الضرورة
 رغبة يفرح بوصوله (فراض) أى فاسمه راض ورب راغب في المال لا يضطر بقلبه
 انكار على الله ولا كراهة في فعله ولاه تلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر في
 حقيها (وورد يامعشر الفقراء) أى جماعتهم (اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا
 بثواب فقرم) وتتمة الحديث والادلا رواه الديلمي عن أبي هريرة، ويكاد مفهوم
 الحديث يشعر بان الحريص لا ثواب له على فقره لكن العمومات الواودة في فضل
 الفقر والقناعة والزهد تدل على أن له ثوابا فاعل المراد بعدم الوعاء هو الكراهة بفعله
 سبحانه في حبس الدنيا عنه (وان ترك الطلب) أى طلب المبدأ على الضرورة وهو
 قادر على طلبه ولكن تركه (مع أن الوجود) أى وجود المال الزائد (عنده احب)
 من عدم وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يكون حطلبته بل أن اتاه عفوا
 صفوا اخذه وفرح به وان افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل (فقانع) أى فيقال له
 قانع اذ قنع نفسه بالوجود حتى ترك طلب المفقود مع (فيه) من الرغبة الضعيفة في
 الوجود (وان رغب) في الزائد ولو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالعباطية (وتركه للعجز)
 أى وترك الطالب لعجزه عن طلبه أو هو مشغول بالطالب وجبه (فخرىص) اسمه (وأن
 اضطر اليه) أى افتقر إلى ما يحتاج اليه (وفقده) أى وفقده ضرره كالجائع الفاقد
 للخبز والعارى الفاقد للثوب (فمضطر) وصفه كيف ما كانت رغبته في الطلب
 ضعيفة او قوية وقل ما ينفك صاحب هذه الحالة عن الرغبة في الجملة (والاعلى)
 من الفقر او من الزهد أو أعلى الاحوال الخمس (تسوية الوجود) أى وجود ما يحتاج
 اليه من المال (والعدم) أى ونقد ما يحتاج اليه فان وجدته لم ينزع من ثباته ولم يتأذى
 عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عائشة اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذته
 وفرقتها من يومها فقالت خادمها ابقيت منها درهما تشتري لنا به لحما فطر به فقالت
 لو ذكرتيني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بخذا فيرها في يده وخزائنها في تصرفه

فهو استغنى دون الغنى لاختصاصه به تعالى وهو المراد بما ورد في فضل الفقر

لم تضمنه اذ هو يرى الاموال من جملة خزائن الملك المتعال لاني يدنفسه فلا يفرق بين أن تكمن في يده او في يد غيره وقد حملت خزائن الارض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال (فهو استغناء دون الغنى) المطابق (لاختصاصه) أي الغنى المطلق (به) أي بالحق (تعالى) شأنه ويزعم أن يسمى صاحبه المستغنى لأنه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا، وقد يقال له غنى بغنى مولاه لخبر ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس، ثم هذا العبد وان استغنى عن المال ووجودا وعده لم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي احققه عن هذا الرق فهو محتاج إلى درام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متعاقبة لانها بين أصبعين من أصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الاجازا (وهو) أي الاستغناء (المراد بما ورد) من الكتاب والسنة (في فضل الفقر) والفقراء كقوله تعالى (للفقراء المهاجرين) الآية (وللفقراء الذين اضمحروا) الآية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار، وكقوله عليه السلام لبلال انا لله فقيرا ولا تلقه غنيا، رواه الحاكم من حديث بلال والطبراني من حديث ثبي سعيد بلفظ فقير ولا تمت غنيا، وقوله يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح، وقوله الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسنة على خد الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن عباس، وقوله اطاعت في الجنة رأيت أكثر أهلها الاغنياء رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيعين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجدد محبوسون وقوله تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيفة الشيرازي في شرف الفقراء، والديلمي من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به، وقوله آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملائكة وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي رواية رأته دخل الجنة زحفا، والديلمي عن أبي الدرداء مرفوعا

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار
 الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلمت عقوبته، وروى أن عيسى عليه السلام
 مر في سياحته برجل نائم ملتف في عبادة فابقظه وقال يا نائم قم فاذا كر الله فقال لا تريد
 مني انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فتم اذن حبيبي نعم، وقال موسى عليه السلام يا رب
 من أحبواوك من خلقك حتى أحبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل أن يكون الثاني تأكيده
 وان يكون المراد به شديد الفقر، وكان عيسى عليه السلام احب الاسامى اليه ان يقال له
 يا مسكين، ولا بى الشيخ من حديث انس يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا منى أحبائى
 فتقول الملائكة ومن أحبواوك فيقول فقراء المسلمين فيدونونه فيقول اما انى لم ازوال الدنيا
 عنكم بهوان كان بكم ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتى اليوم فتمنوا على
 ماشئتم ولا بى نعم في الحلية من حديث الحسين بن على اتخذوا عند الفقراء ايدى فان لهم
 دولة يوم القيامة وللطبرانى من حديث أبى امامة دخلت الجنة فسمعت حركة امامى
 فنظرت فاذا بلال فنظرت إلى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها
 فاذا فيهم الاغنياء والنساء قليل فقامت يارب ماشئتم قال أما النساء فاضرتهن الاحمران
 الذهب والحريير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب فنفقدت أصحابى فلم أر
 عبد الرحمن بن عوف ثم جاني بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى فقال أما والله
 يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشديات فظننت أنى لا اراك قلت لم قال كنت
 احاسب بمالى ، ولا بن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الاخير عن ملوك الجنة قالوا
 بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه به لوطا قسم على الله
 لا برة، وللحاجم والترمذى من حديث عائشة أنه عليه السلام قال لها ان اردت اللحوق بى
 فعليك بعيش الفقراء واياك وبجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعها، وعن ابن
 عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر، وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقنا
 ثيابه فان ربك ورببه واحد ، وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين
 واشارك لجاستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين،
 وقال المؤمل مارأيت الغنى اذل منه فى مجالس الثورى ولا رأيت الفقير اعز منه فى مجالس
 الثورى، وللدارقطنى وغيره من حديث ابن عمر بن الكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب
 المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وفى الصحيحين من حديث أبى
 هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية لمسلم كفا فالابن ماجه من حديث أنس
 ما من أحد غنى ولا فقير الا و يوم القيامة أنه كان اوتي قوتا فى الدنيا، وللدبلى يقول الله

أَمَّا وَرَدُّ عَوْذُكَ مِنَ الْفَقْرِ وَنَحْوِهِ فَمَحْمُولٌ عَلَى الْإِضْطِرَارِ، وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّ
الْفَقْرَ أَفْضَلُ أَمْ الْغَنَى؟

تعالى يوم القيامة ابن صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء
المسلمين القانعين جطائي الراضين بقضائي ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأطون
ويشربون منها والناس في الحساب يترددون ﴿أماما وردا عوذك من الفقر﴾ كما للنساء
من حديث أبي سعيد الخدري أنه عليه السلام كان يقول أعوذ بالله من الكفر والفقير
وفي رواية للحاكم من الفقر والكفر ﴿ونحوه﴾ من حديث كاد الفقر أن يكون كفرا
وقد تقدم ﴿فمحمول على الاضطرار﴾ بلا انضمام زهد في الاختيار وهو أن يضطر
الى الشيء ويفقده لان هذه الحالة لاشك أنها مشوشة او محمول على فقر القلب فمن
ذى النون اقرب السائر إلى المكفر ذو فاقة لاصبر له ، وفي الجملة كل ما هو شاغل عن المولى
فهو شؤم في الدنيا والاخرى ، ومن هنا ورد اعوذ بك من شرفنة الفقر وشرفنة
الغنى فان الفقر يكون منسياً فان الغنى يكون مطغيا هذا وسند كفضل الزهد في محله الآتي *
وأما الآثار في الرضى والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضى الله عنه أن الطمع
فقر والياس غنى وأنه من يئس عما في ايدى الناس وقع بما في يده استغنى عنهم وفي
دعائه عليه السلام اللهم قننى بما رزقتنى وبارك لى فيه ، وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بياس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قرين وذى رحم أن الغنى من استغنى عن الناس

وقال ابن مسعود ما من يوم الا اولك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك
خير من كثير يطغيك ، وقال أبو الدرداء ما من أحد الا وفي عقله نقص وذلك أنه اذا
اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مجسوراً والليل والنهار دابين في دم عمره ثم لا يحزنه
ذلك ويح ابن آدم ما ينفع ما يزيد وعمر ينقص ، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء فقال قلة
تمنيك ورضاك بما يكفيك ، ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ما جا وبقلا
فقال له يا ابا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال أفلا ادلك على من رضى بشر
من هذا؟ قال بلى قال من رضى بالدين عوضا عن العقبى ، وروى أن الله عز وجل قال
في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا ظهالك لم يكن لك منها الا القوت
فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها الى غيرك فاننا محسن اليك ﴿واختلف
في أن الفقر﴾ مع الصبر ﴿أفضل﴾ من الغنى مع الشكر ﴿أم الغنى﴾ مع الشكر افضل

وَالْحَقُّ الْاِخْتِلَافُ بِحَسَبِ الْأَشْخَاصِ فَالْفَضْلُ بِقَدْرِ الْفِرَاقِ عَنِ الشُّوْبِ وَعَلِ الدُّنْيَا
إِنَّمَا حَذَّرَ عَنْهَا

من الفقر مع الصبر فذهب الجنيد والخواص والاكثرون إلى فضل الفقر وخالفهم ابن عطاء
كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب
فانقطع ولم ينطق في هذا الباب، واجيب أيضا بان التكبر من صفات الحق فينبغي أن
يكون أفضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لان صفات العبودية
أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن يتنازع فيها لما ورد
المكبر يار مدائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته، وقال سهل حب العز والبقاء
شرك في الربوبية ولا منازعة فيهما لانهما من صفات الله قلت ويشير اليه قوله تعالى
(والله الغنى واتم الفقراء) ثم التحق ان الفقر والغنى إذا اخذا مطلقا لم يشك
من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقامين احدهما فقير
صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضافة إلى غنى ينفق ماله
في الخيرات ليس حريصا على امساك المال وثانيهما فقير حريص مع غنى حريص
اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغنى الحريص الممسك وان الغنى المنفق ماله في
الخير خير من الفقير الحريص اتفاقا واما الاول فر بما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانهما
تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا
هو الذى ظنه ابن عطاء في غالب الظن فأما الغنى المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا
يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ماسياتى من سؤال الفقراء عما يورثهم
ترجيح الاغنياء (والحق الاختلاف بحسب الأشخاص) بل وتفاوت الأحوال كما يشير
اليه قوله تعالى (ان ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) انه كان بعباده خيرا بصيرا
وفي الحديث القدسي « ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان
من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله » وفي دعائه عليه السلام « اللهم
وسع لى فى رزقى عند كبر سننى » ومن هنا قيل التوسيم أسلم ومقام الرضاء اتم والله أعلم
ويؤيده قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وأتم لا تعلمون) (فالفضل) أى زيادة الفضيلة (بقدر الفراغ عن
الشواغل) أى الموانع عن تحصيل الفضائل (والدنيا انما حذر عنها) أى عن حياها

لِشْغَلِ عَنْهُ تَعَالَى وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ شَغَلَتْهُ وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ لَمْ تَشْغَلْهُ كَسَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَمَا فِي حَقِّ الْأَكْثَرِ فَالْفَقْرُ أَذْهُ وَأَبْعَدُ عَنِ الْخَطَرِ وَالْإِنْسُ
بِالدُّنْيَا وَالْقُدْرَةِ عَلَى الشَّهْوَةِ

﴿ للشغل عنه تعالى ﴾ بسببها وتوضيحه أن ما لا يرا دبعينه بل يرا دغيره فيذبحى أن يضاف
إلى مقصوده اذبه يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول
إلى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله سبحانه ﴿ وكم
من فقير شغلته ﴾ الدنيا وحبها وكسبها وصرفه الفقر عن المقصد كآكثر ابناء الدنيا
﴿ وكم من غنى لم تشغله ﴾ الدنيا ولو اذثر فى مالها وجاهها ﴿ كسليمان عليه السلام ﴾
وداود و ابراهيم ﴿ وعبد الرحمن بن عوف ﴾ وعثمان بن عفان وذلك لان غاية المقصد
فى الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة
مع الشواغل غير ممان والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل
كما يشير اليه قوله عليه السلام « أعوذ بك من شرفنة الفقر وشرفنة الغنى » فان تقدم وانما
الشاغل على التحقيق حب الدنيا ولا يجتمع معه حب الله فى القلب ، والمحب للشىء مشغول به
سواء كان فى فراقه أو فى وصاله ، وربما يكون شغله فى الفراق اكثر ، وربما يكون فى الوصال
اكثر ، والدنيا ممشوقة للغافلين ، فالمحروم منها مشغول بطلبها ، والقادر عليها مشغول بحفظها
والتمتع بها ﴿ اما فى حق الاكثر فالفقير ﴾ افضل ﴿ اذ هو ابعد عن الخطر ﴾ فى الشغل عن
المولى ﴿ والانس ﴾ اى وعن الاستيناس ﴿ بالدنيا والقدرة ﴾ اى وعن القوة
﴿ على الشهوة ﴾ اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ، ومن العصمة ان لا تقدر ، ولذا
الصحابة : بليذا بفتنة الضراء فظبرنا ، وبليذا بفتنة السراء فلم نصبر . ومن هنا قال عيسى
عليه السلام : لا تنظروا إلى اموال أهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم . وفى
الخبر « ار لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم » رواه الديلمى من طريق أبى
عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة . وكان أصل عجل قوم موسى عليه السلام من
حلية الذهب والفضة ايضا ، فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء
والاولياء ، ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة هنالك اذ كان عليه السلام
يقول للدنيا « اليك عنى اليك عنى » اذ كانت تتمثل له بزبتها ، رواه الحارم . وكان

الْأَفِي الْمَضْطَرُ لِأَنَّهُ يَمُوتُ جَبْرًا وَالْوَا جِدِي حَصَلَ الْمَعْرِفَةُ الْآمَنُ لَا يَتُوبُ عَنِ الْمَعَاصِي
فَالْمُوتُ خَيْرٌ لَهُ وَكَذًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَوَرَدَ اللَّهُ أَحِبِّنِي مَسْكِينًا وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا
وَاحْشُرْنِي فِي زَمْرَةِ الْمَسَاكِينِ بَلِّغْ عَنِّي الْفُقَرَاءَ أَنْ لِمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ
لَيْسَتْ لِلْأَغْنِيَاءِ أَمَّا الْخِصْلَةُ الْوَاحِدَةُ فَأَنَّ فِي الْجَنَّةِ عَرَفًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَهْلُ
الْأَرْضِ إِلَى نَجْمِ السَّمَاءِ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَبِيٌّ فَقِيرٌ أَوْ شَهِيدٌ فَقِيرٌ أَوْ مُؤْمِنٌ فَقِيرٌ وَالثَّانِيَةُ

على كرم الله وجهه يقول : يا صفراء غري غري ، يا بيضاء غري غري ، وذلك
لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه ﴿ الافى المضطر ﴾
فليس الفقراء افضل في حقه ﴿ لانه ﴾ أى المضطر ﴿ يموت جبرا ﴾ أى خاليا
عن الخير قهرا ، وقد يكون ذلك كفرا ﴿ والواجد ﴾ بالنصب عطف على الضمير وبالرفع
على انه مبتدا خبره ﴿ يحصل المعرفة ﴾ والجملة حال ﴿ الامن ﴾ استثناء من المستثنى
أى الامضطر ﴿ لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له ﴾ أى الفقراء الموجب للموت خير له ،
اذ تقل معاصيه في الديار ويتخلص هو عن الم الاضطرار ﴿ وكذا في نفس الامر ﴾
أى و كما ان الفقراء افضل في حق الاكثر فكذا هو افضل في نفس الامر ﴿ فورد اللهم
أحبنى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ﴾ رواه الترمذى من حديث
انس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد . وفيه مبالغة عظيمة
في مدح المساكين حيث لم يقل واحشروهم في زمرتى ، وهو اما تواضع منه عليه السلام واما
اراد بهم الانبياء والمرسلين ، لان غالبهم كانوا فقراء ومساكين ، وفى رواية للترمذى زيادة
يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يبارسول الله ؟ قال ﴿ انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين
خريفا ﴾ ﴿ بلغ عنى ﴾ خطاب منه عليه السلام لمن جاء برسالة ﴿ الفقراء ﴾ من أصحابه الكرام
والمعنى اخبر من قبل الفقراء تسليمة لهم حيث ما جعلوا اغنياء ﴿ أن لمن صبر ﴾ على الفقر
﴿ واحتسب ﴾ أى طلب من الله الاجر ﴿ منكم ﴾ ومن أمثالكم ﴿ ثلاث خصال ﴾ مختصة
لكم ﴿ ليست للاغنياء ﴾ واحدة منها فضلا عن جميعها ﴿ أما الخصلة الواحدة فان في الجنة
عرفا ﴾ أى قصورا عالية ﴿ ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء لا يدخلها
إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير ﴾ وهو من لا يكون صاحب نصاب ﴿ والثانية

يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ وَالثَّلَاثَةُ إِذَا قَالَ
 الْغَنِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَقَالَ الْفَقِيرُ مِثْلَ ذَلِكَ لَمْ
 يَلْحَقِ الْغَنِيُّ بِالْفَقِيرِ وَأَنْ أَنْفَقَ مَعَهَا عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا لِمَنْ جَاءَ
 بِرِسَالَةِ الْفُقَرَاءِ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ

يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ (وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ رَوَاهَا
 الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه) والثالثة إذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله
 ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير وأن انفق معها عشرة
 آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها لمن جاء (متعلق ببلغ عنى أى قال النبى عليه
 السلام لمن جاء) برسالة الفقراء أن الاغنياء (يجوز فتح أن وكسر ها) يحجون ويعتَمرون
 ويتصدقون (بفضول اموالهم) ونحن عاجزون عن ذلك (فى تمام احوالهم . وفى الاحياء :
 روى فى الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء
 بالخيرات والصدقات ، والحج والجهاد ، فعلمهم كلمات فى التسييح وذار لهم أنهم ينالون بها
 فوق ما نال الاغنياء فعلم الاغنياء بذلك فكانوا يقولونه ، فعادوا إلى رسول الله ﷺ
 فاخبروه فقال عليه السلام « ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء » قال مخرجه متفق عليه
 من حديث أبى هريرة ونحوه انتهى . وقال فى الاحياء أيضا : وقد استشهد ابن عطاء
 بهذا أيضا قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد ، فصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك
 وهو أن ثواب الفقير فى التسييح يزيد على ثواب الغنى ، وأن فوزهم بذلك الثواب هو
 (فضل الله يؤتیه من يشاء) فقد روى زيد بن اسلم عن انس قال « بعث الفقراء رسولا
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أنى رسول الفقراء إليك ، فقال
 مرحبا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم احبهم الله ، قال قالوا يا رسول
 الله أن الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا تقدر عليه ، ويعتَمرون ولا تقدر عليه ، وإذا
 مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم ، فقال عليه السلام بلغ عنى الفقراء الحديث
 قال مخرجه : لم أجده هكذا بهذا السياق . والمعروف فى هذا المعنى ما رواه ابن ماجه
 من حديث ابن عمر « اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما فضل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال يامعشر الفقراء ألا ابشركم أن فقراء المهاجرين

وَلَانَ الْغَنَى سَبَبُ طُولِ الْحَسَابِ وَالْغُرُورِ فَإِنْ عُرِضَ بَانَ الْغِنَى صِفَتُهُ تَعَالَى
وَالْتَخَلُّقَ بِاخْلَاقِهِ مَمْدُوبٌ إِلَيْهِ وَبَانَ الْغِنَى قَادِرٌ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ دُونَ الْفَقِيرِ لَمْ
يَعْتَرِضْ لِأَنَّ الْغِنَى بِالْأَسْبَابِ وَالْأَعْرَاضِ لَيْسَ مِنْ خُلُقِهِ تَعَالَى كَالْتَكْبِيرِ دُونَ اسْتِحْقَاقِ

يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام ﴿ ولان ﴾ عطف على
ورد فهو دليل ثان على أن الفقر أفضل في نفس الامر وذلك لان ﴿ الغنى سبب
طول الحساب ﴾ وهو نوع من العذاب ، ولذا قال أبو الدرداء: ما أحب أن لي حانوتا على
باب المسجد ولا تخطئني صلاة ولا ذكر واربح كل يوم أربعين دينارا ، واتصدق بها في
سبيل الله ، قيل وما تكره ؟ قال سوء الحساب . ومن هنا قال شقيق : اختار الفقراء
ثلاثة اشياء : راحة النفس ، و فراغ القلب ، وخفة الحساب . واختار الاغنياء ثلاثة
اشياء : تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب ﴿ والغرور ﴾ أى وسبب طول
الغرور في الامور الموجبة للحجاب ، فقد قال بعض السلف : مثل من تعبد وهو في طلب
الدنيا كمثل من يطفي النار بالحلفاء ، ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك ، وقال أبو سليمان
الداراني : تنفس فقير في شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى الف عام ، وعن
الضحاك قال : من دخل السوق فرأى شيئا يشتميه فصر و احتسب كان خيرا له من الف
دينار ينفقها كلها في سبيل الله عز وجل . وقال رجل لبشر بن الحارث : ادع الله
لى فقد أضرتني العيال ، فقال : إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله
لى في ذلك الوقت فان دعائك افضل من دعائى . وكان يقول : مثل الغنى المتعبد مثل
روضة على مزبلة ، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحساء . وقد
كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء ﴿ فان عورض ﴾ ما ذكره من ادلة تفضيل
الفقر على الغنى ﴿ بان الغنى صفة تعالی والتخلق باخلاقه مندوب اليه ﴾ كما ورد « تخلقوا
باخلاق الله » ﴿ وبان الغنى قادر على العبادات المالية ﴾ من الزكاة والحج والعمرة
﴿ دون الفقير ﴾ أى بخلافه ﴿ لم يعترض ﴾ أى لم يقبل اعتراضه فى الامرين فهما لى
ونشرهما مرتبا قوله ﴿ لان الغنى بالاسباب والاعراض ﴾ الواقعة من غير الاكساب
﴿ ليس من خلقه ﴾ أى صفة ﴿ تعالی كالتكبر ﴾ بهما ﴿ دون استحقاق ﴾ للغنى والكبرياء
وذلك لان الله غنى بذاته لا بما يتصور زواله والتكبر لا يلىق بالعبد لانه من خاصة صفاته

وَالْعِبَادَةُ الْمَالِيَّةُ أَمَّا تَوْجِبُ الثَّوَابَ لَتَرَكَ الدُّنْيَا كَالْتَوْبَةِ لَتَرَكَ الذَّنْبَ فَلَوْ فَضَّلَ
 الْغَنَى عَلَى الْفَقِيرِ لَفُضِّلَ الْعَاصِي عَلَى الْمُتَّقِي وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكْرَهُهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَعَلَهُ
 تَعَالَى بَلْ يَتَقَلَّدُ مِنْهُ الْمُنَّةَ كَتَقَلَّدُ الْمَحْجُومَ مِنَ الْحَاجِمِ وَالْإِيَّامُ وَيَسْتَرَامُ بِهِ
 بِالْتَجْمَلِ وَالتَّعَفُّفِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ اغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

اللائقة بذاته كما أوضحناه فيما تقدم ﴿ والعبادة ﴾ أى ولان العبادة ﴿ المالية أئما
 توجب الثواب ﴾ فى العقبى ﴿ لترك الدنيا ﴾ للاشتغال بخدمة المولى ﴿ كالتوبة ﴾ فى الدنيا
 توجب المثوبة فى الاخرى ﴿ لترك الذنب ﴾ أى مخافة المولى ﴿ فلو فضل الغنى على
 الفقير ﴾ بهذا الاعتبار ﴿ لفضل العاصى على المتقى ﴾ أى الطانع من الابرار وهو لا يصح
 عند اولى الاستبصار ﴿ وحقه ﴾ أى حق الفقير الواجب عليه عشرون حقا ﴿ ان لا يكرهه ﴾
 أى الفقر ﴿ من حيث أنه فعله تعالى ﴾ شرعا وأن كان كارها للفقير طبعاً ، كالمحجوم يكون
 كارها للحجامة ولا يكره فعل الحجام الا كارها للحجامة ﴿ بل ﴾ ربما ﴿ يتقلد منه ﴾
 سبحانه ﴿ المنة كتقلد المحجوم ﴾ أى كتقلده المنة ﴿ من الحاجم ﴾ ثم عدم الكراهة
 من هذه الهيئة واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر . وهذا معنى قوله ﴿ والايام ﴾
 أى وأن لم يحبه من حيث أنه فعله تعالى بأثم لعدم الرضاء بالقضاء وهو واجب على العباد شرعا
 وان كان الفقير مكروها عنده طبعاً و ارفع من هذا المقام أن لا يكون كارها للفقير بل يكون
 راضيا به و ارفع منه أن لا يكون طالباله وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا فى باطنه
 على الله تعالى و ائقاً به فى قدر ضرورته أنه يأتيه الرزق لا محالة عند المولى ، ويكون كارها للزيادة
 على الكفاف ، وقد قال على كرم الله وجهه . أن الله عقوبات للفقير ومشوبات بالفقر ، فمن علامة
 الفقر إذا كان ماثوبة ان يحسن عليه خلقه و يطيع به ربه ، ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى
 على فقره . ومن علامته إذ كان عقوبة أن يسوع عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية والتسخط
 بالقضاء . وهذا آداب باطنه . مع ربه ﴿ ويستتر ﴾ أى وحق الفقير فى ادب ظاهره أن يستتر
 ﴿ امره ﴾ ويكتم فقره ويستتر أيضا سره فقد قال بعضهم : ستر الفقر من كنوز البر . وروى « من
 كنوز البر كتمان المصائب ، ﴿ بالتجمل ﴾ أى باظهار الجمال كأنه صاحب المال كما قال صاحب
 هذا الحال . و اذا تصبك خصاصة فتجمل * * وقال سفيان : افضل الاعمال التجمل
 عند شدة الاحوال ﴿ والتعفف ﴾ عن السؤال و اظهار الحال ، وقد وصف الله
 اصحاب الصفة من كل الرجال بقوله ﴿ يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ﴾ أى اظهار

فورد ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ولا يتواضع لغنى فورد فيه
«من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه» بل يترفع عليه فورد انه صدقة ولا يتوانى في العبادة
ويتصدق بالفاضل فورد فيه «ان درهما افضل من مائة الف»

العفة حال المحنة (فورد ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال) رواه ابن ماجه من
حديث عمران بن الحصين (ولا يتواضع) أى وحق الفقير ان لا يتواضع (لغنى) بالمال
(للغنى) أى لاجل ماله من مال المستغنى عن طلب الكمال من العلوم والاعمال
(فورد فيه) أى فى ذمه (من تواضع لغنى) لاجل غناه (ذهب ثلثا دينه) رواه البيهقى
وغيره . وروى الديلمى من حديث أبى ذر بلفظ «لعن الله فقيرا تواضع لغنى من أجل ماله
من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه » انتهى . وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان
وجوارح ، وفى تعظيم الغنى لا بد من استعمال اللسان والجوارح ، وفيه تنبيه نبيه على
أنه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه (بل) حق الفقير ان (يترفع عليه) أى على
الغنى استغناء بربه الغنى المغنى (فورد أنه) أى التكبر على الغنى المتكبر (صدقة) أى
ثوابه صدقة او صدقة من صدقات الفقير تدل على صدقة فى باب الفقر ، وفى رواية ته
مع التامى فانه صدقة . وعن دلى كرم الله وجهه : ما احسن تواضع الغنى للفقير
رغبة فى ثواب الله ، واحسن منه تيه الفقير دلى الغنى ثقة لله ، فهذه رتبة واكل منها
أن لا يخاطب الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك مبادئ الطمع . قال النورى :
إذا خاطب الفقير الاغنياء ورغب فى مجالستهم فاعلم أنه مرأى ، وإذا خاطب السلطان
فاعلم أنه اص . وقال بعض العارفين : إذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته ، فإذا
طمع فيهم انقطعت عصمته ، وإذا سكن اليهم ضل سعيه ومحتته (ولا يتوانى) أى
وحقه أن لا يفتقر عن الطاعة ولا يتكاسل (فى العبادة) بسبب فقره وقلة صبره (ويتصدق
بالفاضل) أى وحقه أن لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى
عورته ويُدفع عنه حره وبرده ، ويبت يكتنه ويستره فان ذلك جهد المقل ، وفضله اكثر من
أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى (فورد فيه) أى فى حقه (ان درهما) من الفقير
(افضل من مائة الف) أى مائة الف درهم من الغنى ، وفى رواية «سبقت درهم مائة
الف درهم » وعن أبى هريرة قال عليه السلام « درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة

وَيَسْتَقْرَضُ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ تَعَالَى لَا تَعْوِيلًا عَلَى السُّلْطَانِ الظَّالِمِ فَيَقْضِي أَنْ وَجَدَ
حَلَالًا وَلَا وَيَقْضِيهِ تَعَالَى وَيَرْضَى الخُصْمَاءَ وَيَكْشِفُ الحَالَ عَنِ المَقْرُضِ وَلَا يَخْدَعُ
بِالمَوَاعِيدِ وَيَجِبُ القَضَاءُ مِنْ بَيْتِ أَمَالٍ وَالصَّدَقَاتِ وَلَا يَسْأَلُ فَهُوَ فِي الأَصْلِ
حَرَامٌ لِتَضَمُّنِهِ الشُّكَايَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَاذْذَلَّ النَّفْسِ المُوْمَنَةَ لغيرِهِ

الف ، قيل وكيف يارسول الله ؟ قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق
بها ، واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ، نصار صاحب الدرهم
أفضل من صاحب المائة الف ، رواه النسائي (ويستقرض) أى وحقه أن يستقرض
(تحسينا للظن به تعالى) أن يقضيه من خزائن كرمه وجوده (لا تعويلا) أى اعتمادا
(على السلطان الظالم) وأعوازه وجنوده (فيقضى) دينه بنفسه (ان وجد حلالا)
بعده (والا) أى وان لم يجد حلالا فلا يأخذه فانه حينئذ (يقضيه تعالى) فى الدنيا
(ويرضى الخصماء) فى العقبى اما بفضله أو بعدله بأن يعطى الخصم منزلة يرضى
بها عن حقه (ويكشف الحال) أى وان يظهره ولا يخفيه (عن المقرض) لئلا يدخل تحت
وعيد « من غشنا فليس منا » (ولا يخدع) أى وأن لا يخدع المقرض (بالمواعيد) الكاذبة
(ويجب القضاء) أى قضاء دين الفقير حيث صرفه فى الطاعات (من بيت المال)
الموضوع لمهمات المسلمين من المملات (والصدقات) أى الزكاة (ولا يسأل) أى وحقه
أن لا يسأل من الناس أصلا (فهو) أى السؤال من الخلق (فى الأصل) أى أصل وضع
الشرع (حرام) وانما يحل لعوارض تشرع من ضرورة أو حاجة مهمة قريبة من
الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما كان الاصل فيه التحريم لثلاثة أمور محرمة
(لتضمنه الشكاية منه تعالى) اذ السؤال اظهار للفقر وفقد للمال وذكر لقصور نعمة الله عنه
فى الحال ، وهو عين الشكوى من المولى ونجا أن العبد المملوك اذ اسأل غير سيده كان
سؤاله تشنيعا على مالكة فكذا سؤال العبد تشنيع على ربه سبحانه وهذا ينبغى أن يحرم
ولا يحل الا لضرورة كما لا تحل الميتة الا لضرورة (واذلال النفس) أى ولتضمنه اهانة
النفس (المومنة لغيره) سبحانه وقد قيل السؤال ذل ولو أئمن الطريق وورد « لا يحل
لمومن أن يذل نفسه » يعنى لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه
فقد قال تعالى (والله العزة لرسوله وللذين آمنوا) فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغى

وَأَيْدَاءِ الْمَسْئُولِ فَرُبَّمَا يَعْطِي حَيَاءً فُورَدَ مَا أَحَلَّ مِنَ الْفَوَاحِشِ غَيْرِ مَسْأَلَةِ النَّاسِ

أن يدل لهم الا لضرورة في أحواله ففي السؤال ذل السائل بالاضافة الى المسؤل ، ومن دعاء الامام أحمد : اللهم كما صنعت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك (وايداء المسؤل) اي ولتضمنه ايداءه غالباً لانها بما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه (فربما يعطي حياء) من السائل اورياء اذا كان السؤال في المحافل فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحي وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايداء والايذاء حرام الا لضرورة (فورده) في كون السؤال في الاصل حراماً (ما احل من الفواحش غير مسألة الناس) ولفظ الاحياء مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها ، قال مخرجه لم اجده اصلاً انتهى ، فورده من سال عن غنى فانما يستكثر من جهر جهنم ومن سال وله مال يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقعقع ليس عليه لحم « رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية ، ولمسلم من حديث أبي هريرة « من سأل الناس أمواهم تكثراً فاما يسأل جهرًا ، وللشيخين من حديث ابن عمر « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » ولا صحاب السنن من حديث ابن مسعود « من سأل وله ما يغنيه كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه » ولمسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي « أنه عليه السلام يابح قومًا على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال كلبه خفية ولا تسألوا الناس شيئاً ، ولقد كان بعضهم يقع السوط من يده فينزل عن فرسه ويتناول ولا يقول لاحدان يناوله » ولا بن ابى الدنيا وغيره من حديث أبي سعيد الخدرى « من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو أحب الينا » وللبزار والطبراني من حديث ابن عباس « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » واسناده صحيح ، وفي رواية فغنموا ولو بحزم الخطب . فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السؤال الالفقير . قال في الاحياء : وتقديره عسير اذ ليس اليها موضع التقدير ، بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقدير ، وقد ورد في الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره . قالوا وما هو ؟ قال غداً يوم عشاء ليلة » كذا في الاحياء قال مخرجه : هو من حديث سهل بن الحنظلية قالوا ما يغنيه ؟ قال ما يغديه او يعشيه » ولاحمد من حديث علي باسناد حسن « قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلته » وهذا هو المختار من مذهبنا الحنفية . وفي حديث آخر « من سال وله خمسون درهما

الْأَلْضُرُورَةُ تُمِيتُ أَوْ تَمْرُضُ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْكَسْبِ أَوْ اسْتَعْرَقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
أَوْ تَعَبَ وَفِيهِ التَّرْكَ أَوْلَى

او عدلها من الذهب فقد سال الحافا، وفي لفظ آخر «اربعون درهما» ولعل هذه الاحاديث
محملة على حالة احتياج السائل لغير الاكل من الثوب او البيت ونحوهما من
ضروريات معيشته. وقيل يجوز للسائل أن يسأل معيشة سنة لاسيما اذا كان معيلا او لا
يعطى العطاء الا في وقت واحد، والله سبحانه أعلم ﴿الا﴾ أى وحقه ان لا يسأل
احدا الا ﴿لضرورة تميت﴾ أى تقتله ﴿او تمرض﴾ أى تجعله مريضا وتجعله عريانا
ونحوها فالسؤال حينئذ مخصص فيه لكن ﴿لمن عجز عن الكسب﴾ بحرفة ونحوها
﴿او استغرق﴾ وقته ﴿في طلب العلم﴾ الشرعى من الامر الاصلى او الفرعى، لا من استغرق
في طلب العبادة، فان نفع هذا قاصر ونفع ذلك متعدد، ولان زيادة العبادة نافذة وزيادة
العلم فريضة ﴿او تعب﴾ أى او لمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة ﴿وفيه﴾ أى فى
حصول التعب ﴿الترك﴾ للسؤال ﴿أولى﴾ مع جواز السؤال وفى الجملة ورد ما يدل على
الرخصة فى السؤال حيث قال عليه السلام «للسائل حق وأن جاء على فرس» رواه أبو داود من
حديث الحسين بن على، ولا فى داود الترمذى وقال حسن صحيح «ردوا السائل ولو بظلف
محرق»، وقد سأل ثلاثة من الانبياء فى موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر
عليهم السلام. وروى: أن بعضهم رأى ابا الحسن الثورى يمد يده ويسأل الناس
فى بعض المواطن، قال فاستعظمت ذلك واستعجبته له، فأثبت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم
هذا عليك، فان الثورى لم يسأل الناس لتعظيمهم، أمما يسألهم ليثيهم فى الآخرة
فيؤجرون من حيث لا يضره، ثم قال الجنيد: هات الميزان فوزن مائة درهم، ثم قبض
قبضة والقاهما على المائة، ثم قال احملها اليه، فقلت فى نفسى: انما يوزن الشئ ليعلم
مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم، فاستحييت أن أسأله، فذهبت بالبصرة
الى الثورى، فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه، وقال: قل له انا لا اقبل منك
انت شيئا، واخذ ما زاد على المائة، قال فزاد تعجبي، فسألته فقال: الجنيد رجل حكيم
يريد أن ياخذ الجبل بطرفيه، وزن المائة لنفسه طالبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة
بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله ورددت ما جعل لنفسه، قال فرددتها الى الجنيد
فيكى وقال: أخذ ما له ورد ما لنا الله المستعان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم،
وكيف خلاصت لله أعمالهم، حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير

وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشُّكَايَةِ فَيَقُولُ أَنِّي مُسْتَعْنٍ لَكِنَّ النَّفْسَ تُرِيدُ الشَّهْوَةَ وَعَنِ الْاِذْلَالِ
فَيَسْأَلُ قَرِيبًا أَوْ كَرِيمًا لَا يَمُنُّ بَلَّ يَقْبَلُ الْمَنَّةَ وَعَنِ الْاِيذَاءِ فَلَا يَسْأَلُ فِي الْجَمْعِ إِلَّا
عَمَّنْ يَسْتَحِي عَنِ الرَّدِّ فَيَجْرَمُ أَنْ أُعْطِيَ حَيَاءً مِنْهُ أَوْ مِنْ حَاضِرٍ كَلَوْ أَخَذَ عُنْفًا وَالْفَارِقُ
الْقَوَائِنُ وَفَتَوَى الْقَلْبَ وَيَشْكُرُهُ سَبْحَانَهُ بَعْدَ الْقَبْضِ بِالِاشْتِغَالِ بِالطَّاعَةِ وَالْاِنْفَاقِ فِيهَا

مناطقة باللسان ، ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الاسرار ، وذلك نتيجة كل الحلال ،
وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنهه الهمة ﴿ ويحترز ﴾ أى وحقه
أن يحترز ﴿ عن الشكاية ﴾ من الله فى سؤاله ﴿ فيقول ﴾ كما فى حاله ﴿ أنى مستغن ﴾
بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال ﴿ لكن النفس تريد الشهوة ﴾ فتوقفت فى السؤال
﴿ وعن الاذلال ﴾ أى ويحترز عن التذلل فى السؤال فيجتنب اجنبيا لثيما من ارباب
الاموال ﴿ فيسال قريبا ﴾ أى ذا قرابة حميما من اهل الكمال من وصفه أنه لا ينقصه ذلك
فى عينه ولا يزدريه بسبب فقره ، وكذا حكم صديقه ، فكان ابراهيم النخعي يسال اصحابه
الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذهم ﴿ او كريما ﴾ من ذوى الجمال
من نعته أنه ﴿ لا يامن ﴾ على السائل بالعتاء والنوال ﴿ بل يقبل المنة ﴾ للسائل عليه فى
اخذ المال ولو بالسؤال . فقد قال بشر الخافى : ما سالت احدا قط شيئا الا البسرى السقطى
لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا . فهو يفرح بخروج الشىء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون
عوناله على ما يحب ﴿ وعن الايذاء ﴾ أى ويحترز عن ايذاء المسؤل ﴿ فلا يسال فى الجمع
الا ممن يستحي عن الرد ﴾ والمنع وأن لم يكن فى الجمع ﴿ فيجرم ﴾ حينئذ ما اخذ ﴿ ان
اعطى ﴾ المسؤل ﴿ حياء منه ﴾ أى من السائل ﴿ أو من حاضر ﴾ آخر ﴿ كالمواخذ عنفا ﴾
أى غصبا ، اذ لا فصل بين الاخذ بضرب العصا او بسوط الحياء ، بل ضرب الباطن
اشد نكايه عند العقلاء ﴿ والفارق ﴾ بين عطائه لله او حياءه من الخلق ﴿ القرائن ﴾ الموجودة
فى تلك الحالة ﴿ وفتوى القلب ﴾ الخالى عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء ،
أن يلقي الكلام تعريضا فى الصحبة بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة ،
وأن لا يعين شخصا للسؤال لئلا يشوش له البال ﴿ ويشكره ﴾ أى وحق الفقير أن يشكر
الله ﴿ سبحانه بعد القبض ﴾ أى اخذ العطاء بثلاثة من الاشياء ﴿ بالاشتغال بالطاعة ﴾
قولا أو فعلا مثل أن يقول الحمد لله او يصلى ركعتين لله ﴿ والانفاق فيها ﴾ أى وبصرف

فَهُوَ الْأَحَبُّ أَوْ فِي الْمُبَاحِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِ الْفَقْرِ وَشُكْرُ الْمُعْطَى بِكَوْنِهِ سَبِيًّا فُورِدَ مِنْ
 لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ وَيَدْعُو لَهُ فُورِدَ مِنْ أَسَدَى الْيَكْمِ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ
 فَانْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ وَلَا يَسْتَصْغِرُ وَلَا يَفْزَعُ بِالْمَنْعِ وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشُّبْهِةِ فُورِدَ
 (وَمَنْ يَتَّقَى اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)

العطاء في طاعة المولى (فهو) أى الانفاق في الطاعة (الاحب) أى الافضل من غيره
 المستفاد من قوله (او في المباح) ينفق مثل فضول الحلال (ومعرفة فضل الفقر)
 أى وبمعرفة المشورة ترك التواضع المفرط للمعطي (وشكر المعطي) أى وبشاءه لجزائه
 (بكونه سبياً) في عطائه (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد والترمذى
 وحسنه عن أبى سعيد ، وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله ، أما اذا غفل عن الله في
 اخذ العطاء أو اتنى على المخلوق وشكره بالثناء والدعاء فلا يكون شكره حيثما شكر الله
 (ويدعوه له) أى وحقه أن يدعو بالخير للمعطي فيقول : طهر الله قلبك في قلوب الابرار ،
 وزنى عمالك في عمل الاخيار : او يقول : بارك الله لك فيما اعطيت وفيما بقيت (فورد
 من اسدى) أى أوصل (اليكم معروفًا) أى احسانًا (فكافئوه) أى جازوه بمثله
 لقوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) (فان لم تستطيعوا) على المكافاة في العطاء
 (فادعوا له) باظهار الثناء واسرار الدعاء ، فللترمذى والنسائى وابن حبان عن اسامة
 « من صنع اليه معروفًا فقبال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء » وللشيرازى
 عن ابن عباس « من اسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب »
 ولا بن عساكر عن على « من صنع إلى أحد من اهل بيتى يدا كافاته عليها يوم
 القيامة » (ولا يستصغر) أى وحقه أن لا يستحق العطاء ولا يترك الدعاء والثناء ؛
 لحديث « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر »
 رواه عبد الله بن احمد في زوائد المستند عن عثمان بن بشير (ولا يفزع) أى وان لا يجزع
 (بالمنع) فان العطاء والمنع والضر والنفع بيد الله سبحانه . فورد « لا مانع لما اعطيت
 ولا معطى لما منعت » وفي الحكم لابن عطاء : ربما اعطاك فمنعك ، وربما منعك فاعطاك
 وقال تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) وما منع
 عبد عن باب الاو فتوح له عن ابواب (ويحترز) أى وحقه أن يحترز (عن الشبهة)
 أى تناوها (فورد) في التنزيل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أى من الشدائد

ويرزقه من حيث لا يحتسب) ولا يأخذ أكثر من قوت يومه وليلته فهو العزيمه
والرخصة قوت سنة لتجدد سبب الدخل بعدها وكان عليه السلام لا يأخذ للعيال أكثر
منه بل يؤثر شيئاً منه حتى ينتهي قبل مضي السنة وهو الوسط المرضي من الروايات
فورد أربعون أو خمسون ونصاب الزكاة وقيمة الضيعة أو البضاعة المحصلة للغنى

الديوية والآخرية ، ويجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا ﴿ ويرزقه
من حيث لا يحتسب ﴾ رزقا حلالا طيبا من غير حساب ﴿ ولا يأخذ ﴾ أى وان لا يقبل
﴿ أكثر من قوت يومه وليلته ﴾ أن كان من الأقوياء ﴿ فهو ﴾ أى أخذ قوت اليوم ﴿ العزيمة ﴾
التي يأخذها الأنبياء والأولياء ﴿ والرخصة ﴾ للضعفاء ، ومن له العيال والنساء ﴿ قوت سنة
لتجدد سبب الدخل ﴾ وهو ما يدخل على الإنسان من ضيعته وزراعته ﴿ بعدها ﴾ أى بعد
تمام سنته ﴿ وكان عليه السلام لا يأخذ ﴾ أى لا يدخر ﴿ للعيال أكثر منه ﴾ أى من قوت
سنة ﴿ بل يؤثر شيئاً منه ﴾ أى من قوت سنة للفقراء ﴿ حتى ينتهي ﴾ أى يفرغ ما ذخره
﴿ قبل مضي السنة وهو ﴾ أى ادخار قوت السنة ﴿ الوسط ﴾ أى الأفضل المتوسط بين
الحالات ﴿ المرضي من الروايات ، فورد أربعون ﴾ يوما ﴿ أو خمسون ﴾ يوما فى مدة جواز
الادخار ، واو للشك او التنويع ﴿ ونصاب الزكاة ﴾ وهو عشرون دينارا او اربعمائة
درهم ﴿ وقيمة الضيعة ﴾ أى المزرعة فيستغنى بها طول عمره ، وفى معناها قيمة البيوت
والحوانيت المستقلة لفوائد الغلة ﴿ او البضاعة ﴾ أى قدر رأس مال التجارة ﴿ المحصلة
لغنى ﴾ بسبب الربح الكافى للمعيشة ، فيتجر بها ويستغنى عن غيرها . وفى الأحياء :
ان فى الادخار ثلاث درجات : أحدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهى درجة
الصديقين . وثانيها ان يدخر لاربعين يوما ، فايما زاد عليه دخل فى طول الامل . وقد
فهم العلماء ذلك من ميعاد الله لموسى عليه السلام ، ففهم منه الرخصة فى أمل الحياة أربعين
يوما وهذه درجة المتقين ، ثالثها ان يدخر لسنة وهى أقصى المراتب ، وهى رتبة
الصالحين . ومن زاد فى الادخار على هذا فهو داخل فى غمار العموم خارج عن حين
الخصوص بالكلية ، فغنى الصالح الضعيف لطلب نينة قلبه فى قوت سنة ، وغنى
الخصوص فى أربعين يوما ، وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة . وقد قسم النبي
عليه السلام لنسائه على مثل هذه الاقسام ، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند

وَيَسْتُرُ تَحَامِيًّا عَنِ هَتِكِ الْمَرْوَةِ وَكَشَفِ الْحَاجَةِ وَالْحَسَدِ وَالْغِيْبَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِ
 وَعَنْ اِعْلَانِ عِبَادَةِ الْمُعْطَى وَمَذَلَّةِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فِيهِ حَرَامٌ وَشِبْهَةُ الشَّرِكَةِ فُورِدَ
 مِنْ اَهْدَى اِلَيْهِ هَدِيَّةٍ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهَمُّ شُرَكَائِهِ فِيهَا وَيَعْرِفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِ اِخْذِ
 غَيْرِهِ كَاخْذِهِ

حصول ما يحصل وبعضهن قوت أربعين يوما وبعضهن يوما وليلة ، منهن عائشة
 وحفصة . وقد سكت عنه مخرجه ﴿ ويستر ﴾ أى وحقه ان يستر السؤال او اخذ
 النوال ويكتمه فيسأل في الخلاء دون الملاء ﴿ تحاميا عن هتك المروءة ﴾ أى تحفظا
 عن خرق الفتوة فانها تقتضى عدم السؤال في حال يوجب الايذاء ، او مروءة المسؤل
 ان رد السائل مع القدرة والقوة ﴿ وكشف الحاجة ﴾ أى وتحاميا عن اظهار الفقر
 والفاقة وقد تقدم ان من كنوز البر كتمان الفقر ﴿ والحسد ﴾ أى وعن اظهار الحسد
 الذى لا يخلو من الجسد ﴿ والغيبة ﴾ بالطعن عليه بالغيبة ﴿ وسوء الظن به ﴾ فى
 كونه غنيا ، ويظهر الفقر الذى يقتضى خلقا دنيا ، وهذا كله من الكبائر فصياتهم عن هذه
 الجرائم أولى ، وذا انما يحصل بستر السؤال والاخذ كما لا يخفى ﴿ وعن اعلان عبادة
 المعطى ﴾ فان الاخفاء افضل فى الصدقة لقوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان
 تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم) وفى ستر السؤال واخذ النوال اعانة للمعطى
 على اسرار والعمل واخفائه الذى هو الاكل والاعانة على اتمام المعروف معروف عند الكمل
 ﴿ وعن اعلان ﴾ مذلة النفس المومنة فهو حرام ﴿ من غير الضرورة ﴾ وشبهة الشركة ﴿ أى
 وتحاميا عنها ﴾ فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم ﴿ او احد ﴾ فهم شركاؤه فيها ﴿
 والمراد بهم هم الذين يداومون مجلسه ويعتدقون بابه ويتفقدون اموره ، لا كل من كان
 جالسا فى ذلك الوقت عنده كذا فى اصول الترمذى . والحديث رواه الطبرانى من حديث
 الحسن بن على بلفظ « مجلساؤه شركاؤه فيها » وعليه البخارى بصيغة ترميض . قال السيوطى :
 واخرجه العقيلي من حديث عائشة انتهى . واما حديث « الهدايا تشترك » فلا أصل له
 وكذا « الهدية لمن حضر » الامن حيث المعنى من غير اعتبار المبنى (ويعرف) من ستر
 سواله واخذه تحاميا عن هتك ستر المروءة الى آخره ﴿ بكراهة ظهور اخذ غيره كاخذه ﴾ أى
 ككراهة ظهور اخذ نفسه ؛ فورد « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاختيه ما يحب لنفسه

وَيُظْهِرُ قَصْدَ الْإِخْلَاصِ وَاسْقَاطَ الْجَاهِ وَهَضْمَ النَّفْسِ وَأَدَاءَ الشُّكْرِ فَوْرَدَ (وَأَمَّا
 بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَعْرِفُ بَارَادَةَ ظُهُورِ عَطَاءِ
 السَّاتِرِ لَهُ كَعَطَاءِ الْمُظْهِرِ لَهُ وَأَمَّا أَنْ بَلَغَ حُدُودًا يَسْتَوِي فِيهِ السِّرُّ وَالْعِلَاقَةُ فَكَبْرِيَّتُ
 أَحْمَرَ وَيَتْرِكُ مَا فِيهِ السَّمْعَةُ وَالرِّيَاءُ تَحَامِيًا عَنِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْأَوْلَى أَنْ
 لَا يَأْخُذَ إِلَّا لِلْحَاجَةِ

ويكره لآخيه ما يكره لنفسه (ويظهر) أى وحثه أن يظهر السؤال واخذ النوال (قصد
 الاخلاص) فى تصحيح الحال ، والمعنى أن من ترك السؤال فى المألألا يعيب عليه
 الخلق فى الخلاء فهذا نوع من الرياء ، فيصح له أن يظهر اخذ العطاء ليتخلص من
 شائبة الرياء (واسقاط الجاه) واسقاط المنزلة عند ارباب الدنيا (وهضم النفس) أى
 ورياضتها فى طريق المولى النافعة له فى العقبى (واداء الشكر) أى ولادائه لنعمة
 الفقر (فورد) فى التنزيل لبيان مدح اظهاره (وأما بنعمة ربك فحدث) وليبيان ذم
 اسراره (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) وهذا أنما يصح لمن يتأذ بالفقر والبلاء
 كما يتلذذ غيره بالسعة والنعماء بل يكون ممن يقتدى به الصالحاء ، وينفق على فضله العلماء
 فيظهر الشكر على الفقر ، ليعلم أن موجب فضله الفقر المقرون بالشكر (ويعرف) من
 يظهر السؤال قصدا لاداء الشكر فى نعمة الفقر (بارادة ظهور عطاء الساتر له) أى
 المعطى (كعطاء المظهر له) بل ربما يرد العطاء على وجه الاسرار ويقبله على طريق
 الاظهار عكس فعل الابرار (وأما ان بلغ حدا يستوى فيه السر والعلائية)
 فى حقه (فكبريت أحمر) أى فهو كبريت أحمر عزيز الوجود فى دائرة الشهود بل
 كعنفاء مغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم (ويترك) أى وحقه أن يترك (ما)
 أى سؤال ما أو اخذ ما يدخل (فيه) أى عطائه (السمة والرياء) وكذا المنية والايذاء
 (تحاميا عن الاعانة على الاثم) قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
 الاثم والعدوان) وكان سفيان الثورى يرد ما يعطى ويقول: لو علمت انهم لا يذكرون ذلك
 افتخارا به لاخذت ، وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة قال : انما ارد
 صلتهم اشفاقا عليهم ونصالحهم ، لانهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم بهم فتذهب
 اموالهم وتحبط اجورهم ، وتفسد احوالهم (والاولى أن لا يأخذ الا للحاجة

إِلَيْهِ فَوْرَدَ مَا الْمُعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَعْظَمِ أَجْرٍ مَنِ الْآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ أَوْ التَّفْرِيقِ
عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيُعْجَلُ تَحَامِيًا عَنِ الْإِنْسِ بِالْذُنُوبِ وَالْآخِذِ فِي الْمَلَأِ وَالرَّدِّ فِي الْخَلَاءِ فَهُوَ أَقْرَبُ
إِلَى السَّلَامَةِ وَيَخْتَارُ التَّطَوُّعَ أَنْ شَكَّ فِي شَرَائِطِ الْوَاجِبِ أَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَصَدَّقُ

إليه) فيما لا بد منه ، وهو مفسر في حديث رواه الترمذى وصحه عن عثمان مرفوعا
« لاحق لابن آدم الا في ثلاث : جلف الخبز والماء ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه
ويكفه فإزاد فهو حساب » (فورد ما المعطى من سعة) في ماله (بأعظم أجر من
الآخذ اذا كان) الآخذ (محتاجا اليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر (او التفريق)
أى او لا ياخذ الا لاجل تفريقه (على الفقراء) المحرومين من خيرات الاغنياء (فيعجل)
في التفريق ولا يهمل (تحاميا عن الانس بالدنيا) فلا يدخر فان أمساكه ولو ليلة واحدة
فيه اختبار وفتنة ، فر بما يحلو في قلبه فيمسكه . ولاحمد من حديث عائشة بسند
حسن أنه قال في مرضه الذى مات فيه « يا عائشة ما فعلت بالذهب ؟ فجاءت ما بين
الخسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقاها بيده ويقول : ما ظن محمد بربه لولقى الله
وهذه عنده ؟ انقيها » وفي رواية سبعة او تسعة دنانير . وله من حديث أم سلمة باسناد
صحيح « دخلت على رسول الله عليه السلام وهو ساهم الوجه - أى متغيره - قالت فحسبت
ذلك من وجع ، فقلت يا نبي الله مالك ساهم الوجه ؟ فقال من اجل الدنانير السبعة التى اتانا
أمس ، امسينا وهى في خصم الفراش » وفي رواية « امسينا ولم ننفقها » (او الآخذ) أى
ولا ياخذ الا لاجل اخذه (في الملاء والردي الخلاء فهو اقرب الى السلامة) من السمعة
والرياء ، ومن خجالة الاغنياء وما يحصل لهم من الايذاء ، وأما أن اخذه في الملاء وفرقه في
الخلاء فهو مقام الصديقهين من الاولياء ، وهذا أمر شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت
نفسه بالرياضة . هذا ويجوز له أن يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو احوج
إليه منه ، او ياخذ العطاء ويوصله إلى من هو احوج إليه من الفقراء فيفعل كلاهما
في السر او كلاهما في الملاء (ويختار التطوع) أى وحقه أن يختار أخذ صدقة
التطوع على الواجب من الزكاة والفقرة (أن شك) الفقير (في شرائط الواجب)
أى في وجود شرائط اخذ الزكاة الواجبة هل هو مستحق للزكاة أم لا ، فان اشتبه
الإمر عليه فهو محل الشبهة (او علم) الفقير (أنه) أى الغنى (لا يتصدق) بصدقة

عَلَى غَيْرِهِ أَنْ لَمْ يَأْخُذْ وَأَقْصَدَ التَّوَسُّيعَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْوَاجِبُ أَنْ قَصَدَ الْإِعَانَةَ عَلَى
 آدَائِهِ أَوْ مَوَافَقَةَ الْفُقَرَاءِ أَوْ هَضْمَ النَّفْسِ فَمِثَالُهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النِّيَّةِ

التطوع (على غيره أن لم يأخذ) الفقير بعينه (أو قصد) الفقير (التوسيع على الفقراء) (بإثبات مال زكاة الاغنياء فانه يختار اخذه فانه محض الخير ونفع الغير) (والواجب) أى
 ويختار اخذ صدقة الواجب (أن قصد الاعانة على ادائه) أى أداء الواجب وقضائه
 (أو) قصد (وموافقة الفقراء) ومرافقة الضعفاء (أو هضم النفس) أى رياضته فى
 مقام الابتلاء (فأمثاله) أى امثاله اذكر (يختلف باختلاف النية) أى نيات الصالحاء
 وجاءت الى فتح الموصلى صرة فيها خمسون درهما ، فقال « حدثنا عطاء عن النبي ﷺ
 انه قال: من اتاه رزق من غير مسألة فرده فاما يردده على الله عز وجل » ثم فتح الصرة فاخذ
 منها درهما ورد سائرهما. وكان الحسن يروى هذا الحديث ايضا، ولكن حمل اليه رجل كبشا
 ورزما من دقيق فرد ذلك وقال: من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله
 عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق. وهذا يدل على ان امر العالم والواعظ اشد
 فى قبول العطاء، وكان الحسن يقبل من اصحابه، كذا فى الاحياء. وقال مخرجه حديث
 عطاء لم اجده مرسلا بذلك. ولاحمد وأبى يعلى والطبرانى باسناد جيد من حديث
 خالد بن عدى الجهنى « من بلغه من اخيه معروف من غير مسألة ولا اشراف نفس
 فليقبله ولا يردده فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه » وجاء خراسانى بمال الى الجنيد
 وسأله أن يأخذه ويأطه، فقال افرقه على الفقراء، فقال ما اريد هذا، قال ومتى
 اعيش حتى آكل هذا؟ فقال ما اريد أن تنفقه فى الخل والبقل، بل فى الحلوى والطييات
 فقبل ذلك منه، فقال الخراسانى: ما اجد ببغداد آمن على منك. فقال الجنيد: ولا ينبغي
 أن يقبل الامن مثلك. وقيل من اعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط. قال العلماء يخاف فى الرد
 مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول فى شبهة او غيره. وفى الاحياء قال بعض
 العلماء المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم اعدتها للانفاق فى سبيل الله، فسمعت
 فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول: بصوت خفى. جائع كما ترى، عريان كما ترى،
 فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى. فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه، فقلت
 فى نفسى لا اجد لدراهمى أحسن من هذا، فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها
 خمسة دراهم فقال: اربعة ثمن مئزرين، ودرهم انفقته ثلاثا، ولا حاجة لى لى الباقي

ثم الزهد عزوف القلب عن الدنيا الى الآخرة طوعاً

فرده . قال فرأيتُه الليلة الثانية وعليه مئزران جديد ان فمجس في نفسى منه شيء . فالتفت الى واخذ بيدي فاطفى معه سبعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض تتشخشش تحت اقدامنا الى الكعبين ، منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ، ولم يظهر للناس ، فقال هذا كله اعطانيه ربي فزهدت فيه وآخذ من ايدى الخلق لان هذه اثقال وفتنة ، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والمقصود أن الزيادة على الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة ياتيك رفقاك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) وعن موسى عليه السلام أنه قال : يارب جعلت رزقي هكذا على ايدى بنى اسرائيل يغدوني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة ، فوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي ، اجري ارزاقهم على ايدى الباطلين من عبادى ليؤجروا فيهم ، فلا ينبغي ان يرى المعطى الامن حيث أنه مستخرماً جور . وقيل في تفسير قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) معناه ليع أحد ثوبيه ، وقيل ليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ، والله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم . ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف : الاقوياء والاسخياء والاغنياء ، فقيل من هؤلاء؟ فقال : أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله ، وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن بالله ، وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله . وكان بشر رحمه الله يقول : الفقراء ثلاثة . فقير لا يسأل وان أعطى لا ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين ، وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس ، وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين . وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق البلخي حين قدم عليه من خراسان . كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا ، وظن انه لما وصفهم بترك السؤال اثني عليهم غاية الثناء . فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا . فقال شقيق فكيف الفقراء عندكم يا أبا اسحق ؟ فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال : صدقت يا استاذ (ثم الزهد عزوف القلب) أى ميله وانصرافه (عن الدنيا الى الآخرة طوعاً) أى اختياراً وجعله طاعة ، فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة

وَلَا يَعْجَبُ بِالْيَدِ لَوْ جُودَهَا لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَوْنَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخِي
يَدًا مِنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن الشيء الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أى باعوه طمعا فى أن يخلوهم وجه ابيهم وكان ذلك أحب عندهم من يوسف ، فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد فى الآخرة ، لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما يخص اسم الاحاد بمن يميل الى الباطل ، واسم الخفيف بمن يميل الى الحق وأن كان الكلى بمعنى الميل فى وضع اللسان ، فالذى يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق ، والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار والاثمار فهو أيضا زاهد لكن دون الاول ، والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه او بالعكس ، او يترك التوسع فى الاكل ولا يترك التجميل فى الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ، ودرجته فى الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين ، وقد تقدم الخلاف فى صحة التوبة ، لكن لا خلاف فى صحة الزهد عن البعض . ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات ، ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ، ويشترط فى المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه ، ولذا قيل لابن المبارك : يا زاهد ، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، أما انا فقيماذا زهدت . وقال ابن أبى ليلى لابن شبرمة : الا ترى الى هذا ابن الحائك لانفقى فى مسألة الارذعلينا يعنى ابا حنيفة ، فقال ابن شبرمة : لا ادرى اهو ابن الحائك أو ماهو ، ولكن أعلم أن الدنيا غدت اليه فهرب منها ، وهربت منا فطلبناها انتهى . فمن عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وابقى عزف قلبه عن الدنيا الى العقبى مع القدرة على تحصيل مراتب الغنى ، وإلى هذا الشرط اشار بقوله طوعا (ولا يعبا باليد) أى ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدمه وقلة وكثرة إذ حصل الزهد فيها (لوجودها) أى الدنيا جاها ومالا (لسليمن عليه السلام) مع أنه كان زاهدا فى الدنيا وراغبا فى العقبى كسائر الانبياء والاولياء (وكون عيسى) أى ولكونه (عليه السلام اخلى يدا من نبينا صلى الله عليه وسلم

مع أنه أفضل وهو يثمر المكاشفة كما سبق في حديث التجاني وحرارة رضى الله عنه

مع أنه أي نبينا (انضل) وزهده آتم وامل ، على أنه لا بدع أن يوجد في المفضول بعض ما لا يوجد في الأفضل . فتأمل . ولعل الحكمة في اختيار عيسى عليه السلام المبالغة في الزهد فانه مسلك أهل الترهيب ، وأمانينا عليه الصلاة والسلام فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا يسع جميع اهته أن يتبعوه ، ولانه صاحب الملة الحنيفية السمحاء ، وليس في دينه من حرج ، ولكونه مظهر المرتبة الجمع بين الصفات الجمالية والنعوت الجلالية كما يشير اليه قوله : اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع أن الزهد عند المحققين هو ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبي . ثم كل مؤمن يعلم ان الآخرة خير وأبقى ، لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا . اما الضخف عليه وبقينه بالمآل ، واما لاستيلاء الشهوة عليه في الحال ، واما لا اعتباره في الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف . وما بعد يوم الى ان يحتطفه الموت ولا يبقى معه الاحسرة بعد الفوت . والى تعريف خسارة الدنيا اشار قوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والى تعريف نفاسة الآخرة قوله تعالى (وقال الذين اتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) وأما قول ابن مسعود : ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) فرواه البيهقي في دلائل النبوة . باسناد حسن ، لكن حمل على أن منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبي ، ومنهم من يريد الآخرة ويترك الدنيا بالكلية رضا للمولى وعملا بما قال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتير . تركك الدنيا أبر . (وهو) أى الزهد (يثمر) خمسة أشياء (المكاشفة) لاحوال الآخرة (كما سبق في حديث التجاني وحرارة رضى الله عنه) أما حديث التجاني فهو أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للسلام) فقبل له ما هذا الشرح فقال أن النور إذا دخل القلب لشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة ؟ قال نعم التجاني عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ، رواه الحاكم ، وأما حديث حارثة فهو أنه لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال : وما حقيقة ايمانك ؟ قال عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني بالجنته عن يميني والنار عن يسارى ، وكأني بعرش ربى بارزا ، فقال عليه السلام « عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان »

وَالْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ فَوْرَدَ مِنْ أَحَبِّ آخِرَتِهِ أَضْرَ بَدَنِيَاهُ وَتَعْظِيمَ قَدْرِهَا فَوْرَدَ «رَكْعَتَانِ مِنْ عَالَمِ زَاهِدٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَحُبَّتَهُ تَعَالَى وَمَعْرِفَتَهُ فَهَمَّا

رواه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك (والفراغ) أي ويشمر الزهد فراغ خاطر أرباب الارادة (للعبادة) التي هي سلوك سبيل السعادة (فورد من أحب آخرته اضر بدنيه) تمامه (ومن أحب دنياه اضر باخرته فاشروا ما يبقى على مايفنى) رواه احمد والطبراني من حديث أبي موسى (وتعظيم قدرها) أي ويشمر تعظيم مقدار العبادة (فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر) لم اجد له اصلا بهذا السياق، وانما هو لابن مسعود وموقفا، وللشيرازي في الالقاب عن علي مرفوعا «ركعة من عالم بالله خير من الف ركعة من متجاهل بالله» وللدبلي عن أنس «ركعتان من رجل ورع أفضل من الف ركعة من مخاط» ولابن النجار عن محمد بن علي مرسلا «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» وقد صح «لفقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد» (وحبته تعالى) أي ويشمرها الزهد، فقد ورد في الخبر «أن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا» رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم حديث «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد في ايدي الناس يحبك الناس» (ومعرفته) أي ويشمرها، ففي الخبر قدورد «إذا رأيت العبد قد أعطى صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة» رواه ابن ماجه من حديث أبي خالد، وقد قال تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ولذا قيل: من زهد في الدنيا اربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. كذا في الاحياء وقد وجد معناه من حديث «من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه» رواه أبو نعيم من حديث أبي أيوب: ومن المعلوم أنه لا يكون العبد عابدا مخلصا الا اذا كان زاهدا. وفي الخبر أيضا «من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه، وانطق بها لسانه، وعرفه دام الدنيا ودواها، واخرجه منها سالما إلى دار السلام» رواه ابن أبي الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا، ولابن عدي من حديث أبي موسى «من زهد في الدنيا اربعين يوما واخص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (فهما) أي المحبة والمعرفة اللتان يشمرهما الزهد

لَا يَحْصِلَانِ إِلَّا بِدَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ الْمُتَمَتِّعِينَ مَعَ الشَّغْلِ بِالدُّنْيَا

﴿ لا يحصلان الا بدوام الذكر ﴾ اي ذكر المولى ﴿ والفكر ﴾ لزيد العقبى ﴿ الممتنعين ﴾ مع الشغل بالدنيا ﴿ وقد قال تعالى ﴾ (اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا) اي على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير ، وقال تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) قيل معناه ايهم ازهد فيها . وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) وقال عز وعلا (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن « من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها - اي ابتلى - بثلاث : شقاء لا ينفذ عنه ، وحرص لا يبلغ غناه ، وامل لا يبلغ انتهاه » وللدبلي من رواية علي بن ابي طلحة مرسلا « لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثيره » وله من حديث أنس « من زهده في الدنيا بصره بعيوب نفسه وفقهه في الدين » وعن عيسى عليه السلام: الدنيا قطرة فاعبروها ولا تعمروها ، ولابن حبان من حديث علي « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن يرقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » وجاء في الآثار « لا تزال لاله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا بما نقص من دنياهم » وفي لفظ « ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فاذا فعلوا ذلك وقالوا لاله الا الله قال تعالى: كذبتم لستم بها صادقين » وعن بعض الصحابة قال: تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة ابغ من زهد في الدنيا . وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا خيرا منكم ، قيل ولم ذلك؟ قال كانوا ازهد في الدنيا منكم : وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد . وقال ابن سعد: كفى به ذنبا أن الله تعالى زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها : وقال رجل لسفيان : اشتهى أن ارى عالما زاهدا ، فقال ويحك تلك ضالة لا توجد . وقال يوسف ابن اسباط . انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ، أن اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ، ولا يكون على دين ، ولا يكون على عظمي لحم ، فاعطى ذلك كله ، ويروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء الجوائز فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة

ثم الأَدنى باعتبار نفسه أن يجاهد فيه لميل النفس إلى الدنيا وهو تزهد ثم أن يتنفر
 عنها فهو زهد ثم عدم الميل والتنفر ويعرف بتسوية سرقة ماله ومال غيره ثم عدم

الاعتبار بزهد

آلاف درهم فلم يقبلها فقال بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد وأنت على حالتك هذه
 فبكي الفضيل وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون
 عليها فلما هرمت ذبحوها لكي يتنفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سنني
 موتوا يا أهلي جوعا خيرا لكم من أن تذبحوا فضيلا (ثم الأدنى) من مراتب الزهد
 (باعتبار نفسه) أي نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه ومأمته وفيه
 كما سيأتي (أن يجاهد فيه) أي في تحصيل الزهد (لميل النفس إلى الدنيا) والتفاتها
 إليها ولكنه يجاهد ما ويكفها عنها (وهو تزهد) وهو مبدأ الزهد في حق
 من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والجهد (ثم) الأعلى منه (أن يتنفر) طبعه
 (عنها) أي عن الدنيا لعدم ميل نفسه إليها (فهو زهد) فالمتزهد في الدنيا
 يذيب أولا نفسه في الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب أولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة
 لا في الصبر على مافارقه والمتزهد على خطر لأنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته
 فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليلها أو كثيرها (ثم) الأعلى منه (عدم
 الميل) إليها (و) عدم (التنفر) عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا والاستحقاق إياها
 بالإضافة إلى ما طمع فيه من غيرها خيرا منها، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة
 زهده وملتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده، ويظن بنفسه أنه ترك شيئا له
 قدر لما هو اعظم قدر منه، وهذا أيضا نقصان عند من له عرفان (ويعرف) صاحب
 هذا المقام (بتسوية سرقة ماله ومال غيره) لعدم ميله إلى كل منهما، ولقوله
 عليه السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه ويكره لآخيه ما يكره
 لنفسه » بل ربما يؤمن عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره (ثم) الأعلى
 (عدم الاعتبار بزهد) لغناؤه في الله وبقائه به، فقد انطوى في نظره وجود كل شيء
 فضلا عن زهده، وهي المرتبة العليا بان يزهد في الدنيا طوعا، ويزهد في زهده أيضا
 فلا يرى زهده أصلا، إذ لا يرى أنه ترك شيئا ما إذ عرف أن الدنيا لا شيء، وسببه كمال

وَبَاعْتَبَارِ مَا مَنَّهُ مِنْ خَوْفِ النَّارِ ثُمَّ مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ لِإِقْتِضَائِهِ الْحُبَّةَ ثُمَّ
 مِنْ رَفْعِ الْإِلْتِقَاتِ إِلَى مَسَاوَاهُ تَعَالَى وَبَاعْتِبَارِ مَا فِيهِ فِي بَعْضِ الدُّنْيَا كَالْمَالِ دُونَ
 الْجَاهِ وَهُوَ كَالْتَوْبَةِ

المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا ، ومن هنا قال ابو يزيد
 لابي موسى عبد الرحيم : في أى شيء تتكلم ؟ قال في الزهد ، قال في أى شيء ؟ قال في الدنيا ،
 فنفذ يده وقال : ظننت أنك تتكلم في شيء الدنيا لاشيء أى شيء تزهد فيها ، فاذن
 لا يلتفت الزاهد إلى زهده الا اذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه
 الا لانه يراه شيئاً معتداً به ، ولا يراه شيئاً معتداً به الا لقصور معرفته ، فسبب نقصان
 الزهد نقصان المعرفة ﴿ وباعتبار مآمنه ﴾ أى والادنى في الزهد باعتبار مآمنه
 الزهد أن يكون زهده للنجاة ﴿ من خوف النار ﴾ وما فيها من أنواع العقاب ﴿ ثم ﴾ الاعلى
 أن يكون زهده ﴿ من اجل الرجاء إلى الجنة ﴾ وما فيها من انواع الثواب ، وأنما يكون
 اعلى ، قبله ﴿ لاقتضائه المحبة ﴾ أى زيادتها ، والمحبة أعلى المقامات كما سيأتى في خاتمة
 الكتاب ﴿ ثم ﴾ الاعلى أن يكون زهده ﴿ من رفع الالتفات ﴾ لخواطره ﴿ إلى مساواه
 تعالى ﴾ فلا تكون له رغبة الا في الله وفي لقائه ورضائه ولا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد
 الخلاص منها ، وإلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها ، بل هو مستغرق الهم بالله
 تعالى ، وهو الذى يصبح وهمه هم واحد ، وهو الموحد الحقيقى الذى لا يطلب
 غير الله ، ومن طلب غير الله فقد عبده ، سواء وجده او فقد . وهذا زهد المحبين وهم
 العارفون ، لانه لا يحب الله تعالى خاصة الامن عرفه ولا تظن أن أهل الجنة عند
 النظر الى وجهه الكريم تبقى لذة الحور والقصور وسائر النعيم المقيم في قلوبهم ،
 بل تلك اللذة بالاضافة إلى نعيم الجنة كـلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف
 الارض ورقاب الخاق بالاضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به ،
 فالطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة كالصبي الطالب للعصفور التارك للذة المملك
 وذلك لقصوره عن ادراك لذة المملك لالان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذمن
 الاستيلاء بطريق المملك على كافة الخاق ، ومن هنا روى « اكثر أهل الجنة البله
 وعليون لاولى الالباب » ﴿ وباعتبار ما فيه ﴾ أى ادنى الزهد باعتبار ما فيه الزهد
 أن يكون زهده ﴿ في بعض الدنيا كالمال دون الجاه ﴾ أو عكسه ﴿ وهو كالتوبة

عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ ثُمَّ فِي كُلِّهَا ثُمَّ فِي سِوَاهُ تَعَالَى

عن بعض الذنوب) وقد اختلف في صحتها ، لكن الصحيح اعتبارها في الجملة على ما تقدم ، بخلاف الزهد فإنه لا خلاف في صحة بعضه (ثم) الاعلى أن يكون زهده (في كلها) أى في جميع الدنيا ما لها وجاهها (ثم) الاعلى وهي المرتبة العليا أن يكون زهده (فيما سواه تعالى) حتى يزهد في نفسه أيضا وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم أجمله في آية اخرى ورده إلى خمسة فقال (اعلموا أما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) إلى أن قال (وه الحياة الدنيا الامتاع الغرور) ثم رده إلى اثنين فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مالا) وقال في موضع آخر (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا * والحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا ، واذ رغب عنهم لم يردوا ، ولذا لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبنا علينا القتال ؟ لولا اخرتنا إلى أجل قريب فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أى لستم تريدون البقاء الامتاع الدنيا ، فظهر عند ذلك الزاهدون وفضح المنافقون . أما الزاهدون المحبون في الله فقاتلوا في سبيل الله كأهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسينين ، وكانوا اذا دعوا إلى القتال يستمشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه بمبادرة الظمان إلى الماء البارد حرصا على نصره دين الله او نيل رتبة الشهادة ، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت سعادة الشهادة حتى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول : لم غررت بروحى وهجمت على الصفوف طمعانى الشهادة ، والآن أموت موت العجائز ، فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات . وأما المنافقون فقروا من الزحف خوفا من الموت ، فقيل لهم (إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم) الآية هذا . واجمع ما قيل في حد الزهد قول أبى سليمان الداراني : قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل ، وقرأ

وَبِاعْتِبَارِ الْحُكْمِ الْفَرْضِ وَهُوَ فِي الْحَرَامِ ثُمَّ السَّنَةِ وَهُوَ فِي الشَّبْهِةِ ثُمَّ النَّفْلِ
وَهُوَ فِي فَضُولِ الْمُبَاحِ

أبو سليمان قوله تعالى (الامن اتى الله بقلب سليم) فقال: هو القلب الذى ليس فيه غير الله، وقال انما زهدوا فى الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للآخرى ﴿وباعتبار الحكم﴾ أى والزهد الأدنى باعتبار حكم الزهد ﴿الفرض﴾ أى يجب على السالك أن يزهد فيه ﴿وهو﴾ أى الزهد الفرض أن يكون زهدا ﴿فى الحرام﴾ وهو لا بد منه لكل الاسلام وجمال الأحكام ﴿ثم السنة﴾ أى الزهد الذى يسن للريد أن يزهد فيه ﴿وهو﴾ أى الزهد السنة أن يكون زهدا ﴿فى الشبهة ثم﴾ الزهد ﴿النفل﴾ المندوب المستحب ﴿وهو﴾ أى الزهد النفل أن يكون زهدا ﴿فى فضول المباح﴾ وقال قوم: الزهد فى الحلال لافى الشبهة والحرام، فليس ذلك من درجاته فى شيء. ثم رأوا انه لم يبق حلال فى أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن، ويؤيده قول الحسن: رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم. وفى خبر آخر: كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالرخاء، وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول: اخاف ان يفسد على قلبى، فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف على فساد، والذين قد أمات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) وقال تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقال عز و علا (فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيات الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة، فان قلت مهما كان الصحيح ان الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم، فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكره وأفكرا، ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فهما اقتصر فى الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغولا بغير الله، فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه، كذا فى الاحياء. وقد يقال المراد بالاشتغال بالمولى أن يكون بالقلب دون القالب، فان الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم شيء من الأمور، فقلوبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا فى الزراعة والتجارة

ويُخرج عنه القصد إلى الكسب أن كان للذة دون العدة على العبادة والادخار أن
 زاد على قوت السنة إلا لمن لا يكسب ولا يأخذ من الأيدي كداود الطائي وهو ملك
 عشرين ديناراً قنع بها عشرين سنة

كما يشير إليه قوله سبحانه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية كما أن قلب
 أهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قلبهم في المسجد والطاعة والقراءة ونحوها
 بل أهل القلوب لجمال ذكركم وفكرهم لو أرادوا أن يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدرُوا
 على ذلك كما أن أهل الغفلة لو اجتهدوا أن يحضروا قلبهم ساعة عجزوا عما هنالك
 بل العارفون عدوا الغفلة كفرا وارتدادا كما أشار إليه العارف ابن الفارض بقوله:
 ولو خطرت في سواك ارادة * على خاطري يوما حكمت بردق

فالحاضرون على الدوام هم الأنبياء عليهم السلام والأولياء من اتباعهم الكرام والغافلون
 الكاملون هم الكافرون المشبهون بالأنعام، وأما المخلطون فهم في أحوالهم مختلفون
 فتارة يحضرون وأخرى يغفلون وهم الذين قال الله تعالى فيهم (وآخرون اعترفوا
 بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً) الآية (ويخرج) السالك (عنه) أي عن الزهد
 ويدخل في حب الدنيا خمسة أشياء (القصد إلى الكسب أن كان) القصد (للذة) أي
 بشهوة النفس بالمكسوب (دون العدة) أي بخلاف ما إذا كان القصد من الكسب
 الاستعداد والاستعانة (على العبادة) التي هي المنتدوب والمطلوب، وهذا يحمل قول
 أبي سليمان الداراني: من تزوج أو سافر في طلب المعيشة، أو كتب الحديث فقد ركن
 إلى الدنيا، وذلك لأنه نقل عنه أيضا أنه قال: كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو
 عليك شؤم (والادخار) يخرج السالك عن الزهد أيضا (أن زاد) الادخار (على
 قوت السنة) كما ثبتت الرخصة في السنة (الامن لا يكسب) أي لا يقدر على الكسب
 لعدم حرفة أو لاشتغاله بتحصيل وجوه معرفة (ولا يأخذ من الأيدي) مع هذه
 الحالة أيضا فإنه لا يخرج الادخار عن الزهد وأن كان زائدا على قوت السنة (كداود
 الطائي وهو ملك عشرين ديناراً) ورثها من أبيه (قنع بها عشرين سنة) ثم اعلم
 أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك، فإن ترك المال وأظهار الخشونة سهل
 على من أحب المدح بالزهد، بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا في مقام الكمال
 هذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف، وآخرون بالتكلف. ومن الخواص قوم ادعوا

الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يوهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم و
ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا ويفيطروا كما يعطى المساكين،
ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وأنهم على السنة ، وأن الاشياء داخلة عليهم وهم
خارجون منها ، وأن ما يأخذون بعله غيرهم . هذا إذا طولبوا بالحقائق والجئوا إلى
المضائق . وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين ، لم يعباؤا بتصفية اسرارهم ولا تهذيب
أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالاً لهم ، فهم ماثلون
الى الدنيا متبعون الهوى ، فهذا كله كلام الخواص ، فاذا معرفة الزهد مشكل حتى على
الزاهد نفسه ، فينبغي أن لا يتعبد بلبس خاص موافقاً للسنة ، وإن يعول في باطنه
على ثلاث علامات . الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى
(لئلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أى لا تحزنوا حزن فزع ولا
تفرحوا فرح بطر وإلا فلا يخلو تأثيرهما في النفس باعتبار أصل الطبع ، ثم الكمال أن
يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لأنه سبب وجود صحة الحال . والثانية أن يستوى
عنده ذامه ومادحه ، بل يبغي أن يفرح بذمه ويحزن بمدحه . والثالثة أن يكون أنسه
بالله ونسيانه عما سواه ، ولذا قيل لبعضهم: الى ماذا أفنى بهم الزهد فقال الى الأانس
بالله ، وأما الأانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان طمأنينة والمواء في القدرح ، فالماء إذا دخل
خرج الهواء وقد قال أهل المعرفة : إذا تعاقب الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة
جميعاً وعمل لهما ، وإذا بطن الايمان سوايد القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر اليها ولم
يعمل لها ، ولذا ورد في دعائه عليه السلام « اللهم انى أسألك ايماناً يباشر قلبي » وقال
أبو سليمان : من شغل بنفسه شغل عن الناس ، وهذا مقام العابدين . ومن شغل بر به شغل
عن نفسه ، وهذا مقام العارفين . وقال السري : لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ،
ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه . وقال النصر ابادى : الزاهد غريب في الدنيا
والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : الزاهد يسعطك الخلل والخرذل ، والعارف
يشمك المسك والعنبر ، ثم لا يستدل بامساك قليلاً من المال على فقد زهده في مقام
الكمال ، كما لداود الطائي ، فان مدار الزهد في الدنيا عدم محبتها . وقد قال الفضيل .
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت
وجعل مفتاحه الزهد فيها « والتغذى » بالذال المعجمة أى الأكل (من بر) أى دقيق

منخول والمواظبة على الآدام واتخاذ ثوبين وأثابين، وجنس رفيع

حنطة (منخول) يخرج من الزهد أيضا (والمواظبة على الآدام) تخرجه أيضا منه (و) كذا (اتخاذ ثوبين) كقميصين (وأثابين) أى متاعين من أمتعة البيت كصحنين وأبريقين أحدهما زائد عن استعماله (وجنس رفيع) أى مستحسن ولذيذ من الآدام والثوب والآثاب. والأولى فى المقام الأعلى عدم التقيد بالآدق والأعلى لما كان طريق المصطفى. وقد قال يحيى بن معاذ الرازى الزاهد الصادق قوته ما وجد، وأبسه ما ستر، ومسكنه حيث أدركه المساء، والدينيا سجنه، والقبر مضجعه، والخولة مجلسه. والاعتبار فكرته، والقرآن حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن شعاره، والحياء دثاره، والجوع آدامه، والحكمة كلامه، والتراب فراشه، والتقوى زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسيبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة مبلغه ان شاء الله وحده.

ثم اعلم ان المهمات الضرورية فى الامور الدنيوية ستة: المطعم، والملبس، والمسكن والآثاب، والمنكح، وما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة: أما المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه وقل مقداره لقيمات كما ورد فى حده، وقل جنسه ما يقوته ولو خبز نخالة، واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول وأقل آدامه الملح او البقل او الخل، واوسطه الزيت والسمن واللبن واعلاه اللحم. وذلك فى الاسبوع مرة او مرتين ووقته الاقل فى ثلاثة ايام واوسطه فى اليوم والليلة مرة واقصاه فى اليوم والليلة مرتين، ويشير اليه قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وكان يعيش عليه السلام بالاسودين أى التمر والماء وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفى رواية عند عليه السلام أنه قال: من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير، وكان عيسى عليه السلام يقول: يا بنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى، وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره. ولما أتى عليه السلام اهل قبا اتوه بشربة من ابن مشوبة بعسل فوضع الفدح فى يده وقال «أما انى لست احرمه، ولكنى اتركه تواضعا لله، واما الملبس فاقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون له مع ذلك منديل وسروال، وقل جنسه المسوح الحشنة واوسطه الصوف الحشن، واعلاه القطن الغليظ. قال ابو بردة: اخبرجت لنا عائشة كساء ملهدا وازارا غليظا

وقالت قبض عليه السلام في هذين ، رواه الشيخان . ولا بن ماجه من حديث ابى ذر
باسناد جيد « مامن عبدلبس ثوب شهرة الا عرض الله تعالى عنه حتى ينزعه » وقد اشترى
عليه السلام سروا الاربعة دراهم كما رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة . ولا بن الشيخ
من رواية عروة بن الزبير مرسل « كان رداه عليه السلام اربعة اذرع وعرضه ذراعان
ونصف » وفي طبقات ابن سعد من حديث ابى هريرة « كان له ازار من نسج عمان طوله
اربعة اذرع وشبر في ذراعين وشبر » وعن جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهى
تظحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل ، فلما نظر اليها بكى وقال « يا فاطمة تجرعى
مرارة الدنيا لنعيم الابد » فانزل الله سبحانه (واسوف يعطيك ربك فترضى) وقال
عليه السلام لعائشة « ان اردت اللحوق بى فاياك ومجالسة الاغنياء ، ولا تنزعى ثوبا حتى
ترقعى » رواه الترمذى والحاكم وصححه من حديث عائشة . ولا بن نعيم والحاكم والبيهقى
في شعبه « ان من خيار امتى فيما انبأنى العلى الاعلى قوما يضحكون جهر ا من سعة رحمة الله ،
ويكون سرا من خوف عذابه ووثمهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون
الخلقان ، ويتبعون الرهبان ، اجسامهم فى الارض واندمتهم عند العرش » وعد على قيص
عمر اثني عشر رقعة بعضها من ادم . واشترى على كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم
ولبسه وهو فى الخلافة ، وقطع كفيه من الرسخين وقال : الحمد لله الذى كسانى هذا
من ريشه . وقال بعضهم : قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق . ولا احمد
من حديث معاذ « ان عبادا لله ليسوا بالمتنعمين » واما المسكن فالاعلى ان يقنع بزواية
من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية
أما بشراء او كراء . وللطبرانى من رواية ابى العالية « ان العباس بنى غرفة فقال له عليه
السلام اهددها » ولا بن داود من حديث أنس بسند جيد « رأى عليه السلام قبة مشرفة
فقال لمن هذه ؟ قالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل
الرجل أصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبره بذلك فذهب فهدمها فر عليه
السلام بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعاه لبحير ، ولا بن حبان فى الثقات
وأبى نعيم فى الحلية عن الحسن مرسل « مات رسول الله ﷺ ولم يضع لينة
على لينة ولا قصبه على قصبه » وقال عبد الله بن عمرو « مر علينا عليه السلام ونحن نعالج
خصا ، فقال ما هذا ؟ فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك » رواه أبو
داود والترمذى وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهى فى بيت
من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قدمات وهذا قائم على حاله

ولابن داود من حديث أنس بسند جيد « كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا ، يعني ما لا بد منه ، وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بناءه ، وكان منهم إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لغيره فإنه إذا رجع أعاده ، قال الحسن : كنت إذا دخلت بيوتهم عليه السلام ضربت يدي إلى السقف ، وقال عليه السلام للرجل الذي شكاه إليه ضيق منزله « اتسع في السماء » يعني في الجنة رواه أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني وقال ابن مسعود « يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ، يصلون إلى قبيلتهم ويوتون على غير ملتكم » وأما اثاث البيت فاعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لا يصحب إلا المشطا وكوزا ، فرأى أنسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى المشط ، ورأى آخر يشرب من النهر فرمى الكوز . ثم الظرف ينبغي أن يكون من الخرف ولو مكسور الطرف ، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء متعددة كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ، وقالت عائشة رضی الله عنها « كان ضياعه أي فراشه عليه السلام الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة « ان فراشه عليه السلام كان عبادة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف » ورأى عليه السلام على باب منزل عائشة سترًا فنهتكم ، وقال : كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلني به إلى فلان ، رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها ، وقال الحسن « أدركت سبعين من الخيار ما لا حدهم الا ثوبه ، وما وضع أحدهم بيته وبين الارض ثوبا قط وكان إذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه وأما المنكح فقال قائلون لا زهد في أصل النكاح ولا في كثرتة ، وإلى هذا ذهب سهل بن عبد الله ، وقال قد حجب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ووافقهن ابن عيينة قال وكان على ازهد الصحابة وله أربع نسوة وبضع عشرة سرية ، والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني ان كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك شؤم ، وهو مستفاد من قوله تعالى : (لا تألهنكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقوله (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة الفقيرة الضعيفة على المرأة الجميلة الشريفة ، وقال الجنيد : أحب للبريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا يغير حالة الكسب وطالب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرأ لانه أجمع لهمه وأما ما يكون وسيلة هذه الخمسة فهو المال والجاه أما الجاه فانه قد يفتقر إلى خادم له فينفعه ، وقد يحتاج إلى دفع ظلم

وَالْأُولَى الْمُبَالِغَةُ فِي التَّشْدِيدِ تَحَامِيًّا عَنِ الْإِنْسِ بِالْدُنْيَا وَطُولِ الْمَكْتِ لِلْحِسَابِ
وَالْحَبْسِ عَنِ الْجَنَّةِ وَاللَّوْمِ وَالتَّعْيِيرِ وَالْحَرَمَانِ عَنِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَهُوَ الْمَأْثُورُ

عن نفسه او غيره، والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل تمهد له من قلوب الخلق ما يدفع به عنه الاذى، ولو كان بين الكفار فكيف بين الابرار، واما المال فقدرة الضرورة كاف في المييشة، فاذا كان كاسيا واكتسب حاجة يومه ينبغي أن يتركه ويشتغل بامرئهمه، وقد قال أبو سليمان لا ينبغي للرجل أن يرهق أهله إلى الزهد، بل يدعوهم إليه فان اجابوه والتركهم وفعل بنفسه ماشاء. وروى أن ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه، فرجع مهموما فلوحي الله إليه لوسألت خليلك لا عطاك، فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك شيئا منها، فلوحي الله إليه ليس الحاجة من الدنيا. فتبين من هذا أن تحصيل قدر الحاجة من أمر الدين ﴿والاولى المبالغة في التشديد﴾ أي التضييق على نفسك أن كنت من المريدين المجتهدين ﴿تحاميا﴾ أي تحافظا عن ستة اشياء ﴿عن الانس بالدنيا﴾ ونسيان العقبي والاشتغال بغير ذكر المولى ﴿و﴾ عن ﴿طول المكث للحساب﴾ المتضمن لعذاب الحجاب ﴿و﴾ عن ﴿الحبس﴾ والتوقف ﴿عن الجنة﴾ وما فيها من الثواب ﴿واللرم﴾ أي وعن الملامة في اكتساب السيئات ﴿والتعير﴾ أي التوبيخ في تقصير الطاعات ﴿والحرمان عن الدرجات العالية﴾ والمقامات العالية ﴿وهو﴾ أي المبالغة على المنهج المذكور كله ورد فيه ﴿المأثور﴾ عن السلف الصالحين. فعن الثوري وكان قد شدد على نفسه فقبل له: لو خفت لنتك الجنة أيضا، فما هذه الشدة؟ فقال: كيف لا اشدد على نفسي وقد ورده أن جارية تضحك عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمانية بنور اسنانها فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين؛ فنودوا أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون، إنما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها «وأما ما حكي ان داود الطائي كان له جب مكسور فيه ماؤه، فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار، ويقول: من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا، فلعله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفته النفس في شهوته، والا فيجد من الزهد اليارد لانه عليه السلام كان يستعذب الماء ويقول في دعائه «اللهم أجعل حبك أحب إلى من حب الماء البارد» وقد دخل سبانا فقال لصاحبه «أن بان عندك ماء بارد في شين والا كرى عنا فآتي به فشرب» وكان

وورد «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء»
 الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله . ثم الحالات التي قبل الموت دنيا والتي
 بعده آخرة لكن العبادة وما لا بد منه فيها معدودة من الآخرة بخروجها عما جمع
 فيما ورد (انما الحياة الدنيا لعب ولهو)

بعض العارفين يقول: اذا شربت الماء البارد احد الله من صميم قلبي. وأيضا انما خلق
 الله اللذات الدنيوية لتكون نموذجا للذات الاخرية وقد قال تعالى: (قل من حرم
 زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا
 كلوا من طيبات ما احل الله لكم ولا تعبدوا ان الله لا يحب المعتدين) أى المتجاوزين
 عن الحد في أمر الدين كالرهبانيين (وورد) في الحديث (لو كانت الدنيا تعدل عند الله)
 أى تساوى وتماثل (جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذي من
 حديث سهل بن سعد. ورواه ابن ماجه بلفظ تزن بدل تعدل ، وقال قطرة ابدا بدل
 شربة ماء رواه الحاكم وصححه (الدنيا ملعونة ملعون) وفي نسخة وملعون (ما فيها الا
 ما كان لله) وهو العبادة وما يعين عليها . وفي رواية الطبراني من حديث أبي الدرداء
 «الاما يتغنى به وجه الله عز وجل» واسناده لا بأس به ورواه الترمذي من حديث أبي
 هريرة وحسنه. ولفظه «الاذكر الله وما والاياه وعالموا متعلما» يعنى وما يجرى مجراه فانه
 سبحانه خالق الاشياء كلها لعباده كما يشير اليه قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الارض
 جميعا) وخلق عباده لعبادته كما قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فشكر
 نعمته أن يصرفها فى طاعته، وكفرانها أن يصرفها فى معصيته او غفلته (ثم الحالات
 التي قبل الموت) خير او شر اتسمى (دنيا والتي بعده) أى بعد الممات تكون (آخرة)
 فان من مات فقد قامت قيامته . وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه
 الواسطة بين الدنيا والاخرى (لكن العبادة وما لا بد منه فيها) ما يعين عليها كالاكل
 والشرب واللباس والنوم والمخالطة ونحوها بقدر الضرورة (معدودة من الآخرة
 بخروجها عما جمع) من أمورها (فيما ورد) فى التثليل (انما الحياة الدنيا لعب
 ولهو) وهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له ، وهو فعل الصبيان والمجانين (ولهو)
 وهو ما يشتغل به عن الطاعات ويلهم عن العبادات وهو فعل أهل الغفلة من الشباب

الآية ٥ فِي الدُّنْيَا بِاجْمَعِهَا وَمَتَاعُهَا مَا جُمِعَ فِيهَا وَرَدَّ (زَيْنَ النَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ)
 الْآيَةَ وَالشَّغْلُ بِهَا حُبُّ حُظُوظِهَا بَاطِنًا وَتَحْصِيلُهَا ظَاهِرًا وَعِلَاجُ حُبِّهَا مَعْرِفَةُ الرَّبِّ
 وَالنَّفْسِ وَشَرَفِ الْآخِرَةِ وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَا

وارباب المال والجاه، كما يشير إليه قوله تعالى (الهيكم الشكاثر حتى زرتم المقابر) (الآية ٥)
 أي (وزينة) وهي الغالب على النساء ومن تشبه بهن من السفهاء (وتفاخر بينكم وتكاثر
 في الأموال والأولاد) وهو حال أكثر أهل الدنيا من الأغنياء والامراء (نهى)
 أي الأشياء التي جمعت في الآية السابقة (الدنيا باجمعها) أي بتمامها (ومتاعها)
 مبتدأ خبره (ما جمع) من أنواعها (فيما ورد) في التزليل (زين للناس حب
 الشهوات) أي اللذات (الآية) أي (من النساء والبنين) أي دون البنات ولذا قيل
 في قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات) أن البنات داخلة
 في الباقيات الصالحات (والفناطير المقنطرة) أي المحمول الكثيرة (من الذهب والفضة)
 وقد ورد «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يتغنى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم إلا التراب
 ويتوب الله على من تاب» (والخيل المسومة أي المعلبة أو المرسله) (والانعام) من الأبل
 والبقر والغنم (والحرث) للزراعة والأشجار والأثمار والأزهار (ذلك متاع الحياة الدنيا)
 أي (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (والله عند حسن المآب) وجزيل الثواب
 (وما عند الله خير للابرار) (والشغل بها حب حظوظها) أي لذاتها وشهواتها
 (باطنا وتحصيلها ظاهرا) وأما الانبياء والأصفياء فاختار الله لهم الدرجات العليا
 في العقبي والمحن والبلايا في الدنيا، فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
 «لقد كان الانبياء قبل ليستلي أحدهم بالفقر فلا يجد إلا العباء، وإن كان أحدهم ليستلي
 بالقمل حتى يقتلهم القمل، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم» رواه ابن ماجه باسناد
 صحيح، وعن ابن عباس قال «لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه
 من الهزال» (وعلاج حبها معرفة الرب) فاز معرفة الرب موجبة لحبه ووجهه لا يجتمع
 مع حب غيره كما يشير إليه قوله سبحانه (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ولأنه
 سبحانه — انه يغضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها (والنفس) أي ومعرفة قدرها حتى
 لا يضيعها في طلبها الدنية، ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية (وشرف الآخرة)
 ودرجاتها العالي —ة الباقية ونفاسة مراتبها الرفيعة المنيعة (وخساسة الدنيا)

﴿الباب العشرون في التوحيد. والتوكل واليقين﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَذْنَى رُتَبِ التَّوْحِيدِ مُحَضُّ القَوْلِ وَهُوَ النِّفَاقُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ
مِنْهُ وَلَا يُفِيدُ إِلَّا عَصْمَةَ الدَّمِ وَالْمَالِ فَوَرَدَ فَإِذَا قَالُوا هَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
ثُمَّ التَّصَدِيقُ كَاللَّعَامَى وَالْمُتَكَلِّمِ

من خسة شركائها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها ، ويكفيك في ذمها ماورد
في حقها من «ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب» فقد روى ابو الشيخ في تفسيره عن علي
موقوفا «الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب» واخرج الديلمي عن علي
مرفوعا داوحى الله تعالى الى داود ياداود مثل الدنيا مثل الجيفة اجتمعت عليها
الكلاب يجرونها افتحج ان تكون كلبا مثاهم فتجر معهم ، ولاحمد عن عائشة مرفوعا
ورجاله ثقات «الدينادار من لادار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» وفي صحيح
مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ورواه احمد
عن عبد الله بن عمرو بزيادة «فاذا فارق الدنيا فارق السجن» ثم الدنيا فتنة وبلية كما
في صحيح مسلم «الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون»
وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى في الدنيا والاخرى ، وبلغنا المقام الاسنى
مع الذين احسنوا الحسنى انه جواد كريم *

﴿الباب العشرون في التوحيد والتوكل واليقين﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المنفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل
المتوكلون وبه يتقرب المتقنون الموقنون ﴿اذنى رتب التوحيد﴾ من مراتبه الاربع ﴿محض
القول﴾ بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو
جاهل به أو منكر له كتوحيد المنافق ﴿وهو﴾ اى قوله ﴿النفاق والعياذ بالله منه﴾ اى
من النفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق ولا يقبذ ذلك التوحيد في الحال
﴿العصمة الدم والمال﴾ اى حفظ دم الموحد وماله ﴿فورد﴾ في الحديث الصحيح
وصدره «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، فاذا قالوها﴾ اى
ظمة التوحيد ﴿عصموا مني دماءهم وأموالهم﴾ تمام الحديث «الاجبها وحسابهم
على الله» ﴿ثم التصديق﴾ معه وهو أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين
ويكون اعتقاده ﴿كما للعامى﴾ اى كما هو اعتقاد العوام ﴿والمتكلم﴾ وهو الخائض

فهو لا يتميز إلا بالحيلة الدافعة لتشويش المبتدعة ويفيد النجاة من الخلود في النار ثم مشاهدة صدور الكل منه تعالى ويفيد اعتماد القلب عليه وانقطاعه عما سواه وهو التوكل

في علم الكلام (فهو) أي المتكلم (لا يتميز) عن العامي في هذا المقام (الاباحيلة) أي الصنعة الجدلية (الدافعة لتشويش المبتدعة) المانعة من انخراط قواعده أهل السنة والجماعة (ويفيد) التصديق الجنائي مع الاقرار اللساني (النجاة من الخلود في النار) ولو كان صاحبه من الفساق والفجار (ثم مشاهدة صدور الكل) أي ظهور جميع ما يقع في الكون (منه تعالى) وفي الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال في المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف بواسطة نور الحق لتووير الأسرار وهو مقام المقربين الأبرار وذلك بان يرى أشياء كثيرة ظاهرها الأغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار ، فيقول المشاهد حينئذ ليس في الدار غيره ديار (ويفيد) هذا التوحيد (اعتماد القلب عليه) في أمور الدنيا والاخرى (وانقطاعه عما سواه) فلا يرى أحدا يضر وينفع أو يعطي ويمنع الاياه (وهو التوكل) أي الاعتماد على الله وعدم الالتفات إلى ما عداه، وتوضيحه أن ينكشف لك أن لفاعل الا الله وأن كل موجود من خلق ورزق، وعطاء ومنع وضر ونفع، وحلو ومر، وخير وشر، وغنى وفقير، وحياة ومات، الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الوجود في دائرة الشهود فالمتفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خوفك واليه رجائك وبه ثقمتك وعليه اتكالك ، فانه الفاعل على الانفراد دون غيره ، وما سواه مسخرون لاستقلالهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض ، وإذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر . وأما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين ، ويتبغى به أن يتطرق إلى قلبك شائبة الشرك بشيئين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات ، والثاني الالتفات إلى الجمادات . أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه ، وإلى الغيم في نزول المطر ، وعلى البرد في اجتماع الغيم ، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله

ثُمَّ رُوِيَ عَدَمَ مَاسِوَاهُ وَيَقِيدُ الِاسْتِغْرَاقَ بِهِ تَعَالَى وَالْغَيْبَةَ عَنِ الْغَيْرِ

شرك في التوحيد وجهل بحقائق أمر التفريد ، ولذا قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجوا . ومن انكشف له أمر العالم بما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحرك ، وكذا محركه وهكذا ينتهي إلى المحرك الاول الذي لا يحرك له ولا هو متحرك في نفسه ، ومنه قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وأما الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره ، فان شاء اعطاك وأن شاء قطع عنك ، وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه ، وهو قادر عليك أن شاء حز رقبتك وأن شاء عفا عنك ، فكيف لا تخافه ولا ترجوه وأمرك بيده ؟ فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ، وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الاعباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين ، فشاهدوا بنور البصائر أن جميع ما في السموات وما في الارض : من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر ، وكل حيوان وملك وبشر مسخرات في قبضة القدرة الالهية الصمدانية ؛ والقوة السبحانية الربانية .

ثم اعلم أنه سبحانه قال (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) وأجمع السلف على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يتحرك الانسان ولا يسكن الا اذا شاء الله شاء العبد أو لم يشأ فليست المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى المقدورها انصرفت القدرة لاحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب ، فهذه ضروريات يرتبط بعضها الى بعض ، وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ، ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر في الجميع ، فان قيل فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف تكون مجبراً مختاراً الجيب بانه لو كشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور ، لانه عبد مسخر مقهور ولذا قال بعض العارفين . لا تحترق فان كنت تحتار فاختر ان لا تختار ، وربك تحق ما يشاء ويختار ، والله سبحانه اعلم بحقائق الاسرار (ثم روي عدم ماسواه) اي مشاهدته بحجب وجود مولاه ، فلا يرى في الوجود الا واحداً وهو مشاهدة الصديقين الاحرار (ويقيد) هذا التوحيد (الاستغراق به تعالى) أي بشهوده (والغيبة عن الغير) أي الغفلة عن وجود غيره

وَهُوَ الْفَنَاءُ

(وهو) عند الصوفية (الفناء) في التوحيد الحاصل من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا لا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه في عن رؤية نفسه بالسكينة وقد يفنى عن رؤية فنائه ايضا ويسمى الفناء عن الفناء ويبقى له البقاء في مشاهدة اللقاء ، فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف والسنان ، والثاني موحد بجمانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح وانفتاح لسانه ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا واحدا ، والرابع موحد بمعنى انه لم يظهر في نظره شهوده غير الواحد الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ويسمى مقام جمع الجمع في حال التوحيد وهو ان لا تجزئه الكثرة عن الوحدة ولا تجزئه الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن مشاهدة الغير والاتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق المطابق . فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وما بينهما من الطول والعرض وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا؟ فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عليه السلام «لو تعلمون ما اعلم» وقالوا ايضا : افشاء سر الربوبية كفر لكن قد يمكن الاشارة الى كشف ما فيه ستر بان يقال الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، وقد يكون واحدا بنوع آخر من ملاحظة واستبصار ، وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وذيوائمه واحشائه وأعضائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد . ولم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو في حال الاستغراق والاستهتار به مستغرق باحد ليس فيه تفرق ، وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقه ، فكذا كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثير . ثم هذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهي الاكثر والدوام نادر عزيز يغلب في المجازيب وإلى هذا المقام أشار الحسين بن منصور بن الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا أنت ؟ قال ادور في الاسفار لاصحح حالى في التوكل وقد كان من المتوكلين

فقال الحسين : قد افيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد؟ فكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التفريد . فان قلت : فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ؟ اذ معنى التوحيد أن لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا ؟ وأن كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم وإذا كان للفاعل معنى واحد ، وأن كان له معنيان ويكون الفعل مجعلا مرددا بينهما لم يتناقض ، كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ، لكن الامير قتل بمعنى آخر والجلاد قتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر ، فمعنى كون الله فاعلا أنه المخرع الموجد ، ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد أن خلق الله فيه الارادة ، بعد أن خلق الله فيه العلم ، ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال في القرآن مرة إلى الملائكة واخرى الى العباد ، ونسبها بعينها مرة إلى نفسه فقال تعالى (قل يتوفيك ملك الموت الذي وكل بكم) وقال (ثم توفته رسلا) وقال (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النبي والاثبات ظاهر او لكن معناه مارميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد راميا فانهما الغتان مختلفتان فالمعنى ومارميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خاق فيك قوة الرمي أو خاق في رمى الوصول إلى عين العدو . وقيل مارميت خلقا اذ رميت كسبا . ولكن الله قدر رميك از لا . وكذا ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والآيات في الارض والسماوات ثم قال (اولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف ، فكم من طالب عرف الله بالنظر إلى الموجودات كما قال بعضهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله بعده ، وهذا طريق المرید السالك . ولم من طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله قبله ، وهذا مسلك المرید المجذوب ومن هنا قال من قال عرف ربي بربي ، ولو لاربي لما عرفت ربي *

فالحاصل أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه المعاني اذا فهمت حقائق المعاني ، ولذا قال عليه السلام للذي ناوله التمرة : خذها لولم تأتها لاتتك ، داروا بن حبان والطبراني فاضاف الايتان اليه وإلى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان به اليها ، وكذا لما قال ذلك التائب : اتوب إلى الله ولا اتوب إلى محمد قال عليه

وَالْاَلْتَفَاتُ اِلَى الْغَيْرِ اِمَّا الضَّعْفُ الْيَقِينِ لِتَطَرُّقِ الشَّكِّ وَعَدَمِ الْاِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْقَلْبِ
 وَاَمَّا الضَّعْفُ الْجَبَلِيَّ الْجَبَانَ مُطِيعِ الْوَهْمِ لَا يُطِيقُ الْبَيْتُوتَةَ فِي بَيْتِ خَالٍ اَوْ فِيهِ مَيْتٌ

السلام «عرف الحق لاهله» وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق
 لادله ، ومن اضاف الى غيره فهو المتجاوز في مراده المستعير في كلامه ومن هنا قال
 عليه السلام «اصدق بيت قالته العرب قول لبيد : الاكل شيء ما خلا الله باطل»
 متفق عليه من حديث ابي هريرة . والمعنى ان ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو
 باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته لغيره لا بنفسه فاذا لاح بالحقيقة الا الحى
 القيوم ليس كمثل شئ وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته
 فهو الحق وما سواه باطل اى مضمحل وزائل وباقال تعالى (كل شئ هالك الا وجهه)
 ومن هنا قال سهل : يامسكين كان ولم تكن ، ويكزن ولا تكون ، فلما كنت اليوم صرت
 تقول انا وانا كن الآن كأن لم تكن ، فانه اليوم كما كان . وهذا تفصيل ما اجمل في قول
 بعضهم كان الله ولم يكن معه شئ ، وهو الآن على ما عليه كان . هذا واذا ثبت في نفسك
 بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم
 والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بجملة الاحاد وان ليس وراء منتهى
 قدرته قدرة ، ولا وراء منتهى علمه علم ، لا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية
 ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه ، ولا الى نفسك
 وحوالك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله ، فالحول عبارة عن الحركة والقوة
 عبارة عن القدرة (والالتفات الى الغير) حينئذ لا احد الا من (اما الضعف اليقين)
 وذلك (لتطرق الشك) وخطوره في امور يجب عدم الالتفات اليها (وعدم
 الاستيلاء) اى ولقلة غلبة اليقين واستعلائه (على القلب) ودخول اليقين في سويدائه
 (واما للضعف الجبلى) اى الخلقى الطبيعى وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه
 وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد يزعج تبعاً للروم وطاعة له
 من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلاً فشبّه بين يديه بالعذرة ربمانفر عنه
 طبعه ويمتنع عليه تناوله (كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيوتة في بيت خال او فيه
 ميت) فلو تكلف العاقل ان يبني مع الميت في قبر او فراش او بيت نفرطبعه عن ذلك
 وان كان متيقناً لكونه ميتاً وانته جمادى في الحال هو ان سببه الله مطردة بانه لا يحشره الا

وَأَدْنَى رُتَبِ التَّوَكُّلِ أَنْ يَعْتَمِدَ عِمَادَ الْمُوَكَّلِ عَلَى الْوَكِيلِ لِلْعِلْمِ بِشَفَقَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ
وَعَلَيْهِ ، ثُمَّ اعْتِمَادَ الطِّفْلِ عَلَى الْأُمِّ وَتَفَارُقِ الْأُولَى بَعْدَ الْإِلْتِقَاتِ عَلَى الْإِعْتِمَادِ

ولا يحديه، ولو احياء لعاد كما كان واحيه وابقاه وعانقه وأرتضاه، كما أن سنته سبحانه
مطردة بان القلم الذى فى يده لا يقبله حية وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك فى هذا
اليقين فلينفرد قلبه عن مضاجعة الميت فى فراش بل الميت معه فى بيت ولا ينفر عن
سائر الجمادات، وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعف قل ما يخلو الانسان عن شىء
منه وان قل، وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت فى البيت وحده مع
اغلاق الباب واحكامه . فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمانيته ، فالسكون فى القلب شىء واليقين شىء آخر فكم
من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى (اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالتمس
أن يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين *
هذا وقد قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا) فالانسان بطبعه مشغوف بسمع تخويف الشيطان، ولذا قيل: الشفيق بسوء الظن
مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلفين على الطلب والكسب
غلب سوء ظنه وضعفت قوة توبه . وعنه عليه السلام : أن الله عز وجل بحكمته وجلاله
جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط (وادنى
رتب التوكل) على الله (أن يعتمد) عليه (اعتماد الموكل) من المخلوق (على الوكيل)
مثله (للعلم) أى لعلم الموكل (بشفقته تعالى وقدرته وعلمه) كما قدمناه وهذه الدرجة
الاولى . (ثم) التوكل الاعلى منه أن يعتمد عليه سبحانه (اعتماد الطفل على الام)
فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع أمه ، فانه لا يعرف غيرها ولا يفرغ الى أحد سواها
ولا يعتمد الاياها ، فاذا راعاها تعاق فى كل حال بذيلها ولم يتركها ، وأن نابه أمر فى غيبتها
كان اول سابق الى لسانه ياماها ياماها واول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفرغه وقد
وثق بكفالتها وشفقتها وكفايتها ورعايتها فمن كان تاله الى الله ونظره الى مولاه
واعتماده عليه فى دنياه واخراه كلف به كما تكلف الصبى بامه بل أقوى منه ، فانه
سبحانه أرحم الراحمين فيكون متوكلا حقا كما أن الطفل متوكل على أمه صدقا
(وتفارق) هذه الرتبة الثانية الدرجة (الاولى) بشيئين (بعدم الالتفات على الاعتماد

اسْتَعْرَاقًا بِالْأَمِّ وَتَرَكَ التَّدْبِيرَ فَتَمَّكَ لَا تَنَافِيَهُ بِالطَّرِيقِ الَّذِي رَسَمَهُ الْوَكِيلُ ثُمَّ
 أَنَّهُ يَكُونُ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيْ الْغَسَّالِ

استعراقا بالام ﴿ في باب الاستناد اذا صبى اذا طولبت بتفصيل الكل لا يعرف أن التوكل ماهو فلا يعرف الا الوكيل وتوضيحه في مقام الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل على المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه فقال ترك الأمانى قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه الا من بلغ اوسطه ﴿ وترك التدبير ﴾ أى وتفارق الثانية الاولى بترك تدبير الامور اذا كان في مقام الحضور ﴿ فتلك ﴾ الرتبة الاولى ﴿ لا تنافيه ﴾ أى أصل التدبير ﴿ بالطريق الذى رسمه ﴾ أى بينه ﴿ الوكيل ﴾ به وعينه بان يفعله تصریحا أو تلويحا ولكن تنافى بعض التدبيرات التى مارسمه بها ولا كلفه فى تحصيلها ، وذلك كالتوكل على وكيله فى الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار اليه وكيله أو التدبير الذى عرف من عاداته وسنته دون صريح اشارته فاما الذى يعرفه باشارته بان يقول لست أتكلم الا بحضورك فيشتغل لاحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مانا قضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها فى اظهار الحجية ولا الى حول غيره بل من تمام توكله أن يفعل مارسمه له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا له فى قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم بعاداته واطراد سنته فهو ان يعلم من عاداته أنه لا يحتاج الخصم الا من السجل ، فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعاداته ووفائه بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذن لا يستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى احضار السجل ونحوه من الشهود فى الامور ﴿ ثم ﴾ أعلى رتب التوكل على الله تعالى ﴿ أن يكون ﴾ المتوكل بين يدي الله سبحانه فى حركاته وسكناته ﴿ كالميت بين يدي الغسال ﴾ حال قلبه وسائر تصرفاته لا يفارقه الا فى أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى

وتفارق الثانية بترك السؤال مطلقاً فتلك إنما تنافيه من غيره تعالى وهي اندر

وقوعاً وبقاءً، ثم الثانية ثم الأولى

قوى يقينه بأنه سبحانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات ، وأن
 • كله يحدث جبراً فيكون غائبا عن الانتظار لما يجري عليه (وتفارق) هذه المنزلة
 الثالثة الدرجة (الثانية بترك السؤال مطلقاً) سواء كان السؤال من الله أو من غيره
 • في جميع الاحوال كما روى عن الحليل أنه لما قاله جبريل لك حاجة قال أما إليك فلا
 وأما الى الله فبلى ، فقال سل ربك فانك في مقام البلاء المورث للولاء ، فقال حسبي
 من سؤالي علمه بحالي *

وحاصله أن صاحب هذا المقام يفارق الصبى فيما له من المرام ، فان الصبى
 يفرغ إلى أمه ويصيح وراءها ، ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها ، بل مثال هذا مثال صبى
 فرض أنه يعلم أمه وإن لم يزعق بامه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم
 تحمله رانه وإن لم يطلب منها اللبن فالأم تبتدى وترضعه . وهذا المقام في التوكل يشمر ترك
 الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته ورعايته وأنه يعطى ابتداء افضل مما يسأل
 فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى (وأنا كم من كل
 ما سألتهمو وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (فتلك) أى الرتبة الثانية (إنما تنافيه) أى
 السؤال (من غيره تعالى) فقط (وهى) أى الدرجة الثانية (اندر) أى اقل (وقوعاً
 و) اعز (بقاء ثم الثانية ثم الأولى) كذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة
 والاسباب طبع ، وانقباضه بالكيفية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم ، فاذا
 رجع حال المتوكل الى التبرى من الحول والقوة ، وهذا هو تحقيق معنى لاحول ولا
 قوة الا بالله حقاً صدقاً ، وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة
 وطوائف كثيرة ممن يدعى انه تدقق فى رأى والمعقول حتى يشق الشعر بجدة نظره
 فهى مهلكة مخرطة ، ومزلة قدم عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم امرا
 وهو شرك فى التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه
 فقد علت رتبته ، وعظمت نسبته ، ورفعت درجته ، وارتفعت همته ، وهو الذى يصدق
 بمعنى قوله : لا حول ولا قوة الا بالله . وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه : أسأت

وَلَا بَدَّ مِنْهُ فُورَدَ (وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرِزَقْتُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ »

بالذنب واعتذرت منه الى الرب ، مع ان اعتذارى عند قلبى اسوأ من ذنبى لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل . وهذه كلها مخصوصة بربى ﴿ ولا بد منه ﴾ اى من التوكل فى امر الرزق وغيره لثمانية اشياء ﴿ فورد ﴾ و التنازل ﴿ وعلى الله ﴾ اى لا على ما سواه ﴿ فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ﴾ كاملين ، أو اذا صرتم مؤمنين والامر للوجوب . وفى آية اخرى ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وقال (نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ اى كافيه فيما تمناه وقال (أليس الله بكاف عبده) فن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب بهذه الآية . وقال (ان الله يحب المتوكلين) وناهيك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) اى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنا به والتجأ الى حماه وزمائه وبابه ، حكيم لا يقصر عن تدبير امره من توكل على حسن تدبيره وفق تقديره وقال (وتوكل على الحى الذى لا يموت) ايماء الى ان من يموت لا اعتماد عليه ولا استناد اليه كما حكى عن الخواص ﴿ ولو توكلتم ﴾ وفى رواية لو أنكم تتوكلون ﴿ على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ﴾ تمامه « تغدو خماسا وتروح بطانا » رواه الترمذى والحالم وصحاحه من حديث عمر وهو مقبوس من قوله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياهم وهو السميع العليم) وفى رواية زيادة « ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » وفى رواية للبيهقى « لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال » وعن ابن مسعود مرفوعا « أريت الامم بالموسم فرأيت امتى قدملات السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهياتتهم ، فقيل لى افرضيت ؟ فقلت نعم ، فقيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الذين لا يكتبون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة » رواه منيع باسناد حسن وانفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس . وللتحاكم وغيره من حديث ابن عباس « من سره أن يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما فى يديه » وللطبرانى وغيره من رواية

الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسمع منه أنه قال عليه السلام « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها، ويروى أنه لما قال جبريل لأبراهيم الخليل ألك حاجة فقال أما إليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل انزل الله فيه (وأبراهيم الذي وفى) وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام « ما من عبد يعتصم بي من درز خلقي فيكيد به أهل السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا » وقال سعيد بن جبير : لدغتنى عقرب فأقسمت على أمي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ . وقال بعض العلماء : لا يشغاك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما كتبه الله لك . وقال هرم بن حيان لا ويس القرنى : إن تأمرني أن أكون ؟ فأوما إلى الشام، فقال هرم كيف المعيشة بها فقال اويس : أف لهذه القلوب قد خالطها الشكوك فما تنفعها الموعظة . وقال بعضهم : متى رضيت بالله وكيفا وجدت إلى كل خير سبيلا، وقال أبو موسى الديلمي قلت لابي يزيد : ما التوكل ؟ فقال : ما تقول انت ؟ فقلت ان اصحابي يقولون : لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك ، فقال أبو يزيد : نعم هذا قريب ، ولكن لو ان أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل قال في الاحياء مما ذكره أبو موسى خبر عن أعلى أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغض أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قل ما يتكلم الا عن أعلى المقامات واتصى الدرجات ، وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل ، فقد احترز الصديق في الغار اذ سد منافذه، الا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره ، او يقال إنما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه ، وإنما يزول التوكل بحركة سره ولغيره لا امر يرجع إلى نفسه. وللنظر في هذا مجال لان أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض أحوال التوكل ، فان حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن لا يخاف تسلط الحيات ، اذ لا حول للحيات ولا قوة الا بالله. وإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير ، ويشير إلى هذا المقام قوله تعالى لموسى (لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) وقال تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك انت الاعلى) لانك في المنظر

وَإَيْضًا فِيهِ التَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ، وَإَيْضًا لَا يَتَغَيَّرُ الْمَقْدَرُ الْمَقْسُومُ فُورِدَ
«الرِّزْقُ مَقْسُومٌ مَفْرُوعٌ»

الاعلى (وأيضاً) أى لما لا بد من التوكل لوجوبه لا بد منه لما يحصل (فيه التفرغ
للعبادة عن الالتفات) الى تحصيل الاقوات كالمنع عن ارادة طريق السعادة ، فقد
سئل ذوالنون المصرى عن التوكل فقال : خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة
الى علوم التوحيد ، وقطع الاسباب الى الاعمال فى مقام الفريد ، فقليل له زدنا فقال القاء
النفس فى العبودية واخراجها من الربوبية ، يعنى بالتبرى من الحول والقوة (وأيضاً)
لا بد من التوكل فانه كاهو المعلوم (لا يتغير المقدر المقسوم) قال تعالى (نحن قسمنا
بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) الآية وقد سئل حدود القصار عن التوكل فقال : إن كان
لك عشرة آلاف درهم وعليك داق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك فى عنقك ، وإن
كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء فلا تأس من الله أن يقضيها
عنك ، ويقرب منه قول صاحب المنازل : ما يمدى لم اعرف يصيب من وما يصيبني لم اعرف
بيد من ، وفى هذا إشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان فى المقدورات
أسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة (فورد الرزق مقسوم مفروع) ليس
له أصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى . فليبهقى فى الشعب مرفوعاً
عن أم الدرداء « ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » ويشير اليه قوله سبحانه
(الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم) بل فيه تبيينه نبيه على أن ما بقى له شيء
من رزقه لم يتأت له طلب أجله . وقد قال بعض العلماء : لو هرب العبد من رزقه
لطلبه لما لو هرب من الموت لادركه ، وأنه لو سأل الله أن لا يرزقه لما استجاب
له وكان عاصياً ، ويقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ، ولذا قال ابن عباس :
اختلف الناس فى كل شيء الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا
ميت الا الله . وقال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا
تدخر والله يرزقها يوماً بيوم . فان قلت نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام والوحوش
كيف قيض الله لها الرزق . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم
على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون . وقال بعضهم :
العبيد كلهم فى رزق الله لكن بعضهم يا كل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار

أربع فرغ منهن الخالق والخالق والأجل والرزق» وأيضا المطلوب هو العدة على الطاعة وهو تعالى قادر على إعطائه لسبب حاصل بالطلب أو دون السبب

كالتجار ، وبعضهم بامتهان كالصانع ، وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون فيشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة ، ويشير الى هذا المقام قوله تعالى : (والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) الى أن قال : (والله خزائن السموات والارض ولذن المنافقين لا يفقهون) (أربع فرغ منهن الخالق) بالفتح (والخالق) بالضم (والأجل والرزق) رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وأفظه « فرغ الى ابن آدم من أربع : الخالق والخالق والرزق والأجل » ورواه أحمد والطبراني عن أبي الدرداء بلفظ « فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره - أى عمله - ومضجعه - أى محل موته - وشقى أو سعيد ولقد احسن من قال من اهل الفنون .

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين

﴿ وايضا ﴾ لا بد من التوكل اذ ﴿ المطلوب ﴾ من العبد ﴿ هو العدة ﴾ أى الاستعداد ﴿ على الطاعة ﴾ لزيد المعاد ﴿ وهو تعالى قادر على اعطائه لسبب حاصل بالطلب او دون السبب ﴾ اى او حاصل بغيره من انواع الكسب ، فقد قال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق دلالة على ان الرزق مأمور بطلب العبد ويؤيده قوله عليه السلام للسائل بعد اعطائه التمرة « خذها ولو لم تأتها لا تمك ، وقد تقدم مبناه وما يؤيده من معناه . وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال . فقال السائل : زدنى فقال ترك كل سبب موصل الى سبب حتى يكون الحق المتولى لذلك . فالاول عام للمقامات الثلاثة المتقدمة ، والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة ، وهو مثل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل : ألك حاجة ؟ فقال أما اليك فلا ، اذ كان سؤاله سببا يوصل الى سبب وهو حفظ جبريل له ، فتركة ثقة بأن الله ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك . وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله سبحانه فلم ير معه غيره ، وهو حال عزيز في نفسه ، ودوامه ان وجد أبعد منه وأعز

وَالْمَوْتُ جَوْعًا مَقْدَرًا أَيْضًا كَالْمَوْتُ شَبَعًا

﴿والموت جوعاً مقدر أيضاً كالموت شبعاً﴾ فلا بد من التوكل سواء كان شبعاناً أو جيعاناً ، وقد قال أبو سعيد الخراز : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، فالاول إشارة إلى فزع العبد إليه وابتهاله وتضرعه بين يديه ، والثاني إشارة إلى كمال توكله عليه . فعن أبي علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعده ، والمسلم يكتفى بعلمه ؛ والمفوض يرضى بحكمه *
 ثم اعلم أن الشخص إذا كان بطالاً فعليه أن يصير كاسباً وعمالاً ، ولا معنى للتوكل في حقه إلا ما يلدق بمقامه وفق مرامه ، فإن كمال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين ، إما من العلماء الزاهدين وإيمان الصالحين العابدين ، فما للبطال والأتكال وإذا كان مشتغلاً بالله وملازماً لمسجده أو بيته ، ومواظباً على دلمه وعبادته بتحسين نيته وتزيين رعايته فالله سبحانه يقرر حبه في قلوب خلقه حتى يحملوا إليه فوق كفايته ، فما روى إلى الآن من قديم الزمان عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله سبحانه وتعالى وهو في وسط الديار من القرى والأمصاف فمات جوعاً بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس يعوله لقدر عليه ، فمن كان لله كان الله له ، لكن ينبغي أن يكون نظره إلى مسبب الأسباب لا إلى الأسباب . نعم لا يطمع في الحلوى والطير السمانى والثياب الرفيعة والبيوت المنيعة مع أنه لو قدر له شيء من ذلك فلا بد من ظهوره هنالك كإيشير إليه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) (وربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وفي الخبر أبي الله أن يرزق عبده المؤمن الأمان حيث لا يحتسب . فالاهتمام الكثير بأمر الرزق قبيح من ذوى الدين ، وهو أقبح من العلماء المجتهدين ، لأن من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة حسب الاستطاعة إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه كظاهر العلم والعمل ، ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن غالباً فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ للمولى واعانة للمعطى على نيل الثواب فى العقبى ، ومن نظر إلى مجارى سنة الله علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولا على كد الأكتساب ولذا سأل بعض الأكاسرة حكماً عن الأحق المرزوق والعاقل المحروم فقال : أراد الصانع أن يدل

وَأَيْضًا الصَّلَاحَ مُسْتَوْرًا، وَأَيْضًا أَنَّهُ ضَمِنَ الرِّزْقَ بِلَا تَعْلِيْقٍ فَوْرَدَ (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) فَمَا أَقْبَحَ مِنْ يَثِقُ عَلَى سُوقِي بَعْدَ الْإِقْرَاضِ أَوْ الضِّيَافَةِ وَلَا يَثِقُ عَلَى ضَمَانِهِ تَعَالَى

على نفسه ، اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن أن العقل رزق صاحبه ، فلما رأوا خلافه علموا ان الرزق من غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم ، فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا : نطلب الرزق فقال ان علمتم في اى موضع هو فاطلبوه ، فقالوا انسال الله تعالى فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه ، فقالوا ندخل البيت وتوكل على الله تعالى ونظر ما يكون ، فقال التوكل على التجربة شك ، قالوا فما الحيلة؟ قال ترك الحيلة . وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فذالني جوع شديد فغلبتني نفسى ان اسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين ، فطالبتنى ان اسأل الله تعالى صبرا ، فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول :

وتزعم انه منا قريب وانا لانضيع لمن اتانا
ويسألنا القوى جهدا وصبرا كأننا لانراه ولا يرانا

(وايضاً) لا بد من التوكل اذ (الصلاح) في الامور (مستور) لان من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عبادته لم يكن فرجه بالاسباب فانه لا يدري اى الاسباب خير له لما قال عمر رضى الله عنه : لا بالى اصبح غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايها خير لى (وايضاً) لا بد من التوكل حيث (انه) اى الله سبحانه (ضمن الرزق بلا تعاقب) اى من غير تقييد بشرط الكسب والطلب (فورد) في التنزيل (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) أى ولو لم تكسبه ولم تطلبه لاسيما والرزق مبهم في نفسه غير معلوم باعتبار محله وجنسه ، فعن ابراهيم بن ادهم سألت راهبا من اين تاكل ؟ فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى مرة من اين يطعمنى (فما اقبح من يثق) اى يعتمد (على سوقى) مع أن الغالب عليه الكذب وخاف الوعد (بعد الاقراض او الضيافة ولا يثق على ضمانه تعالى) مع كمال صدقه وجمال وعده . وقد قيل : مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وفي الحديث « من اعتر بالعبيد اذله الله » رواه أبو نعيم في الحلية عن عمر وقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الامام بالمسجد لو اكتبته

وَأَيْضًا لَفَائِدَةٍ فِي الطَّلَبِ إِلَّا الْمَدْلَةَ وَضَيَاعُ الْوَقْتِ؛ وَأَيْضًا الْحَيَاةُ فِي الْأَسْتِقْبَالِ
 مَشْكُوكٌ وَالْمَوْتُ مُتَيَقَّنٌ وَالْأَسْتِعْدَادُ لِلْمُتَيَقَّنِ أَوْلَى بِخِلَافِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ
 لُورُودِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَتَعْلِيْقَهُمَا عَلَى الْعَمَلِ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ
 فَضْلِ اللَّهِ) فَالْعِلْمُ وَالثَّوَابُ أَوْ هُوَ أَمْرٌ بِإِبَاحَةٍ وَلَا يَنْفِيهِ الْكَسْبُ لِأَنَّهُ عَمَلُ الْبَاطِنِ

كان أفضل لك فلم يجبه حتى اعادها ثلاثا ، فقال في الرابعة : يهودى فى جوار المسجد
 قد ضمن لى كل يوم رغيفين ، فقال إن كان صادقاً فى ضمانه فمكوفك فى المسجد خير لك ،
 فقال : يا هذا لولم تكن إماماً اتقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد
 خيراً لك ، يعنى فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى للرزق (وأيضاً) لا بد من
 التوكل اذ (لا فائدة فى الطلب) حيث لا يزيد بطلبه ولا ينقص بتركه فلا منقعة فى طلبه
 (الا المدلة) مخلوق مثله ، ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه (وضياح الوقت) أى وتضييع العمر
 فى غير عبادة هى المطلوب من العبد بحسب الامر (وأيضاً) لا بد من التوكل اذ (الحياة
 فى الاستقبال مشكوك والموت متيقن) مسلوكة (والاستعداد للمتيقن اولى) من الاستعداد
 للمشكوك (بخلاف الثواب والعقاب) فانهما ولو كانا مقدرين كسائر الاسباب ،
 لكن لا بد للانسان أن يسعى فى اكتساب ما يوجب الثواب وفى اجتناب ما يقتضى العقاب
 (لورود الاوامر والنواهي) فى الكتاب (وتعليقهما على العمل) حيث قال (ومن يعمل
 من الصالحات) (ومن عمل صالحاً) الآيات . وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون)
 (وأن ليس للانسان الا ما سعى) (وأما ما ورد) فى التنزيل (وابتغوا من فضل الله) فقد
 يتوهم منه أن المعنى اطلبوا من رزق الله ، وليس كذلك (فالعلم والثواب) هما المرادان
 من فضل الله (او هو أمر اباحة) بقدر الحاجة ، او امر بطلب الحلال دون الشبهة
 هذا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على
 الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال وحرام فى الشرع والشرع قد اثنى على
 المتوكلين ولا ينال بمحذور مقام من مقامات الدين فدفعه بقوله (ولا ينافيه) أى التوكل
 اربعة اشياء منها (الكسب لانه) أى التوكل (عمل الباطن) فيجتمع مع عمل الظاهر
 بل هو اتم عند بعض ارباب السرائر ثم فى مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب

لأنَّ التَّعَرُّضَ لِلهَلَاكِ مِنْهُي عَنْهُ بِخِلَافِ المَوْهُومِ فُورِدَ فِي وَصْفِ المَتَوَكِّلِينَ
لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ إِلَّا فِي أذى النَّاسِ فَالأوَّلِيُّ فِيهِ الصَّبْرُ فُورِدَ (فَاتَّخَذَهُ
وَكَيلاً وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَلنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ) بِخِلَافِ أذى السَّبَّاحِ فَيَأْخُذُ السَّلَاحَ فُورِدَ . وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ

﴿ لان التعرض للهلاك منهي عنه ﴾ فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة منه ﴿ بخلاف الموهوم ﴾ أي بخلاف ما اذا كان الضرر موهوماً فان مباشرته تنفي التوكل ، فترك الموهوم منها من شرط التوكل ، وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة السكى والرقية ، فان الكي والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالة ما وقع ﴿ فورد في وصف المتوكلين ﴾ انهم ﴿ لا يكتومون ولا يسترقون ﴾ على ما تقدم فما وصفهم عليه السلام الابتك الكي والرقية والطيرة ، ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبّة تلبس دفعا للبرد المتوقع ﴿ الا في اذى الناس ﴾ استثناء من قوله : ولا مباشرة اسباب تدفع الضرر ، أي الا ان يكون الضرر فيما ناله من اذى الناس له ، ويكون بما لا اثر له في الخارج كالشتم والملامة والتعيير والتوبيخ والمذمة فانه اذا أمكنه الصبر والتحمل وامكنه الدفع والتشفي ﴿ فالاولى فيه الصبر ﴾ وترك اسباب تدفع الضرر ، وقول المصنف فالاولى اولى من قول صاحب الاحياء : فشرط التوكل الاحتمال والصبر ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ فاتخذوه وكيلا واصبر على ما يقولون ﴾ تماما (واحجرهم حجرا جميلا) ﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا ﴾ آخره (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) ﴿ ودع اذاهم ﴾ أي اترك مدافعتة ومعاقبته في الحال ، او مكافأته ومجازاته في الاستقبال ﴿ وتوكل على الله ﴾ فان من توكل عليه كفاه ﴿ بخلاف اذى السباع ﴾ فانهم مجبولون على الاضرار ، وفي معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب والحيات ليس من التوكل في الدرجات ، اذ لا فائدة فيه في حال من الحالات ﴿ فياخذ ﴾ المتوكل ﴿ السلاح فورد ﴾ في التنزيل ﴿ وليأخذوا اسلحتهم ﴾ في صلاة الخوف وهو أمر ايجاب او استحباب ، وقد اختفى عليه السلام عن اعين الاعداء في الغار خوفا من ضرر الكفار ، وقد قال تعالى لموسى عليه السلام : (فاسر

ويعقل البعير فوراً عقلمها وتوكل ويسد الباب غير مستقص في الحفظ ولا يحفظ
 متاعاً يحرص فيه السارق بل يقتصر على ما لا بد منه ككوز ورثوة وجراب وسلاح
 ويغتم إن سرق لمعصية السارق وتعرضه للعقاب لالنقص المال بل يفرح به لما فيه من
 صلاحه تحسیناً للظن به ويشكره تعالى على جعله مظلوماً لا ظالماً ونقص ديناه لا دينه

بعبادی لیل) فهذا وما قبله كله في حق النفس ، وأما في حق المال فأشار بقوله ﴿ ويعقل البعير ﴾ أي يربط رجله لئلا يفارق رحله ﴿ فورد ﴾ أنه قال عليه السلام للاعرابي لما أهمل البعير وقال توكلت على الله ﴿ اعقلها وتوكل ﴾ أي على الله ، رواه الترمذي من حديث أنس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبراني من حديث عمر بن أمية الضمري باسناد جيد بلفظ قيدها ﴿ ويسد الباب ﴾ أي يغلقه ﴿ غير مستقص ﴾ أي مبالغ ﴿ في الحفظ ﴾ كالتماسه من الجيران حفظه مع وجود غلقه ، وكجمعه اغلاقاً كثيرة في محله ، فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه ليلاً بشرط ويقول : لولا الكلاب ما شدته ، وفيه لطافة إذ الدنيا جيفة وطلابها كلابها لما ورد وقد تقدم ﴿ ولا يحفظ متاعاً يحرص فيه ﴾ أي في اخذه ﴿ السارق ﴾ ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصيته وباعث مصيبته ، أو يكون امساكاً موجب هيجان رغبته ﴿ بل يقتصر على ما لا بد منه ككوز ﴾ يشرب منه ﴿ وركوة ﴾ يتطهر بها ﴿ وجراب ﴾ يضع زاده فيه ﴿ وسلاح ﴾ إذا كان من أهل الجهاد أو سلاح كل أحد بحسب مقامه ووفق مراده ، كالكتب للعلماء وعدة الحرف للفقراء ، والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء . وكان بعض المتجردين لم يكن في خلوته شيء فإذا دخلها أغلقها وإذا خرج منها تركها مفتوحة ويقول أنا متاع البيت ولما هدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها قال لا حاجة لي إليها ، قال لم؟ قال يوسوس إلى العدو أن اللص قد أخذها ، فكانه احترز من أن يعصى السارق ، ومن شغل قلبه يوسوس الشيطان بسرقتها في اللاحق ، ولذا قال أبو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها ﴿ ويغتم ﴾ المتوكل ﴿ إن سرق ﴾ أي جعل مسروقاً ﴿ لمعصية السارق وتعرضه للعقاب ﴾ اللاحق ﴿ لا ﴾ يغتم ﴿ لنقص المال بل يفرح به ﴾ أي بنقص المال ﴿ لما فيه من صلاحه ﴾ أي لما في نقص المال من مال صلاح الحال ﴿ تحسیناً للظن به ﴾ فيما قدره وقضاه من أزل الآزال ﴿ ويشكره تعالى على جعله مظلوماً لا ظالماً ونقص ديناه ﴾ من ماله ﴿ لا دينه ﴾ الذي من ماله ، فقد

وَلَا يَبَالِغُ فِي الطَّلَبِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ وَالْأَوْلَى أَنْ يَعْفُو وَيَحِلَّ فَهُوَ صَدَقَةٌ إِنْ كَانَ فَقِيرًا وَإِلَّا فَاعْتَاءَ لَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَعَمَلٍ بِمَا وَرَدَ أَنْصَرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

شكى بعض الناس الى عالم انه قطع الطريق عليه وأخذ ماله ، فقال : إن لم يكن غمك أنه ضار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما تصحب المسلمين. وسرق من على بن الفضيل دينار وهو يطوف بالبیت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن ، فقال له أعلى الدنيا تبكي ؟ فقال لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولم تكن له حجة . وقيل لبعضهم : أذع على من ظلمك ، فقال إنى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه (ولا يبالغ في الطلب) أى طلب المسروق او السارق (وسوء الظن بالمسلم) أى وفي التهمة للجيران أو غيرهم من أقاربه وأصحابه (والاولى أن يعفو) اولاً (ويحل) ثانياً (فهو) أى ما ذكر من العفو والاحلال (صدقة إن كان) السارق (فقير او الا) أى وان لم يكن السارق فقيراً (فاعتناء له عن المعصية) التى هى السرقة (وعمل بما ورد انصر اخاك ظالماً او مظلوماً) وتوضيحه ما فى الاحياء فان قلت : كيف يتصور أن لا يحزن إذا اخذ متاعه الذى هو محتاج اليه ولا يأسف عليه ، وذلك لانه إن كان لا يشتهيه ولا يريد له لم امسكه لديه واغلق الباب عليه ، وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن على فقدته وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه ؟ فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن أن الخيرة له فى أن يكون له ذلك المتاع ، ولولا أن الخيرة له فيه مارزقه الله ولما أعطاه ، فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على أسباب دينه ، ولو لم يكن ذلك عنده مقطوعاً به إذ يتحمل أن يكون خيرته فى أن يتلى لفقد ذلك حتى ينصب فى تحصيل غرضه ويكون ثوابه فى النصب والتعب أكثر ، فلما أخذه الله بتسليط اللص تغير ظنه لانه فى جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به . فيقول لولا أن الله علم لى الخيرة الآن فى عدمها لما أخذها منى ، فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن ، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها الاسباب بل من حيث أنه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفه ، وهو كالمريض بين يدى الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله ، فان قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا أنه عرف أن الغذاء ينفعنى وقد قويت على احتماله لما قربته الى ، وإن أخذ عنه الغذاء فرح أيضاً وقال : لولا أنه عرف أن الغذاء يضرنى لما حال بينى وبينه ، فكل من لا يعتقد فى لطف الله بما يعتقده المريض فى الوالد المشفق

الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التبركل أصلا ، ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أى الاسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه : لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ، فذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه أو ببقائه فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا ولا في الآخرة . فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان ولم من غنى يتبلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتنى كنت فقيرا او يمتناه أن ما يضطر المتوكل الى تركه في البيت ، فينبغي أن ينوى عند خروجه منه الرضا بما يقضى الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ، ويقول ما يأخذه السارق هو منه في حل أو هو في سبيل الله أو ان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو أولى ، ويكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير ، إحداهما أن يكون ماله مانعاه من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده ، وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله في حل ، والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر . ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامثل قوله عليه السلام «انصر اخاك ظالما او مظلوما» على ما في الصحيحين وتامه « قيل كيف انصره ظالما قال تججزه عن الظلم فان ذلك نصره » فنصرة الظالم منعه عن الظلم ، وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له . والتحقيق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي السابق ، ولكن يتحقق بالزهد بنيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعائة درهم لانه نواه وقصده ، وإن لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الامران يكون في هذا المقام متوكلا على الله سبحانه بالعلم والحال : اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفأيته في اغلاق الباب بل بدفع الله سبحانه اياه كما سبق في الكتاب . فكم من بيت يغلط ولا ينفخ ، ولم من يعير بعقل ويموت او يفلت . ولم من أخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلا على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب الارباب . واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به في نفسه وبيته ، ويقول : اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية او ودعة فاستردها ، ولا ادري انها رزقي قبل خلقى او سبقت مشيئتك في الازل انهار رزق غيري ، وكيف ما قضيت فانا راض به ، وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطاه به على بلائك بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب ولا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب . ثم اذا عاود فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون

وَيَنْوِيهِ لِيُثَابَ وَإِنْ لَمْ يُسْرِقْ كَمَا فِي تَرْكِ الْعَزْلِ فُورِدَ فِيهِ ثَوَابُ وَلَدٍ كَبِيرٍ وَقُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَأْخُذُ لَوْ أَتَى بِهِ وَإِنْ جَازَ الْأَخْذُ لِأَنَّ النِّيَّةَ لَا تَخْرِجُ الْمَلِكَ

ذلك عنده نعمة جديدة من الله ، وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بان ما اخذ الله تعالى ذلك منه في الدنيا الا ليزيد رزقه في العقبى فقد صح مقامه في التوكل وظهر به صدقه ، وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ، ولا يصح الزهد الا لمن لا يأسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما يأتيه ، بل قد يكون على العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل ؟ نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطاب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى يتأذى قلبه وأكثر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب بيده فقد كانت السرقة معيبة له في دينه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المهمات وكذبتة في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاوها ولا يتدلى بجمل غرورها فانها خداعة اماراة بالسوء مدعية للخير في امورها (وينويه) اي العفو ابتداء ﴿ ليثاب وان لم يسرق ﴾ انتهاء ﴿ كما في ترك العزل ﴾ فانه اذا نوى تحصيل الولد المجاهد في سبيل الله يثاب به ولو لم يولد ﴿ فورد فيه ﴾ اي في ترك العزل ﴿ ثواب ولد كبير وقتل في سبيل الله تعالى ﴾ وفي الاحياء كما روى عن رسول الله ﷺ فيمن ترك العزل وافر النطفة قرارها : ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس من امر الوالد الا الواقع ، واما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه ، فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم ، فكذلك امر السرقة ، لكن مخرجه قال لم اجده اصلا . هذا واذا جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الآخرة فان اعيد عليه ﴿ فلا يأخذ ﴾ اي فالاولى ان لا يقبله ﴿ لو أتى به ﴾ أي بالمال المسروق ﴿ وان جاز الاخذ ﴾ والقبول فانه ملكه في ظاهر العلم ﴿ لان النية ﴾ بمجرد افعالها ﴿ لا تخرج الملك ﴾ عن يد المالك لكن أخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روى أن ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعياى ثم قال في سبيل الله ، فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا وكذا فليس نعليه وقام ، ثم قال استغفر الله وجلس ، فقيل له الاتذهب فتأخذها؟ فقال إني كنت قلت في سبيل الله . وكذا من

وَلَا إِزَالََةَ الضَّرْرِ الْمَقْطُوعِ بِهِ كَالشَّرْبِ لِدَفْعِ الْعَطَشِ وَالْمَظْنُونِ كَالْحِجَامَةِ وَالْإِسْهَالِ
بِخَلَّافِ الْمَوْهُومِ كَالرُّقِيَّةِ وَالطَّيْرَةِ

أخذ رغيفا مثلاً يعطيه فقيرا فغاب عنه كره له أن يرده إلى البيت بعد إخراج منه فيعطيه فقيرا آخر، وحتى عن رجل من العباد بمكة أنه كان نائماً بجانب رجل معه هميان فانتبه الرجل وقد هميانه فاتهمه فيه فقال له لم كان فذكره فحمله إلى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك اعلمه أصحابه بانهم كانوا أخذوا الهميان مزحاً معه فجاء هو وأصحابه إليه فردوا الذهب إليه فابى عليهم وقال خذوه حلالاً فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابنه وجعل يصره صرراً ويبعث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء ثم أقل درجات المتوكل أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالآخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل زهده، وفي الخبر من دعا على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفي رواية أن العبد يظلم المظلم فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم، وحتى أن الربيع بن خيثم سرق له فرس ثمنه عشرون ألفاً وقرأ قائماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزع قلبه لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما إنى كنت قدر أيتيه وهو يحمله قيل فما منعك أن تزجره؟ قال كنت فيما هو أحب إلى من ذلك يعني الصلاة في مقام الاحسان وقال التكلان قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه، وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له الا تدعو على ظالمك فقال ما أحب أن اكون عوناً للشيطان عليه قيل افرأيت لوردت عليك السرقة؟ قال لا أخذها ولا انظر إليها لاني كنت قد احللتها له، وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيدة شرّاً (ولا ازالة الضرر) اي ولا ينفي التوكل دفع الضرر (المقطوع به) اي بالسبب المقطوع به (كالشرب لدفع العطش) وكذا الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر والبرد (والمظنون) اي والضرر المظنون فيه بالسبب المظنون وهو الطرف الراجح من المشكوك (كالجحاعة والفسد والاسهال) اي شرب الدواء المسهل وسائر أسباب الطب من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة (بخلاف الموهوم) وهو الطرف المرجوح من المشكوك (كالرقية والطيرة) والسكي فروي أن عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكى فامتنع فلم

وَالْتَرَكُ حَرَامٌ فِي الْمَقْطُوعِ بِهِ دُونَ الْمَظْنُونِ

ينزلوا به وعزم عليه الامير حتى اكتبوا فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا
وتسلم على الملائكة فلما اكتبوا انقطع ذلك عنى وكان يقول اكتبونا كيات فوالله
ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من بعد ذلك وانا اب الى الله فرد عليه ما كان يجده من
امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم ترالى الملائكة التى كان اكرمنى الله بها قد
ردها الله على بعد أن كان قد اخبره بفقدها ﴿ والترك ﴾ لمباشرة السبب ﴿ حرام في
المقطوع به ﴾ عند خوف الموت ﴿ دون المظنون ﴾ فان تركه ليس بحرام، واما الموهوم
فشرط التوكل تركه اذا وصف به النبى عليه السلام المتوكلين واقواها الكى وتليه
الرقية ولذا نهى عليه السلام عن الكى دون الرقية ففى البخارى « وانهى امتى عن الكى »
وفى الصحيحين من حديث عائشة أنه عليه السلام رخص فى الرقية من كل ذى حمة
ثم الطيرة آخر درجاتها فالاعتماد عليها والانكال اليها فى هذا الباب غاية التعمق فى
ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة
عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف
المقطوع بل قد يكون تركه أفضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص ويدل
على أن التداوى غير مناقض للتوكل من فعله عليه السلام وقوله وامره اما قوله حديث « ما من
داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام - يعنى الموت » رواه الطبرانى
وغيره وحديث « تداوا واعباد الله » رواه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث اسامة بن
شريك وسئل عليه السلام « عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله » رواه
الترمذى وصححه وابن ماجه ، والحديث المشهور « ما مرت بملاء من الملائكة
الا قالوا مر املك بالحجارة » رواه الترمذى من حديث ابن مسعود ، وحديث
« احتجموا سبع عشرة وتسع عشرة وحدى وعشرين لا يتبيخ بكم الدم فيقتلكم »
رواه الترمذى من حديث ابن عباس ، فذكر أن تبيخ الدم سبب الموت وأنه قاتل باذن الله
تعالى ، وبين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهداب
وبين اخراج العقرب من تحت الثياب . واما امره عليه السلام فقد أمر غير واحد
من اصحابه الكرام بالتداوى والحمية ، وقطع لسعد بن معاذ رقا أى فصدته كذا فى الاحياء ،
ورواه مسلم من حديث جابر قال « رمى سعد فى الحكة فسمه النبى عليه السلام بيده
بمشقة » الحديث ، وقد كوى سعد بن زرارة رواه الطبرانى . ويؤخذ منه أن سبب الكى

فترك الدواء أيضا ماثور

إذا كان موهوما فالاولى تركه ، فينافى التوكل فعله . وقد قال لعلي كرم الله وجهه وكان رجع العين « لا تأكل من هذا » يعنى الرطب « وكل من هذا فانه اوفق لك » يعنى السلق الذى طبخ بشعير . وقال لصهيب وقد رآه آخرأ يأكل التمر وهو وجع العين « أتأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال انما آكل بالجانب الآخر ، فتبسم عليه السلام » وأما فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى من طريق أهل البيت « أنه كان يكتحل كل ليلة ، ويحتجم كل شهر ، ويشرب الدواء كل سنة » رواه ابن عدى من حديث عائشة وقال أنه منكر انتهى . وحديث الاكتحال ثابت فى الترمذى كما لا يخفى وللطبرانى باسناد حسن « أنه عليه السلام لدغته عقرب فغشى عليه فرقاه الناس » الحديث وله فى الاوسط « عن انس أنه عليه السلام كان اذا اشتكى تقمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا » ولابى يعلى وللطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر « أن النبى عليه السلام احتجم بعد ماسم » وللبزار وابن عدى فى الكامل من حديث أنى هيرة « انه عليه السلام كان اذا نزل عليه الوحى صدعه رأسه فيغلفه بالخناء » وللترمذى وابن ماجه من حديث سلمى كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء » فكأن التداوى مروى ومشهور (فترك الدواء أيضا ماثور) عن السلف مسطور . فروى عن الصديق أنه قيل له : لودعونا لك طبيبا فقال قد رأيتى الطبيب ، وقال لى افعل ماأريد . وقيل لابى الدرداء فى مرضه : ماتشتكى ؟ قال ذنوبى ، قيل فما تشتهى ؟ قال رحمة ربي . قالوا : ألا ندعوا لك الطبيب قال الطبيب أمرضنى . وقيل لابى ذر - وقد رمدت عيناه - لوداويتهما ؟ فقال : انى مشغول عنهما ، قيل لو سألت الله ان يعافيك ؟ فقال اسأله فيأمرهم على منهما ، وكان قد اصاب الربيع بن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود . وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم يغن الدواء من الله شيئا من الداء . وكان أحمد بن حنبل يقول : احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق أن يترك التداوى من شرب الدواء وغيره ، وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل ؟ قال : اذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله ، وينظر الى قيام الله تعالى . فوجه الجمع انه عليه السلام وبعض اصحابه الكرام تداواوا توسعة للانام ورخصة فى الاحكام ، وترد بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة المناسبة لما لهم من المقام ، والا فتداوى لا يضر الا من حيث رؤية الدواء ناعفا دون خالق

لَمَعْرِفَةِ عَدَمِ النَّفْعِ بِالْمُكَاشَفَةِ أَوْ لِكَوْنِ الْمَرَضِ مُزْمِنًا وَالْعِلَاجِ مَوْهُومًا كَالْكَيْ
 أَوْ لِلشُّغْلِ عَنْهُ بِخَوْفِ الْعَاقِبَةِ وَعِلْمِهِ تَعَالَى أَوْ لِقَصْدِ تَطْوِيلِهِ لِنَيْلِ الْأَجْرِ بِالصَّبْرِ

الدواء ، فلا يرى ان الدواء نافع بنفسه بل من حيث أنه جعله الله سبباً لنفعه ، كما لا يرى الماء مروياً ، ولا الخبز مشبعاً ، وفي الاحياء ولا يصح وجه الجمع بين فعله عليه السلام وأفعال التاركين من الاعلام الا بحصر الصوارف عن التداوى في ذلك المقام فترك الدواء المذكور والمأثور انما هو لا حد اسباب سبعة (لمعرفة عدم النفع بالمكاشفة) وهو أن يكون المريض من المكشفين وقد كوشف له بانه قد انتهى اجله وأن التداوى لا ينفعه ، ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة ، وتارة بحس وطم ، وتارة بكشف محقق ، ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوى من هذا السبب فانه من المكشفين فقد قال لعائشة في أمر الميراث انهما أختاك ، ولم يكن لها الا أخت واحدة ، ولكن كانت امرأته حاملاً فوضعت انثى فعلم أنه قد كوشف بانها حامل بانثى . ولا يبعد أيضاً أن يكون قد كوشف بانتهاء اجله والا فلا يظن به إنكار التداوى ، وقد شاهدته عليه السلام تداوى وامره كذا في الاحياء . وفرق بين انكار التداوى وعدم مباشرته كما لا يخفى (أو لكون المريض مزمنًا والعلاج مَوْهُومًا) في النفع (كالكي) والرقية ونحوهما وعليه حمل كلام الربيع (أو للشغل عنه) أي لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقها وينافيه (بخوف العاقبة وعلمه تعالى) بما وقع له في السابقة فينسيه ذلك ألم الامراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله وتأملاً في مآله وعليه يدل كلام أبي الدرداء وأبي ذر في ترك الدواء فكان تألم قلبه خوفاً من ذنبه اكثر من تألم بدنه من حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته ، او كالحائف الذي يحمل إلى ملك من أجل سياسته اذا قيل له ألا تأكل وانت جائع فيقول إني مشغول عن الاكل وعن ألم الجوع بما هو أهم منه . ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت ؟ فقال هو الحى القيوم فقيل له إنما سألتك عن القوام ؟ قال القوام هو العلم ، قيل سألتك عن الغذاء ؟ قال الغذاء هو الذكر قيل سألتك عن طعمة الجسد ؟ قال : مالك والجسد دع من تولاه أو لا يتولاه آخره ، اذا دخلت عليه علة فردته الى صانعه أمارأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها (أو لقصد تطويله) أي لارادة استبقاء المرض (لنيل الاجر بالصبر) على بلائه تعالى فقد ورد في ثواب المرض ما يدكر

أَوْ تَكْفِيرِ الذَّنْبِ

ذكره ومن ذلك « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالبار ، فمنهم من يخرج كالابريز ، ومنهم من يخرج دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود مخترقا »
 رواه الطبراني من حديث أبي أمامة . وقال ابن مسعود . تجرد المؤمن من أصح شيء
 قلبا وأمراضه جسما ، وتجرد المنافق من أصح شيء جسما وأمراضه قلبا ويشير إليه قوله
 تعالى (وإذ أرايتهم تعجبك أجسامهم) فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب
 قوم المرض واعتنوه وتركوا الدواء لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان فيهم من
 له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ، ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى وما فيه
 من الحكمة . ويعلم أن ذكر الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه ، وإن ما يمنع
 المرض جوارحه ، وعلموا أن صلاتهم من قعود مثل مع الصبر على قضائه سبحانه من
 العلة أفضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة . وكان سهل يقول : ترك التداوى وإن
 ضعف عن الطاعات أفضل من التداوى لاجل القوة على العبادات . وكانت به علة عظيمة
 ولم يتداولها وكان يداوى الناس منها ، وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء
 من الدواء فأنما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضعف ، ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل
 لانه إن اخذ شيئا من الدواء وإن كان هو الماء البارد يسأل عنه لم اخذت ذلك ؟ ومن لم
 يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات
 لعلمهم أن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضاء والتوكل أفضل من أمثال الجبال من
 أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا مدهشا . وقال
 سهل : علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة ﴿ أو تكفير الذنب ﴾ بان يرى طول المرض
 تكفيرا لخطاياهم فلا يبعث على ابن عدى من حديث أبي هريرة « لا يزال الحمى والصداع
 بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة » وللطبراني من حديث أبي الدرداء
 نحوه . وله في الاوسط من حديث أنس « مثل المريض اذا صح وبرى من مرضه فمثل البردة
 تقع من السماء في صفائها ولونها » وللقضاعي من حديث ابن مسعود « حمى يوم كفارة
 سنة » وفي رواية « حمى ليلة » ولاحمد وأبي يعلى من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد
 « أن رجلا من المسلمين قال : يا رسول الله رأيت هذه الامراض التي تصيبنا ما لنا فيها ؟ قال
 كفارات ، قال أبي وإن قلت قال وإن شوكة فما فوقها ، قال فدعا أن لا يفارقه الوعك
 حتى يموت » الحديث - والوعك الحمى او شدة المه - وللطبراني في الاوسط من حديث

أَوْ امْتَحَانَ النَّفْسَ أَوْ طَغْيَانَهَا فِي الصَّحَّةِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ بِالتَّنَعُّمِ وَتَأْخِيرِ الْخَيْرَاتِ
لِتَطْوِيلِ الْأَمَلِ

أبي بن كعب أنه قال : يارسول الله ماجزاء الحمي؟ قال تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم او ضرب عليه عرق ، فقال « اللهم إني أسألك حمي لا تمنعني خروجا في سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك » الحديث . وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه ؛ وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه ، فقال كيف ارحمه بما به ارحمه ؟ أى به ا كفر ذنوبه وازيد في درجته ﴿ أو امتحان النفس ﴾ أى لتجربتها في القدرة على الصبر في المحنة بعدم الجزع والفرع والشكايه فقد ورد « نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في إيمانه ضعف خفف عليه البلاء » رواه أحمد وابو يعلى والحاكم وصححه ﴿ أو طغيانها ﴾ أى تجاوز النفس عن حدها ﴿ في الصحه ﴾ أى في أيام الصحه والعافيه ﴿ بتضييع الوقت بالتنعم ﴾ في الشهوات واللهاوت ﴿ وتأخير الخيرات ﴾ أى وتأخير الطاعات والعبادات والمبرات ﴿ لتطويل الامل ﴾ وتبعيد الاجل وتوضيحه أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البطر واطغيان بطول مدة الصحه فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر واطغيان أو طول الامل وتسويق العمل بتأخير الخيرات والمبرات ، فان الصحه عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتمحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي والسيئات ، وقلها أن تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات ، فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصيبات ولذا قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة أو ذلة وروى أن الله تعالى يقول الفقر سمجني والمرض قيدي احبس به من أشاء من خلقي . وقال بعض العارفين لانسان : كيف كنت بعدى ؟ قال في عافية ، قال ان كنت لم تعص الله فانت في عافية ، فان كنت عصيته فإى داء ادوى من المعصية ؟ ما عوفى من عصي . وعن علي كرم الله وجهه أنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم قال ما هذا الذى اظهروه ؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لانعصى الله فيه فهو لنا عيد وما أحسن من قال من ارباب الحال وليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن أمن من الوعيد ، وقال تعالى : (كلا

وَالْأَوْلَى الْأَخْفَاءُ صَبْرًا وَرِضَاءً وَتَحَامِيًا عَنِ الشُّكَايَةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ لِقَصْدِ
 الْعَلَّاجِ لِلطَّبِيبِ أَوْ تَعْلِيمِ حُسْنِ الصَّبْرِ بِالشُّكَايَةِ وَهُوَ مِنَ الْمُقْتَدَى بِهِ أَوْ إِظْهَارِ
 الْعَجْزِ عَنِ الصَّبْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَهُوَ مِنَ الْقَوَى

أن الانسان ليطنغي ان رآه استغنى (قيل أى بالعافية ، وقال بعضهم انما قال فرعون
 (أنا ربكم الاعلى) لطول العافية لانه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم
 يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن الفضول
 الدنياوية فضلا عن دعوى الألوهية ، وروى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض
 فطلقها ، وفي الخبر انه عليه السلام عرض عليه امرأة فذكر من صفتها ونعمتها حتى هم
 أن يتزوجها ، فقيل له انها ما مرضت قط فقال « لا حاجة لى فيها »

رواه أحمد من حديث أنس باسناد جيد . وذكر عليه السلام الامراض والاوراجاع
 كالصداع وغيره فقال رجل ما الصداع ما عرفه ؟ فقال عليه السلام « عنى اليك من اراد
 أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا » رواه أبو داود وذلك لما ورد « أن الحى حظ
 كل مؤمن من النار » رواه أحمد من حديث أبي امامة . ولابن ماجه من حديث أبي
 هريرة أنه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان به فقال « ابشر ان الله عز وجل يقول هى
 نارى اساطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى العقبى » (والاولى الاخفاء)
 أى اخفاء مرضه وسوء حاله (صبرا) على بلائه تعالى (ورضاء) بقضائه سبحانه
 (وتحميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية) وانما جاز ذلك لثلاثة اغراض (لقصد العلاج
 للطبيب) اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام احمد به علل لا يخبر
 بها الطبيب اذا سأله عنها ، وتارة يخبر بامراض يجدها ويقول : انما اصف قدرة الله فى (أو
 تعليم حسن الصبر) أى اول تعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهاره (بالشكاية)
 على طريق الحكاية بل لبيان الشكر فى الرواية بأن يظهر أن المرض بلية يصبر عليها أو نعمة
 يشكر لديها فيتحدث به فما يتحدث بالنعمة ، وقال الحسن البصرى اذا حمد المريض ربه تعالى
 وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى (وهو) أى صاحب هذا المقام يكون (من
 المقتدى به) فى أمر الرعاية (أو اظهار العجز) والافتقار (عن الصبر اليه تعالى وهو)
 انما يستحسن (من القوى) فى مقام الصبر كما روى عن على كرم الله وجهه انه قيل له فى
 مرضه كيف أنت ؟ فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه
 شكاية فقال أتجد على الله فاحب أن يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه من القوة

والافتقار (فالنبية) أى تحسينها واصلاحها (مرخصة) لاظهار علله واسبابها أو المعنى أن النبية مرخصة للتداوى وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات وإنما الأعمال بالنيات وأما من ترك التداوى توكلًا فلا وجه له للاظهار أصلاً فان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الانشاء، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عليه السلام (إنما أشكوا بنى وحزنى الى الله) وقيل فى معنى قوله (فصبر جميل) لا شكوى فيه، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك؟ قال مر الازمان وطول الأحزان فأوحى الله تعالى اليه تفرغت بشكواى الى عبيدى فقال يارب أتوب اليك، وروى عن طاووس ومجاهد أنها قالاً يكتب على المريض أنيته فى مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب ابليس من أيوب عليه السلام الا أنيته فى مرضه فجعل الاين حظه منه ولعله محمول على انين كان يمكنه أن لا يظهر دعند عواده والافتقار سبق أنه تسبيح ويثاب عليه مع أنه أمر طبيعى لا يدخل تحت اختيار المريض وفى الخبر اذا مرض العبد قال الله تعالى للملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وإن كان شكاً وذكر شراً قالاً كذلك يكون وإنما كره بعض العباد عبادة العباد خشية الشكاية فى المقام وخرف الزيادة فى الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغاق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اليهم، منهم الفضيل بن عياض. وهيب بن الورد. وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول: اشتهى المرض بلا عواد، وقال لا أكره العلة الا لاجل العواد. هذا وما ينفع فى باب التوكل من حسن الظن بمجىء الرزق وفق الرفق ان يسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق إلى صاحب التوكل فى سائر الاوقات، كما روى عن حذيفة المرعى وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم فقيل له: ما عجب ما رأيت منه؟ فقال: بقينافى طريق مكة ايامالم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم بن أدهم وقال: يا حذيفة أرى بك الجوع، فقالت هو ما رأى الشيخ، فقال على بدواة وقرطاس، فجئت بها فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه يا الله بكل حال والمشار اليه بكل معنى. وقال:

انا حامد انا شاكر انا ذا كر انا جائع انا نائم انا عارى

هى ستة فأنا الضمين لنصفها فكأن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك طب نار خضتها فأجر عبيدك من لهيب النار

ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك ،
فخرجت فاول من لقينى كان على بغلة ، فناولته الرقعة فاخذها ، فلما وقف عليها بكى ،
وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت هو فى المسجد الفلانى ، فدفع الى صرة فيها
ستمائة دينار ، ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن ركب البغلة فقال هذارجل نصرانى .
فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة ، فقال لا تمسها فانه يحى الساعة ، فلما كان بعد ساعة
دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الاقطع البصرى :
جمعت بالحرم عشرة أيام ، فوجدت ضعفا فحدثنى نفسى بالخروج ، فخرجت الى الوادى
لعلى اجد شيئا يسكن ضعفى ، فرأيت شاحمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى نفسى منها
وحشة ، وكان قائلا يقول لى : جمعت عشرة أيام وآخره يكون حظك شاحمة متغيرة
فرجعت ودخلت المسجد وقعدت ، فاذا انا برجل أعجمى قد اقبل حتى جلس بين يدى
ووضع قطرة وقال هذه لك ، فقلت كيف خصصتى بها ؟ فقال أعلم انا كنانى البحر منذ
عشرة أيام واشرفت السفينة على الغرق ، فندرت إن خلصنى الله أن اتصدق بهذه
على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين ، وأنت اول من لقيته ، فقلت افتحها
ففتحها فاذا فيها لعك سميد مصرى ، ولوز مقشر ، وسكر كعاب ، فقبضت قبضة
من هذا وقبضة من هذا وقبضة من هذا ، وقلت رد الباقي الى صديانك هدية منى لهم
وقد قبلتها ، ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه فى الوادى
وقال بمشاد الدينورى : كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا
يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذو علينا العطاء ، فما
حاسبت بعد ذلك بقالا ولاقصا ولاغيرهم ، وحكى عن بنان الجمال قال : كنت فى طريق
مكة اجىء من مصر ومعى زاد ، فجاءتنى امرأة وقالت : يا بنان أنت حمال تحمل على
ظهرك الزاد وتوهم أنه لا يرزقك ؟ قال فرميت بزادى ، ثم أتى على ثلاث لم آكل ،
فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يحىء صاحبه فرمى بى شيا
فارده عليه فاذا انا بتلك المرأة فقالت : أنت تاجر تقول عسى يحىء صاحبه فأخذ
منه شيئا ثم رمت الى شيئا من الدراهم وقالت : انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر ،
وحكى أن بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا إذا
جاء النفير فندشترى ما يوافقك ، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها
تصلح له ، وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية ؟ فقال انها ليست للبيع ، فألحوا عليه ، فقال

أنها لبنان الجمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند ، حملت الى بنان و ذكرت له القصة
وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مات . فوكل الله به ملكا
فقال ان أكله فارزقه ، وان لم يأكله فلا تعطه غيره ، فلم يزل القرص معه الى أن
مات ولم يأكله وبقي القرص بعده . ويقرب منه ما في حياة الحيوان أن دودة أكملها
التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه وحزنا على فراقه ، وكذا طير على ساحل البحر
يموت عطشا خوفا من نفاذ ما فيه من الماء ، وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية بغير
زاد فاصابتنى فاقة فرأيت المرحلة فسرت بأن وصلت ، ثم فكرت في نفسي أنى سكنت
واتكلمت على غيره سبحانه ، فآليت أن لا أدخل المرحلة الا أن أحمل اليها فحضرت
لنفسى في الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها ، فسمعو اصوتا علانيا في نصف الليل :
يا أهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في الرمل فالحقوه ، فجاء جماعة فاخرجونى
وحملونى الى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت
الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر ، فذهب الرجل حتى اقتطعه
عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر انى اشتقت اليك فما الذى شغلك عنا ؟ فقال إنى
قرأت القرآن فاغنائى عن عمر وآل عمر ، فقال عمر رحمك الله فاوجدت فيه ؟ قال وجدت فيه
(وفي السماء رزقكم وما ترعدون) فقلت رزقى في السماء وأنا أطلبه في الارض فبكى عمر وقال
صدقت ، وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه ، وقال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين
فيما أنا أمشى في الطريق اذ وقعت في بئر فارتعتنى نفسى أن أستغيث ، ثم قلت لا والله لا
أستغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلا فقال أحدهما تعال حتى نسد رأس
هذا البئر لئلا يقع فيه احد ، فأتوا بقصب وبارية وطمو البئر على رأسه فهممت ان اصيح
ثم قلت في نفسى الى من هو اقرب منها فسكت فيبينما انا بعد ساعة اذ انا بشىء . وكشف عن
رأس البئر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في هممة له كنت اعرف له ذلك ، فتعلقت
به فاخرجنى فاذا هو سبع فرس وتركنى فهتف بي هاتف فقال : يا ابا حمزة اليس
هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فشيت وانا أقول :

ها بلك ان ابدى اليك الذى اخفى	وانت عليم ما يلاحظه طرفى
نهانى هو اى منك ان اكتم الحيا	واغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فابديت شاهدى	الى غائبى والطف يدرك باللطف
ترأيت لى بالغيب حتى كأنما	تبشرنى بالغيب انك فى الكهف
اراك وبى من هيبتى لك وحشة	فتونسنى باللطف منك وبالعطف

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْيَقِينُ. وَوَرَدَ مَنْ كَانَ غَرِيظَتَهُ الْعَقْلُ وَسَجِيَّتُهُ الْيَقِينُ لَمْ تَضُرَّهُ الذُّنُوبُ.
 مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيَهُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ

وتحیی محبا كان فی الحب حتمه وذاعجب كون الحیاة مع الحتمف

فهذه احوال رجال ما نوا قبل الموت فلا لحقهم شيء من الفوت. وفي هذا المقام قال من قال: دع نفسك وتعال، وبيان ذلك الحال ان تطيب نفس السالك هذه المسالك بالموت ان لم يات به رزقه علما بان رزقه هو الموت. والجوع وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة كمال في العقبى، فيرى انه سبق اليه من خير الرازقين ويعتقد انه سبحانه خير الرازقين كما انه احسن الخالقين ﴿والاصل﴾ الذي عليه مدار امر الدين خصوصا ﴿فيه﴾ اي في التوكل هو ﴿اليقين﴾ وقد قال تعالى (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) اي عين اليقين فانه كان عليه السلام واتباعه الكرام في مقام علم اليقين، ولذا تفسيره بالموت عند عامة المفسرين من الائمة المتبحرين. وقال عز وعلا (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) الى ان قال (وهم بالآخرة هم يوقنون) وقول على كرم لله وجهه: لو كشف الغطاء ما زددت يقينا، لانه انما يزداد وضوحا عينيا بعد ما كان ظاهرا غيبيا، كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار بانه انسان في صورته وهيائته، بل يزداد وضوحا في عرفان تفصيل خلقته.

والحاصل انه ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداد باعتبار الظهور والعيان فينتقل من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين، ونظيره ان خير الكعبة متواتر عند كل سالك المناسك، فله علم اليقين في سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد البيت من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع تاييد ثم اذا قبل الحجر الاسحمر والتزم الملتزم انتقل الى حق اليقين في الحرم المحرم، والله سبحانه اعلم ﴿وورد﴾ عنه صلى الله عليه وسلم ﴿من كان غريظته العقل﴾ اي طبيعته ﴿وسجيته اليقين﴾ اي خلقته وطويته ﴿لم تضره الذنوب﴾ اي ارتكابها لانها يدعو ان الى سرعة التوبة عن اذنبها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له في اجتنابها ﴿من افضل ما اوتيتم اليقين﴾ في امر الدين ﴿وعزيمة الصبر﴾ في مقام المجتهدين، قال تعالى (وان تصبروا وتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال: (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ولا ينعيم في الحلية واليهيقي عن ابي سعيد مرفوعا «ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله؛ وان تحمدهم

هُوَ عَدَمُ الشَّكِّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ وَالِاسْتِيْلَاءَ عَلَى الْقَلْبِ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ قِيلَ ضَعْفٌ
 يَقِينٌ فَلَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَعَ عَدَمِ الشَّكِّ فِيهِ وَقَوَى فِي الرِّزْقِ مَعَ الشَّكِّ فِيهِ وَبِحَارِيهِ
 كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ وَالْأَصُولُ . التَّوْحِيدُ وَبُلُوغُ الرِّزْقِ وَالْجَزَاءُ وَأَطْلَاعُهُ
 تَعَالَى عَلَى الْأَحْوَالِ وَالْجُدْوَى عَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْمُسَخَّرَاتِ وَالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ
 مَعَ تَرْكِ التَّأْسُفِ عَلَى الْفَوَاتِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى الطَّاعَاتِ

على رزق الله وان تذهبهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره اليك حرص حريص
 ولا يرده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضاء
 واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (وهو) اي اليقين (عدم الشك) في
 امر الدين (عند المتكلم) اي في علم الكلام (والاستيلاء) الامر (على القلب) باستيلاء
 الرب (في علم الآخرة) المنتج العمل في مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفة
 والفقهاء ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة الكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا
 (قيل) لمن جزع وقت الموت (ضعف يقين فلان عند الموت) كان الاظهر أن يقال في
 الموت اي في حال وقوعه (مع عدم الشك) لاخذ من المسلم والكافر (فيه) اي في وجود
 الموت وثبوته فهو يقين يشبه الشك (وقوى في الرزق) أي ويقال لمن ترك بالكلمة مباشرة
 الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاسباب قوى فلان في امر الرزق (مع الشك فيه)
 أي في وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا في مقامه (و بحاربه) اي محال اليقين
 و بحاليه (كل ما جاء به الشرع) المبين (والاصول) لليقين اربعة (التوحيد) للحق
 (وبلوغ الرزق) للخلق (والجزاء) على الاعمال (واطلاعه تعالى على الاحوال) مرا
 وعلائية فانه يعلم السر واخفى (والجدوى) اي فائدة اليقين اربعة ايضا (عدم الالتفات الى
 المسخرات) من العلويا والسفليات (والاجمال في الطلب) أي طلب الرزق في الحديث
 واجملوا في طالب الدنيا فان كلاما ليسر لما كتب له منها رواه ابن ماجه وغيره من حديث أبي حميد
 الساعدي والمعنى ا كسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعي وتصحيح
 النيات في المقامات (مع ترك التأسف على الفوات) قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم)
 اي من الدنيا وورد « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة ، ومن
 أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة » اخرجه البزار في مشيخته
 عن أبي عمرو (والاقدام على الطاعات) أي واكتساب العبادات

مَعَ الْاِمْتِنَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي اِصْلَاحِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ *

﴿ الخاتمة في المحبة والسلوك ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُكُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا »

﴿ مع الامتناع عن المعصية ﴾ أى مع الاجتناب عن جميع السيئات ﴿ والمبالغة في اصلاح

الظاهر والباطن ﴾ بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل *

﴿ الخاتمة في المحبة والسلوك ﴾

أى وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ، ومن لم يغترف من بحر المعرفة لم يعترف بحقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة . وقال لامعني لها الامواظبة على الطاعة ، ولما انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق ، والمحو والصحو ، والفناء والبقاء ، والقبض والبسط ، وسائر لوازم المحبة وترايع المودة ، وسائر مقامات أهل المعرفة . وسيجيء كشف الغطاء عن هذه الحالة ببيان الكتاب والسنة *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ تنجلي الامور وتشرح الصدور . والامة مجمعة على أن الحب لله ورسوله فرض ، فكيف يفترض ما لا وجود له ، وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تتبع الحب وثمرته ، فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ﴿ وورد ﴾ في التنزيل ما يقوى هذا التأويل ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أى تدعون محبته ﴿ فاتبعوني ﴾ فانى رئيس المحبين فى سلوك المودة ﴿ يحببكم الله ﴾ كما احببني وسمانى حبيب الله ، وللاتباع حظ من متبوعهم بقدر الاتباع . وما يدل على اثبات الحب لله قوله عز و علا (يحبهم ويحبونه) ثم فى قوله سبحانه (والذين آمنوا أشد حبا لله) دليل على إثبات الحب ومناقبه والتفاوت فى مراتبه ﴿ لا يؤمن أحدكم ﴾ ايمانا كاملا او ايمانا أصلا ﴿ حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ﴾ من الولد والوالد وما عداهما . والحديث رواه الشيخان من حديث أنس بلفظ « لا يجد احد حلاوة الايمان حتى » الحديث . وعن أبى رزين العقيلي أنه قال بارسول الله ما الايمان؟ قال « الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما » وفى الصحيحين من حديث أنس أيضا « لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من ولده ووالده وانا ساجدين »

وفي رواية لها «ومن نفسه». وللبخارى من حديث عبد الله بن هشام «قال عمر يارسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا انفسى، فقال لاوالذى نفسى بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك، قال عمر أنت الآن والله احب الى من نفسى، فقال الآن يا عمر، يعنى آمنت وهو خبر؛ ويحتمل أن يكون استقهما ما. ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقربتموها وتجارة تحشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحتي يأتى الله بامرهم) فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار، والقصد به الاثبات والاقرار، ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه في هذا المقام بقوله « احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، واحبوني لحب الله إياي» فأشار الى أن محبة الله اصل لمحبة عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية. ويروى «أزرجلا قال يارسول الله إني أحبك قال فاعد للفقير تجفافا» رواه الترمذى وحسنه، وعن عمر رضى الله عنه أنه عليه السلام نظر إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تمدنطق به فقال عليه السلام: انظروا إلى هذا الرجل الذى قد نور الله قلبه، لقد رأت بينه وبين أبوين يغذيانه باطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون» رواه أبو نعيم فى الحلية باسناد حسن. وفى الصحيحين من حديث أنس وابن مسعود وأبى موسى «قال اعرابى يارسول الله متى الساعة؟ قال ما أعددت لها؟ فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا أنى أحب الله ورسوله، فقال له عليه السلام: المرة مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك» وقال الصديق: من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر أى من أرباب الدنيا. وقال الحسن: من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها. والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فاذا تفكر حزن. وقال أبو سليمان الداراني. إن من خاق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون عنه بالدنيا. ويروى: أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا الخوف من النار، فقال حق على الله أن يؤمن الخائف. ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً، فقال ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ماترجون. ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً كأن وجوههم المرابا من النور، فقال ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا الحب لله

وَالْحُبَّةُ أَعْظَمُ الْمَقَامَاتِ وَأَهَمُّ الْمَهْمَاتِ وَهِيَ مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الْمَوَافِقِ

عز وجل ، فقال أتم المقر بون أتم المقر بون أتم المقر بون . وقال هرم بن حيان اذا عرف المؤمن ربه أحبه واذا أحبه أقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ، ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو بحسده في الدنيا وبروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ووجهه يدesh العقل فكيف وده ، ووده ينسى مادونه فكيف لطفه . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب ، وقال أيضا : إلهي اني مقيم بغنائك مشغول بثنائك أخذتني اليك وسر بلتني بقربك واهمكتني من لطفك وثقلتني في الأحوال وقابتني في الأعمال سترت اوتوبه وزهدا وشوقا ورضا وحببا تسقينني من حياضك وتحملني في رياضك ، ملازما لأمرك مشغوفا بقولك ، ولما طر شاربي ولاح طائلي فليف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت منك هذا صغيرا ، ولي ما بقيت حولك ذنبة ، وبالضراعة اليك همهمة لأنني أحبك ، وكل حبيب بحبيبه مشغوف ، وعن غير حبيبه مصروف ﴿ والمحبة أعظم المقامات وأهم المهمات ﴾ فقيل : المحبة محور المحب بصفاته ، واثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة ايشار المحبوب على المصحب . وقيل مشاهدة الحبيب في المشهد والمغيب وقيل المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك في مقام المطلوب . وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراك نهايته وتمنع الألسن عن عبارتها وقال الجنيد : حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال : كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة ، وعن ذى النون : قل لمن أظهر حب الله احذر أن تركز إلى غير الله ﴿ وهي ﴾ أي المحبة ﴿ ميل النفس الى الموافق ﴾ أي الى ما يوافق هواها ولا ينافي مشتها ما ، وتوضيحه ان المدر كات تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلذه ويلتمسه والى ما لا ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام ولا التمام فكل ما في ادراك لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما كان في ادراك ألم ومحنة فهو مبغوض عنده وما يخلو عن استعقاب لذة وراحة وألم وشدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها ، فاذا كل لذيد محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ، ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملتذ ، فان تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا وشونا والبغض عبارة عن نفرة

وَاللَّذَّةَ أَعْظَمُ مِنْ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ ، فَالْأَدْنَى الْمَطْعَمُ ثُمَّ الْمَنْدُوحُ ثُمَّ الْجَاهُ ثُمَّ
 الْعِلْمُ ، وَيَعْرِفُ بِتَرَكِ الْأَدْنَى وَاسْتِحْقَارِهِ عِنْدَ وَجْدَانِ الْأَعْلَى

الطبع عن المؤلم المتعب ، فإذا قوى سمي مقتما . ويقال سحقا ، ثم لما كان الحب تابعا
 للأدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدرجات بالحواس ، فكل حاسة
 نوع من المدرجات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدرجات وللطبع بسبب تلك
 اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم ، قلذة العين في الأبصار وادراك
 المبصرات الجميلة والصور الحسنة المليحة ، ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ،
 ولذة الشم في الروائح الطيبة ، ولذة الذوق في الأطعمة المستلذة ، ولذة اللمس في اللينة
 والنعومة ، ثم لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا
 على مدرجات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يشمل بالخيال فلا يجب
 فإذا قد بطل خاصية الانسان وما تميز به عن الحيوان من الحس ، السادس الذي يعبر
 عنه إما بالعقل وإما بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها
 وهيئات بالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر كما يشير إليه قوله سبحانه (فانها
 لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) والقلب أشد ادراكا من العين
 ولذا قال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) و (إلامن أتى الله بقلب سليم) وجمال المعاني
 المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار ولذا قال تعالى (وتلك
 الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) و (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون)
 فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تخلو
 عن ادراكها الحواس ابلغ واتم ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم
 إليه اقوى واهم ، ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة ^و وللاذعة اعظم من محبته
 تعالى ومعرفته ^و فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهائم
 غفلا ، فلم يجاوز ادراكه الحواس أصلا ^و فالادنى ^و من اللذات ^و المطعم ^و أي لذة
 الاكل والشرب من المستلذات ^و ثم المنديج ^و من المشتهيات ، وذلك بالنسبة الى المكلف
 والا فالصبي عنده بعد الاكل تمام لذته اللهو واللعب ^و ثم الجاه ^و الصورى ^و ثم العلم ^و
 بالامر الضروري ^و ويعرف ^و الترقى ^و بترك الادنى واستحقاره عند وجدان
 الاعلى ^و واستقراره ، كما أن المرأة الثيب إذا ارادت زوجا فخيرت بين غنى عنين
 و فقير رجول فالغالب أنها لاختيار الغنى ، لاسيما اذا كانت غنية ولها قوة شبيهة . فعلم أن

وَاسْتَكْرَاهُ الْبَعْضَ لِلْعِلْمِ لِنَقْصِ كَأَسْتَكْرَاهِ الْمَرِيضَ الْمَطْعَمَ وَالصَّبِيَّ الْمَنَكْحَ ، وَالْعِلْمَ بِهِ تَعَالَى أَشْرَفَ الْعُلُومِ فَشَرَفَهُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ ، وَمَنْ تَمَّ تَكُونُ الْفَتْوَى أَشْرَفَ مِنَ الْخِيَاطَةِ ، وَالرُّؤْيَا لَهُ سَبْحَانَهُ الذَّمْنَةُ لِأَزْدِيَادِ الْكَشْفِ فِيهَا ، فَالذَّمْنَةُ بِاعْتِبَارِ هَذَا وَسَبِيحِهَا الْكَمَالُ فَهُوَ مَحْبُوبٌ طَبَعًا وَمَنْ تَمَّ أَحَبَّ الْعَالَمَ وَالصَّالِحَ

لذة المنكح أعلى من لذة المطعم. ثم لو فرض انها كانت من اشراف القوم ، وفرض أن الرجولية زالت من الناس الامن اراذلم كالكناسين والديباغين فالغالب أنها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان غنيا وفي الشهوة قويا ، فعلم أن لذة الجاه اعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذونسب ذاق لذة العلم وليس في البدعالم الامن اراذل القوم المذكورين فالغالب أنه لا يانف أن يحضر في مجلس هذا العالم ليستفيد منه العلم ، فعلم أن لذة العلم أعلى من لذة الجاه ، وكذا الخير بين النظر الى صورة جميلة وبين استنشاق رائحة طيبة اذا اختار النظر الى حسن الصورة علم به أن الصور الجميلة عنده الذمن الروائح الطيبة ، وكذا اذا حضر الطعام واستمر اللاعب بالشرط يحج علم أن لذة اللعب عنده اقوى من لذة الاكل ﴿ واستكراه البعض العلم لنقص ﴾ في ماله ﴿ استكراه المريض المطعم ﴾ لعلة في حاله ﴿ والصبي المنكح ﴾ لعدم بلوغ مثله ، والافلايخفي أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب الى العلم ولوبشئء خسيس كالشرط يحج ونحوه من الكيمياء والسيمياء وأمثاله يفرح به ، والذي ينسب الى الجهل ولو في شئء حقير يفتنم بسببه . ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار تفاوت المعلومات ﴿ والعلم به تعالى اشرف العلوم فشرفه ﴾ أي العلم ﴿ بشرف المعلوم ﴾ وليت شعري هل في الوجود شئء أجل واعلى واكمل واغلى من خالق الاشياء ومكملها ، ومزينها ومبيدتها ، ومعيدتها ومدبرها ومرتبها فألد العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله في مصنوعاته وتدييره في ارضه وسمواته ﴿ ومن تم تكون الفتوى ﴾ بل الكتابة ﴿ اشرف من الخياطة ﴾ ونحوها من الصياغة والصبغة ﴿ والرؤية له سبحانه الذمنة ﴾ أي من العلم به ﴿ لازدياد الكشف ﴾ في معرفة ذاته وصفاته ﴿ فيها ﴾ أي في الرؤية حال تجلياته ﴿ فاللذة باعتبار هذا ﴾ المعلوم وازدياد الكشف المفهوم ﴿ وسببها ﴾ أي موجب المحبة وابعائها ﴿ الكمال ﴾ في الجمال ﴿ فهو ﴾ أي الكمال ﴿ محبوب طبعاً ﴾ ولو في زيادة الجاه والمال ﴿ ومن تم أحب العالم ﴾ لما له كمال في العلم ﴿ والصالح ﴾ لما له كمال في العمل لا لصورتهما

وَالْوَجْهُ الْجَمِيلُ وَالْكَلَامُ الْبَلِيغُ وَالْإِحْسَانُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَمِيدَهُ وَلَا كَيْلَ إِلَّا لَهُ تَعَالَى

الظاهرة بل لسيرتها الباطنة الباهرة ، فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء
والأولياء مع أنهم لم يشاهدوا لهم شيئا من الأشياء ، ومنه حب أرباب المذاهب
كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من المشايخ ، حتى أن الرجل قد يتجاوز
به حبه لصاحب مذهبه أو مشربه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على أن ينفق
جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه
أو شيخه فكم من دم أريق في نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعري
من يجب متبوعا من عالم أو صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده
ربما لم يستحسن صورته وهياته فاستحسنه الذي حمله على افراط حبه إنما هو
لاستحسان سيرته وهي صورته الباطنة لا صورته الظاهرة ﴿ والوجه الجميل ﴾ لما له
من صورة الجمال ﴿ والكلام البليغ ﴾ لما له من سيرة أهل الكمال ﴿ والاحسان
فان الانسان ﴾ أى جنسه ﴿ عميده ﴾ أى عبيد الاحسان . وفي نسخ الاحياء عبد
الاحسان وهو أظهر لحمله على الانسان ، والمعنى أنه قد جبلت القلوب على حب
من أحسن اليها وبغض من أساء عليها كما ورد ، وقد ورد أيضا « اللهم لا تجعل لفاجر
على يدا فيحبه قلبي » كما رواه الديلمي وهذا المقام اذا حقق رجوع الى الاول فان المحسن
من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتام الشهود . وهو
من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته ، وهذا من عوارض صفاته ، بل اذا حكى
من سيرة بعض الملوك وأصحاب المال في اقطار الارض العدل والاحسان غلب حبه
على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه لبعده المزار وتناى الديار ، فاذا ليس
حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه فقط ، بل المحسن في نفسه محبوب
وإن كان لا ينتهى احسانه قط الى الحب ، لان كل جمال وحسن فهو محبوب ، فالصور
ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصورة الظاهرة بالبصر الظاهر ،
والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها
ولا يحبها ولا يميل اليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة
كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ، ففستان بين من يحب نقشا
مصورا على الخائط بجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نيبا من الانبياء بجمال
صورته الباطنة ﴿ ولا كمال ﴾ فى الجمال والجلال ﴿ لإله تعالى ﴾ شأنه وهو الملك

وَلَا إِحْسَانَ إِلَّا مِنْهُ وَالْأَعْلَى أَنْ يُحِبَّ لِدَاتِهِ وَهُوَ مِنَ الْمَوَاهِبِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ
ثُمَّ لِلْكَامِلِ ثُمَّ لِلْإِحْسَانِ وَهُوَ مَحَبَّةُ النَّفْسِ فِي الْحَقِيقَةِ

المتعال ﴿ ولا احسان إلا منه ﴾ كما يشير اليه قوله تعالى : (وما يكمن من نعمه فمن الله)
﴿ والاعلى أن يحب ﴾ أى الله ﴿ لذاته ﴾ مع قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجمالية من
رجاء الجنة ، ونعوته الجلالية من خوف العقوبة ، وماتوجه صفات الافعال من الإكرام
والاحسان والالعام ﴿ وهو ﴾ أى الحب الذى لذاته ﴿ من المواهب ﴾ الدنية والمراتب
العنيدية دون المكاسب العبدية كما ورد « نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه ﴾ ﴿ بخلاف
غيره ﴾ أى غير الحب لذاته من انواع الحب الآتية المعبر عنها بقوله ﴿ ثم للكمال ثم
للإحسان وهو ﴾ أى الحب الذى للإحسان ﴿ محبة النفس ﴾ أى نفس المحب ﴿ فى الحقيقة ﴾
وإن كان يطلق عليه محبة الله فى ظاهر الشريعة والطريقة ، فإذاً يرجع الفرق الى تفاوت
الرتبة ، وإلا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه . فكل من أحب المحسن لاحسانه
فما أحب ذاته تحقيقاً ، أى بل أحب احسانه ، وهو فعل من أفعاله لوزال زال الحب مع
بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ، وتنطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان
ونقصانه . وفى الاحياء إن الانسان لا يخفى أنه يحب نفسه ، ولا يخفى أنه قد يحب غيره
لاجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه ، هذا مما قد يشكل على
الضعفاء حتى يظنوا أن لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ
الى المحب سوى ادراك ذاته . فالحق أن ذلك متصور وموجود ، ولاهل الكمال مدرك
ومشهود ، وذلك كحب الجمال فإن كل جمال محبوب عند كل مدرك للجمال ، وذلك
لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ، ولا يظن
أن الصور الجميلة لا تتصور الا لقضاء الشهوة ، فان قضاءها لذة اخرى قد تحب
الصور الجميلة لاجلها ، وادراك نفس الجمال أيضاً لذية فيجوز أن يكون محبوباً
لذاته ، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوبان لا يشرب الماء ولا تؤكل
الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية ، فقد كان عليه السلام يحب الخضرة
والماء الجارى كما روى أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس « أنه عليه
السلام كان يحب أن ينظر الى الخضرة والماء الجارى والطبايع السليمة من العوارض
السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان

والآثار حتى أن الانسان لتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لالطلب حظ وراه النظر اليها ، فاذا ثبت ان الله جميل كان لاحالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله ، كما ورد « أن الله جميل يحب الجمال » رواه مسلم من حديث ابن مسعود . هذا وقد يكون الموجبة للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب ، اذ رب شخصين يتأكد الحب بينهما لاسبب جمال او حظ مال بل بمجرد تناسب الارواح دون تشاكل الاشباح ، كما ورد الارواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، رواه مسلم من حديث أبي هريرة . والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين .

ثم اعلم أن المستحق للمحبة إنما هو الله وحده ، وأن من أحب غير الله لامن حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته به ، وإنما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم احياء له سبحانه ومحبوب المحبوب محبوب ، ولان أسباب المحبة المتقدمة مجتمعة في حقه سبحانه بحملتها على وجه الدوام والكمال ، وأما في حق غيره تعالى فلا يوجد الا أحادها على وجه النقصان والزوال ، وانها حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض ، بل وهم وتخييل صرف لاحقيقة لها في شهودهم كما في وجودهم فان العبد لا وجود له من ذاته ، بل هو محو محض وعدم صرف ، لولا فضل الله عليه بالايجاد ، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ؛ وانما قال الحسن من عرف ربه احبه ، ومن عرف النار بعد منها ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ثم الله سبحانه هو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولا عوض ، بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه أيضا من جملة احسان الملك المنان ، بل الاحسان على وجه الكمال من غيره محال ، فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ، فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان . ثم العلم من اسباب المحبة فأين علم الاولين والآخريين من علم الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ، ولقد خاطب الخلق كلهم فقال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) بل لو اجتمع أهل الارض والسماء أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيرة كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فالقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى (خلق الانسان عليه البيان) ثم لا قدرة ولا قوة الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ،

وأما ما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه ، بل الله خالقها وخالق قدرته وخالق أسبابه ، والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضة على أعظم ملك وأقوى ملك لاهلكته ، فليس للعبد قوة الاتمكين مولاة كما يشير إليه حديث « لا حول ولا قوة الا بالله » وكما قال في أعظم ملوك الارض (إنامكننا له في الارض وآتيناه من كل شيء سبياً) (والسماوات مطويات بيمينه) والارض ومن عليها جميعا في قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ، إن أهلكتهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة ، وإن خاق أمثالهم ألف ألف مرة لا يزيد في كماله سبحانه ذرة ، وليس كمال غير الله الا بقدر ما أعطاه . واما كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه ونعته كما قال سيد المرسلين عليه السلام « لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته الا بالعجز عن معرفته . فالواجب على العبد أن يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته لا لغرض ولا لغرض مما يلائم قلب العبد من حالاته ولذا أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام « إن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال ولكن ليعطى الربوبية حقها . وفي الزبور : ومن أظلم ممن عبدني لجنة أوانار لولم أخلق لجنة وناارالم أكن أهلا ان أطاع . ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتهم . ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبدك حبا له وتعظيما لجلاله ، فقال أنتم أولياء الله معكم أمرت أن أقيم . وقال أبو حازم اني أستحي أن أعبد الله للعقاب والثواب فأكون كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل أو كالأجير السوء ان لم يعط أجرأ لم يعمل . ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده انه أمران يتخاق بأخلاقه في اكتساب محامد الصفات التي هي من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الرحمة على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق ، فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير إلى تلك المناسبة قوله تعالى (انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) اذ لم يستحق داود خلافة الله إلا بتلك المناسبة ، واليه يوصى بقوله عليه السلام « ان الله خلق آدم على صورته » أي صفته الكمالية من النعوت الجمالية والجلالية . وقد ظن القاصرون أن لا صورة الا الصورة الظاهرة فشبها وجسموا وصوروا تصويراً كثير اتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واليه الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي « مرضت فلم يعبدني

وَأَثَرَهَا الشُّوقُ فَوَرَدَ طَالَ شَوْقُ الْإِبْرَارِ إِلَى لِقَائِي

قال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان ولو عدته لوجدتني عنده ، وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض وتمام الشرائع كما قال تعالى « لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به » كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة وهذا موضع يجب فيضان العلم عنه ، فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر ، والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد ، وقالوا بالحلول ، حتى قال بعضهم : انا الحق . وضل النصارى فى عيسى وقالوا هو الاله . وقال آخرون تدرعت الناسوت باللاهوت . وقال آخرون اتحد به كما تقول الوجودية وهم طائفة ابن عربى بالمحبة . وأما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والتشليل والاتحاد والحلول ، واتضح لهم فى ذلك حقيقة التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون عددا ، ولعل ابى الحسن الثورى كان ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد فى قول القائل هذا الكلام .

لازلت انزل فى ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله

﴿ وَأَثَرَهَا ﴾ أى نتائج المحبة وآثارها خمسة ﴿ الشوق ﴾ وهو غلبة المحبة فى مقام الذوق ﴿ فورد طال شوق الابرار الى لقائى ﴾ قال أبو الدرداء لكعب : اخبرنى عن اخض آية يعنى فى التوراة ، فقال يقول الله تعالى : طال شوق الابرار الى لقائى ، ولانى الى لقائهم أشد شوقا . وقال : مكتوب فى جانبها من طلبى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى . فقال أبو الدرداء : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه . ومن دعاء نبينا عليه السلام لما اخرجه النساءى والحاكم « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك ، وشوقا الى لقائك » وكان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين ، قال فقلت يوما يارب إن أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطنى ذلك فقد اضرى التفاق . قال فرأيت فى النوم أنه اوقفنى بين يديه وقال : يا ابراهيم أما استحييت منى أن تسألنى أن اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى ، وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبه ؟ فقلت يارب تهت فى حبك فلم ادر ما اقول فاعقر لى وعلبنى ما اقول ، فقال قل : اللهم رضنى بقضائك ، وصبرنى على بلائك ، واوزعنى شكر نعمائك . وأوحى الله الى داود عليه السلام : يا داود لويلعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقتى بهم

وَهُوَ غَلْبَةُ التَّلَطُّعِ مِنْ وَرَاءِ حُجْبِ الْغَيْبِ إِلَى الْجَمَالِ وَأَنْبِعَاثُ الْقَلْبِ إِلَى الطَّلَبِ
وَبِالْمَوْتِ شَوْقُ اللَّقَاءِ لِحُصُولِهِ وَلَا يَرْتَفِعُ شَوْقُ زِيَادَةِ الْإِنْكَشَافِ ، فَلِلرُّؤْيَا
مَرَاتِبٌ لَا تَنْتَاهِي

وشوقى الى ترك معاصيهم لما تنوا شوقا الى ، وتقطعت اوصالهم من محبتي . ياداو ودهذه
ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على . ياداو و احوج ما يكون عبدى
الى اذا استغنى عنى وارحم ما كون بعبدى اذا ادبر عنى واجل ما يكون عبدى اذا رجع
الى (وهو) أى الشوق (غلبة التطلع) أى الاشراف (من وراء حجب الغيب الى
الجمال) أى جمال الحق وسبحان من احتجب باسراق نوره واختفى عن البصائر والابصار
لشدة ظهوره ولذا قيل :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على اكنه لا يبصر القمر

لكن بطنت بما ظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعزة استترا

فهو الاول والاخر والظاهر والباطن (وانبعث القلب الى الطالب) أى وقيام قلب
العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يرانى
ولا أراه ويقال الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لاهل ولائه أشعلها فى قلوب
أوليائه حتى يحرق بها مافى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات
فيكونوا من خلاصة أصفياه (و) يرتفع (بالموت شوق اللقاء) أى الملاقاة (لِحُصُولِهِ)
حال النزوع والاشراف (ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف) وهى الرؤية المعبر عنها
بالزيادة فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (فللرؤية مراتب لا تنتاهى)
لعدم تنهى التجليات الالهية الصمدية الازلية الابدية ومن جهة عدم نهاية التجليات
الجمالية لاهل الجنة قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) فتمتزيد النعم ساعة
فساعة كما يشير اليه قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا
من قبل) أى صورة (وأتوا به متشابهاً) أى سيرة لان الثانى يزيد على الاول لذة
وكذا من جهة عدم نهاية التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وعلا (فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا) (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)
فلا يدخل تحت الحصر درجات أهل النار كما لا يدخل فى حيز الحصر درجات اهل
الجنة فكل عارف فى جنة عرضها السموات والارض من غير ان تضيق على مثله

اصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزهاتهم بقدر درجاتهم في السماع نظرهم وسعة معارفهم في مقاماتهم فهذا القدر ينهبك على ان معرفة الله تعالى ألد الاشياء ولذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة لان المعرفة هي البدر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة ومن لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في العقبى (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات مختلفة ولذا قال عليه الصلاة والسلام « ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبر خاصة » كما رواه ابن عساكر من حديث جابر وذلك لأنه أفضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا مجاله بتجل انقرد به في سره، وتوضيحه أن طيبة الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهي، فمن لم يشته الا لقاء الله فلا لذته في غيره بل ربما يتأذى به، فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر عنها بالايمان والاسلام والاحسان والله المستعان . فللمعارفين في معرفتهم وفكرتهم لمناجات الله لذات لوعرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة المحبة ثم الواصلون الى رتب المعرفة ينقسمون الى الأقوياء المرادين المجذوبين فيكون أول معرفتهم لله تعالى، ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء المرئدين من المجتهدين فيكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى (أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) وبقوله (شهد الله أنه لا اله الا هو) ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك؟ قال عرفت ربي ولو لاري لما عرفت ربي ولى الثاني الاشارة بقوله (سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) الآية وبقوله (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض) وبقوله (قل انظر واماذا في السموات والارض) وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين والاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن المبين، فالعارف لا يرى غير الله ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أئر من آثار قدرته فهى تابعة فلا وجود لها بالحقيقة، وانما الوجود للراحد الحق الذي به وجود الافعال كلها، ومن هذا حاله فلا ينظر في شىء من الافعال الا ويرى فيه المعامل ويذهل عن النعل من حيث انه أرض وسماء وشجر وماء بل ينظر فيه من حيث أنه لصانعا فلا يكون نظره مجازا له الى غيره فكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله كان الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال انه في التوحيد وانه في عن نفسه

وَالْإِنْسُ وَهُوَ غَلْبَةُ الْفَرْحِ بِالْقُرْبِ إِلَى الرَّبِّ وَقَصْرُ النَّظَرِ عَلَى الْمُطَالَعَةِ

واليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا فغيبنا عنا فبقينا نحن بلانحن ، ولذا قال أبو سليمان الداراني : ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ، وفي أخبار عيسى عليه السلام : اذا رأيت الفتى مشغولاً يطلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ، وقال أبو سليمان أيضا : من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غدا مشغولاً بنفسه ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غدا مشغولاً بربه وقال الثوري لرابعة : ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجاء لجنته فأكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه . وقالت في معنى المحبة :

احبك حبين : حب الهوى وحب الانك أهل اذاكا
فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لاحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها ، وبانعامه عليها بالحفظ العاجلة ، وبحبه لما هو أهل له الحب لجلاله وجماله الذي انكشف لها ، وهو اعلى الحبين واقواها . وقد قيل لرابعة : ما تقولين في الجنة ؟ قالت : الجارثم الدار ، فبينت أن ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة ، وبذلك يشير قول آسية (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة)

هذا ومن عرف الله عرف أن اللذات المفرقة والشهوات المختلفة ظها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال :

كانت بقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت منذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادبنى ودنياى
وقال بعضهم : وهجره اعظم من ناره ، ووصله اطيب من جنته
وما ارادوا بهذا الا ايشار لذة القلب في معرفة الرب على لذة الاكل والشرب والجماع ونحوها ، فان الجنة معدن تمتع الحواس ، فاما القلب لذته في لقاء الله في مقام الايناس ﴿ والانس ﴾ أيضا من آثار المحبة ﴿ وهو ﴾ أى الانس ﴿ غلبة الفرح بالقرب الى الرب وقصر النظر على المطالعة ﴾ أى مراقبته ومشاهدته ، ومن هنا قيل : الاستيناس

وَيَفَارِقُ الشَّوْقَ بِكَوْنِهِ حَالَةَ الإِضَافَةِ إِلَى الحَاضِرِ وَذَلِكَ إِلَى النَّائِي

بالناس علامة الافلاس ، ومن أنس بالله توحش عن خلق الله . وفي اخبار داود عليه السلام : أن الله تعالى قال : يا داود ابليغ أهل ارضي أني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالستني ، وانيس لمن انس بذكري ، وصاحب لمن صاحبني ، ومختار لمن اختارني ، ومطيع لمن اطاعني ، ما احبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى واحبته حبا لا يتقدم اليه احد من خلقي ، من طلبني بالحق وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الارض ما اتم عليكم من غرورها وهلموا الي كرامتي ومصاحبتى ومجالستي وسدوها فانسوا بي اونسكم واسارع الي محبتكم ، فاني خلقت طيبة احبابي من طيبة ابراهيم خليلي ، وموسى نجيبى ، ومحمد صفيى . ولاني خلقت قلوب المشتاقين من نورى ، ورقمتها بجلالى وفي اخبار داود عليه السلام أيضا : أن الله أوحى اليه قل لعبادى المتوجهين الي محبتى : ما ضركم اذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الي بعينون قلوبكم ؟ وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم كرامتى ؟ وما ضركم سخط الخلق اذا التستم رضائى . وفي اخباره أيضا : ان الله أوحى اليه ان كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبا لا يجتمعان في قلب يا داود خالص أحتبى مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة . ومن هنا قيل : علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه من معاشره الخلق واستهتاره بعدوبة الذكر ولذاذة الفكر فان خالط فهو منفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر ، وحاضر في سفر ، وشاهد في غيبة ، وغائب في شهود ، ومخالط بالقالب ومباين بالقلب (ويفارق) الانس (الشوق بكونه) أى الانس (حالة الاضافة الى الحاضر وذلك) أى الشوق حالة الاضافة (الى النائى) أى البعيد الغائب ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : انت مشتاق ؟ فقال لا انما الشوق الى الغائب ، فاذا كان الغائب حاضرا قل من اشتاق ، فهذا كلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزايا اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا فى الانفراد والخلوة كما حكى ان ابراهيم بن آدم نزل من الجبل فقيل له : من أين أقبلت ؟ فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يقتضى التوحش من غير الله ، بل كل ما يوق عن الخلوة فيكون من اتمل الاشياء على القلب . كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس الا اخذه الغشيان ، لان الحب يوجب

وَيُجِدِي الْإِنْبِسَاطَ كَمَا وَرَدَ (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى - رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)
 أَنْجَحَ فِي الْأَوَّلِ لَوْجُودِ الشَّرْطِ ، وَأَعْتَدَرَ فِي الثَّانِي لَفَقْدِهِ ، وَلَوْلَا الْإِنْسُ لَعُوتِبَ
 كَمَا احْتَرَقَ قَوْمُ الْكَلِيمِ

غذوبة كلام المحبوب وغذوبة ذكره المطلوب . فتخرج غذوبة ما سواه من القلوب ،
 وقال بعض الحكماء في دعائه : يا من أنسى بذكره وأوحشني من خلقه . قال الله تعالى
 لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سوائى متوحشا ، وقيل لرابعة : بم نلت هذه
 المنزلة ؟ قالت بترى ما لا يعينني وانسى بمن لم يزل . وقيل من ذق حلاوة الوحدة استوحش
 من نفسه الوحدة . وكأنه يشير الى قول من قال : هو وجودك ذنب لا يقاس به ذنب .
 وعن علي كرم الله وجهه في وصف أهل الانس من خواص الانس : هم قوم
 هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلنا وما استوعره المترفون ،
 وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
 اوائك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه وقد قيل :

الانس بالله لا يحويه بطل وليس يذركه بالحول محتمل
 والآنسون رجال كلهم نجب وكلمهم صفوة لله عمال

(ويجدى) أى يثمر الانس (الانبساط) أى النشاط على حاشية البساط
 بالأقوال والافعال والمناجاة على سبيل الادلال (كما ورد) فى التنزيل : (واذا قال
 ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى) وقال موسى : (رب ارنى انظر اليك انجح
 فى الاول) أى اجيب لابراهيم بقوله : خذ أربعة من الطير الآية (لوجود الشرط)
 فيما طلب (واعتذر فى الثانى) فيما طلبه أى جواب موسى بقوله : (ان ترانى ولكن انظر
 الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) (لفقده) أى لفقده الشرط وعدمه كما بينه
 قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) (ولولا الانس) أى وجوده المقتضى للانبساط
 لموسى عليه السلام (لعوتب) على ما صدر منه من السؤال والكلام (كما احترق
 قوم الكليم) عليه التسليم حيث قالوا (ارننا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم
 ينظرون) فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ، ولكنه
 محتمل من أقيم مقام الانس كموسى عليه السلام ومن لم يقيم فى ذلك المقام وتشبه بهم
 فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر بسببه كما فى قوم موسى .

ومثاله مناجات برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسأله ان يستسقى لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين . وخرج موسى عليه السلام يستسقى بهم في سبعين الفا ، فاوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم ، وسراثرهم خبيثة ، يدعونني على غير يقين ، ويأمنون مكري ، ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرفه ، فبينما موسى يمشى ذات يوم في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه ، فر موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه ، وقال ما اسمك ؟ قال اسمي برخ ، فقال أنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا ، فقال في كلامه : ما هذا من فعالك ، ولا هذا من حملك ، وما الذي بذلك ؟ انقصت عليك غيومك ؟ ام عادت الرياح عن طاعتك ؟ ام نفذ ما عندك ؟ ام اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخاطئين ؟ خلقت بالرحمة وامرت بالعطف ، ام ترىنا انك ممتنع ، ام تحشى القوت فتعجل بالعقوبة ؟ قال فما برح برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر ، وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام ، فقال كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف انصفتي ؟ فهم موسى عليه السلام به ، فاوحى الله اليه ان برخا يضحك مني كل يوم ثلاث مرات ، وعن الحسن قال : احترقت اخصاص البصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق . و ابو موسى امير يومئذ بالبصرة فاخبر بذلك ، فبعث الى صاحب الخص ، فأتى بشيخ فقال له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق ؟ قال اقسمت على ربى عز وجل لا يحرقه ، فقال أبو موسى لى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون في امتى قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقساموا على الله لا برهم ، رواه ابن ابى الدنيا في كتاب الاولياء . قال الحسن ايضا : ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخراسان فجعل يتخلى النار ، فقال له امير البصرة : انظر لا تحترق بالنار ، فقال انى اقسمت على ربى عز وجل لا يحرقنى بالنار ، قال فاعزم عليها أن تطفا فعزم عليها فطمئت . وكان ابو حفص يمشى ذات يوم فاستقبله رستاقى مدهوش ، فقال له ابو حفص : ما اصابك ؟ قال ضل حمارى ولا املك غيره ، فوقف ابو حفص فقال : وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره ، قال فظهر الحمار في الوقت ، ومر أبو حفص رحمه الله . فهذا وامثاله يجرى لذوى الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجنيد : اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم

وَالْأَعْلَى التَّرْكَ اسْتِغْنَاءً كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ وَالْقُرْبُ
 وَهُوَ زَوَالُ كُلِّ مَعْتَرِضٍ وَهُوَ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ وَالْخَلْقُ

وهم يجدون المزيد في احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم، واليه اشار القائل بقوله

قوم يخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه

تأهوا برويته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ماتاهوا

ومن الانبساط قول موسى عليه السلام (أن هي الا فتنتك تضل بها من تشاء

وتهدى من تشاء) وقوله في الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال (ولهم

على ذنب فاخاف أن يقتلون) ﴿ والاعلى الترك ﴾ أى الاولى من المراتب في مقام

الانس هو ترك الانبساط في - حضرة المولى ﴿ استغناء ﴾ عن السؤال في مراتب انتقال

الاحوال ﴿ كما كان له عليه السلام في تحويل القبلة ﴾ حيث كان متأدبا في مقام الانس

والدلال فاكتمفى بالحال عن السؤال تبعاً للخليل حيث قال: حسبى من سؤالى علمه بحالى، كما

يشير اليه قوله سبحانه وتعالى: (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها)

أى تحبها وتهواها ﴿ والقرب ﴾ ايضا من آثار المحبة كما يشير اليه حديث « لا يزال

العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » ﴿ وهو ﴾ أى القرب ﴿ زوال كل معترض ﴾

أى شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره ﴿ وهو ﴾ أى المعترض انما هو ﴿ النفس ﴾ أى

المتابعة هواها ومطاوعة مشتتها قال تعالى (افرايت من اتخذ لاله هواه) وورد « بغض

اله عبد فى الأرض الهوى » وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ﴿ والشيطان ﴾

لانه يدعو حربه الى الطغيان فى الدنيا والى النيران فى العقبى ، ولان نسبة الاضلال

اليه ايضا قد تبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من أسباب الضلالة ، كما أن النبى

سبب الهداية فاضافة الهداية الى النبى فى قوله (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم)

مجاز و (إنك لتهدى من أحببت) حقيقة ومن المجاز فى جانب الاضلال قول الخليل

(رب انهن أضللن كثيرا من الناس) فإله سبحانه هو الهادى والمضل من يهد الله

فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له، وهو يضل من يشاء وهو يهدى من يشاء، وهو

أعلم بالمهتدين كما هو أعلم بالضالين ﴿ والخلق ﴾ لان مخالطتهم غالبا يدعو الى الغيبة

والبعد عن قرب الرب لاسيما حب الاهل والولد والاصحاب والاحباب والعقار

من البساتين والمنتزهات من الدار فى الديار حتى النوح بطيب أصوات الاطيار وروح

وَالدُّنْيَا ، وَكَيْلَهُ الْغَيْبِيَّةُ فِي رُؤْيَا فَعَلَهُ حَتَّى لَا يَرَى نَفْسَهُ فَاعْلَةٌ كَمَا وَرَدَ (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) وَالْإِتِّصَالُ

نعيم الاشجار فبقدر أنسه وقربه الى غير الله يبعد عن أنسه وقربه الى مولاه كما أنه لا يتقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الامان ووصل الى مقام جمع الجميع بحيث لا تحجبه الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة ﴿ والدنيا ﴾ فان قطع علاقتها ودفع عوائقها وإخراج حب غير الله من القلب هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل أو الهواء ما لم يخل منه الماء (وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) و قال الحب المورث للقرب ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية في القلب مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشتغل بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب به ، وبقدر ما يبقى في الاناء من الماء ينقص من الخل أو الهواء ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وقوله (ان الذين قالوا ربنا الله) أى في مقام التوحيد (ثم استقاموا) على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا موجود ولا مشهود سواه ﴿ وكهاله ﴾ أى القرب ﴿ الغيبة في رؤية فعله ﴾ أى غيبة العبد في رؤية أفعال ربه ﴿ حتى لا يرى نفسه ﴾ أيضا ﴿ فاعلة ﴾ في الحقيقة ﴿ كما ورد ﴾ في التنزيل ﴿ وما رهيت ﴾ خلقا أو حقيقة ﴿ اذ رميت ﴾ كسبا أو مجازا وقد سبق تحقيقه وتدقيقه *

وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب ان القريب من الله ، والقريب من الله هو البعيد من صفات البهائم ونعوت الشيطان ، التخلق بمكارم الاخلاق التي هي أخلاق الرحمن فهو قريب بالصقعة لا بالمسكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فر بما يتوهم بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال بل لا يزال في نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزل فكما كان العبد أكمل صفة واتم معرفة واثبت قوة في قهر النفس والشيطان صار أقرب الى الرحمن فنتهى الكمال لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله وافعاله ﴿ والاتصال ﴾ أيضا من آثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولذا

وَهُوَ الْمُكَاشَفَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كُنَّا نَتَرَاءَى اللَّهَ
تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ رَدِّ السَّلَامِ فِي الطَّوَافِ ، وَحَارِثَةَ
كَمَا سَبَقَ ، وَمَا وَرَدَ «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَمُحِبَّةَ اللَّهِ
تَعَالَى الْعَبْدَ

قال (وهو) أى الاتصال يراد به (المكاشفة والمشاهدة) فى مقام المراقبة
والمشاهدة أقوى من المكاشفة إذ يتصور وهم الخلاف فى المكاشفة بخلاف المشاهدة *
والحاصل أن المكاشفة أول نتائج المجاهدة ، والمشاهدة نهاية المساعدة
ويشير اليه قوله عليه السلام بعد ذكر الايمان والاسلام « الاحسان أن تعبد الله
كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » وقبل المحاضرة ابتداء ، والمكاشفة بعده
والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراه
الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر . والمكاشفة حضوره بنعت البيان
غير مقتصر الى تأمل دليل وتطلب سبيل . والمشاهدة هى وجود الحق من غير بقاء
تهمة وبلا ريبه فاذا صحا سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة
من برج شوق الانوار ، كذا فى ارشاد المريدين ، وهو تفسير علم اليقين وعين
اليقين وحق اليقين *

عبارتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال يشير

(كما فى قول ابن عمر رضى الله عنهما كونا نترأى الله تعالى فى ذلك المكان) أى
نتكلف فى مشاهدته أو نجتهد حتى نصل إلى مرتبة رؤيته ومترلة حضرته فى ذلك
الحال الذى هو على الشان جلى البرهان ، وإنما قال هذا الكلام حال كونه
(معتذرا عن ترك رد السلام) لبعض الصحابة الكرام (فى الطواف) أى فى حال
طواف بيت الله الحرام (وحارثة) أى وما فى قول حارثة للنبي عليه السلام (كما سبق)
فى تحقيق المقام (وما ورد) أى وكما ثبت (اعبد الله) وهذا نقل بالمعنى ، والصواب أن
ينقل بالمبنى وهو أن تعبد الله (كأنك تراه) وهذا أعلى مقام للعبد وأقصاه واما أدناه
فكما يشير اليه آخر الحديث (فان لم تكن تراه فانه يراك) وقد بسطنا القول فى شرح
الاربعين وهو خير معين (ومحبة الله تعالى العبد) أى للعبد أيضا من آثار محبة

ورود (يحبهم ويحبونه) «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن أحبه الحب البالغ اقتناه فإن صبر على بلائه اجتبه وإن رضى اصطفاه» وورد «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يامر به وينهاه

العبد لله سبحانه (ورود) في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال (يحبهم ويحبونه) وفي تقديم يحبهم إيماء إلى أن الاصل هو المحبة الازلية الصمدية الموجبة لمحبة العبد المحبة الابدية وورد في الحديث (إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه) بالمصائب على قدر ماله من المراتب فإن أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل (فإن أحبه الحب البالغ اقتناه) واقتناء المال وغيره اتخاذه قنية ، فالمعنى اختاره من بين خلقه وجعله من خواص ماله ، وفي رواية «فقل وما اقتناه؟ قال لم يترك له أهلاً ولا ولداً» أى فى قلبه فعلاحة محبة الله أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير اليه قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) رواه الطبراني وفي رواية «إذا أحب الله عبداً ابتلاه» (فإن صبر على بلائه اجتبه) فى مقام ولائه (وإن رضى) باعطائه (اصطفاه) لمقام لقائه، وعن بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد ان يصافيك، والحديث الثانى ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرج له ولده فى مسنده وقد يتوهم من المتن أنهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه (ورود) ايضا (إذا أحب الله عبداً) من عبيده (جعل له واعظاً من نفسه) أى يبصره بعيوب نفسه ويعرفه طريق انسه (وزاجراً من قلبه) بامر ربه (يامره) بالخير (وينهاه) عن الشرء والحديث رواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس «إذا اراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه» وورد من حديث انس كما رواه الديلمى «إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا: ان الله يحب التوابين» ومعناه انه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت بما لا يضره الكفر الماضى قبل الاسلام وإن كبر. وقال عليه السلام «ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان إلا من يحب» رواه احمد والحالم وصححه من حديث ابن مسعود. ولاحمد وأبى يعلى من حديث أبى سعيد «من أكثر ذكر الله أحبه الله» وعن رابعة: من أحب شيئاً أكثر

وَمَعْنَاهَا أَنْ يُبْلِيَهُ بِهِ فَلَا يَصْلَحُ لِغَيْرِهِ كَمَا وَرَدَ (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) وَعَلَامَاتُهَا
كِتْمَانُهَا ، وَحُبُّ الْمَوْتِ

ذَكَرَهُ ، فَذَكَرَ اللَّهُ عِلْمَهُ لِحُبِّهِ اللَّهُ وَلِحُبِّ الْعَبْدِ إِيَّاهُ . وَفِي الصَّحِيحِينَ « مِنْ أَحَبِّ لِقَاءِ
اللَّهِ أَحَبُّ اللَّهِ لِقَاءَهُ » وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيُحِبَّ الْعَبْدَ حَتَّى يَبْلُغَ مِنْ حُبِّهِ لَهُ
أَنْ يَقُولَ أَعْمَلُ مَا شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتَ لِي ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ وَرَدَ مِثْلَ هَذَا لِأَهْلِ بَدْرٍ ﴿ وَمَعْنَاهَا ﴾
أَيُّ مَعْنَى حُبِّهِ اللَّهُ لِلْعَبْدِ ﴿ أَنْ يُبْلِيَهُ بِهِ ﴾ أَيُّ مِنْ عِلْمِهِ حُبُّ الْعَبْدِ لِلْمَوْلَى أَنْ يُبْلِيَهُ
بِالْبَلَاءِ الْمَوْرَثِ لِزِيَادَةِ الْوَلَاءِ . وَأَمَّا عِلْمُهُ كَوْنَهُ مَحْبُوبًا لَهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يَتَوَلَّى اللَّهُ شَأْنَهُ
ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ سِرُّهُ وَجَهْرُهُ ، فَيَكُونُ هُوَ الْمَيْسَرُ عَلَيْهِ وَالْمُدْبِرُ لِأَمْرِهِ ، وَالْمَزِينُ لِأَخْلَاقِهِ
وَالْمُسْتَعْمَلُ لِجَوَارِحِهِ ، وَالْمَسْدُدُ لِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وَالْجَاعِلُ هَمْرَهُمَا وَاحِدًا مِنْ ذِكْرِ
رَبِّهِ ، وَالْمُبْغِضُ لِلدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ ، وَالْمَوْحِشُ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالْمُونِسُ لَهُ بِلَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ فِي
خَلْوَتِهِ ، وَالْكَاشِفُ لَهُ عَنِ الْحُجُبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ . فَانظُرْ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْمَبْنِيِّ فَمَا أَيْسَرَ
الدَّعْوَى وَمَا أَعْسَرَ الْمَعْنَى . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ نَعِيمٌ أَعْلَى مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ
الْحُبِّ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَلَا فِي جَهَنَّمَ عَذَابٌ أَشَدَّ مِنْ عَذَابِ مَنْ ادَّعَى الْمَعْرِفَةَ وَالْحُبَّ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ
بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ جَاءَ مِنْ بَعْضِ الْمُتَبَحِّرِينَ مِنَ الْمَفْسَرِينَ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ (وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهَهُمْ مَسْوَدَةٌ) أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ادَّعَوْا الْمَعْرِفَةَ
وَالْحُبَّ مِنْ غَيْرِ تَحَقُّقِ تِلْكَ الْحَالَةِ ﴿ فَلَا يَصْلَحُ ﴾ الْعَبْدُ ﴿ لِغَيْرِهِ ﴾ أَيُّ لِغَيْرِ مَوْلَاهُ فِيمَا
قَدَرَهُ وَقَضَاهُ ﴿ كَمَا وَرَدَ ﴾ فِي التَّنْزِيلِ ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ ﴾ أَيُّ اخْتَرْتُكَ بِالرَّسَالَةِ ﴿ لِنَفْسِي ﴾
أَيُّ الْمَعْرِفَةَ ذَاتِي وَصِفَاتِي *

﴿ وَعَلَامَاتُهَا ﴾ أَيُّ أِمَارَاتُ حُبِّهِ الْعَبْدَ اللَّهُ ثَمَانِيَةً ﴿ كِتْمَانُهَا ﴾ لِأَنَّهُ قَدْ يَدْخُلُ
فِي الدَّعْوَى مَا يَجَاوِزُ حَدَّ الْمَعْنَى وَيَزِيدُ عَلَيْهِ فِي الْمَبْنِيِّ ، وَتَنْتَظِمُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ فِي الْعَقَبِيِّ
وَتَتَعَجَّلُ عَلَيْهِ الْبَلْوَى فِي الدُّنْيَا ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْإِمْتِرَاءِ
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) نَعَمْ قَدْ تَسْكُونُ لِلْمَحَبِّ سَكْرَةً فِي حُبِّهِ حَتَّى تَدْهَشُ
عَقْلَهُ وَلَبَّهُ فَيُضْطَرُّ لِي إِظْهَارِ حُبِّهِ لِرَبِّهِ ، وَالْإِفْصَادُ لِلْأَحْرَارِ قُبُورِ الْأَسْرَارِ . وَلَقَدْ
قَالَ بَعْضُ الْأَبْرَارِ :

مَنْ أَطْلَعُوهُ عَلَى سِرِّ قَلْبِي لَمْ يَأْمَنْهُ عَلَى الْأَسْرَارِ مَا عَاشَا

﴿ وَحُبُّ الْمَوْتِ ﴾ فَانَّهُ سَبَبُ اللَّقَاءِ ، وَلِذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَنْ تَرَوْا رِبْكَمُ حَتَّى

وَالْإِطَاعَةُ وَالتَّلَذُّدُ فِي الْعِبَادَةِ

تموتوا » وقال حذيفة : حبيب جاء على فاقة لا افلاح اليوم من يذم . وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما : الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء ، والباطل خفيف وهو مع خفته ونيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدرتك ، وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت وان تعجزه . وكان الثوري وبشر الحنفي يقولان : لا يكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب . نعم من يكون في ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره مجلته قبل ان يستعد للقاء ربه ، وعلامته المداومة على الطاعة واستغراق الهم في استعداد زاد المعاد ، وان يكرن مؤثرا ما احبه الله على ما يحب نفس العبد ربهواه ، فان من بقى مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه ، بل يترك المحب هو نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجرى فترك ما اريد لما يريد

﴿ والاطاعة ﴾ أى بمداومة الطاعة قدر الاستطاعة ، فمن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك :

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى من بديع المبني *

واترك ما اهوى لما قد هويته وارضى بما يرضى وان هلكت نفسى

﴿ والتلذذ في العبادة ﴾ بالمواظبة على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة ، فقد حكى عن بعض المريدين قال : كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في شدة الارادة ، فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ، ثم لحقتنى فترة فانا قطعت عن التلاوة . قال فسمعت قائلا يقول في منامى : ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كلامي ؟ اما ترى ما فيه من لطيف عتابي وشريف خطابي ، فانتبهت وقد اشرب قلبي تلاوة القرآن ، فماردت الى حالي ، وقال ابن مسعود : لا ينبغي ان يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل ، وإن لم يكن يحب القرآن فلم يحب الله ، وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا يبلغه الى العقبى . وعن مطرف ان المحب

لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله الى داود عليه السلام : قد كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عنى ، ليس كل محب يحب لقاء حبيبه ، فها أنا ذا موجود لمن طلبني ، وقال يحيى بن معاذ : من أحب الله أبغض نفسه ، أى لأنها بما سواه ، وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخالق ، ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ثم اعلم أنه ليس في الوجود غيره سبحانه في عين أهل الشهود من ذاته وصفاته ومصنوعاته ، ولذا ذكر عن الشيخ أبى سعيد الميمنى لما قرئ عليه قوله (يحبهم ويحبونه) قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه ، على معنى انه الكل وان ليس في الوجود غيره ، فمن لا يحب الا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه ، كما أن العارف لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته الا من حيث آثار قدرته وانوار داته واسرار صفاته . وما ورد من الالفاظ في حبه عبارة يؤول منها ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بلبه ، والى تمكنه ياه من قربه ، والى ارادته ذلك به في ازله ، محنة لمن حبه ازل مهمما اضيف الى الارادة الالهية الالرية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب الى الرب ، واذا اضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث سببه الذى يقتضيه كما قال « لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » فيكون قربه بالنوافل سببا للصفاء باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه ، وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه . وجملة الكلام في هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلى ، ونتيجة حب ربه الابدى . فحب العبد مكتشف بين حب الرب كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم ويحبونه) مع قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) ثم لا يخفى ان مراتب الحب وما فيه من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات . ويدل على تفاوت المقامات ما روى ان ابا حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اختمه فاطمة من سالم مولاه عاتبتة قريش في ذلك وقالوا : انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى ، فقال والله لقد انكحته اياها وانى لاعلم انه خير منها ، فكان قوله اشد عليهم من فعله ، قالوا فكيف وهى اختك وهو مولاك ؟ فقال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم » كذا في الاحياء . وقال مخرجه لم اره من حديث حذيفة . وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمر « ان سالما يحب الله حقا من قلبه » في رواية « ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم

وَالْمُصِيبَةِ، وَالْحَرِصُ فِي الْخُلُوةِ، وَالْمُنَاجَاةُ، وَبُغْضُ الدُّنْيَا

يخف الله عز وجل ما عصاه، فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره أيضاً فلا جرم إن يكون تنعمه بلقاء الله عند قدومه عليه على قدر حبه له وغناه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها، وقد قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله حبا متوسطا وإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي، وقال الجنيد: الناس في محبة الله عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتالكوا أن أحبه، إلا أنهم تقل محبتهم وتكسر على قدر نعمتهم، قلت ويشير إلى ذلك قوله تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) بل إيمانهم إلى رجائهم الجنة وخوفهم النار في دار القرار ومن هنا قال الشبلي لما سمع قوله تعالى: (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) أَلْحَبْ أَيْنَ مِنْ يَرِيدُ اللَّهِ؟ وقد أجبنا عن هذا في بعض مؤلفاتي (والمصيبة) أي والتلذذ في البلية لما يرى فيها من فعل المبتلى سواء يكون في مقام الصبر أو الرضاء أو الشكر (والحرص في الخلوته) عن الخلق دون الخلوته لأنها غالباً تمنع عن مشاهدة الحق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان المنام والاشتغال بكلام الدنيا أذ عنده من العبادة وأطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته؟ فعلامة الحب هال الانس بمناجات المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاء من كل ما يبغض عليه الخلوته ويعوقه عن لذة المناجاة وعلامة الانس أن يصير العقل والفهم كله مشغورفا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة إلى بعضهم حتى كان في صلاته فوقع الحريق في داره ولم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة ولم يشعر بها، وعن الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر (والمناجاة) أي والحرص في الدعاء والثناء في جميع الحالات والمقامات فيو اظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت عن الخلائق بانقطاع العلائق وانفصال العوائق (وبغض الدنيا) بان لا يأخذ منها الا زاد العقبي من سلوك طريق المولى، وفي اخبار داود عليه السلام: لا تستأنس الى أحد من خلقي فاني إنما اقطع عنى رجلاين رجل استبطأ ثوابي فانقطع ورجل نسيتنى فرضى بحاله وعلامة ذلك ان كله الى نفسه وأن ادعه في الدنيا حيران ثم مهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا

وَالْوَحْشَةُ مِنَ الْخَلْقِ وَاتِّحَادُ الْهَمِّ وَطَرِيقُهَا السُّلُوكُ فُورِدَ «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ

إِلَى النَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ لَهُ سَمْعًا وَبَصْرًا وَقَلْبًا وَيَدًا وَرِجْلًا»

من الله ساخطا عن درجة محبته، وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى: إن برخانعم العبد هو إلا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه؟ قال يعجبه نسيم الأسحار فيسكن اليه ومن أحبني لم يسكن لي غيري ﴿والوحشة من الخلق﴾ لأن محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان ﴿واتحاد الهم﴾ هم الدين لما ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقال بعض العارفين: إن لله تعالى عبادا أحبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على كل ما فات فلم يشغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدييره لهم ثم حق المحب إذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوبه ويشغل بالعتاب لنفسه ويسأله ويقول: يارب باي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبمتابعة الشيطان؟ ﴿وطريقها﴾ أى طريق تحصيل المحبة ﴿السلوك﴾ أى سير مسالك أهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل الطائرين وقد قيل: إن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وفيه تنبيه نبيه على أن كل مخلوق له سر مع خالقه لا يطلع عليه إلا من هو أقرب منه اليه، وعن هذا قال تعالى: (وان من شيء الا يسبح بحمده وليكن لاتفقهون تسميهم) ثم أقرب الطرق الى الله تعالى هو المحبة وهى حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة الهوى والبدعة، وتمامه باجتنب السيئات، من المحرمات والمكروهات، واكتساب الطاعات من الفرائض والنوافل من السنن المؤكدة والمستحبات ﴿فوردا لا يزال العبد يتقرب الى﴾ أى بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن الرواتب ﴿بالنوافل﴾ من الصلاة والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنته العلماء ﴿حتى أحبه﴾ حبا يليق بأرباب المناقب ﴿فاذا أحبته﴾ حبا بليغا ﴿كنت له سمعا﴾ يسمع بي ﴿وبصرا﴾ يبصر بي ﴿وقلبا﴾ يعقل بي ﴿ويدا﴾ يبش بي ﴿ورجلا﴾ يتقوى بي رواه البخارى وغيره بالفاظ مختلفة، فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ورقة قلب ودقة فكر يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكر ربه وصفاء قلبه وممهالم يرب المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم

يأسف على فقد المطلوب واستقبال السكك بالرضا بما وقع من القضاء ، وعلم أن المحبوب لم يقدر له الا ما في خيره ، ويتذكر قوله تعالى : (وعسى أن تسكرهوا شيئا وهو خير لكم) ولعله عليه السلام قال في هذا المقام : «انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة فاستغفر الله سبعين مرة» كما في الصحيحين وإنما كان استغفاره من التقدم الاول فانه كان بعد الاضافة الى التقدم الثاني كما قيل : حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لأهل التوفيق على الفتور في الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق ، كما يروى عنه عليه السلام بما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال : «في بعض الكتب المنزلة ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا أثر شهوات الدنيا على طاعتي أن اسلبه لذة مناجاتي» فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فيحجبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى مظاهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكسر الحقي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا القوى من ذوى الاقدام الراسخة ، وقد سمع ابراهيم بن آدم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل لبنان *

كل شيء لك مغفو * رسوى الاعراض عنا * قد وهبنا لك ما فانا * ت بقى ما فات منا
فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرات عليه أحوال وغلبة ثم قال سمعت
النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنتم عبدا واسترحت وقد قدمنا ان درجات الحب
لانهاية لها في مقام القرب ، فحق العبد أن يجتهد في كل نفس ما يفيد حبا حتى يزداد فيه
قربا ، ولذا قال عليه السلام : «من استوى يوما فهو مغبون ، ومن كان يومه شر من أمسه
فهو ملعون كذا في الاحياء وقال مخزجه : لا أعلم هذا الا في مقام لعبد العزيز بن أبي رداد
قال : رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت : يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة
في آخره رواه البيهقي ولعل تلك الزيادة ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة
فهو في نقصان وقد قال الشيخ البستي :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخبز خسران

وقال بعض العارفين : من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال
ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاءش ، ومن عبده من طريق
المحبة والخوف أحبه الله تعالى وقربه ومكثه وعلمه فالحب لا يخلو عن خوف ، والخائف
لا يخلو عن محبة ، ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف
إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل في طريق السير من الطائرين
المجدوبين المحبوبين وقد قيل في وصف حال العارفين :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد على الأحرار منهم والعميد
 لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد
 غريب الوصف ذو علم غريب كأن فؤاده زبر الحديد
 ترى الاعياد في الأوقات تجرى له في كل يوم ألف عيد
 وللحجاب افراح بعيد ولا تجد السرور له بعيد
 وكان الجنيد يئشده آياتا يشير بها الى أسرار العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره
 للغافلين وهي هذه :

سرت بناس في الغيوب قلوبهم بما قد حباها الماجد المتفضل
 عراضا بقرب الله في ظل عرشه تجول بها أرواحهم وتنقل
 مواردهم فيها على العز والبها ومصدرهم عنها لما هو أكل
 تروح بعز مفرد من صفاته وما كتبه اولى لديه وأعدل
 سأ أكتف من علمي به ما يصونه وابذل منه ما أرى الحق يبذل
 فأعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما أرى المنع أعدل
 علي أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله في السر والصورن أجمال

فأمثال هذه المعارف التي أشير اليها لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا ينبغي أن يظهرها
 من أنكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له عنها ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت
 الدنيا ولم تبق على نظامها ، فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعماراة الدنيا وتماها ولذا قيل :
 الغفلة عن الله رحمة ولولا الحمقى لخربت الدنيا بل لو أكل الناس الحلال أربعين يوما
 لتعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها ، وبطلت الأسواق والمعاش منها .
 ولو أكل العلماء من مال الحلال لاشتملوا بأنفسهم لتحصيل الكمال ولو قمت الألسنة
 والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الأنام ، ولكن الله فيما هو شر ظاهر حكم
 وأسرار على ما لا يخفى كما أن له في الخير أسراراً وحكماً لا تحصى لانهاية الحكمة ولا غاية
 لقدرة هذا ، وقد يظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر فهو معذور لأنه
 مقهور إذ ربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه ، وقد يفيض القلب به فلا
 يندفع فيضانه ولا ينطق لمعانه ، فيقول القادر على كتمانته :

فقالوا قريب قلت ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
 فمالي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول :

تخفى فييدى الدمع أسراره ويظهر الوجد عليه النفس
ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم
وبأن صاحب البردة أخذ من هذه الزبدة في قوله :

أحسب الصب أن الحب منكمتم ما بين منسجم منه ومضطرم
• وقال بعض العارفين : أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به أى إلى مقام قربه
وقد دخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء
فقال : لا يحبه من وجد ألم ضربه ، فقال الرجل : لكنى أقول لا يحبه من لم يتنعم بضر به ،
فقال ذو النون : ولكنى أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه ؛ فقال الرجل : استغفر الله
واتوب إليه أى من دعوى حبه . وقد قال أبو تراب النخشبى في علامة الحب آياتهاى

لاتخذ عن فلان محب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمسر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقير اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه طوع الحبيب وان الخ العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلا بل
ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يخطى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ الرازى في هذا المعنى من المبنى :

ومن الدلائل ان تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه خوف الظلام فماله من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما ترى من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا ان قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا بمليك في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الوري والقلب محزون كقلب الثاقل

وَهُوَ بِلُزُومِ الْوُضُوءِ فَهُوَ يَنْوُرُ الْقَلْبَ ، وَالْخُلُوةَ فَهِيَ تَفْرُغُ عَنِ الشَّوَاغِلِ ، وَالْأَوَّلَى
 أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتٍ مُظْلَمٍ ، أَوْ يَلْفَ رَأْسَهُ وَيَغْمِضُ عَيْنَيْهِ لِتَرُدَّ الْحَوَاسُ ، وَالسَّكُوتِ
 فَهُوَ يَلْتَمِسُ الْعَقْلَ وَيَقْوَى الْقُوَى ، وَالْجُوعَ وَالسَّهْرَ فَهِيَ بِلُزُومِ الْوُضُوءِ .

(وهو) أى السلوك أو طريقه بلزوم عشرة أسباب تكون رقيقة (بلزوم الوضوء)
 أى الطهارة الظاهرة (فهو) أى الوضوء وما فى معناه (ينور القلب) بسبب تأثير
 صفاء الظاهر لصفاء الباطن (والخلوة) أى وبلزومها عن الجلوة (فهى) أى
 الخلوة (تفرغ عن الشواغل) المانعة من تحصيل الفضائل وقد تقدم تحقيق بحث
 الخلطة والعزلة . ثم القوم مختلفون فى طرق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة على
 خلو القلب من غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان فى مجمع الخلق كما يشير إليه قوله
 تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وهو طريق السادة النقشبندية والقادة
 الشاذلية ويقال فى حقهم انهم غريبون قريبون ، وكائنون بائون ، وعرضيون فرشيون
 ومنهم من اختار الخلوة المعتارفة بينهم تهوينا للمبتدى وتسهيلا للمنتهى وكان المصنف
 منهم ولذا قال (والاولى أن يكون) السالك اذا كرم (فى بيت مظلم) ضيق ليس فيه
 متاع إلا ما لا بد منه (أو يلف رأسه) اذا كان فى مسجد ونحوه (ويغمد عينيه) حال
 ذكره وفكره لاجن صلواته فانه مكروه على خلاف دأبه عليه السلام وسنته ، وانما
 يختار البيت المظلم ولف الرأس وتغميض العين (لتركد الحواس) أى لتسكن وتستقر ،
 وفيه ان ما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعل إيراده بصيغة الجمع لتوارد النظر
 (والسكوت) أى وبلزومه من غير ذكر به فقد ورد « من صمت نجاه » ومن كان يؤمن بالله
 واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت « ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (فهو)
 أى السكوت المشتمل على الفكر (يفتح العقل) أى ينتج ثماره (ويقوى القوى) من اللسان
 وما يتبعه من الجوارح والاركان (والجوع) أى وبلزومه للصيام أو للصبر على فقدده والا
 فهو ليس مطلوباً بنفسه ، ولذا ورد فى دعائه عليه السلام « وأعوذ بك من الجوع
 فانه يئس الضجيع » فانه إذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر
 ربه وفكر حبه (والسهر) فى الذكر والفكر والعبادة والتلاوة ، وإلا فهو أيضا ليس
 بمطلوب فى حد ذاته (فهما) أى الجوع والسهر (ينوران القلب) اذا كان مشتغلا

بَتَقْلِيلِ دَمِهِ وَذَوْبَانِ شَحْمِهِ عَلَى الْإِعْتِدَالِ فَلَا فِرَاطُ شَاغِلٌ كَالْتَقْرِيطِ وَنَفْيِ
 الْخَوَاطِرِ فَالْتَمِيزُ شَاغِلٌ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ وَنَصَبٌ مُتَفَقِّدٌ يَبْلُغُ
 الْقُوَّةَ الْحَلَالَ فَهُوَ الْأَصْلُ

بذكر الرب ﴿ بتقليل دمه وذوبان شحمه ﴾ فيكون مضيقا لجرى الشيطان ودخوله
 ووصوله فيختارهما ﴿ على الاعتدال ﴾ فيهما ﴿ فالافراط ﴾ والمبالغة. فهما ﴿ شاغل ﴾
 عن العبادة ﴿ كالتقريط ﴾ والتقصير عن قدر الحاجة لأرباب الارادة وأصحاب السعادة
 ﴿ ونفى الخواطر ﴾ أى وبلزوم نفيها ودفعها إذا كانت مذمومة كما قال العارف ابن الفارض:
 ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردتى

أى بارتدادى عن مقام بللى وحال ودادى وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر
 وإلا فلا عبرة لها وأشار إليها بقوله ﴿ فالتمييز ﴾ بين الخاطر الالهى والمسمى والشيطاني
 والنفسى ﴿ شاغل ﴾ للسالك عما هو بصدده من حصول ذكره ووصول سيره قرب به فى مقام
 حبه ﴿ والتسليم ﴾ أى وبلزوم التسليم والنفويض ﴿ له تعالى فى كل حال ﴾ من جميع
 أموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره فى جميع أحواله الى ما دبره الحق له فى
 ازله ﴿ ونصب متفقدي ﴾ أى وبلزوم تعيين خادم متفقدا للوازمه ﴿ يبلغ القوت الحلال ﴾
 أى يوصل اليه ما كوله ومشروبه من مال الحلال وإلا فنتبهه أقرب اليه من الحرام
 فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الصريف من الطيبات ﴿ فهو ﴾ أى الحلال
 ﴿ الأصل ﴾ فى محافظاة الأعمال والأحوال لما يشير اليه قوله تعالى: (يا أيها الرسل كلوا
 من الطيبات واعملوا صالحا) وقوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
 ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) فقدم اكل الحلال على صالح الاعمال ،
 وقد امر الله المؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالكين من السابقين
 واللاحقين ، ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص ، والحرام يبطل ثواب
 عبادة فعلا . وتوضيحه شخص تعب فى النهار بسبب كسب الحلال ، وكانت له وظيفة
 عبادة فى الليل من الاعمال ، ففات منه العمل بسبب فتور البدن وظهور الكسل . فلا
 شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية فى الارادة . ومن اكل الحرام او لبس
 الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلاة وسائر انواع العبادة لا يقبل منه ، وما ورد
 « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه منه شيء »

وَتَرَكَ غَيْرَ الْفَرَائِضِ وَالرَّوَاتِبِ وَالذِّكْرَ الدَّائِمَ مُسْتَقْبِلًا مَعَ الْحُضُورِ بِاللِّسَانِ قِيلَ
هُوَ اللَّهُ وَوَرَدَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ

رواه الامام احمد عن ابن عمر . بل قوله تعالى: (انما يتقبل الله من المتقين) يعم اهل
الحرام وسائر المحرمات على الانام ﴿وترك غير الفرائض﴾ القطعية والظنية ﴿والرواتب﴾
أى وغير السنن المؤكدة للصلوات الخمس، وهذا لزوم بالنسبة الى المبتدئ حيث
الافضل فى حقه مجرد الذكر ، وأما نسبته الى المتوسط فلا دل فى حقه التلاوة ،
وبالنسبة الى المنتهى الصلاة لانها جامعة للذكر والتلاوة واعمال الجوارح واختلاف
الحالة كما فى عوارف المعارف ﴿والذكر الدائم﴾ أى ولزوم الذكر على سبيل الدوام
﴿مستقبلا﴾ لبيت الله الحرام ﴿مع الحضور﴾ أى حضور القلب فى مشاهدة الرب ، ولعله
اراد بالحضور هنا مجرد نفي الغفلة ، وأما الذكر قائما يكون ﴿باللسان﴾ أى بلسان البيان او
بلسان القلب والجنان او بالجمع بينهما وهو اكل ، وان كان الذكر الخفى افضل لقوله تعالى
(واذكر ربك فى نفسك) وهو يحتمل أنه اراد به الحفية عن الخلق واخفى منها وهى السر مع
الحق كما لا يخفى ، وكذا ما ورد «خير الذكر الخفى» وورد «ان الذكر الذى لا تعلمه
الحفظة افضل مما تعلمه بسبعين ضعفا» فلذا اختاره النقشبندية لتسليك المريدين فى امر ونهم
بان يلصقوا لسانهم الى حنكهم ، ويقولون بلسان قلوبهم : لاله الا الله ويشيرون
فى (لاله) الى نفى ما سوى الله ، وفى (الا الله) الى اثبات ذاته وصفاته ، ويريدون بالكلمة
معنى لاله معبودا وموجودا ومشهودا بحسب مراتبهم وتفاوت مناقبهم . واما
أهل الذكر الجلى باللسان فيشيرون بالنفى الى جانب اليمين ، وفى الاثبات الى جانب
اليسار وهو القلب . وهذه كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم فى مقام
الاظهار والاسرار ، والافا ثبت عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريق
مصافحة ، انما الثابت بالتواتر الصحبة ومتابعة الكتاب والسنة . اذا عرفت هذا
﴿قيل﴾ افضل الذكر ﴿هو الله﴾ لانه المقصود لاسواه ، والا انه لا يحصل التوحيد
فى مقام التفريد اذ اثبات وجوده لاشك لاحد فى شهوده ، ولذا (قالت رسالهم أفى الله
شك) وقال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فلا بد
من كلمة التوحيد لتحقق صفة التفريد ؛ وقد امر جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم
واشياعهم ﴿ورود﴾ عن نبينا ﷺ افضل الذكر لاله الا الله ﴿تمامه﴾ وافضل
الدعاء الحمد لله « كما رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحالم عن جابر

وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، فَوَرَدَ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآلِ عِمْرَانَ
وَهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ

مرفوعاً ﴿ وقيل لا اله الا هو الحي القيوم ﴾ وهو لا يتنافى ما تقدم لما فيه من زيادة الحي القيوم ، ولانه آية من القرآن دالة على التوحيد مع زيادة البرهان ، فالحي الازلي الابدى يشير الى ان غيره لا يصلح اللوهمية ، لانه اما لاحيائه اوحياته حادثه، والقيوم هو الذى يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وارادته وحكمته فى مصنوعاته، وفى هذا تلويح الى بطلان ما يقوله الوجودية من المعية فى المراتب الشهودية حيث قال ابن العربى : سبحان من اوجد الاشياء وهو عينها ، وقد وقع التناقض فى عين كلامه المنافى لمرامه ، فانه سبحانه اذا اوجد الاشياء واحداثها كيف يتصور ان يكون عينها ، فما للتراب ورب الارباب ، فهو ابعدهن قوله من قال بالاتحاد فى مقام الاحاد والله رؤف بالعباد ﴿ فورد ﴾ فى بعض الروايات تقوية لما تقدم ﴿ الاسم الاعظم ﴾ ثابت ﴿ فى آية الكرسي ﴾ أى فى اولها ﴿ وآل عمران ﴾ أى فى صدر سورتها ﴿ وهما يشتركان فيه ﴾ أى فى وجود لفظ الله لا اله الا هو الحي القيوم فيهما دون غيرهما من السور ، فانها خالية عنهما . والحديث رواه ابر داود والترمذى وابن ماجه وابن ابى شيبة عن اسماء بنت يزيد مرفوعاً بلفظ « اسم الله تعالى الاعظم فى هاتين الآيتين : والله -كم الهواحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران : الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) والظاهر انه فى الآيتين كتشبيهما معا على سبيل الاجتماع ، ويحتمل الانفراد ، وكذا الكلام فيما ورد من حديث ابى امامة « اسم الله الاعظم فى ثلاث سور : البقرة وآل عمران وطه » قال القاسم النابغى : فالتسسته فوجدته انه الحي القيوم لو جوده فيها . ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم « ان الاسم الاعظم يا حي يا قيوم ، وهو المناسبت لما تقدم والله اعلم . وأما ما اورده المصنف فما رأيت فى حديث . ثم فى المستدرک للحاكم عن سعد بن ابى وقاص « اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين » وهو دعوة ذى النون يونس عليه السلام ، ويؤيده قوله سبحانه (فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك نتجى المؤمنين) وقيل هو هو حيث صدر به وختم به فى قوله (هو الله الذى لا اله الا هو) ويقال *

وَالْأَوَّلَى فِيهِ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَيُؤَاطِبُهُ حَتَّى تَسْقُطَ حَرَكَةُ اللِّسَانِ وَيَجْرَى دُونَ
 اخْتِيَارٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ، ثُمَّ تَنْمَحِقُ الْحُرُوفُ وَيَبْقَى الْمَعْنَى ثُمَّ يَرْتَفِعُ الْعَدَدُ
 وَتَصِيرُ حَالَةً مُسْتَدِيمَةً وَحِينَئِذٍ تَحْدُثُ الْحَبْجَةُ فَلَا يَنْسَى الْمَذْكُورُ،

- اعد ذكر نعمان لنا أن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع
 ومن هنا قبل أن في ظمة الجلالة انواعا من الجمالة اذ لو حذف الفه بقى لله والله
 يسجد من في السموات ومن في الارض، واذا حذف لامه الاولى بقى لهوله ما في
 السموات وما في الارض وله الحمد في الاولى والآخرة وله السكبرياء في السموات
 والارض، واذا حذف لامه الثانية بقى هو لاله الا هو قل هو الله احد الى آخره
 وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس لمثله شيء وهو
 السميع البصير فسبحان من لا يعرفه ما هو الا هو، وقد جاء في الاسم الاعظم روايات
 اخر كما بينته في شرح الحصن الحصين والجمهور على أن الاسم الاعظم هو الله وقد قال
 القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني: أن الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط أن
 تقول الله وليس في قلبك سوى الله، ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ أبو الحسن
 البكري قدس الله سره السرى في اول حربه استغفر الله بما سوى الله وتعقبه بعض
 علماء الظاهر حيث لم يعرف الله ولا ما سواه وقد شرحته في جوابه وبينت القول
 بصوابه ﴿والاولى فيه﴾ أى فى المختار من الازكار ﴿الاستفتاء من القلب﴾
 فيختار ما يلهمه الرب ﴿ويؤاطبه﴾ ليلا ونهارا وسرا وجهارا ﴿حتى تسقط حركة
 اللسان﴾ أى تلفتها ﴿ويجرى﴾ الذكرك على اللسان ﴿دون اختيار﴾ أى من غير
 تكلف تذكر واحضار ﴿ثم يرجع﴾ الذكرك الى القلب ﴿اى ينتهى اليه
 ويستولى عليه﴾ ثم تمنحى ﴿والحروف﴾ من المبنى ﴿ويبقى المعنى
 ثم يرتفع العدد﴾ من المائة والالف ونحوها بما لا بدله من احضار المبنى ﴿وتصير﴾
 مداومة تصور الذكرك ﴿حالة مستديمة﴾ دالة على رتبة مستديمة ﴿وحينئذ تحدث
 الحجة﴾ وتظهر المودة ﴿فلا ينسى المذكور﴾ فى حال من احوال الذكرك كالاكل
 والشرب والخلطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة والمنام فقد قال الحجة اتباع صاحب
 الذكرك ويؤيده حديث من أحب شيئا أكثر ذكره، وقال سفيان الحجة اتباع صاحب
 النبوة ويؤيده آية ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى﴾ والله در القائل

ثم يغيب عن مشاهدة جميع الأشياء ظاهرًا أو باطنًا حتى عن النفس وعن محاضراتها
في المذكور وهو القرب، ثم يغيب عن الذكر أيضًا في شهود المذكور وهو الفناء
ثم يحدث الاتصال ويشاهد ما يشاهد لظهور النور والغفلة عن الشواغل

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذا ذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيأ ولو لا حسن ظني ما حيت
فأحيأ بالمني وأموت شوقا فكلم أحيأ عليك ولم أموت
فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نقد الشراب ولا رويت

وقال ابن الجلاء: أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلمت على سر عبدى فلم اجد
فيه الدنيا والآخرة ولا ته من حبي وتوليته بحفظي ﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكر ﴿ عن ﴾
مشاهدة جميع الاشياء ظاهرا وباطنا ﴿ في مدنوناتها من ارضها وسمواتها ﴾ حتى عن
النفس ﴿ وجودها واجزائها ﴾ وصفاتها ﴿ أى وعن شهود صفاتها الذميمة والمحمودة
وسائر حالاتها ﴾ ﴿ يغيب ﴾ عن محاضراتها في المذكور وهو القرب ﴿ أى المأثور
عن الجمهور، فعن الخواص المحبة محور الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات
﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكر ﴿ عن الذكر ﴾ أى عن وجوده وشهوده ﴿ أيضا ﴾
كما غاب عماءه من المسطور ﴿ في شهود المذكور ﴾ أى حضوره بطريق الفرح والسرور
﴿ وهو الفناء ﴾ في بحر النور ﴿ ثم يحدث الاتصال ﴾ وهو كالالبقاء في القرب
الناشئ من جمال الحب ﴿ ويشاهد ﴾ الذاكر ﴿ ما يشاهد ﴾ من عالم الوصال ﴿ لظهور
النور ﴾ من اشعة الجمال ولمعة الجلال في مقام الكمال ﴿ والغفلة ﴾ أى وللغفلة
والذهول ﴿ عن الشواغل ﴾ والموانع من حصول الوصول إلى تحقيق الفروع والاصول
وقالت رابعة العدوية يوما: من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن
شغل الدنيا عنه قطعنا، وكانه ما خوذ من قوله تعالى: وهو معكم اين ما كنتم. وقوله
شغلنا اموالنا واهلونا. وقال السرى: من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش
والاحق يغدو ويروح بلاش والعاقل عن عيوبه فتاش وكانه مقتبس من قوله تعالى،
﴿ فلنحتينه حياة طيبة ﴾. وقال هرم بن حبان اقول المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه
اقبل اليه وإذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة

وَيَصِيرُ مِنْ مُلُوكِ الدِّينِ * وَقَدْ انْتَهَى الْكِتَابُ مَتَحَلِّي الْمَقْطَعِ بِالْدُّعَاءِ

بعين الرغبة وبقي بحسده في الدنيا وبروحه في العقبى مع المولى في المقام الاعلى وواقف الشبلي اوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود ذكرى لذا كرىن ووجنتي للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين ﴿ ويصير ﴾ الذا كر حينئذ ﴿ من ملوك الدين ﴾ ومن الائمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وهو خير المعين لتحقيق علم اليقين فكملة ايمانه واسلامه واحسانه في عين اليقين واستغرق في بحر التوحيد ونهر التفريد وغاص في عين العلم وغاب عن عين غيره في زين الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكأنه اشار الى أنه مجذوب ومطلوب وأنه بسبب لذته في خدمة محبوبه غير متعوب؛ ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع إلى سهل اخوانه فقالوا لو اسألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الامات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم؟ قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل ابشر باى شىء بلغت هذه المنزلة؟ فقال كنت اذتم الله حالى يعنى أسأله ان يكتم على ويخفى أمرى، وروى أنه رأى الخضر فقال له ادع الله لى فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدنى قال وسترها عليك فقبل معناه سترها عن الخاق حتى لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها، وفي الاخبار أن الله تعالى أوحى إلى انبيائه انما اتخذ الخاقى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولم يؤثر على شيئا من خلقى وأن أحرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وأن قطع بالمنشار لم يجد ماس الحديد المافمن لم يبلغ الى دارة غلبة الحب الى هذا الحد فن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمسكشافات وكل ذلك وراء الحب ووراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفواته في الزيادة والنقصان والله المستعان ، وبما يؤيد هذا الشأن من البرهان ماروى أنه عليه السلام قال لابي بكر الصديق أن الله قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من امتى واعطانى مثل ايمان كل من آمن بى من ولد آدم رواه الديلمى عن على ﴿ وقد انتهى الكتاب ﴾ الذى هو لب الباب لكل فصل وباب عند ارباب الالباب ﴿ متحلى المقطع ﴾ المشير الى أن ختمه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿ بالدعاء

المَأْتُورِ اللَّهُمَّ اَنَا نَسَأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعَفَى، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ
وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَدَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا

المَأْتُورِ ﴿ عن سيد الابرار وسند الاخيار ﴾ اللهم انا نسألك الهدى ﴿ بالايان ﴾ .
﴿ والتقى ﴾ عن العصيان ﴿ والعفاف ﴾ بالكدفاف للانسان ﴿ والغنى ﴾ عن
الحاق في جميع الاحيان ، والحديث رواه مسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود
بلفظ اللهم اني اسألك الحديث، فلعل ما ذكره رواية في المبني أو نقل بالمعنى، واختار
صيغة الجمع لندخل معه ويدخل معنا كما في قوله ﴿ ونعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ وهو
يحتمل احتمالين، احدهما انه في نفسه لم يكن من العلوم النافعة كما يشير اليه ماورد ان
من العلم جهلا ، وثانيهما أنه لم يكن ينفع صاحبه بالعمل به لما ورد اشد الناس عذابا
عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحالة الفاخرة :

يامن تباعد عن مكارم خلقه ليس التفاخر بالعلوم الذاخرة

من لم يهذب علمه اخلاقه لم ينفع بعلمومه في الآخرة

﴿ وقاب لا يخشع ﴾ بان اسود بالغفلة ولم تؤثر فيه النصيحة والموعة واسباب
المعرفة كما قال تعالى * فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وقال عز وعلا * ألم بأن
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فنسيت قلوبهم * وقال عز وجل * ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ﴿ ونفس لا تشبع ﴾ من الدنيا فتكون حريصة عليها
ومقبلة بكليتها اليها أو كناية عن كثرة أكلها وعدم قناعتها بمقدار كفايتها ﴿ ودعاء لا يسمع ﴾
أى لا يقبل في حال دعوتها والحديث رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر والطبراني في الأوسط عن
ابن عباس وزاد اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع ورواه الحاكم وابن أبي شيبة عن ابن
مسعود بلفظ اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا
تشبع، وفي رواية لابن حبان وغيره عن أنس اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع
وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفي رواية لأبي داود عن أبي هريرة اللهم اني أعوذ بك من
الأربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ففى هذه
الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجود الصادر عن استقامة الطبع كما حكى أنه قيل
لصاحب المنازل اترك السجود فقال رجعت عما سجدت ﴿ وآخر دعوانا ﴾ بتوفيق مولانا

أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ
خَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَىٰ أَتْقِيَاءِ أُمَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ *

﴿ ان الحمد لله رب العالمين ﴾ فيما أولانا في أولانا وآخرنا وفيه إيماننا إلى قوله سبحانه أخبارا عن أهل الجنة أن يقولوا فيها هذا الكلام وهو (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهدهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحتهم فيها سلام . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وفيه تنبيه نبيه على أن آخر مقامات أهل الجنة في درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشكر بزيد النعمة وإزالة المحنة لما يومي إليه قوله سبحانه (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب - أي تعب - ولا يمسنا فيها الغوب - أي كلال وكسل ، وفسر الحزن بانواعه بحسب ما كان كل أحد مبتلى بفرد من أصنافه فقيل حزن الفقراء كراء البيت أو التحويل منه أو حزن الفراق وحجابه وهو لأهل الاشتياق إلى مشاهدة الله ورفع نقابه وهو أعلى مراتب أرباب الكمال وأعلى مناصب أصحاب الجمال المتزايد المترقى ساعة فساعة إلى أزل الآزال والله سبحانه أعلم بحقائق الأحوال) ﴿ وسلام على عباده الصالحين ﴾ من الانبياء والمرسلين السابقين ﴿ والصلاة على محمد رسول الله ﴾ سيد الاولين والآخرين ﴿ خاتم النبيين وعلى أتقياء أمة ﴾ من أهل بيته وصحابته وأتباعهم وأشيعهم أجمعين ﴿ إلى يوم الدين ﴾ أمين يارب العالمين ، وكان الفراغ منه على يد مؤلفه رحم وغفر مع سلفه وخلقه آخر يوم الخميس المشرف على ليلة الجمعة المسماة بليلة الرغائب من شهر الله المعظم رجب المرجب أحد الأشهر الحرم من شهور عام أربعة عشر بعد الألف من هجرة خير البشر وشافع الحشر من مكة الامنية إلى المدينة الامنية النازل فيها للمؤمنين أنواع السكينة حامدا ومصليا ومسلما ومفوضا ومتوكلا ومؤمنا ومسلما والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين * وعلى اله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين أمين أمين بحرمة سيد المرسلين

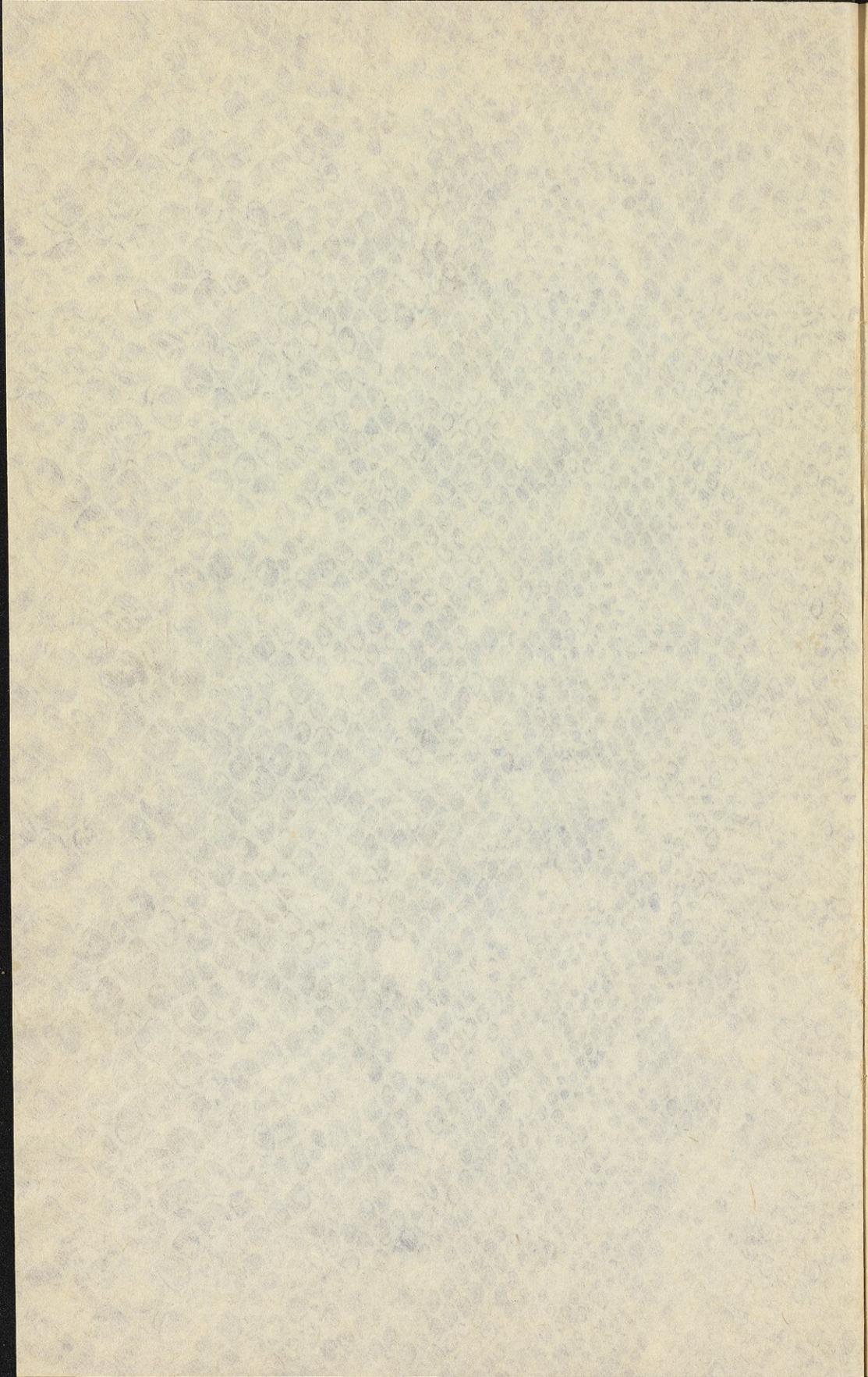
فهرست

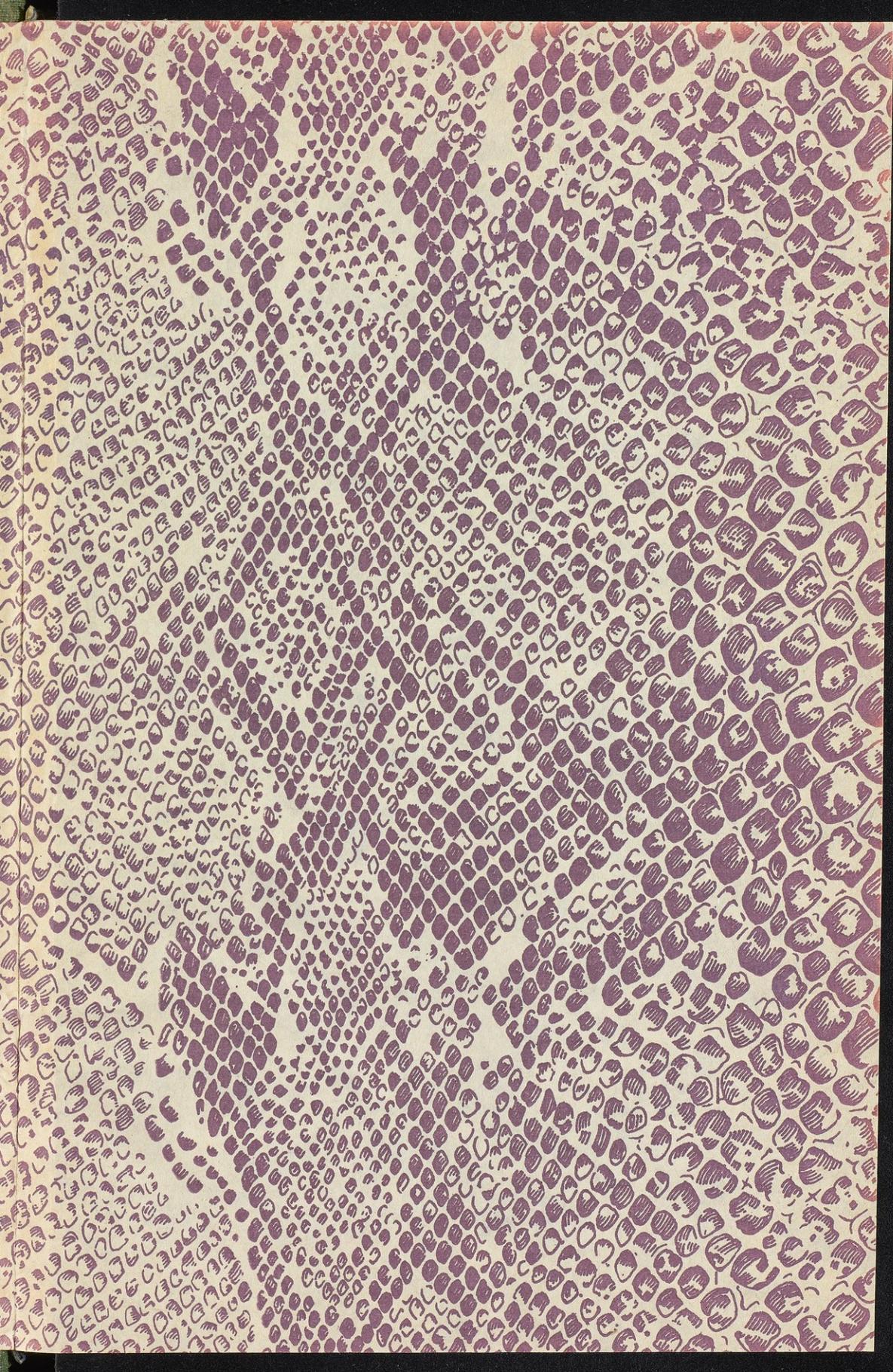
﴿ الجزء الثاني من شرح عين العلم وزين الحلم لمنلا على القارى ﴾

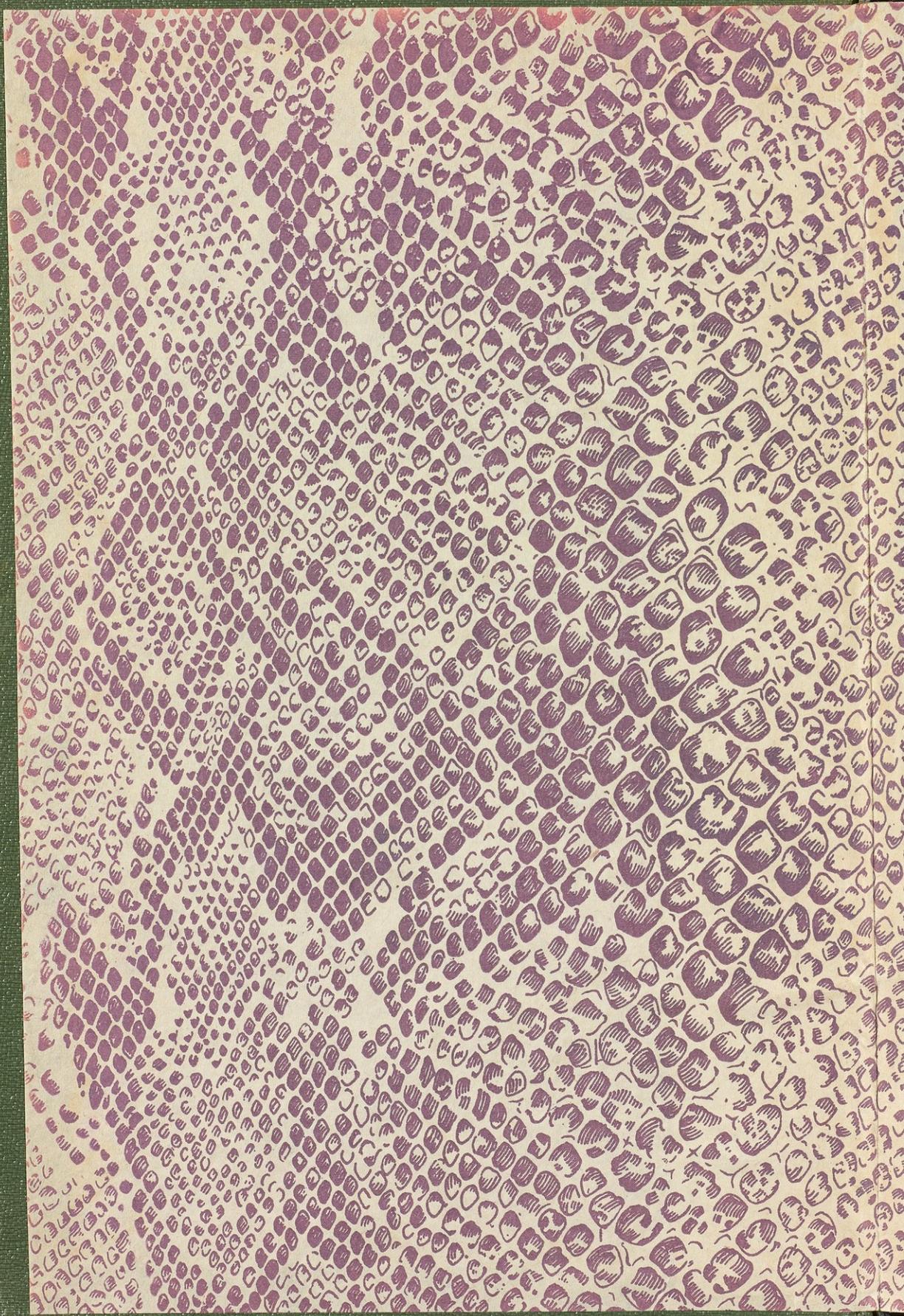
صفحة		صفحة
٤٣	بيان أن السبب لحب المدح ثلاثة أمور	٢ ﴿الباب العاشر في الاناة والحكم والعفو والنصيحة والحقد﴾
٤٤	بيان أن علاج حب المدح شيان	٢٠ تفسير الاناة والحقد
٤٦	﴿الباب الثاني عشر في التواضع وذكر المنة﴾	٣ آفات العجلة
٤٦	بيان ماورد في التواضع	٤٠ الغضب وتعريفه ومفاسده
٤٧	علامات الكبر ثلاثة عشر وبيانها	٧ بيان أن باعث الغضب ستة أشياء وذكرها مفصلة
٤٩	عمل السالف وتواضعهم	٨ بيان مراتب الغضب في الاشخاص
٥٢	آيات الكبر ستة	١٠ علاج الغضب
٥٥	علاج الكبر خمسة أشياء	١٢ ذم الحقد وعلاجه
٥٦	آفات العجب	١٥ ذم الحسد وبيان آفاته
٦٥	﴿الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق﴾	١٨ بيان أسباب الحسد
٦٥	تعريف الاخلاص وبيان أعلى مراتبه	٢٠ ﴿الباب الحادى عشر في العزلة والتحول وحب الذم وبغض المدح﴾
٦٧	تعريف النية	٢٠ بيان أقوال العلماء في تفضيل العزلة على الخلطة
٧١	بيان أن النية الأصل وما عداها الفرع	٢٠ ذكر فوائد العزلة
٧٥	بيان أدنى رتب الصدق	٢٧ بيان آفات العزلة
٨٠	بيان أن الرياء يختص بعمل الظاهر ٨٣ آفات الرياء	٣٥ التفصيل في حب الجاه
٩٩	بيان علاج داء الرياء	٣٧ آفات حب الجاه
١٠٢	الانبياء أمروا باظهار العمل للاقتداء	٣٨ بيان سبب حب الجاه
١٠٤	بيان أن كتمان المعاصى ماوربه	٣٩ علاج رفع حب الجاه خمسة أشياء

﴿ محتويات الجزء الثاني من شرح عين العلم وزين الحلم ﴾

صفحة	صفحة
القلب وتقسيمها	الجواب عن ترك النخعي
بيان وسوسة النفس وتسويل الشيطان	١٠٦
١٤٧	التلاوة حينما دخل عليه شخص
١٥١	﴿ الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الأمل وذكر الموت والاتباه ﴾
١٥٤	١٠٩ تعريف الخطر وتقسيمه
١٥٩	١١٣ تعريف الطمع المذموم
١٦٠	١١٤ تعريف الأمل وذكر حال السلف
١٦٥	١١٦ بيان أن آفات الأمل وهضراته ستة وذكرها مفصلة
١٦٧	١١٧ سبب الأمل شيئين
١٦٩	١١٩ حق ذكر الموت أن يذكر رغبة لفقائه تعالى وبعثا للخوف الموجب سرعة التدارك دون التأسف على فوات الدنيا
١٧٢	١٢٠ بيان المراد بالمحب لقاء الله
١٧٢	١٢٢ الأصل في ذكر الموت الاتباه
١٨٠	١٢٢ بيان أنواع الغرور وعلاجها
٢١٢	١٢٨ ﴿ الباب الخامس عشر في نقى الخواطر والرياضة ﴾
٢٤٧	١٢٨ القلب خزينة نعم الرب فواجب على العبد حفظه من الآفات
٢٧٤	١٣٣ تحقيق أن القلب هو ذلك الانسان العارف العالم المخاطب
٣١٣	١٣٦ تقسيم النفس الى مطمئنة ولوامة وأمانة
٣٥٤	١٣٧ بيان اطلاقات القلب
	١٤٢ بيان الخواطر التي تحدث في







COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU11380403

RECAP